

الواقع السوري تحت الجهر

عنوان الكتاب: الواقع السوري تحت المجهر

اسم المؤلف: عمر أحمد حذيفة

الطبعة الأولى : ٢٠٢١

د اسات ميدانية

الواقع السوري تحت الجهر

دراسة ميدانية

تأليف

عمران محمد حذيفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الإهداء

إلى روح والدي المرحوم، الحاج أبي محمد رحمه الله
إلى والدتي الحبيبة الحاجة الحنون، أم محمد منبت الخير وبركة العمر

.....

إلى زوجي الصابر المحتسبة، رفيقة دربي وأنيسة حياتي
إلى أولادي، فلذات كبدي، لحمي ودمي وقرة عيني
إلى إخوتي وأخواتي، عضدي وسندني
إلى أحبابي وأصدقائي من تقاسموا معي المحن وشاركوني الآلام والأمال

.....

إلى كل ثائرٍ شريفٍ ومجاهدٍ صادقٍ حمل سلاحه ووضع روحه على أكفِهِ
للدفاع عن أرضه ودينه وعرضه
إلى كل معتقلٍ غُيَّبَ في سجون الظُّلَام
إلى كل حرَّةٍ شريفةٍ نالها الأذى وطالها يدُ الإجرام
إلى كل قطرة دم سالت على أرض سوريا الطاهرة لتطهيرها من نجاسته
الطفیان

إلى كل حرِّ شريفٍ ي يريد معرفةً تاريخً أشرف وأعظم ثورةً عرفتها البشرية
بكل صدقٍ وتجددٍ ومهنية

إلى كل هؤلاء، أقدم هذا الكتاب: (الواقع السوري تحت المجهر - دراسة
ميدانية)



فصول الكتاب

الفصل الأول

الشام المباركة بين مخالب الكلاب وأنيات الذئاب

المبحث الأول: الشام في زمن الكرام

المبحث الثاني: جاهليّة عمياء

المبحث الثالث: اعرف عدوك

المبحث الرابع: سوريا المحتلة

المبحث الخامس: سوريا مزرعة الأسد

الفصل الثاني

الربيع العربي دماءً ظاهرةً وأرواحٌ زكية

المبحث الأول: الثورات وتداعياتها

المبحث الثاني: الربيع العربي الدامي

المبحث الثالث: عينٌ على الواقع

المبحث الرابع: نظرةٌ على الواقع العربي والإسلامي

المبحث الخامس: على رقعة الشطرنج

المبحث السادس: لماذا سوريا؟

المبحث السابع: الثورة السورية بين التشتكيات البينية والأطماع الدولية

المبحث الثامن: انتكasaة حلب

الفصل الثالث

سوريا الجريحة بين الوحش الضاربة وسبل النجاة

المبحث الأول: أعداء الثورة السورية والحقيقة المفضوحة

المبحث الثاني: داعش خوارج العصر والخنجر المسموم



المبحث الثالث: الموقف الدولي تجاه الثورة السورية

المبحث الرابع: الثورة السورية والمعادات الدولية

المبحث الخامس: مسارات سياسية لحل الأزمة السورية

الفصل الرابع

الثورة السورية مخاض عسيرٌ ومستقبلٌ غامض

المبحث الأول: تيهٌ، وضياعٌ، واستبدال

المبحث الثاني: الثورة السورية في عنق الزجاجة

المبحث الثالث: أزماتٌ، ومصالحاتٌ ونقدٌ وتقدير

المبحث الرابع: دور النخب والرمجعيات الشرعية في الثورة السورية

المبحث الخامس: الثورة السورية وتداعياتها العامة

الفصل الخامس

الثورة السورية فضاءٌ واسعٌ وغيمٌ متلبدة

تمهيد: الثورة السورية فضاءٌ واسعٌ وغيمٌ متلبدة

المبحث الأول: التعليم في المناطق المحررة (آلام وأمال)

المبحث الثاني: القضاء في المناطق المحررة

المبحث الثالث: الملف الصحي في المناطق المحررة

المبحث الرابع: الدفاع المدني والتكافل الاجتماعي في الثورة السورية

المبحث الخامس: دور المرأة في الثورة السورية

المبحث السادس: المنظمات العاملة في الساحة السورية وأدوارها المتباينة.



الفصل السادس

المبحث الأول: الثورة السورية توصيات واجبة بين الواقع والمأمول

المبحث الثاني: الثورة السورية صفحات ناصعة وتاريخ مشرق

خاتمة الكتاب

المبحث الأول : منارات إيمانية لثورة لكرامة

المبحث الثاني: مجازر آل الأسد

المبحث الثالث: صور من أرشيف الثورة

المبحث الرابع: شكر وتقدير

الفهرس



مقدمة الدكتور عطية الوهبي أبو حفص

الحمدُ لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله إمام الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فقد رغب إلى شيخنا المفضل التبلي الأستاذ عمر أحمد حذيفة أبو محمد حفظه الله تعالى ورعاه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنةً أن أخطُّ أسطاراً تكون تقدِّمةً لكتابِ النَّفِيسِ الذي خَطَّهُ قلمُه المبدع لا جَفْ مِدادُه والمُوسوم: الواقعُ السُّوريُّ تحت المجهر دراسةً ميدانيةً.
ولَا جَرَمَ أَنَّ هذه الدراسة تتَّبِعُ مَكَانًا عَلَيْهَا، ولَهَا قَدْمٌ صِدِيقٌ راسخٌ في مجال البحث والدرس لأسباب كثيرة منها:

أنَّ المؤلَّفَ أعلى الله مقامه وأسعد أيامه فارسٌ من فرسان الثورة السورية المباركة المنصورة، وعلمٌ من أعلامها، ذاقَ في ثمانينيات القرن الماضي أولان العذابَ وضرُوبَ الأذى والنَّكال في غياباتِ سجونِ النَّظامِ الباطنيِّ الغشومِ الظَّلِّومِ، ورعى سجن تدمَّر الصَّحراويُّ سنتين عدَّاً من أيام حياته مع صفوٍة مختارةٍ من أبناء الشَّامِ، إذ أصدرَ النَّظامُ الخَوْنُ الفاجرُ الغادرُ القانونَ رقم: (٤٩)، الذي أقرَّهُ مجلسُ الشَّعبِ في مسرحيةٍ هزليةٍ في السَّابِعِ من شهرِ تموز عام ١٩٨٠م، وَيَقْضي بِإعدامِ كلِّ من انتسب إلى جماعةِ الإخوانِ المسلمين، واعتبارِه مجرماً، وَعُلِّقَ الأحرارُ الأبرارُ على أعوادِ المشانقِ، وعانقوها المنايا ذياداً عن دينِهم الإسلاميِّ الحنيفِ، وَشَعِيْهم الكريِّمُ الشَّرِيفُ، ومَجْدُ الشَّامِ التَّالِدُ والطَّرِيفُ، وكانوا الجبالَ الشَّمْ رَاسِياتٍ في الصَّبَرِ والثَّباتِ، والنُّجُومُ الرُّزْهَرُ التي تُبَدِّدُ حاليَ الظُّلُماتِ، وَتَرْتَعُدُ منها فرائصُ الطُّغْوَةِ ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُ الصَّابِرِينَ﴾^١

^١ سورة آل عمران: الآية ١٤٦



وقد سجل الشيخ عمر ذكرياته في هذا السجن المشهوم اللئيم كما صنَّع عدد من إخوانه، ولعلها ترى النور عما قريب، وهو ما يُعرف بأدب السجون.

خرج الشيخ عمر من السجن قوي العزيمة ماضي الشكيمة، لم تلين له قناة، ولما انبلج فجر الثورة السورية، وتنفس صبحها في شهر آذار عام ٢٠١١م، كان الشيخ في مقدمة الصُّفوف، ينشدُ مع الملائين من أبناء الشام أناشيد الحرية، وأهازيج الكرامة، يُذكي الحزم ويوري العزم، ولايزال على صهوة جواده مجاهداً ببسالته وسنانه، يُخْبِبُ ويَضْعُ في سوحِ الجهاد، وميادين الدعوة والإرشاد والاستشهاد، يتَّشوّق إلى فجر الفَلَجِ والنَّصْرِ والظَّفَرِ الذي أشرقت شمسه من دماء الشهداء، وصلواتِ المجاهدين، وصبرِ المعتقلين، وثباتِ المُهَجَّرين، وأعينِ اليتامي والأراملِ والثكالي،

لأنَّ الأُمَّةَ التي تعرَّفُ كيَفَ تموتُ الموتَةُ الشَّرِيفَةُ في ساحاتِ التِّضَالِ والكافحِ، وهي تُنازلُ عدوها المُعتدي السفاح، وتُستَعلي على القرحِ والآلامِ والجرحِ، بهبها اللهُ تعالى الثواب والأجر، والعِزَّةُ والتَّمْكِينُ والنَّصْرُ ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: الآية ٤٠].

وتأتي أهميَّةُ هذه الدراسة أيضاً من كونها دراسةً ميدانيةً، لم يرجع فيها المؤلفُ إلى مصادرٍ ومواردٍ ووثائقٍ ومراجعٍ، وإنما سَطَرَ فيها مارأتهُ عيناً، وَوَعْتَهُ أذناً، وَوَقَرَّتْ صورتهُ في سُويداءِ جنانهِ، وَشَعَابِ نفسيهِ وَأقطارِ وُجدانهِ، تحتَ قصفِ الطائراتِ، وَهَدَيرِ الدباباتِ، وأزيزِ الرصاصِ، وَدُويِ المدافعِ.

وما رأى كمن سمعَ، ولا رَيَبَ في أنَّ مثلَ هذه الدراساتِ والبحوثِ الميدانيةِ التي يتولاها باحثُ مُنصَفِ صَبُورٌ يعيشُ الواقعَ بالآمهِ وآمالِهِ، وَيَحْيَا مع الجماهيرِ وهي تُواجهُ العدوَ المَوْتَوْرَ المُغَيْرَ، وَتَتَطَلَّعُ إلى فجرِ النَّصْرِ المرتَقِبِ المُنْيِرِ، يسعُفُهُ قلمُ أمينٍ غيورٍ، يصوَرُ الواقعَ بدقةٍ عاليةٍ، وأمانةٍ مُتَنَاهِيَّةٍ، وَيُحلِّلُ وَيُعَلِّلُ، وَيُجمِلُ وَيُفصِّلُ.



لا شك أن هذه الدراسات مورد عذب للوقوف على الحقائق، ومنهل روئي للباحثين والدارسين، ووثيقة صادقة للأجيال، وهي جزء كبير مهم جداً من تاريخ هذه الثورة المباركة.

جاءت هذه الدراسة: الواقع السوري تحت المجهر دراسة ميدانية، في فصول خمسة، وضم كل فصل منها تحت جناحه عدداً من المباحث، وأربت صفحاتها على ثلاث مئة صفحة.

تحدى الباحث بادئ ذي بدء عن الشام في زمن الكرام، حين كانت ترفل في حل الرفعة والقوة والمجد، وتميس في بروز السُّودَاد والرَّشِيدِ والسَّعْدِ، حين فتحها الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين وأصبحت دمشق عاصمة الإسلام العظيم في عهد الأمويين القادة الفاتحين، والقلعة المنيعة الحصينة التي صاولت الصليبيين والمغول في أيام نور الدين وصلاح الدين وقطز وغيرهم وغيرهم من قادة الإسلام الصناديد، وأخرهم السلطان العثماني عبد الحميد رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

وبعد غروب شمس الخلافة العثمانية قسم الأعداء العالم الإسلامي إلى دواليات يلعن بعضها بعضاً، يسوؤها حكام قتلهم مجرمون، غرباء الوجه واليد واللسان، ولتهم على الأمة الإسلامية قوى الإجرام والاستكبار والطغيان، أهلكت الحرب والنسل، ودمرت البلاد، وقتلت العباد، وزرعت في الأرض الشر والفساد، وابتليت الشام بحافظ أسد الباطني الحاقد المقبور وطائفته التي كانت عبر العصور مصدراً للكيد والشرور، ووكراً للتأمر والمكر والفجور، وسيفاً بيده كل عدو شانه موتور، دخلت سوريا في عهد حافظ أسد مجرم العصر وسبة الدهر في النفق الطائفي الباطني الكالح المظلم، إذ أصبح بعد انقلاب الثامن من آذار عام ١٩٦٣ م قائداً للقوات الجوية، وكان مفصولاً من الجيش قبل ذلك، وتبوأ منصب وزير الدفاع بعد انقلاب الثالث والعشرين من شهر شباط عام ١٩٦٦ م وباع الجولان لليهود عام ١٩٦٧ م.



وانقضَ على الحكم عام ١٩٧٠ م وشهدَت البلاد دماراً كبيراً، وشراً مُستطيراً على الأصعدة كافهً: الداخلية والخارجية والعسكرية والأمنية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتعليمية، وعانت البلاد احتلالاً داخلياً مقيتاً، وقُيّدَ الشعب بأصفادِ الذُلِّ والاضطهاد، وسلسلِ الهوان والاستبداد، ونشرَ النّظام المجرم الكفر الصراخ، والفساد والانحلال والرذيلة والضلال، وغدت سورياً مزرعةً للأسد ولطائفته، ولم يأبهَ وحَطَبَ في حبلِه وصَفَقَ له من السَّفلةِ الأشقياءِ الأنذال.

وعاجَ الباحثُ على التّوراتِ وتداعيَاتها، وبيَّنَ أنَّ ما حصلَ في سورياً ليسَ حرباً أهليةً كما حاوَلتَ أن تصوِّرَه بعضُ وسائلِ الإعلام المغرضة المشؤومة، وإنما هي ثورةٌ شعبٌ حُرٌّ مكлюمٌ مظلومٌ، ينشُدُ الحريةَ والكرامةَ والعدالةَ والضياءَ على عصابةٍ مجرمةٍ من القتلةِ الأنذالِ اغتصبوا السُّلطةَ واستباحوا الدّماءَ والأعراضَ والأموالِ.

وتحدَّثَ المؤلَّفُ عن الرّبيع العربيِ الذي ترَقَّبَهُ السوريون ترقبَ الغائبِ المشوقِ بفارغِ الصَّبرِ على آخرِ من الجمرِ، ولكنَّهُ لم يكنَ كما حصلَ في تونسَ الخضراءَ ومصرَ أرضِ الكنانةِ، بل كانَ ربيعاً سالَتْ فيه أهوارُ الدّماءِ التي ملأتَ المدنَ والقرى والشوارعَ والأحياءَ، وارتَوتَ الأرضُ من دماءِ الشُّهداءِ من الرجالِ والشُّيوخِ والأطفالِ والنساءِ.

بدأ ربيعُ الحريةِ السوريُّ بالظاهراتِ السُّلْميَّةِ والاعتصاماتِ المطالبةِ بالإصلاحِ والحربيَّاتِ، فواجهَها النّظامُ المجرمُ بالسياسةِ التي مرَّدَ عليها ولكلِّ نظامٍ من دهرِه ما تعوَّدَ بالقتلِ والسُّجونِ والمعتقلاتِ.

فلم يُكُنْ بدُّ من المُواجهةِ، وبدأتَ الانشقاقاتُ العسكريَّةُ، وتشَكَّلتَ الكتائبُ والألويةُ دفاعاً عن المظاهراتِ السُّلْميَّةِ التي تهتَفُ للكرامةِ والحريةِ، وتأسَّسَ الجيشُ السُّوريُّ الحرُّ، الذي كانتَ له قَدْمٌ صدِيقٌ ولا تزالَ في مسؤولَةِ عصابةِ القتلِ والإجرامِ والضلالِ.



وأجلبَ النِّظامُ الغادرُ بخيلهِ ورجلهِ وعددهِ، ليحرقَ ربيعَ الحريةِ، وارتَكَبَ عشراتِ المجازِرِ، وحرَرَ الثوارُ الأبطالُ حوالي ثمانينَ بالمائةِ من أرضِ الوطنِ الحبيبِ، فاستغاثَ النِّظامُ الفاجرُ بإيرانَ وميليشياتها فدَلَقتَ مُسرِعَةً من كلِّ فجٍ عميقٍ لِتحقيقِ حُلمِها بإعادةِ أمجادِ الإمبراطوريةِ الفارسيةِ، وبدأتَ رحلاتُ التزويجِ واللجوءِ والتَّهجيرِ جراءَ القتلِ والإرهابِ والتدميرِ داخلَ المناطِقِ المحرَرةِ وخارجَها.

وبعدَ أنْ أرغمَ الثوارُ المجاهدونَ مَعاصِيسَ إيرانَ، وقرعوا أبوابَ الجنةِ بحصادِ رؤوسِ قادتها وجنودها المعتدينِ، وسُقطَ في يديها، وارتَكَستَ في مُستنقعاتِ الهزيمةِ والذلِّ والعذابِ المُهينِ، جاءَتْ روسيا بخيلاً لها وأساطيلها وأباطيلها، واتَّبَعَتْ سياسةَ الأرضِ المحروقةِ والتَّهجيرِ القسريِّ، وَمَنَعَ الثوارُ الأحرارُ أنوفَ الروسِ المحتلينِ في أحوالِ الهزيمةِ والعاءِ والمهوانِ والشَّنارِ.

وأدَارَ المؤلِفُ عنانَ يراعتهِ للكلامِ على المكوَناتِ الكبُرى في الساحةِ بعد انطلاقِ الثورةِ السُّورِيَّةِ المباركةِ الميمونَ طائرُها والمُفلحُ حاملُ لوايهِ وناصرُها، وَتَحدَثَ عن العسكريينَ وتشكيلاَتِهم، وأولئِكَ الجيشُ السُّوريُّ الْحُرُّ، الذي قادهُ ضُباطُ منشقونَ أبلوا في الثورةِ أعظمَ البلاءِ، وأثخنوا في الأعداءِ وارتَقى كثيرٌ منهم شهداً في ميادِينِ التضحيةِ والفداءِ، وَذَكَرَ المؤلِفُ أسماءَ هذِهِ التشكيلاتِ وقادتها وأماكنَ وجودها، وتضحياتِ رجالها الميامينِ وثباتِهم ورباطةِ جأشِهم على الرَّغمِ من تفوقِ عدوِهم بالسلاحِ بأنواعِهِ المختلفةِ، واحتشارِ إيرانَ وروسيا في خندقِ إجرامِهِ وبغيِهِ وعدوانِهِ.

ونَبَّهَ على المُعْضلةِ الكبُرى والمُشكلةِ العُظيمِ التي أسمَاها بالتشظيِّ الفصائليِّ، والتنافِعِ البيانيِّ، والاحترابِ الداخليِّ، وغيابِ القيادةِ الواحدةِ التي توحِّدُ الصُّفوفَ وتنظِّمُ الزحفَ وترسمُ الخططَ والسياساتِ العسكريةَ.



وَبَرَزَتْ سِيَاسَاتُ التَّغْلِبِ عِنْدَ بَعْضِ الْفَصَائِلِ الَّتِي أَشْرَعَتْ أَسْلَحَتَهَا فِي وَجْهِ إِخْوَةِ الْجَهَادِ فِي سُوحِ الْفَدَاءِ، وَسَفَكَتِ الدِّمَاءَ، وَخَوَّنَتْ غَيْرَهَا، وَكَفَرَتْ مِنْ خَالِقِهَا، وَاسْتَحْلَتْ الْأَمْوَالَ وَالدِّمَاءَ بِاِسْمِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْغَرَاءِ وَالشَّرِيعَةِ مِنْ هَذَا الصَّنْعِ بَرَاءَةَ الدِّئْبِ مِنْ دَمِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَوةُ وَالسَّلَامُ وَاسْتَوَلَتْ عَلَى الْمَنَاطِقِ الَّتِي حَرَّرَهَا الْمُجَاهِدُونَ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَلَا سِيمَا أَبْنَاءِ الْجَيْشِ السُّورِيِّ الْحَرِّ الَّذِينَ أَذَاقُوا الْعَدُوَّ كُؤُوسَ الْهَزَائِمِ، وَانْفَرَسَ فِي قَلْبِ الْجَهَادِ سَهْمُ دَاعِشِ الْغَادِرِ الْمَاكِرِ الَّذِي يَوْجِهُهُ كَيْدُ عَالَمٍ كُبَّارٍ لِلْانْهَارَفِ بِالثَّوْرَةِ عَنْ أَهْدَافِهَا الْأَصْلِيلَةِ وَمَقَاصِدِهَا الْبَنِيَّةِ، الَّتِي تَتَجَلَّ فِي إِسْقاطِ النَّظَامِ الْمُجْرِمِ وَبَنَاءِ دُولَةِ الْحُرْيَّةِ وَالْعَدْالَةِ وَالْكَرَامَةِ فِي بَلَدِ مُسْلِمٍ عَرِيقٍ فِي إِسْلَامِهِ، كَانَ يَوْجِهُ سِيَاسَاتِ الْعَالَمِ بِإِشَارَةِ بَنَانٍ مِنْ قَادِتِهِ الْفَاتِحِينَ.

وَذَكَرَ الْبَاحِثُ الْمُكَوَّنَاتِ الْأُخْرَى، السِّيَاسِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالْعَلَمَائِيَّةِ وَالْقَضَائِيَّةِ أَيْضًاً، وَلَمْ يَأْلُ جُهْدًا فِي التَّبْيَانِ.

وَتَنَاوَلَ الْبَاحِثُ قَضايا فِي ذُؤَابَةِ الْأَهْمَمِيَّةِ، مِنْهَا:

لِمَذَا يَخْذُلُ الْعَالَمُ الثَّوْرَةَ السُّورِيَّةَ وَيَمْكُرُ بِهَا؟

الثَّوْرَةُ السُّورِيَّةُ بَيْنَ الشَّخْصِيَّاتِ الْبَيْنِيَّةِ وَالْأَطْمَاعِ الدُّولِيَّةِ.
انتِكَاسَةُ حَلَبَ وَأَسْبَابُهَا.

أَعْدَاءُ الثَّوْرَةِ السُّورِيَّةِ وَالْدُّولُ الَّتِي تَدَعُو صِدَاقَةَ الشَّعَبِ السُّورِيِّ وَتَتَخَندَقُ فِي خَنْدَقِ الْعَصَابَةِ الْمُجْرِمَةِ الَّتِي تَحْكُمُ سُورِيَّةَ مِنْذُ عَقُودِ طَوِيلَةٍ.
فَإِيَّارُانُ هِيَ أَكْبَرُ أَشَدِ النَّاسِ عَدَاوَةً لِهَذِهِ الثَّوْرَةِ، وَلَهَا أَطْمَاعُهَا الْكُبْرَى فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَتَحْلُمُ بِإِعَادَةِ الْإِمْپِرَاطُورِيَّةِ الْفَارَسِيَّةِ، وَقَدْ بَسَطَتْ نُفُوذَهَا فِي عَرَاقِ الرَّشِيدِ رَأْسِ الْتُّغُورِ وَحَرَبِ الْإِسْلَامِ، وَالَّذِي غَدَ مُحَافَظَةً إِيَّارَانِيَّةً.



وفي اليمن ولبنان وهي تُيمِّم وجه حقدِها الأسود إلى عاصمة بني أميَّة وَتَسْعى إلى تغييرِ البنية الديمغرافية والعقديَّة والفكريَّة والأخلاقيَّة فيها، وروسيا لها أطماعها الكبُرَى ومصالحُها العُظُمى في سوريا، وقد اجتَلَت كلَّ أسلحتها المتَطَوَّرة لِدَبَّحِ الشَّعَبِ السُّورِيِّ، وأمريكا تَدْعُمُ مخالبَها البكُرَى وَقَسَدَ وَتَسْتَحوذُ على ثرواتِ الشَّعَبِ السُّورِيِّ، وتَصْرِيحاًً تصرِيحاًً جوفاءً فريَّ عدوًّا لَدُودًّا لحريةِ الشُّعوبِ واستقلالِها، والغربُ الصَّالِبِيُّ هوَاهُ في هوى المافيا التي تَحْكُمُ سوريَّة، والفيتو الصَّينيُّ يَحْطُبُ في حبَالِ بشَارَ، ويَخْطُبُ لبقائهِ ويهتفُ لِإِجْرَامِهِ، والجامعةُ العربيَّةُ وَدُولُها تَخْشى أن تدورَ علىها الدَّوَائِرُ إِذَا كُلِّلتُ الثَّوْرَةُ بِالانتصارِ، وَتُوَجَّتْ بِأَكَالِيلِ الْأَسِ والريحانِ والغارِ.

لأنَّها دُولٌ أوجَدَتْ لاستعبادِ الشُّعوبِ، ولحمَامِيَّةِ مصالحِ قِوى الاستكبارِ العالميَّةِ.

وقد حَصَّصَ الحُقُّ وَتَبَلَّجَ فجرُ الحقيقةِ، وَأَتَلَعَ الأَعْدَاءُ كافَّةً رؤوسَهُم التي تموُّرُ بالأحقادِ والذُّحُولِ، وَآنَ لِلمخدوعينَ أن يَسْتَفِيقُوا من الاندهاش والذُّهُولِ، فَلَمْ يَثْبُتْ فِي السَّاحَةِ صَدِيقٌ صَدُوقٌ سِوى الحليفِ الاستراتيجيِّ التُّرْكِيِّ المَوْثُوقِ، الذي وَقَفَ مَعَ الشَّعَبِ السُّورِيِّ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَاءِ وَأَوْيَ خَمْسَةَ ملايينَ مِنَ الْمُهَجَّرِينَ السُّورِيِّينَ، والذِّي تَرِيُطُ الشَّامَ وَالْأَمَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ بِهِ أَوَاصِرُ الإِيمَانِ العميقِ، وَالإخاءِ الْوَثِيقِ، وَالآلامُ وَالآمَالُ وَالتَّارِيخُ الإِسْلَامِيُّ التَّلِيُّدُ العَرِيقُ.

وَبَعْدَ أَنْ يَبْيَنَ المؤلِّفُ المواقفَ الدُّولِيَّةَ تُجَاهَ الثَّوْرَةِ السُّورِيَّةِ، تَحدَّثَ عن الثَّوْرَةِ السُّورِيَّةِ وَالْمُعَادَلَاتِ الدُّولِيَّةِ وَالْمُسَارَاتِ السِّيَاسِيَّةِ لِحَلِّ الْأَزْمَةِ السُّورِيَّةِ.

وَذَكَرَ المؤتمراتِ الدُّولِيَّةِ التي تُخُصُّ الثَّوْرَةِ السُّورِيَّةَ وَجَوَالَاتِ المفاوضاتِ وَمساراتِها بأرقامِها وتَوارِيخِها، وَمَا تَمَّحَضَ عَنْها، وأشارَ إلى أنَّ المفاوضاتِ لا تؤتي ثمارَها المَرجوَةَ وَحصادَها اليانعَ إِلَّا إِذَا فَاوَضَتِ الْعُدُوَّ وَأَنْتَ تَضُعُ مُسَدَّسَكَ عَلَى الطَّاولةِ، وَتَرْهِبُ الْعُدُوَّ بِقَعْدَةِ السَّلَاحِ وَدَوِيِّ القنابلِ والمَدَافِعِ.



فإنَّ العدو لا يُقْيِم وزناً للضَّعافِ المعاذِيلَ المهازيِلِ، وإنما يَقْضُ مَضِيَّعَهُ،
ويؤرِّقُ جَفَنَهُ، ويُسْيِلُ مَدْمَعَهُ القوَّةُ العتيَّدةُ والمَدْفُعُ التَّقْيَلُ.
أَلَا كُلُّ شَعَبٍ ضَائِعٌ حَقُّهُ سَدِّيٌّ

إذا لم يؤيَّدْ حَقَّهُ الْمَدْفُعُ الضَّحْكُمُ

وخصص الباحث المبحث الثاني في الفصل الثالث للكلام على داعش خواج العصر والخنجر المسموم، وذكر جرائمها بحق الإسلام والثورة السورية، والأيدي الماكرة التي نسجت خيوط إجرامها، وأجهزة المخابرات المحلية والإقليمية والدولية التي كانت وراء وجودها، وكيف رفعت عقيمتها بتکفير من سواها، وكيف استغلت السُّذْجَ والبُسطاء في تنفيذ مشاريعها الإجرامية في التَّكْفِيرِ والقتلِ والتَّفْجِيرِ وسَفْكِ الدَّمَاءِ وَتَشْوِيهِ صُورَةِ الْجِهَادِ السَّامِيَّةِ المضيئَةِ الوضيئَةِ، ومعالِمِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الغرَاءِ،

وتالib الأعداء المتربيين الذين باتوا يَحْصُدونَ غرائب ما زرعت أيديهم من علقم وصائب وقتل وإرهاب، فكم قتلت من قادة وعلماء؟ وكم سفكَت من دماء؟ وكم تفنت في قتل الأبرياء، وتحقيقِ مآرب الأعداء؟ وكيف كانت خنجرًا غادراً مَسْمُوماً في قلب الثورة السورية والربيع العربي؟

وتكلَّم الباحثُ عن دور النخبِ والمرجعيات الشرعية في الثورة السورية وفصل فيها، وتكلَّم على ملفاتٍ مهمَّةٍ وخصَّص لها مباحثَ خاصةً في الفصل الخامس، ومنها التعليمُ والقضاءُ والمِلفُ الصِّحِّيُّ في المناطق المحرَّرة، ومنظومة الدفاع المدنيِّ، والتَّكَافِلِ الاجتماعيِّ في الثورة السورية.

والعلم هو أساس رُقَيِّ الأمم، ونهضة الشعوب، وبناء الحضارات، ولذا دَمَرَ النَّظامُ المُجْرُمُ وأعوانُهُ المعاهد والمدارس والكليات والجامعات، ولكن سرعان ما عادَت الأجيالُ إلى رحابِ العلمِ ورياضِهِ النِّصْرَةِ مُستعينَةً على الصعبِ والمحنِ.



والعدل أساس الملك، وقد سعى القضاة في المحرر إلى الْهُوْضِي بالمهام المنوطة به، كما دَمَرَ العَدُوَّ الْمُسْتَوْصَفَاتِ والْمَسْتَشْفَياتِ واستهدَفَها لقتلِ الحياة والأحياء، ولزِعِ الموتِ والدَّمَارِ والقَنَاءِ، فَبَذَلَ الْقَائِمُونَ عَلَى الْمِلْفِ الصَّحِيِّ جهوداً مقدوراً، وَغَالَبُوا العِقَابَاتِ الَّتِي نَهَدَتْ فِي طَرِيقِهِمْ، وَكَانَ لِلأطْبَاءِ الْمُخْلِصِينَ التَّاثِيرِيْنَ الْقَدَحُ الْمُعْلَى فِي السَّهْرِ عَلَى صِحَّةِ الْمَرْضِيِّ وَالْزَّمْنِيِّ وَالْجَرْحِيِّ «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً».

وَأَجَالَ الْمُؤْلِفُ يَرَاعِهُ لِلْحَدِيثِ عَنْ مَؤْسَسَةِ الدِّفاعِ الْمَدْنِيِّ، أَولَئِكَ الرِّجَالُ الْأَبْطَالُ الَّذِينَ كَانُوا يَمْتَطِّنُونَ صَهَوَاتِ الْمَنَابِيِّ وَالْخَطُوبِ، فَلَا يُبَالُونَ أَوْقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِمْ أَمْ وَقَعُوا عَلَيْهِ، مِنْ أَجْلِ إِنْقَادِ أَبْنَاءِ شَعِيرِهِمْ مِنْ تَحْتِ الْقَصْفِ وَالدَّمَارِ وَالْوَابِلِ الْمِدَارِ مِنْ حِقْمِ الْلَّظِي وَالثَّارِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قُضِيَ بِإِذْنِ رَبِّهِ شَهِيداً حَمِيداً سَعِيداً، وَمَضَى إِلَى مَقْعِدِ صِدِيقٍ عَنْدَ اللَّهِ تَعَالَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَقَدْ كَانَ دُورُ الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْرَةِ السُّورِيَّةِ حَاضِراً عِنْدَ الْمُؤْلِفِ إِذْ بَذَلَتْ كُلَّ مَا فِي وُسْعِهَا فِي نُصْرَةِ الثَّوْرَةِ، وَالنِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ، فَقَدْ شَارَكْنَ فِي الْمُظَاهَرَاتِ وَالاعتصامَاتِ، وَأَسَهَّمْنَ فِي التَّرْبِيَّةِ وَالْتَّعْلِيمِ وَالتَّوْجِيهِ وَالْإِرْشَادِ وَالْتَّطْبِيبِ وَالْإِغَاثَةِ، وَقَدَّمْنَ فَلَذَاتِ أَكْبَادِهِنَّ شَهِيدَاءِ فِي سُوقِ الْجَهَادِ، وَزَفَّ الْكَثِيرَاتُ أَزْوَاجَهِنَّ شَهِيدَاءَ سَعِدَاءَ إِلَى الْجَنَانِ فِي مِيَادِينِ الْجِلَادِ وَالْإِسْتِشَادِ، وَصَبَرْنَ عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْتَّهَجِيرِ، وَأَعَادَتْ الْمَرْأَةُ السُّورِيَّةُ إِلَى الْذَّاكِرَةِ صَوْرَ الصَّحَابِيَّاتِ الْجَلِيلَاتِ فِي الصَّبَرِ وَالْبَذَلِ وَالْعَطَاءِ وَالْتَّبَاتِ وَالْتَّضَحِيَّاتِ.

وَسَلَطَ الْبَاحِثُ الضَّوْءَ عَلَى الْمُنْظَمَاتِ الدَّوْلِيَّةِ وَالْحُكُومِيَّةِ، وَمُنْظَمَاتِ الْمَجَمِعِ الْمَدْنِيِّ فَمِنْهَا مَا كَانَ بِلِسْمِ شَافِيَاً لِجَرَاحِ الشَّعِيبِ السُّورِيِّ الرَّاعِفَةِ النَّازِفَةِ، تَأْسَوُ الْمَكْلُومَ وَتَوَاصِي الْمَحْرُومَ، وَتَعِينُ عَلَى النَّوَائِبِ وَتَخَفَّفُ آلَامِ الْمَصَائِبِ، وَمِنْهَا مَا جَاءَ تَؤْزُهُ الْمَصَالُحُ وَالْأَهْوَاءُ، وَهُوَ دَاءٌ دُوَيٌّ أَشَدُّ فَتَكاً مِنَ الطَّاعُونِ وَسَيِّءِ الْأَسْقَامِ،



يسعى سعيًا دؤوبًا للإفساد والتضليل والاستغلال والاستجهمال، واختطاف الطاقات والكفاءات الشابة والوحيدة بها عن واجباتها الكبرى في نصرة الثورة والتمكين لها، عن طريق الإغراء والإغواء، والشباب في كل أمم سنادها، وفي نهضة عمادها، وفي كل ثورة روادها، لما يملكون من إيمان قويٍّ وذهنٍ المعنى وحماسةٍ منقطعة النظير، وعملٍ جادٍ دائمٍ في المعركة الخطير، وإقدام على خوض الغمرات يوم النفي، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً؟ وجادت قريحة المؤلف في كتابه بتوصياتٍ واجبةٍ بين الواقع والمأمول لإعادة الثورة جذعةً في النفوس، واجتناث الوهن والضعف والاستخدا، والسير قدمًا في طريق الجهاد والداء، فلا يصبر على لأواء الطريق وعرايم الخطيب وضراوة المحنّة وقراع العدو إلا من امتلأت قلوبهم بالإيمان، وأخلصوا أعمالهم لله رب العالمين، وأسرجوها جياد العمل وأضاؤوا مصابيح الأمل، ولم يلتفتوا للوراء.

ولابد من قيادة ربانية واحدة راشدة تحسن التخطيط والقيادة، توحد الصّفوف، وتحشد الزّحوف، وتفقه السنن الإلهيّة في النّصر والمزيمة، وتُتقن فقة الأولويات والمصالح الواقع والسياسة الشرعيّة، وتحافظ على ثوابت الثورة وأهدافها وغاياتها، كما لا بد من بناء مؤسّسات ربانية تقوم على القوّة والكفاءة والأمانة.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَأْجَرَتِ الْقَوْيُ الْأَمِينُ﴾ [سورة القصص: الآية ٢٦].

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظُ عِلْمًا﴾ [سورة يوسف: الآية ٥٥].

والنَّصْرُ قَرِيبٌ ﴿الَّا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١٤].



وَقَبْلَ أَنْ يَخْتِمَ الْمُؤْلِفُ كِتَابَهُ زَيْنَ نَحْرَهُ بِذِكْرِ صَفَحَاتٍ مُشَرَّفَاتٍ وَأَيَّامٍ غُرِّ مُحْجَلَاتٍ فِي تَارِيخِ الثُّورَةِ السُّورِيَّةِ الْمَبَارَكَةِ، مِنْ بَذْلٍ وَعَطَاءٍ وَتَضْحِيَّةٍ وَفِدَاءٍ وَإِقْدَامٍ وَوَفَاءٍ وَصَدِيقٍ وَإِخَاءٍ، تُعبِّرُ عَنْ مَعْدِنِ هَذَا الشَّعْبِ الْعَظِيمِ الْجَسُورِ الصَّابِرِ الْغَيُورِ الَّذِي أَقْسَمَ عَلَى اِنْتِزَاعِ حَرَيْتِهِ مِنْ بَيْنِ أَشْدَاقِ الدَّنَابِ الْبَشَرِيَّةِ الْضَّارِيَّةِ، وَالضَّبَاعِ الْعَاوِيَّةِ مِمَّا طَالَ الطَّرِيقُ.

وَذَكَرَ الْمُؤْلِفُ مَنَارَاتٍ إِيمَانِيَّةً هادِيَّةً لثُورَةِ الْحُرِيَّةِ وَالْعَدْالَةِ وَالْكَرَامَةِ لِتَكُونَ مَعَالِمَ عَلَى طَرِيقِ النَّصْرِ.

وَكَانَتِ الْمُحَطَّةُ الْآخِيرَةُ بِعِنْوَانِ: مَجَازُرُ آلِ الْأَسْدِ، وَقَدْ قَامَ الْبَاحِثُ بِإِحْصَاءِ مَا أَمْكَنَهُ إِحْصَاؤُهُ مِنْ هَذِهِ الْمَجَازِ الرَّهِيبَةِ، وَالْمَذَابِحِ الرَّعِيبَةِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا الْأَبُ الْهَالُوكُوْرُ وَالْأَبُنُ الْمَجْرُومُ الْمُثَبُورُ، وَتَمَّ تَوْثِيقُهَا بِحَسْبِ الْمُنْظَمَاتِ الْحَقْوَقِيَّةِ. وَلَعَلَّ هَذِهِ الْدِرَاسَةُ الْجَادَةُ الْهَادِفَةُ الَّتِي بَذَلَ فِيهَا الْمُؤْلِفُ جَهْدًا كَبِيرًا مَشْكُورًا مَقْدُورًا تَكُونُ حَافِزاً لِلْأَهْلِ الْأَقْلَامِ وَالْفَكِيرِ وَالدَّعْوَةِ وَالْجَهَادِ وَالْلِقَادَةِ وَالْجُنُودِ وَالْأَفْرَادِ لِكِتَابَهِ تَجَارِبِهِمْ وَتَوْثِيقِ أَحَدَاثِ هَذِهِ الثُّورَةِ الْمَبَارَكَةِ وَرِجَالِهِا وَتَضْحِيَّاتِهِا وَسُمُّوَّ أَهْدَافِهِا وَنَبْلِ مَقَاصِدِهِا وَجَلَالِ غَايَاتِهِا، قَبْلَ أَنْ تَتَعَاوَرَهَا أَقْلَامُ الْأَعْدَاءِ وَالْمُرْجِفِينَ وَالْمُضْلِلِينَ وَشَهِيدَاءِ الزَّوْرِ وَالْمِهَانَ.

وَإِنِّي عَلَى يقِينٍ أَنَّ هَذِهِ الْدِرَاسَةَ سَتَتَبعُهَا دِرَاسَاتٌ عَمِيقَةٌ دَقِيقَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَنَّ الْجَامِعَاتِ فِي الْمُحَرَّرِ سَيَكُونُ لَهَا الْقَدْحُ الْمُعْلَى فِي هَذَا الْمَجَالِ، مِنْ خَالِلِ الرِّسَائِلِ الجَامِعِيَّةِ، وَسَتَكُونُ مَعْلَمَةً كَبِيرًا مِنْ مَعَالِمِ التَّارِيخِ، وَمُلْهِمَةً لِلشَّعُوبِ الْمُسْتَضْعَفَةِ فِي الثُّورَةِ عَلَى جَلَالِهِا فِي أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ تُدَرَّسَ هَذِهِ الثُّورَةُ الْعَمَلَاقَةُ فِي جَمِيعِ الْمَراحلِ الْدِرَاسِيَّةِ، وَأَنْ تُعَقَّدَ فِي بَيْانِ عَظَمَتِهَا الدُّرُوسُ وَالْمَحَاضِرُاتُ وَالنِّدَواتُ وَاللِّقاءَاتُ، وَأَنْ تُجْتَنَى مِنْهَا الدُّرُوسُ وَالْعِبَرُ وَالْعِظَاتُ، لِتَكُونَ مَنَارَاتٍ هادِيَّةً لِلأَجْيَالِ عَلَى طَرِيقِ الْجَهَادِ وَالْبَنَاءِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّحرِيرِ وَالتَّعْمِيرِ.



كما وإنّي على يقينٍ أنّ هذه الثورة منصورةٌ مهما طال الطريق وعظّمت المحنُ،
ومهما بُذلت المؤنُ، وعزمت الفتنة وانتفشت الباطلُ، ومن ذاق طعم الحرية
وارتدى حُلَلَ العزة في الميدان وسجّدت هامته للرحمٰن بارىء الإنسان وخالقِ
الأكون وعاش في ظلالِ القرآن، فلن يعود إلى حطائِرِ الدُّلُل والهوانِ.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
 ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أُمُّرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبِنَا وَرَسُولُنَا
 إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

الدكتور
عطية الوهيبي أبو حفص



مقدمة المؤلف

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد:

إنّ المتأمل في الساحة الشامية بشكٍل عامٍ وما تعيشه الثورة السورية بشكٍل خاصٍ يرى بشكٍل واضح ما تتعرّض له من انتكاساتٍ وماسٍ، وعقباتٍ وأزماتٍ داخلية، وما يُحاك لها من مخططاتٍ ومشاريع، ومؤامراتٍ خارجيةٍ جعلت من أرضها ساحةً لتصفية الحسابات، وميداناً لفرض النفوذ والأجندة، كلّ ذلك كان على حساب الشعب السوري الأعزل، ليكونَ صحيحةً التأمر والتنافسِ والمكرِ والخداعِ الدولي، أمام الواقع الحالي والأحداث الجارية والمتغيرات المتتسارعة على المستوى الإقليمي والدولي كان لا بدّ من طرح بعض الأسئلة الملحة والبحث عن الإجابات المقنعة، ليكونَ كلّ مَنْ على درايةٍ من أمره، وبصيرةٍ ممّا يجري حوله، وما يُحاك لأمته، فلابدّ إذًا من تعرُّفٍ حقيقة ما يجري، والاطلاع على ما يدور في فلکنا وإعداد دراسةٍ مستفيضةٍ في كلّ مجالاتها الفكرية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية كافيةً. قد يكون الوقت لذلك جاء متأخرًا ولكن كما يقال: «لأنّ تأتي متأخرًا خيرٌ من الآتائي».

وبهذا الأمر يمكن أن تعرف مكانك على خريطة العالم الذي يعمل على إزالتك ومحوك عنها بالكامل، إن لم تفرض نفسك بما تملكه من مقومات الإثبات والوجود، بل عليك أن تشارك في رسم تلك الخريطة إن لم تكن أنت وحدك من يرسمها.

في هذه الأطروحة المتواضعة أردتُ أن أسلط الضوء على الواقع السوري وما اعتراه من أزماتٍ وتحدياتٍ ومشكلاتٍ ومعوقاتٍ لأضعها تحت المجهر، وأستكشف مكنوناتها وأغور في أعماقها وأدقق ببعض تفاصيلها.



لعلّي أقدم شيئاً لإخواني الذين طالما كنّا نسعى جادّين لتقديم ما نستطيع لخدمة هذا الدين وهذه الأمة.

فقد حاولتُ الدخولَ في موضوع الثورة السورية وما اكتنفها من تساؤلاتٍ واستفساراتٍ من خلال مباحثٍ وأبوابٍ تضمّنت شروحاً وتوضيحاتٍ تزيل الغموض وتكشف اللبس وتضيء الطريق أمام الحائرين.

وقد تناولتُ ذلك في مباحث الكتاب متدرّجاً من زمن الـهالكِ المقتول حافظ الأسد وسياسته ومدى مكره وخبثه ودهائه مروراً بعهد ابنه المجرم بشار الأسد وما آلت إليه الثورة من تحدياتٍ مؤلمةٍ وواقعٍ صعبٍ اجتمع فيه ضياعُ العالم على الفريسةِ الضعيفةِ في وقتٍ ليس لها من أحدٍ يساعدها ولا أنيسٍ يواسيها إلا ما استجمعت من إرادةٍ وعزيمةٍ وما ملكت من إيمانٍ وعقيدةٍ فتماسكت وصبرت وثبتت، بل تحدّت الصّعاب والأهوال وأظهرت أفضليّة ما عندها من رجالٍ ونساءٍ وأبطالٍ.

وإنّ من الأسئلة التي تطرح نفسها في الثورة وخصوصاً بعدما استعانت الأمورُ وتعقدت وباتت أجهزةُ المخابرات العالميّة تعمل في الساحة السورية بشكلٍ علنيٍ واضحٍ وكأنّها غرفةُ عملياتٍ تُدار من خارج الحدود، ولذلك كنّا بأمسّ الحاجة للإجابة عن أسئلة الشعب السوري:

لماذا سوريا؟

وبمَ تتميّز عن غيرها من الدول؟

وما هي مبررات التّقاعس عن نصرتها؟

في حين كانت التدخلاتُ الخارجيةُ في دعم الثورات الأخرى ومدّها بما تحتاج إليه من مقومات النجاح؟؟



ولربما تأخرت فكرة البحث هذه لظنّ الكثير منّا بأنّ الثورة السوريّة ستكون كمثيلاتها من الثورات السابقة التي لم تتأخر في انتصارها ضدّ ظالمها وحكامها.

لكنَّ الحقيقةَ توضّحت عند دخول المحاور الإقليميّة والدولية في الثورة السوريّة لصالح النظام الأسدِي المجرم ووصل لمرحلة القطع اليقيني بصوملتها وإطالة أمد حلّها.

وبعد مضيّ عقدٍ كاملٍ على الثورة السوريّة وجدت من الضروري كتابة شيءٍ مما عايشته وخضتُ غماره واستشعرتُ به من خلالي وجودي في أتون الثورة وميادينها الساخنة.

كان هذا الكتاب بمثابة شاهدٍ على أحداثٍ عصيبة رهيبةٍ وثورةٍ عملاقة عظيمةٍ امتدت من زمن الطاغية المقبور حافظ أسد إلى فترة حكم ابنه المجرم السفاح بشار الأسد، وهي ما بين عام ١٩٧٠ إلى عام ٢٠٢١ م. حاولتُ في كتابي هذا الإجابة عن كثيرٍ من التساؤلات التي تُطرح الآن، وربما تُطرح لاحقاً حول الثورة السوريّة داخليّاً وخارجياً وعن التحدّيات والآمال المستقبلية والنتائج المرجوة منها.

ثمَّ وجدتُ من الفائدة أن أتعرّض للحديث عن مجالات التعليم والقضاء والصّحة في الواقع السوري وكيف أديرت تلك الملفّات الصعبة في ساحة مليئةٍ بالتحدّيات المختلفة،

وكذلك وجدتُ من الأهميّة بمكانٍ أن أُظهر المناقب العظيمة لمؤسسة الدفاع المدني التي تركت البصمات المضيئة في الساحة السوريّة، وكذا دور المرأة التي لم تتأخر في مشاركتها الرجال الصادقين في التخفيف من المأساة والآلام الخطيرة التي أودت بالناس إلى ذلّ الحاجة والفاقة وطلب المساعدة من المنظمات الدوليّة والحكوميّة ومنظمات المجتمع المدني التي دخلت المناطق المحررة فتبينت أدوارها بين السلب والإيجاب.



فكان بعضها كالبلسم الشافي على الجراح النازفة فيما كان بعضها الآخر يدسُّ السمَّ بالعسل ويعمل على الإفساد والتضليل من خلال سياسية التدليس والاستغلال واقتناص الفرص واحتطاف الكفاءات والطاقات الشبابية لإخراجها من ميدانها الأساسي وإشغالها فيما لا نفع فيه.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون نجحتُ في تقديم شيءٍ من الحقيقة لإخواني وأحبابي ولكلّ حِرِّ شريف يبغى معرفة الحق من أهله.

عمر أحمد حذيفة



الفصل الأول

«الشّام المباركةُ بين مخالبِ الكلابِ وأنيابِ الذئابِ»

فالشّام مباركةٌ، مباركٌ ما فيها، مباركٌ من فيها ..

هو حال أهليها وساكنها من الخير الكثير والأمن الوفير.

لكن

كيف أصبحت اليوم فرائسَ ثمينةً بينَ مخالبِ الكلابِ المتوجّحةِ،
وأنيابِ الذئابِ المفترسةِ، تئنُ تحتَ إجرامِهم منتظرةً فرجَ اللهِ الذي
لن يتأخّر.



وفي هذا الفصل خمسة مباحث، هي:

المبحث الأول

الشامُ في زمنِ الكرام

المبحث الثاني

جاهليّة عمياء

المبحث الثالث

اعرف عدوك / النصيرية /

المبحث الرابع

سوريّة المحتلّة / حافظ الأسد / ٢٠٠٠ م - ١٩٧٠ م

المبحث الخامس

سوريّة مزرعة الأسد المجرم بشار الأسد



المبحث الأول

الشام في زمن الكرام

من يقرأ التاريخ الإسلامي ويقلب في صفحاته يدرك تماماً كيف بـدأ النبي ﷺ دعوته بكل صدق وإخلاص، ومحبّة ورحمة ورأفة، وعزيمة وصبر وثبات، حتى صنع أمّة عز نظيرها في ذاك الزّمن، أمّة توجّت بوسام شرف ربّاني تخلّد ذكره في التاريخ وإلى يوم القيمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْهِيْمُونَ بِاللَّهِ﴾^١.

تلك الأمة التي ولدت من رحم البلاء والوباء والجاهلية الجحلاء فكانت محاطةً بكلّ كبير هائلٍ من الأعداء الدّخلاء والعملاء، ولكن صدق العزمية لرسالتها، وقوّة الإيمان بمبادئها، وما تمتّع به قادتها من حكمـة إداريـة وحكـمة سياسـية وخطـط عسكـريـة وذـكاء وعـقـرـيـة مـكـنـها من الـوقـوفـ في وجهـ العـواـصـفـ البـشـرـيـةـ والمـخـاطـرـ الـوـحـشـيـةـ الـتـيـ اـعـتـرـضـتـهاـ،ـ فـوـضـعـواـ بـصـمـاتـهـمـ الـمـشـرـقـةـ عـلـىـ صـفـحـاتـ التـارـيخـ،ـ وـفـرـضـواـ وـجـودـهـمـ بـيـنـ الـأـمـمـ،ـ وـتـحـولـواـ مـنـ رـعـيـ الغـنـمـ إـلـىـ قـيـادـةـ الـأـمـمــ.ـ لـمـ تـوـقـفـ مـسـيـرـةـ الإـلـاصـاحـ بـوـفـاةـ القـائـدـ الـأـوـلـ ﷺـ،ـ بلـ تـابـعـتـ مـسـيـرـهاـ بـكـلـ قـوـةـ وـحـيـوـيـةـ وـنـشـاطـ،ـ تـحـمـلـ الـخـيـرـ لـلـبـشـرـيـةـ،ـ وـتـنـشـرـ الـهـدـاـيـةـ وـالـعـدـلـ وـالـأـمـانـ،ـ حتـىـ كـانـ الـظـعـنـيـةـ تـسـيرـ مـنـ صـنـاعـهـ إـلـىـ حـضـرـمـوتـ لـاـ تـخـشـىـ إـلـاـ اللـهــ.

ها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير العدل وصاحب الأمانة والمسؤولية، الذي علم البشرية قواعد العدل وأسس الكرامة والحرية، ليقف كلّ عند حدوده ويستشعر مسؤوليته في القيادة كما كان حاله رضي الله عنه عندما قال: **(وَلَوْ هَلَكَ حَمْلٌ مِنْ وَلَدِ الضَّيْانِ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ضَائِعًا لَخَشِيتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهُ).**^٢

١ سورة آل عمران: الآية ١١٠

٢ السنة لأبي بكر بن الخلال: باب ذكر خلافة أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (٣٩٦ - ٣١٧).



وليس ببعيدٍ عنه حفيدهُ النبيل الجليل، الخليفة الخامس عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي ملأ الدنيا بعدله، وسار على نهج أجداده حتى فاضت في عهده خزائنُ بيت المال، فأمر بإلغاء ديون الغارمين، ثم بتزويج شباب المسلمين، ثم بإعتاق الأسرى والرقيق ممّن لا يملكون المال،

ولا يجدون سعة في أيديهم. إنَّ صاحب المقال الجميل الماتع: (حينما كتب لعبدِ الحميدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - وَهُوَ بِالْعَرَاقِ - أَنَّ أَخْرَجَ لِلنَّاسِ أُغْطِيَاتِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْحَمِيدِ «إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ أُغْطِيَاتِهِمْ، وَقَدْ بَقَيَ فِي بَيْتِ الْمَالِ مَالٌ» فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ «اَنْظُرْ كُلَّ مَنِ ادَانَ فِي غَيْرِ سَفَهٍ وَلَا سَرْفٍ فَاقْضِ» فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي قَدْ قَضَيْتُ عَهْمُمْ، وَقَدْ بَقَيَ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مَالٌ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْظُرْ كُلَّ بَكْرٍ لَيْسَ لَهُ مَالٌ، فَسَأَلَ أَنْ تَرَوْجُهُ فَرَزَوْجُهُ وَأَصْدِقْ عَنْهُ «فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي قَدْ زَوَّجْتُ كُلَّ مَنْ وَجَدْتُ، وَقَدْ بَقَيَ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مَالٌ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَخْرَجِ هَذَا، أَنِّي «اَنْظُرْ مَنْ كَانَتْ عَلَيْهِ حِزْيَةٌ فَضَعْفَ عَنْ أَرْضِهِ، فَأَسْلِفْهُ مَا يَقْوِي بِهِ عَلَى عَمَلِ أَرْضِهِ، فَإِنَا لَا نُرِيدُهُمْ لِعَامِيْمْ هَذَا وَلَا لِعَامِيْنِ»).^٣

بهذه الأخلاق العظيمة السامية سادوا الأمم وقادوا الشعوب، نشروا الأمان والعدل والأمان، وحققوا السعادة والاطمئنان، وزرعوا في نفوس البشرية الرحمة والمحبة والغفران، ففتحت على أيديهم آفاقً واسعةً ومساحاتٍ شاسعة، حتى امتدت أرضُ الخلافة ما بين المشارق والمغارب، فوصلت من حدود الصين شرقاً إلى إسبانيا غرباً ومن أطراف السودان جنوباً إلى القسطنطينية شمالاً.

عن بلاد الشام أتحدث؛ عن العاصمة الأموية ومنطلق الفتوحات الإسلامية، وسل إن شئت عن المهلب بن أبي صفرة، وقتيبة الباهلي، ومحمد بن القاسم، وطارق بن زياد، ومومي بن نضير و عبد الرحمن الغافقي وغيرهم من الأبطال الميامين الفاتحين ليخبروك بالصدق والخبر اليقين.

.الأموال لابن زنجويه: باب في إطعام الإمام الناس عندَهُ من الفيء، (٩٣٦-٥٦٥).

٣



إِنَّمَا بِلَادَ الشَّامِ؛ الدُّرْعُ الْمُتَينُ وَالْحَصْنُ الْحَصِينُ أَمَامَ الْحَمْلَاتِ الصَّالِبِيَّةِ
الْحَاقِدَةِ وَالْهَجْمَاتِ الْعَبِيدِيَّةِ الْمَاكِرَةِ الَّتِي تَحْطَمَتْ جِيَوْشُهَا الْجَرَارَةُ وَتَمَرَّغَتْ
أَنُوفُ قَادِتِهَا الْحَاقِدِينَ عَلَى أَبْوَابِ حَطَّينَ صَلَاحَ الدِّينِ، وَفِي عَيْنِ جَالُوتِ تَحْتَ
أَقْدَامِ بَيْبرِسِ وَجَنْوَدِ الْمِيَامِينِ.

وَهُلْ تَنْسِي الْبَشَرِيَّةُ عُلَمَاءَ الشَّامِ الَّذِينَ مَا زَالَتْ مَؤْلَفَاهُمْ مَرَاجِعُ وَمَوَارِدٍ يَنْهَلُ
مِنْهَا الْعُلَمَاءُ، وَمَكْتَبَةً يَعُودُ إِلَيْهَا الْعَظِيمَاءُ لِيَأْخُذُوا مِنْهَا الْعِلْمَ وَالْأَدْبَرَ وَالْمَعْرِفَةَ
وَالْحُضْرَةَ.

نَعَمْ إِنَّمَا الشَّامُ الْمَبَارَكَةُ الَّتِي بَشَّرَ بِهَا الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ بِصَوْتِهِ النَّدِيِّ
فِي أَحْلَكَ ظَرُوفَ الْمُسْلِمِينَ وَأَشَدَّهَا قَسَاؤُهُ وَإِلَامًا: (اللَّهُ أَكْبَرُ أَعْطِيَتُ مَفَاتِيحَ
الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبَصِّرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ).

إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَرُقْ لِأَمْمِ الْكَفَرِ وَرَؤُوسِ الْضَّلَالِ الَّذِينَ مَا فَتَئُوا يَحْيَكُونَ الْمَكَائِنَ
وَيَدْبَرُونَ الْمَؤَامَرَاتِ، وَيَزْرِعُونَ الْفَتَنَ، وَيَبْثُونَ الْأَكَاذِيبَ وَالْإِشَاعَاتَ، لِيَفْتَوَّا فِي
عَضْدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَضْعُفُوا مِنْ عِزِيمَةِ شَبَابِهَا الْمُتَوَثِّبِينَ إِلَى الْمَجَدِ، وَيَشَتِّتُوا مِنْ
قُوَّتِهِمْ وَيَشَكِّكُوا فِي نِيَّاتِهِمْ، وَيَخْلُصُوا إِلَى قَلْوَاهُمْ بِالشُّكُوكِ وَالْأَرْتِيَابِ، فَيَكُونُونَ
بِذَلِكَ قَدْ حَقَّقُوا أَوَّلَ خَطُوَةٍ فِي تَحْقِيقِ مَشْرُوعِهِمْ فِي الْقَضَاءِ عَلَى أُمَّةِ الإِسْلَامِ.
إِنَّ مَهْمَمَةَ الْقَضَاءِ عَلَى الْخَلَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ تَبَدُّو صَعْبَةُ الْمَنَالِ، وَلَا سِيمَا أَنَّهَا
امْتَدَّتْ بِمَسَاحَاتِهَا الْوَاسِعَةِ وَاسْتَحْكَمَتْ فِي قُلُوبِ أَتَبَاعِهَا بِأَخْلَاقِهَا الْفَاضِلَةِ
الْجَلِيلَةِ وَعَلَاقَاتِهَا الْكَرِيمَةِ النَّبِيَّلَةِ، وَهُوَ مَا جَعَلَ أَهْلَ الْبَاطِلِ يَضْعُونَ الْخَطْطَ،
وَيَدْرِسُونَ الْمَؤَامَرَاتِ، وَيَسْخَرُونَ الطَّاقَاتِ وَيَعِيدُونَ الْكَرَّاتِ وَالْكَرَّاتِ، وَيَتَفَنَّنُونَ
فِي اسْتِخْدَامِ كُلِّ الْوَسَائِلِ وَالْأَدْوَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَحْقَقَ لَهُمْ ذَلِكَ.

حَتَّى اخْتَرَقُوا صَفَوفَ الْقَادِهِ فِي غَفْلَةٍ مِنْهُمْ، وَدَخَلُوا بِلَاطَ الْخَلَافَةِ وَقَصْوَرَ
السَّلاطِينِ، وَتَغْلَغَلُوا فِي صَفَوفِ الْجَيْشِ وَالْعَمَلِيَّاتِ مَوَاطِنِ الْقَرَارِ، فَأَمْسَكُوا
بِبعضِ مَفَاصِلِ الْحُكْمِ وَتَعْرَفُوا نِقَاطَ الْضَّعْفِ وَمَكَانَنَ الْخَطَرِ فِي جَسَدِ
الْخَلَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.



حتى إذا حان وقت القضاء عليها والتخلص منها تم الانقضاض عليها بوحشية وقد دفين والإحاطة بها من كل حدب وصوب، وكانت فاجعة السقوط الأليم، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.



المبحث الثاني

جاهليّةٌ عمياء

عندما أُسقط في أيدي الخلفاء، وقُضي على الخلافة العثمانية، وأبعد رموزها، وحيل بينهم وبين شعوبهم، وغيبوا في غياه السجون والمنافي لتعود الجاهليّة بوجهها القبيح ولتنفث سموها وتزرع حقدَها من جديد.

جاهليّة لم تكن كجاهليّة أصحاب القرون الأولى، الذين كانوا يعرفون ببعضًا من مكارم الأخلاق، يقدرون للغريب قدره ولو كان عدوًّا، ويرحمون من كان في قومه عزيزًا كريماً.

جاهليّة اليوم جاهليّة عمياء ظالمة، فلم تدع مجالًا لعالم ينطق ببنت شفة، بل غيّبهم في ظلماتِ السجون، ونفّهم في الفيافي والقفار، وعلّقتهم على أعود المشانق، ولم تترك منفذًا يشعُّ نورًا على شعبٍ ضاع في ظلمات الجهل والتهميش إلا أغلقت أبوابه وقمعت أصحابه بوحشيةٍ وهمجيّة.

جاهليّة أبعدت مشاعل النور والضياء ومنابر الهدى والإباء من طريق العوام بعد أن أطافت أنوارهم وكممت أفواههم، واستبدلتهم بأبوابٍ تقلب الحقائق وتنزّن الخبائث وتشرعن للباطل.

جاهليّة عمياء لم ترحم كبيراً ولم تراعِ حرمةً، ولم ترأف بصغرٍ، بل مارست كلَّ أشكالِ الحقدِ الدفين الذي كانت تُكِنُه على أمّة الإسلام، فنمت على حساب الأمم، وترعرعت على جماجم الشعوب، فقسمَت أرض الخلافة الإسلامية إلى أكثر من عشرين دولةً مرسومةً الحدود، موثقةً بالقيود التي لا يمكن الانفكاكُ عنها ولا التملّصُ منها، إلا بالتضحيات وركوب الأهوال، كيف لا، وقد عملوا على تربية عملاة وخونة ليكونوا رؤساء على تلك الدول من جهةٍ، وعملاءً ومندوبيَّن لهم من جهةٍ أخرى، وبذلك يضمنون السيطرة على تلك الدول واستمرار ذلك، بل وتحقيق كلِّ ما يريدون من مخططاتٍ ومشاريع قد انتظروها وعملوا لها من أمدٍ بعيد.



كل ذلك كان بتدبير وخطيط الدول الكبرى التي تسعى دول «الحلفاء» كأمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا إذ لكل دولة مصالحها ومشاريعها الخاصة بها، ورجالها الذين تسلطهم على رقاب الشعوب والعلماء السريون الذين يراقبون عن كثب.

وهكذا حتى أصبحت الدول العربية لقمة سهلة سائفةً تلوّكها أنجاهُم كيف شاءت ومتى أرادت.

شاء الله أن تكون بلاد الشام من تلك الأمصار التي كتب عليها تاريخ الرضوخ والخنوع لحكم وتسلط طغاةٍ مستبدٍّين أذلوا العباد، ودنسوا البلاد، وأذاقوهم سوء المهانة والعذاب، فكانوا حراساً أمناء وكلاباً أوفياء لأسيادهم من الحلفاء، يُنفذون مشاريعهم، ويحققون مؤامراتهم، ويضربون بيدٍ من حديد كل من يخرج عن رأيهم ويرفض طاعتهم.



المبحث الثالث

اعرف عدوك (النصرية)

إنَّ من أولوياتِ شبابنا اليوم معرفةُ الأعداءِ الذين أوصلوهم إلى هذه الحالة الصعبةُ الذليلة، والتي ما زلنا نحصدُ آثارها الكارثيةَ علينا وعلى أهلينا وإخواننا وأبناء بلدنا، ولعلَّ من أهمِّ أسباب ذلك أنَّنا لم نقرأ التاريخَ ولم نَفُزْ في أعماقه، تاريخَ آبائنا وأجدادنا وما لاقوه من صعوباتٍ وتحدياتٍ، بل وما عانوه من استبدادٍ طفأةٍ واستعبادٍ غزاة، وإجرامٍ عتاةٍ وخيانةٍ عملاً ومجرمين، وهو الأمرُ الذي وقعنا فيه نحن الأحفادُ من بعدهم !!!!

من هنا كان لا بدَّ من معرفةٍ شيءٍ ولو كان قليلاً عن عدوَنا الذي ملكَ زمام الأمورنا، وسَكَّتنا على فساده وانحرافه حتى استحكمَ في رقابنا ففعلَ بنا الأفاعيل، وسامَّنا سوءَ العذاب، كما فعلَ أسلافُهم من قبلهم بأسلافنا الذين لم يُعرفوا طبيعةَ حقدِهم ومدى غدرِهم ومكرِّهم، ويَا للأسفَ فما زالَ الكثيرون من أبناءِنا مخدوعين بالاعداءِ وعلى رأسِهم: (النصرية) (¹)، تلك الطائفةُ الخبيثةُ، بل يدافعون عن إجرامها في كثيرٍ من الأحيان لقاءَ عَرَضٍ من الدنيا قليل.

ولن أخطئَ إنْ قلتُ بأنَّ أكثرَ من ثمانين بالمئةَ من شبابنا لا يُعرفون عن تلك الطائفةِ (النصرية) إلَّا النَّزَرُ اليسيرُ، ولم يُطَلِّعوا على حقيقةِ تأسيسها، وأهدافِ نشأتها، وطبيعةِ الغدر والخيانة والدياثةِ في رجالها.



ومن هنا وجدتُ من الضرورة أن أقدم بعض المعلومات التي ينبغي للمسلم معرفتها عن تلك الطائفة ليكون على درايةٍ تامةٍ بأفكارها الهدامة، وبينَةٍ كاملةٍ عن طبيعة أهدافها الفتاكَة ورجالها الذين يحملون الحقد الدفين على أمّة الإسلام.

النصيرية (تعريفها - نشأتها - بعض مؤسساتها)

النصيرية: فرقَةٌ باطنيةٌ خبيثةٌ نبتت في بلاد المسلمين، ظهرت في القرن الثالث الهجري على يد مؤسسها محمد بن نصير البصري الفارسي الأصل الذي انفصل عن الشيعة إثر نزاع عقائديٍّ، فكُون الطائفة النصيرية، وبقي يرعى شؤونها حتى هلك سنة ٢٧٠ للهجرة.

وقد ادعى محمد بن نصير لنفسه التبّوء والرسالة، وكان إبا حيَاً معروفاً لدى خاصته بشرب الخمر والخلاعة والشذوذ الجنسي.

ثم خلفَه بعد هلاكه محمد بن جندب، ومن بعده عبد الله بن محمد الجنبلاني الفارسي الأصل الذي سافر بدعوته إلى مصر وعرضَها على الحسين بن حمدان الخصيبي الذي تولى أمرها هناك، ثم عاش في كَنَف الدولة الحمدانية في حلب، وكان الخصيبي نسيطاً إذ أنشأ مركزين للنصيرية في حلب وبغداد ثم سرعان ما انتقل مركِّز بغداد إلى اللاذقية بعد انقراضه من حملة هولاكو.

كما كان لسليمان المرشد (راعي الغنم) دوراً بارزاً في رئاسة الطائفة ردحاً من الزَّمن، وقد احتضنه الفرنسيون مع بعض رجال الطائفة آنذاك، وكان من الموقعين على الوثيقة التي طالب فرنسا بعدم الخروج من سوريا خشية استلام السنّة لمقاليد الحكم فيها وتسلطهم على العلوّين حسب زعمهم.

ثم تسلّمَ رئاسة الطائفة من بعده ابنه مجتبى، الذي أسسَ المذهب المرشدي حتى أصبحت (المرشيدية) طائفةً مستقلةً عن الطائفة العلوية بحكم خلافاتٍ مناطقيةٍ أدّت إلى اقتتالٍ وعداواتٍ فيما بينهم.



من أشهر شخصياتهم: الشاعر محمد سليمان الأحمد الملقب بدوي الجبل، والشاعر سليمان العيسى، والمناضل المزعوم صالح العلي (قاطع الطرق)، وحافظ الأسد (بائع الجولان)، وبشار الأسد (بائع سوريا).

عقيدة النصيرية

خليطٌ من عقائد الشيعة واليهود والنصارى والبوديَّة والمجوس والوثنية القديمة، فهم يؤمنون بتعُدُّ الآلهة، وبحلول الإله في خلقه، وبتناسخ الأرواح، وينكرون البعث والنشور والحساب.

وعقائدهم تنطوي على السرية والكتمان، ولا تُجيز البَوْح بأسرار ديانتهم ومعتقداتهم، وتستعمل التَّقْيَة في إخفاء عقائدهم عن غير ملتهم، كما لا يجوز للمرأة (عندهم) أن تطلُّ على أيِّ سرٍّ من أسرار المذهب، لأنَّها ضعيفةُ العقل والإرادة، وهي أكثر شرًا من الرجل وأكثر احتيالاً منه ومكرًا.

النَّصِيرِيَّة يعتقدون أنَّ (عليَّاً) خَلَقَ مُحَمَّداً، وأنَّ مُحَمَّداً خَلَقَ سَلَمَانَ، وأنَّ سَلَمَانَ خَلَقَ الأيتامَ الخمسة: (المقداد وأبا ذر وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وقنبير بن كادان خادمَ عليٍّ) ولكلَّ واحدٍ من هؤلاء الخمسة مهمَّةٌ موكلٌ بها.

النَّصِيرِيَّة يعتقدون على الصحابة الكرام رضي الله عنهم ويُمطرؤنَّ بهم بالسب والشتَّم واللعنات، ولا سيما أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، وذلك لأنَّهم اغتصبوا الخلافة من عليٍّ رضي الله عنه (على حد زعمهم)، إلَّا أنَّ السبب الحقيقي في ذلك هو أنَّ هؤلاء الصحابة العظام الكرام هم الذين أطفئوا نارَ المجوس، ونشروا رايةَ الإسلام خفافةً بين جحافلَ المجوس والوثنيين.



تعتبر التنصيرية التكاليف الشرعية (من فرائض عبادات) أغلالاً وقيوداً وضعت على الجهلة المقصرين من الطائفة، وحقيقة العبادات عندهم لا تعلو أكثر من ذكر لأسماء أشخاص معينين. فالصلة عندهم عبارة عن ذكر خمسة أسماء هي: (علي وحسن وحسين وحسن وفاطم).

ويذكرون اسم فاطمة ويستبدلونه بـ(فاطم)؛ لأن المرأة ليست من أهل الدين والمعرفة عندهم.

وقد يقومون ببعض الطقوس حفاظاً على مشاعر الانتماء للطائفة، فقد يُصلّون، ولكن بصلةٍ لا تشبه صلاتنا من ركوع أو سجود أو عدد ركعات، كما لا جمعة عندهم، ولا يعترفون بالحج ولا بالزكاة، والصوم عندهم هو الامتناع عن معاشرة النساء في رمضان.

أعياد النصرية

خليلٌ من أعياد النصارى والفرس والشيعة والمسلمين ومنها: عيدُ الرابع / أولُ الربيع / وعيدُ المهرجان / أولُ الخريف / وهما من (أعياد الفرس).

عيدُ الغدير وعيدُ الفراش، وهما من (مواسم الشيعة وأعيادهم). عيدُ الغطاس وعيدُ القدسية (بربارة) وعيدُ الميلاد وعيدُ الصليب، وهي من (أعياد النصارى).

ويحتفلون بيوم (دلام) وهو التاسع من ربيع الأول ويقصد به مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرحاً بمقتله وشماته به.



النصرية عبر التاريخ

من خلال تقليل صفحات تاريخ النصرية عبر الزّمن الغابر يتبيّن لكلّ ذي بصيرٍ وبصيرةٍ أنّهم كانوا أصحاب تاريخ ملؤه المكرُ والغدرُ والخيانة، وهذا من أهداف نشأتهم وقيام دعوتهم من تعطيل شريعة الإسلام وهدمها وتقويض أركانها، وهذا ما كان واضحًا جليًّا من إجرامهم بحق المسلمين ابتداءً من حكم المجرم أبي الطاهر القرمطي وما فعله من مجازر بالحجيج الذين تعلّقوا بأستار الكعبة في القرن الثالث من الهجرة النبوية، مرورًا بالحملات الصليبية حيث كانوا عونًا لهم على بلاد العالم الإسلامي في نهاية القرن الخامس والسادس الهجري في قتل الألوف المؤلفة من النساء والأطفال والشيوخ، كما كانوا عونًا وعيونًا للتتار الذين كانوا يحملون عقيدة الشيعة الرّوافض، حيث مكّنوهם من رقاب المسلمين في الشام فخرّبوا ونهبوا وسبوا وقتلوا مئات الآلاف من المدنيين العزل.

وأمّا في زمن الخلافة العثمانية فقد وقف النُّصيريُّون مع الباطنيين الصفوين ضدَّ العثمانيين المسلمين لارتباطهم بهم عقائديًّا وفكريًّا وماديًّا.

وبعد أن تجزأ الوطن العربي في مطلع القرن العشرين على يد الغزاة المحتلين، كان النُّصيريُّون عملاً أو فياءً للفرنسيين الذين قربوهم منهم وأدخلوهم في مفاسِل الجيش حتى مكّنوهם وأهلوهم لاستلام زمام الحكم في سوريا، وكان لهم ذلك فقد نجحوا في تسلّم الحكم واستفردوا به، وهنا كانت جرائمهم بحق الشعب السوري شاهدةً على خبث طوئهم وعظيم مكرهم وخيانتهم في مجازر حماة المتكررة وجسر الشغور وجبل الزاوية ومجازر سجن تدمر وغيرها العشرات من المجازر والتصفيات البشرية الحاقدة التي يندى لها جبين البشرية، فضلًا عن عشرات المجازر الأخرى التي قام بها المقبور حافظ أسد بحق اللبنانيين والفلسطينيين والتي بلغ عدد ضحاياها عشرات الآلاف من المدنيين الأبرياء.



وأماماً المجرم بشار الأسد فقد كان قاتلاً سفاحاً بامتياز، وامتداداً لحلقات الإجرام الطائفية البغيضة على اختلاف أشكالها وأصنافها من قتل وتدمير وحصار وتجويع، وتشريد وتهجير وتركيب، واستجلاب أباش الخلق وأراذل البشر وتمكينهم من الأرض والعرض والبلاد ورقب العباد مقابل إبقاءه في الحكم وتمكينه من السيطرة والنفوذ ولو صورياً.

ومن هنا يُمكن لكل ذي لب أن يدرك حقيقة تلك الطائفة الغدارة وما تحمله من مكر وخيانة، وما تنطوي عليه من تاريخ أسود ملؤه الخسارة والوضاعة والعمالة والغدر والخيانة والنذالة والدياثة.



المبحث الرابع

سوريا المحتلة/حافظ الأسد / مأساة العصر

شاء الله أن كانت بلدنا «سورية» من البلدان المحتلة حيث تسلط عليها الهاك المقبور حافظ الأسد بانقلاب عسكري عام ١٩٧٠م، وأطاح برفاق دربه وغدر بهم فأعدم بعضهم وسجن بعضهم الآخر حتى الموت.

ومن هنا بدأ المشوار السوري الطويل، وبدأت الحكاية السورية المؤلمة التي قد

يحرر المرء كيف يبدأها؟

وكيف يسرد تفاصيلها؟، ويقص مأساتها؟

ثم من ذاك الذي سيسمع منه؟

وهل سيصدق أحد حكايتها؟

وماذا بعد؟

وإلى أين المسير؟

من هنا تبدأ الحكاية إليها السادة:

بدأت المأساة السورية منذ أن أسقطت الخلافة العثمانية على يد دول الحلفاء، وأخذوا يتقاسمون الفريسة فيما بينهم، وكانت فرنسا صاحبة الحظ والنصيب في سوريا ولبنان بموجب اتفاقية سايكس بيكون عام ١٩١٦م، واتفاقية سان ريمو عام ١٩٢٠م، التي فرضت مشاريعها على الشعب السوري الأبي وأخضعته لنظام الوصاية والانتداب، وركّزت على إظهار الأقليات وخصوصاً النميرية منها، وأدخلت الكثير من شخصياتهم في الجيش ورقيتهم في مفاصله ورفعت رؤيتهم العسكرية في صفوفه، فامتنعوا صهوة واستحكموا بزمام أمره، ومنحتم تسميات مشرفة وجعلت لهم دولة (دولة العلوين في الساحل) بحجّة تبعيّتهم لعلي بن أبي طالب.



كما عمد الفرنسيون إلى إقامة دويلاتٍ صغيرةٍ للأقلية السورية (كدولة جبل الدروز ودولة العلوين ودولة حلب ودولة دير الزور ودولة دمشق)، لتضمن بذلك سيطرتها على البلاد وتقوّي النعرات الطائفية بين أبناء البلد الواحد، وما خرج الفرنسيون من سورياً عند استقلالها إلاّ بعدما دمروا اقتصادها وتركوها في أتون صراعاتٍ داخليةٍ وزرعوا فيها سرطاناً ينخرُ جسدها من أبناءِ الطائفة النصيرية.

ثم ازدادت المأساة السورية حين قام الهايك حافظ الأسد مع بعض ضباط الأقلية عام ١٩٦٣، بانقلابٍ عسكريٍ باسم حزب البعث العربي الاشتراكي حيث ازداد تغلغلُ النصيريين في الجيش أكثر فأمسكوا بمفاصله، ثم سرعان ما انقلبَ على أصحابه ورفاق دربه بانقلابٍ عسكري آخر عام ١٩٧٠، تحت مسمى: (الحركة التصحيحية)، أحكم قبضته على البلد بما يسهل عليه ضمان حكمه وسيطرته، فقام بإجراءاتٍ يمكن تلخيص ما فيها من مآسٍ وعقباتٍ بال نقاط الآتية:

- ١- قام المجرم المقبور حافظ الأسد فور انقلابه باعتقال رفاقه من الضباط الذين ساعدوه وساندوه في انقلابه الأول فأعدم بعضهم وغيب بعضهم الآخر في السجون حتى لاقوا حتفهم هناك، وأرسل بذلك إشاراتٍ واضحةٍ لكلٍ من يفكّر بمعارضته أو مناهضته موحياً بتصفيفهم والخلاص منهم.
- ٢- لبس المجرم المقبور لباس الدين والتقوى بخطاباتٍ دينيةٍ منمقةٍ، تُظهر شعورهُ القوي بمسؤوليته كإمامٍ عادل، وأبٍ راعٍ وأمٍ حنون، وكأنّه الخليفةُ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه وقد ظهر من جديدٍ ليعيد الحقَّ لنوابيه، ويؤمن الضعيفُ تحت حكمه، حتى إذا استقرّت له الأمورُ واطمأنَّ الناسُ لحكمه وانشرحوا للمسير تحت ظلالِ سلطانِه، أدخلَ البلادَ والعبادَ في نفقٍ مظلمٍ لا يعلم منتهاه إلا اللهُ.



٣- وضع المجرم يدُه على الجيش بكل أركانه وقواعدِه، وبدأ بتسريح الضبّاط الأكثُر خطورةً عليه حسب زعمه مهما كانت طائفتهم، ثم تفرَّغ إلى الضبّاط السُّنَّةِ الذين قد يفكرون في الانقلاب عليه في يوم من الأيام، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ بل أمر بإعادة الدراسات الأمنية للكلِّ أفرادِ الجيش عناصر وقاداتهِ، ثم اتّخاذ الإجراءاتِ بما يتناسبُ مع المسير الطائفي الذي يسير إليه في تحقيق أهدافه، وبهذه الخطوة قضى على أكثر من ٨٠٪ ممن قد يفكِّر بمعارضتهِ والعمل ضدَّه.

٤- بالتزامن مع تسريح الضبّاط المناوئين للحكم الأُسدي فقد شجَّعَ أبناء الطائفة النصيريَّة على الالتحاق بالكلليات الحربيَّة والجوية والأمنية المهمَّة التي تضمنُ سلامَة وجوده واستمرار حكمه، مع تقديم جميع التسهيلاتِ اللازمَة لهم في الوقت الذي يتمُّ فيه رفضُ شبابِ الطوائف الأخرى وخاصةً شباب الطائفة السُّنَّة بذراعِه الضُّروراتِ الأمنية (حسب خطْطِهم)، مع توفرِ الكفاءة اللازمَة فيهم.

وبهذه الخطوة أحكمَ سيطرَتَه على الجيش وأحکم قبضَتَه على البلدِ وضمَّنَ زيادة الرتب العسكريةِ في طائفتهِ وإنقاذهَا من بقيةِ الطوائفِ الأخرى. ثمَّ عمَّد المجرمُ حافظَ الأسد إلى تشكيلِ كُتلٍ عسكريَّة خاصةً باسمِ الجيش والأمنِ لحمايةِ الدولةِ والأمنِ القومي، ولكنَّها في الحقيقةِ كانت لحمايتهِ وطائفتهِ، واتُّخذَت لها أسماءً وطنيةً بامتيازٍ: (سرايا الدفاع سراياا الصراع الحرسُ الجمهوريُّ) واحتُصَّت بامتيازاتٍ خاصةً عن غيرها من قطعِ الجيش وكلياتِه، فضلاً عن تسهيلِ أمورِ سُكناهم وإقامتهم في أماكنِ خدمتهم بما يحقق التوازنَ السُّنَّي العلويَّ في توزيعهم على المحافظاتِ المهمَّة بما يخدم مصلحتِهم في التغييرِ الديمغرافيِّ الذي يسعونَ إليه والذِي من خلاله يتمكَّنون من بسطِ نفوذِهم وسيطرَتِهم على البلدِ ومفاصلِه.



٥- وضع المجرم المقبور حافظ الأسد يده على السلك التعليمي، فأمسك بوزارة التربية والتعليم وأخضعها للدراسات الأمنية التي تناسب حكمه، فقام بتسريح المدرسين ذوي التوجّه الإسلامي وإحالـة بعضهم إلى وظائف مدنية هامشية تبعدهم عن أي نشاط ديني وتحـدّ من تأثيرهم فيـمن حولـهم من الناس، مع الإيحـاء لهم بأنـهم تحت المراقبـة والمتابـعة، وتحـت المسـاءلة القضـائية والأمنـية لأـي نشـاط محظـور (كـفـرـهم الـذـي يـحملـونـه وـيـؤـمنـونـ به ١٩٧٠ مـ ١٩٨٠ مـ).

٦- قـامـ المـجـرمـ حـافـظـ الأـسـدـ بـعـدـ تـسـريـحـ المـدـرـسـينـ ذـوـيـ التـوـجـهـ إـلـاسـلـامـيـ الأـصـيلـ باـسـبـدـ الـهـمـ بـوـكـلـاءـ وـمـعـلـمـاتـ مـنـ الطـائـفـةـ النـصـيرـيـةـ (إـذـ إـنـ بـنـاتـ السـنـةـ آـنـذـاكـ لمـ يـكـنـ مـعـدـاـتـ لـذـلـكـ)، وـهـنـاـ وـقـعـتـ الـكـوارـثـ الـكـبـرـىـ حـيـثـ تـحـوـلـتـ المـدارـسـ إـلـىـ مـسـارـحـ لـعـارـضـاتـ الـأـزـيـاءـ فـتـنـتـ الـكـثـيـرـ مـنـ المـدـرـسـينـ، وـأـفـسـدـ أـخـلـاقـ الـطـلـابـ الـذـينـ لـمـ يـتـرـبـواـ عـلـىـ ذـلـكـ، فـوـقـعـ الـكـثـيـرـ بـالـمـحـظـورـ وـهـوـوـ فـيـ مـسـنـقـعـاتـ الـفـجـورـ وـفـشـلـ الـكـثـيـرـ فـيـ درـاسـتـهـمـ، وـقـدـ كـانـ هـذـاـ سـبـبـاـ كـبـيـراـ فـيـ تـجـهـيـلـ أـبـنـائـنـاـ وـتـرـكـهـمـ لـلـتـعـلـيمـ حـتـىـ نـشـأـ عـنـدـنـاـ جـيـلـ قـوـامـهـ الـجـهـلـ وـالـفـسـادـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ حـظـيـ الـطـالـبـ النـصـيرـيـ بـكـلـ الـامـتـيـازـاتـ الـمـدـرـسـيـةـ الـتـيـ تـؤـهـلـهـ لـدـخـولـ الـجـامـعـاتـ وـالـكـليـاتـ بـكـلـ أـشـكـالـهـاـ وـجـمـيعـ فـرـوعـهـاـ.

٧- التـضـيـيقـ عـلـىـ الشـيـابـ السـيـيـ بـكـلـ مـسـتـوـيـاتـهـ مـنـ خـلـالـ التـغـيـيـ بالـأـمـنـ الوـطـنـيـ وـالـقـومـيـ، وـالـحـفـاظـ عـلـىـ سـلـامـةـ وـأـمـنـ الـبـلـدـ مـنـ الإـرـهـابـ وـأـدـوـاتـهـ، فـأـصـدـرـ قـانـونـاـ يـجـيزـ لـهـ الـقـضـاءـ عـلـىـ كـلـ خـصـومـهـ أـيـاـ كـانـواـ: (قـانـونـ الـ٤ـ ٤ـ الـذـيـ يـقـضـيـ بـالـإـعدـامـ عـلـىـ كـلـ مـنـ يـنـتـمـيـ إـلـىـ تـنـظـيمـ الـإخـوانـ الـمـسـلـمـينـ)، وـهـذـاـ مـاـ مـكـنـهـ مـنـ إـعدـامـ عـشـرـاتـ الـأـلـافـ مـنـ حـمـلـةـ الشـهـادـاتـ الـجـامـعـيـةـ، وـهـرـوبـ الـأـلـافـ مـنـهـمـ إـلـىـ خـارـجـ الـبـلـادـ حـفـاظـاـ عـلـىـ أـرـواـحـهـمـ.



ومما أسمى في إنجاح خطته هذه في القضاء على خصومه هو ما مارسه من الزخم الإعلامي المزيف عليهم وعلى جماعة الإخوان المسلمين وجذبهم من الأطباء والمهندسين والأساتذة والمثقفين، فشوه سمعتهم وأساء إلى فكرهم بعد أن غيّرهم عن الساحة ولم يستطع أحد أن يدافع عن نفسه وفكرة، فانفرد بالتشويه والتلقيح والتزوير وقلب للحقائق، وبث السموم وزرع الفتنة والأكاذيب والشائعات الزائفة في أذهان العوام، حتى أبناء المعتقلين وذرياتهم فضلاً عن بقية فئات الشعب وذلك على مدى أربعة عقودٍ من ضخ الأفكار الكاذبة ونسبتها للإخوان المسلمين،

وهذا ما كان له الأثر السيء الذي لمسناه من الناس الذين أساووا الظن بالإخوان، وطعنوا بهم، واتهموهم بالغدر والخيانة وأنهم سبب الوباء والبلاء على هذه الأمة، وأنهم عبارة عن شرذمة مجرمة أهلقت الحrust والنسل، في الوقت الذي لم يعلموا فيه شيئاً عنهم ولم يطالعوا على فكرهم وأسس منهجهم وأهدافهم وغاياتهم.

وبهذه الخطوة ضمن القضاء على أهم وأخطر خصومه الذين يدركون خطورة دينه ومذهبة ومنهجه وتاريخ طائفته وأالية وصوله إلى ما وصل إليه من حكم البلاد والسيطرة عليها.

- 8- عمل المقبور حافظ أسد على تشجيع هجرة الطائفة النصيرية من قراهم الجبلية إلى المدن وتوزيعهم على كل المحافظات المهمة وتسهيل توظيفهم في مفاصل الدولة وتأمين السكن العائلي لهم من خلال بناء تجمعات سكنية في أغلب المحافظات التي تخدمهم كطائفة لا تملك فيه سكناً ولا حق لها فيه. وبهذه الخطوة ضمن تمكينهم من أرض غيرهم، فأصبحوا من السكان الأصليين فيها ينazuون أهلها على أملاكهم دون أن يكون لهم حق الرد أو الاعتراض.



٩- فَتَحَ الْمُجْرُمُ الْمَقْبُورُ الْمُؤسَسَاتِ وَالْهَيَّانَاتِ وَالشَّرْكَاتِ وَالْكُلِّيَّاتِ كَافَةً أَمَامَ شَابِ الطَّائِفَةِ النَّصِيرِيَّةِ لِلتَّوْظِيفِ الْمَدْنِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ وَالْخَدْمِيِّ وَلَوْ لَمْ تَتَوَفَّرْ فِيهِ الْكَفَاءَةُ وَالْمُؤَهَّلَاتُ، مَعَ قَطْعِ الطَّرِيقِ أَوِ التَّضْيِيقِ عَلَى الشَّابِ السَّيِّدِ فِي الْحَصُولِ عَلَى أَيِّ وَظِيفَةٍ وَلَوْ تَوَفَّرَتِ الْكَفَاءَةُ وَالْمُؤَهَّلَاتُ، وَهُوَ مَا دَفَعَ أَبْنَاءَ السَّنَّةِ لِلتَّوْجِهِ لِلأَعْمَالِ الْحَرَّةِ أَوِ السَّفَرِ وَالْهِجْرَةِ لِتَأْمِينِ مَا يَكْفِيهِمْ مِنْ لَقْمَةِ الْعِيشِ.

١٠- السَّيِّطَرَةُ عَلَى مَفَاصِلِ الْاِقْتَصَادِ وَالْتِجَارَةِ فِي الْبَلَدِ بِأَيْدِي بَعْضِ الْمُتَنَفِّذِينَ مِنِ الْضَّبَاطِ الْأَقْارِبِ، وَالتَّضْيِيقُ عَلَى الشَّرْكَاتِ الْمَنَاهِضَةِ وَرِجَالِ الْأَعْمَالِ الْمَنَافِسِينَ، وَمَنْعُ الْبَعْضِ مِنِ الْعَمَلِ الْاسْتِثْمَارِيِّ إِلَّا بِدُفْعِ الْإِتَاوَاتِ أَوِ الشَّرَاكَاتِ الْمَشْرُوطَةِ وَضَمْنَ أَعْمَالِ وَمَشَارِيعَ مَحْدُودَةٍ، وَبِهَذِهِ الْخَطْوَةِ ضَمِّنَ اِحْتِكَارَ الْمُؤسَسَاتِ الَّتِي تَضَمَّنَ لَهُ الرِّبَاحَ الْفَاحِشَ مَعَ دُخُولِ الْمَنَافِسِينَ الَّذِينَ قَدْ يَنَازِعُونَهُمُ الْأَمْرَ.

كَمَا ضَمِّنَ تَجْمِيعَ ثَرَوَاتِ الْبَلَادِ فِي أَيْدِي طَائِفَتِهِ وَتَحْتَ تَصْرِفَهَا، فَأَصْبَحَ الشَّعْبُ السُّورِيُّ بَيْنَ طَبَقَتَيْنِ: إِمَّا رَجُلُ أَعْمَالٍ يَمْلِكُ الثَّرَوَةَ الْكَبِيرَةَ، وَإِمَّا عَامِلٌ بَسيِطٌ فَقِيرٌ يَحْتَاجُ مَنْ يَشْغِلُهُ كَيْ يَحْصُلَ عَلَى قُوتِ عِيَالِهِ.

١١- فَتَحَ الْمُجْرُمُ حَافِظُ الْأَسْدِ الْبَنْوَلَ أَمَامَ الطَّائِفَةِ النَّصِيرِيَّةِ بِكُلِّ أَشْكالِهَا التِّجَارِيَّةِ وَالصَّنَاعِيَّةِ وَالْزَّرَاعِيَّةِ، وَهَتَّى مَا يَسْمَى بِقَرْوَضِ الْبَطَالَةِ، وَتَأْمِينِ كَافِةِ التَّسْهِيلَاتِ فِي الدَّفْعِ وَالْإِعْفَاءِ مِنْهَا وَمِنْ أَرْبَاحِهَا، وَتَمْكِينِهِمْ مِنْ إِقَامَةِ الْمَشَارِيعِ الْمُخْتَلِفَةِ وَاسْتِصْلَاحِ الْأَرْضِيِّ الزَّرَاعِيِّ وَالْعَمَلِ بِهَا،



بل وامتلاكها تحت غطاء قانون الإصلاح الزراعي (الأرض لمن يعمل بها)، وبذلك أصبح الكثير منهم من أصحاب المشاريع والأموال التي تمكّنهم من خوض المجالات الحياتية الأخرى والدخول في سلك المنافسات والاستثمارات المختلفة، مع حرمان الطرف الآخر من كل ذلك للمحظورات الأمنية المزعومة من جهةٍ وللحرمة الدينية التي يعتقد بها من جهةٍ أخرى (المسلم يحرّم التعامل بالبنوك).

١٢- إنَّ من أخطر الأمور التي تتميَّز بها الطائفة النصيرية أنَّ المرأة عندهم هي للتمتع فقط، ولا حرج في أن تجالس وتخالط وتمازح وتجانس من تريدُ ومن تشأ، فلها كل الحق في ذلك وغيره، وهذا كان له الأثُر السيِّء على أبنائنا وشبابنا الذين انحرفوا ووقعوا في مستنقع الرذيلة والفساد، وكثيرٌ من القدامى فقدوا أراضيهم عندما وقعت في أحضانهم النساء وخسروا أموالهم مقابل قضاء شهواتهم بنساء بِعْنَ فروجهن لكسب المال وإفساد الرجال ونشر الرذيلة والانحلال.

١٣- لعلَّ من أعظم الأمور خطورةً في المأساة السورية التي نعيشها اليوم واقعاً مريضاً هو التقاربُ مع إيرانَ صاحبةِ المشروع الصفوِّيِّ وبناءُ الجسورِ فيما بين البلدين من تبادلِ الخبراتِ العلمية، وإرسالِ البعثاتِ الطلابيَّة إلى مدينة (قم) الإيرانية، ليعودوا بعدها مدربين للتربية الدينية ومشايخَ بدلاً من الخطباء والعلماء والدعاةِ الذين تم عزلهم للضروراتِ الأمنية، إلا من أصفعى لأوامرهم وكان بوقاً من أبوائهم يُشرعنُ لهم الأحكامِ الجائرة ويُسوقُ لهم الفتاوى بالمقاس الذي يريدونه، وقد زادت أعداد أولئك المشايخ عندما أدخلوا الكثير من شباب الطائفة النصيرية إلى كليةِ الشريعة في مدينة دمشق، ومنهم من حازَ درجةَ الماجستير و الدكتوراه في الشريعة والدراسات الإسلامية.



وهذه الخطوة استغنووا عن الدّعاة الصادقين والعلماء المخلصين، وتخلّصوا منهم، وضمنوا خطاباً جديداً يُسَبِّحُ بحمدهم ويُلْهِجُ بذكرهم ويُسَوِّقُ لحكمهم وبما يناسبهم وطائفتهم.

٤- عمد المقبور حافظ الأسد إلى التقارب مع إيران طمعاً بالدعم المفتوح الذي يضمن النجاح لمسيرته والاستمرار في حكمه وتسليطه على شعبه، كما جعل من إيران التي كانت تنظر إلى سورية بعين واحدة أصبحت الآن تنظر إليها بكلّي عينيهما، بل أصبحت تنظر إلى سورية على أنها إحدى أهم محافظاتها التي ستحقق فيها مشاريعها وأطماعها، وستقيم فيها مؤسساتها الصفوية وتبني فيها حسیناتها الشیعیة، وهذا ما بدا واضحاً في أواخر عهد المقبور، وتجلّى أكثر في عهد ابنه المجرم بشار، وظهر جلياً علنياً في الثورة السورية عندما زجّت فيها إيران عشرات الميليشيات المقاتلة متحصّنةً بعشرات الآلاف من المقاتلين والمدافعين عن بشار وطائفته وانغماسِهم في حربِ ضروسٍ لا يعلم نهايتها إلا اللهُ تبارك وتعالى.

باختصارٍ نستطيع القول: إنَّ حافظَ الأسد كان يملُكُ من الخبرُ والمكرُ والغدر والدهاء السياسي ما مكّنه من رقاب الشعب السوري الأعزل، حيث أدخلَهم في حقبةٍ مظلمةٍ من تاريخٍ أسودٍ مليءٍ بالظلم والاستبداد والاستعباد حتى غدت سورية محظلةً من آل الأسد، وبات شعُبُها عبيداً لهم، لا يملك أحدُهم حولاً ولا قوة، إذ كانت السجونُ والمعتقلاتُ المرعبة والتمييزُ الطائفيُّ والقمعُ والقهرُ وتدخلُ الأجهزة الأمنية في كلِّ مفاصلِ الحياة، وتكريمُ الأفواه وإذلالُ المسلمين ومحاربةُ الإسلام وأهله، ونشرُ الرذيلة والفساد والمجون، والوصولُ لأبعش درجاتِ الفسادِ المالي والإعلامي والأمني السياسي والإداري الذي حوَّل مؤسساتِ الدولةِ لما يشبه المafياتِ والعصاباتِ، وتفريغُ البلد من المثقفين والأكاديميين، واستبدالهم بالرفاق البعيدين من أبناء الطائفة وممّن يوالونهم الذين اشتروا شهاداتهم بمالٍ من روسيا ورومانيا، واحتكارُ المشاريعِ



والاستثمارات التجارية والاقتصادية بأيدي بعض المتنفذين مما سرع بهروب العدد الكبير من أصحاب رؤوس الأموال خارج البلد.

نعم لقد امتلك الحال حافظ الأسد من الخبر والمكر والدهاء السياسي ما استطاع به الاتفاق مع دول العالم بما يحفظ له كرسيه ويعظم له سلطاته (إسرائيل لم تعرف معنى الأمان والاستقرار والنمو الاقتصادي إلا بعد استلام آل الأسد للسلطة في سوريا واستتباعها لهم). وخير دليل على ما قدّمه عائلة الأسد متمثلةً بابنها حافظ المقبور من خدمات لليهود من قتل عشرات الآلاف من أبناء المخيمات الفلسطينية في لبنان، وتشريد عشرات الآلاف منهم، وإغلاق العمل الفدائي ضد الكيان اليهودي في لبنان، وتحويل أهل السنة في لبنان إلى أقلية نتيجة القهر والظلم الذي مارسه عليهم فترة احتلاله لها، وما زال الجولان شاهداً على خيانة هذا النظام وبيعه للأراضي السورية وتصرّفه بها كيف يشاء وذلك عند انسحابه من معركة تشرين عام ١٩٧٣م، وتخليهم عن أكثر من ٣٩ قرية، وهو الذي سلم هضبة الجولان للصهاينة عام ١٩٦٧م.

وما أكثر تلك المسرحيات والمازائِل التي تُنبئُ عن شخصية ملؤها الغدر والمكر والخبث والخيانة، وصلت إلى استلام السلطة بلباس القومية والوطنية والإصلاح.

بهذه السياسة التي انتهجهها حافظ الأسد استطاع أن يحكم قبضته على الشعب السوري بالحديد والنار وأن يطوّعه كما يريد، فأنشأ جيلاً رياحاً على المبادئ الطائفية بلباسٍ يُعيّن (يُعيّن) بذلك أعينَ الموالين له من الطائفة السنّية) وصنّعه على عينه وبإشراف رجاله وزبانيته (فاستخف قومه فأطاعوه) حتى وصل بهم الأمر ليرفعوا له شعاراتٍ ترفعه إلى مستوى الألوهية مثل:(يا الله... حَلَّكَ حَلَّكَ... خَلَّيْ حافظ محلّك) وكذلك (إلى الأبد يا حافظ الأسد) وغيرها من الشعارات التي تُنبئُ عن مشروعهم الطائفي البغيض الذميم المنتظر.



كلُّ هذه الشعارات أصبحت علنيّةً جهاراً مكتوبهً بكلِّ الأزقَّةِ والشوارِعِ دون أن يستنكر سعادته بأيِّ كلمةٍ تدلُّ على عدم رضاه بذلك (كون هذه العبارات تخص الذات الإلهية)، بل كان من الراضين بها والساكتين عنها والمشجعين لها، وهكذا حتى إذا أخذَ اللهُ رُوحَهُ القدرة (في ٢٠٠٠/٦/١٠ م) فأراح العباد والبلاد من شره، تنفسُ الناسُ الصعداء، وأزيلت عنهم الهمومُ والغمومُ والكرياتُ التي لا يعلمها إِلاَّ اللهُ سبحانه وتعالى. (١)

إِلاَّ أنَّ هذه الفرحةَ لم تدم طويلاً، فسرعان ما انبرى رجالُهُ و زبانيتهُ لتعديلِ الدستورِ وتنصيبِ ابنِهِ بشارِ الأسدِ خلفاً له ولتبدأ مرحلةً جديدةً من القهر والإذلال والإجرام والإضلال.

١ معرفة المزيد من المجازر التي ارتكبها حافظ الأسد في فترة حكمه ينظر الصفحة: ٤٢٧ وما بعدها.



المبحث الخامس

سورية مزرعة الأسد

المجرم بشار الأسد (بائع سوريا) عام ٢٠٠٠ م

بعد موت المقتول المألاك حافظ الأسد واستلام ابنه المجرم بشار من بعده استبشر الناس خيراً لعدم معرفتهم به كرجل سياسة، ولم يظنوه إلا طيباً يحسن المعاملة، فيُصلاح ما أفسده والدُّه عليهم، فيخرج عن أبنائهم المعتقلين عشرات السنين، ويغوض للمفقودين، وينصف المظلومين، ويقدم العون للفقراء والمساكين، ويحاسب الحاكم والمذنبين، ويتابع الفساد والمفسدين وما إلى ذلك من الأحلام التي كانوا يتظروها بحسن ظهم به، ولكن العكس ما حصل والنقيض ما كان، حيث سار على نهج أبيه وظلمه ومن يشابهه أباًه فما ظلم، بل وصل إلى مرحلة أسوأ مما كان عليه والدُّه وأشدَّ إجراماً وإفساداً منه في كل المجالات.

على الصعيد الداخلي

فقد استشرى الفساد بكل مجالاته وانتشرت الرذيلة والمجون جهاراً نهاراً، فلا دور للمؤسسات والفعاليات العاملة المؤثرة، لأنَّها دولة أمنية بوليسية بامتياز، دولة عصاباتٍ ماكرةٍ ماصةٍ للدماء من خلال استخدام كل أشكال القمع والاستبداد الفكري وكتم الأفواه وانعدام الحرية والتعبير.

وأنقسم الناس بين مُعلقٍ على أعود المشانق أو مُغيَّبٍ في غياب السجون ليلاقي حتفه هناك، أو من قد فرَّ بنفسه وأهله خارج البلاد، ولم يبق في الواجهة الدينية إلا من كان بوقاً من أبواقهم أو من تخرج في حوزاتهم وحسينياتهم ممَّن يسوق لهم ويشرعُن لهم قوانينهم وقراراتهم أو من كان غير راضٍ بما يجري ولكنه لا يستطيع الكلام، فازداد الفساد فساداً والرذيلة رذيلةً وعمَّ ذلك بكل أجهزة الأمن والدولة ومؤسساتها.



فغداً الفردُ السوريُّ لا يحصل على حقٍ له إلا بعد دفع الرشاوى والإتاوات الباهظة، فضلاً عن القضاء الذي غداً وكأنه سوقٌ بين الثعالب والذئاب، فالقاضي الذي حصل على شهادته برشوةٍ أو وشایةٍ يقلب الحقَّ باطلًا والباطلَ حقًا، حتى عمَّ الظلمُ والفساد في المجتمع واستطار شره.

على الصعيد التعليمي

فحديث ولا حرج من أستاذِه اشتراطوا شهادتهم من هنا وهناك ومدرّساتٍ حصلنَ على وظائفهنَّ من لحوم أجسادهنَّ في ليالٍ حمراء ماجنةٍ ولا حول ولا قوَّةٍ إلا باللهِ.

فقد استفحَلَ الفساد في المؤسسات التربوية فأصبحت أدواتٍ ومطايلاً لخدمة الأفرع الحزبية والشخصيات النصيريَّة المتنفذة، وأصبح المعلم محطةً انتقاماً واحتقاراً مالما يسبح بحمدِ الحاكمِ المجرم وعصابته، ويُدرِّس طلَّابه حبَّ الوطن والوطنيَّة التي تعزِّز لحكم العصابة الأسدية المجرمة، حتى نشأ من أبنائنا جيلٌ مشوَّهٌ في فكره، منحرفٌ في سلوكه وأخلاقه، يحيا لذاته وشهواته لا يعرف للعلم أيَّ معنىًّا سوى الوظيفة التي تحميه من الفقر وال الحاجة.

وهذا لا يعني أن لا ترى بعضاً من أبناءِ السُّنةِ في أحجزةِ الدولةِ القائمةِ، فالسياسةُ النصيريَّةُ المتبعةُ جعلت من حزبِ البعثِ مطيَّةً يحققونَ على أكتافه مشروعهم الطائفي، وعلى أكتافِ الموالين لهم من أبناءِ السُّنةِ المُضلَّلين، وهم عن حقيقة ذلك غافلونَ، ولأبعادِ جاهلونَ وفي سكرتهم سادرونَ.

على الصعيد الاجتماعي

فقد ساد الانحلال الأخلاقي في المجتمع، وتفكّكت الروابط الأسرية فيه من خلال زرعِ العملاء والمخبرين بين أفراد المجتمع.



وكذلك ما عملوا جاهدين من أجل تشويه العقيدة وحرف الأخلاق من خلال نشر الفاحشة في المجتمع وترويج المسلسلات الإباحية والأفلام الماجنة، وجعلها من البرامج المهمة في الحياة اليومية للفرد في مجتمعه بعد تهجير العقول والأدمغة والكفاءات العلمية والثقافية التي تزرع الوعي في عقول الناس وتحرّرهم مما يُحاك لهم.

على الصعيد الخارجي

فلم تتغير سياسةُ المجرم بشارٍ عن سياسة أبيه القاتل، بل زاد أكثر في علاقاته الخارجية المشبوهة علماً أنه لم يكن يملكُ من الدهاء والخبث السياسي الذي يملكه والده الماكر، وهذا ما أوقع البلدَ في مواجهاتٍ عظيمةٍ نحصدُ نتائجها الأليمة وثمراتها المرأة في هذه الأيام.

فقد حافظَ على حماية إسرائيل وحفظَ أممَّها وحدودَها كما كان الأمرُ في عهدِ أبيه الملك، بل فاقهُ في ذلك. فلقد نجح في دعم الإرهاب وزعزعة الاستقرار في دول الجوار والتَّدخل في شؤونهم (لبنان وفلسطين).

كما نجح في توسيع العلاقات مع أغلب الدول العربية والإسلامية، وأسقط الدولة السورية في ميزان المجتمع الدولي إلى أدنى مستوىً يمكن لدولة أن تنزل إليه سوءاً وتخلقاً وفساداً.

ولم يُفلح إلا بانفتاحه على إيران وارتمائه في أحضانها، حيث فتح أمامها البلد لكل مشاريعها واستثماراتها ونشاطاتها المتنوعة، وبذلك أصبحت إيرانُ التي كانت تنظر بعينٍ واحدةٍ على سوريا في عهدِ حافظ الأسدِ أصبحت الآن تنظر إليها بعينٍ أنها (أي سوريا) محافظتها الـ ٣٥٪، فاستحوذت بعض مفاصلها، فأقامت فيها الحوزات العلمية والحسينيات الشيعية، ونشَطَت السياحة الدينية للمراقد وشجَّعت البعثات إلى إيران (مدينة قم) لتخريج الدعاة والعودة بهم لنشر التشيع والدعوة إليه.



وأصبح ذلك من الوظائف الرسمية، تُدرَّسُ المناهجُ الشيعيَّةُ الصفويةُ تحت مسمى المذهبِ الجعفريِّ بدايَّةً، ثم انتشرت اللطموياتُ في أسواقِ المدين، وارتفعت الراياتُ الشيعيَّةُ، وعلت الأنماطُ والأهازيجُ التي تجهرُ بشتم الصحابةِ في الأحياءِ والساحاتِ، وتمكَّنَ الإيرانيونَ من شُغلِ مناصبَ مهمَّةٍ في الدوائرِ الرسميةِ، وفتحت أمامَهم تجارةُ العقاراتِ والاستثماراتِ بكلِّ فروعها ومجالاتها، فأقاموا المستشفياتِ والنواديِّ واستولوا على مناطقَ بأكملِها، حتى غدتْ سورياً وكأنَّها محافظةٌ إيرانيةٌ في صفتِها، سورياً في تسميتها.

أمام هذا الواقعِ الأليمِ الذي يمُرُّ به الشعبُ السورِيُّ دون أن يجدَ متنفساً أو يرى بصيصَ أملٍ أو فسحةً انفراجٍ في المستقبلِ فيما يعيشهُ، كان أبناءُه أحدَ أصنافٍ ثلاثةٍ:

١. صنفٌ غُيَّبَ في السجونِ وتمَّ تصفيَةُ الكثيِّرِ منهم على أعدادِ المشانقِ وتحت التعذيبِ، والباقي في عدَادِ المفقودينِ.
 ٢. صنفٌ استطاعَ الفرارَ بنفسِه خارَجَ البلادِ وابتعدَ عمَّا يجري فيها، وبعضاً هم عملَ على تقديمِ ما يستطيعُ لإخوانه في الداخلِ بال المجالِ الذي ينجحُ به.
 ٣. صنفٌ بقيَ في مناطقِ النظامِ المجرمِ، فسكتَ على ظلمِه وسانده مستفيداً منه ومنتفعاً بعطائهِ (كالعميلِ المأجورِ)، وإنما خائفاً لا يملُكُ حولاً ولا قوَّةً (يقبَّلُ اليدَ ويدعوُ عليها بالكسِّ) وهؤلاء ليسوا بالعددِ القليلِ، يلتجمئون إلى اللهِ عسىًّا أن يجعلَ لهم من أمرِهم فرجاً ومخرجاً. وهكذا حتى تحولَتْ سورياً من دولةٍ إلى مزرعةٍ تحكمها عصاباتُ وما فياتُ آلُ الأسدِ وزبانيتهِ، وبات الناسُ عبيداً لهم بكلِّ ما تعنيه الكلمةُ من معانٍ.^١
- واللهِ المستعانُ وعليهِ التكلانُ وحسبنا اللهُ ونعمُ الوكيل.

^١ معرفةُ المزيدِ من المجازرِ التي ارتكبها الولدُ بشارُ الأسدُ في فترة حكمه يُنظرُ الصفحةُ ٤٢٧ وما بعدها



الفصل الثاني

الربيع العربي دماءٌ طاهرةٌ وأرواحٌ زكيةٌ^{٩٩}

الربيع هو أفضل ما يتمناه المرء في حياته، لما يشعر به من المتعة والسعادة والبهجة والسرور، وهو ما كانت ترنو إليه الشعوب العربية وتسعي لتحقيقه في مقاومتها للظلم والطغيان والاستبداد، إلا أن ربينا كان بلون الدم القاتم النازف، والجثامين الطاهرة الزكية التي كان لابدّ من بذلها والتضحية بها لينبئ ذلك الربيع الحقيقي المشرق.

وفي هذا الفصل ثمانية مباحث، هي:

المبحث الأول

الثوراتُ وتداعياتُها العامة

المبحث الثاني

الواقع السوري والربيع العربي الدامي

المبحث الثالث

عينٌ على الواقع



المبحث الرابع

نظرة عامة على الواقع العربي والإسلامي

المبحث الخامس

على رقعة الشطرنج

المبحث السادس

لماذا سوريا؟

المبحث السابع

الثورة السورية بين التشوذيات البنية والأطماع الدولية (من أين وإلى أين ؟)

المبحث الثامن

انتكاسة حلب



المبحث الأول

الثوراتُ وتداعياتها العامة

تعريف الثورة

لغةً: ورد في لسان العرب: ثار الشيء ثوراً: أي هاج وثور الغضب حدّته، والثائر الغضبان.

فهو مصطلحٌ مشتقٌ من الفعل (ثار) أي غضب وهاج، وثار إليه أي وثب إليه، غالباً ما يُستعمل هذا اللفظ في معاني الغضب وعدم الانضباط.

الثورةُ اصطلاحاً: لا يوجد تعريفٌ محدّدٌ للثورات في علم الاصطلاح، لأنَّ ذلك يرجع إلى طبيعة تفكير الباحثين وتفسيرهم لكل ثورة وأبعادها وأسبابها التي دعت إليها، فمن الباحثين من اعتبر الثورات بآئمها:

الأحداثُ التي تشهد تغييراتٍ كبيرةً ومفاجئةً في الأنظمة السياسية والبنية الاجتماعية والنظم القانونية.

ومنهم من اعتبرها:

حركةً جماهيريةً شعبيةً شاملةً مستمرةً، ونوعاً من أنواع التغيير الجذري الذي يستهدف إحداث تغييراتٍ في بنية المجتمع وبناء وضعٍ جديدٍ يشمل جميع النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية.

ومنهم من اعتبرها:

طريقاً من الطرق التي يصل بها الشعب لكسر الذُّل والاستبداد والفساد واستبداله بنظامٍ قائمٍ على العدل وتنظيم السلطة والمجتمع.

وُتعرَّف الثورة أيضاً بآئمها:

محاولةً تغييرٍ حقيقيٍ للقيادة السياسية لبلدٍ أو مجتمعٍ بشكلٍ جذريٍّ وسريع، إما سلماً، وإما حرباً إذا اقتضت الضرورة.



والتعريفُ الأكثُرُ شهَرَةً للثورة هو: عمليةُ الخروج عن الأوضاع الراهنة وعدم الصبر علَيْها والعمل على تغييرها طلباً للحق ورفعاً للظلم.

وقد انتشر هذا اللُّفْظُ (الثورة)، حتى صار من الألفاظ الدارجة على الألسن والتي تعبر عن حالات الغضب والتغيير.

وقد استخدم المفكرون المعاصرُون مصطلح الثورة للدلالة على التغييرات الجذرية والفجائية التي تتم ضمن الظروف الاجتماعية والسياسية في تغيير حكمٍ قائمٍ أو استبدال نظامٍ اجتماعيٍ فاسدٍ والقانون المصاحب والمشرع له. ومن خلال التعريف السابقة للثورة ومفاهيمها نستنتج بأنَّ الثورة لا تسمى ثورةً إلا إذا توافر فيها أمور:

- التحرُّك الشعبي: بأن يشارك فيها أغلبُ فئات الشعب ومعظم طبقاته وطوائفه.
- الثبات والاستمرارية: لا بدَّ من الثبات على الهدف والإصرار على تحقيقه مهما طال أمد الثورة.
- الأهداف المرجوة: بأن تسعى لحلولِ جذريةٍ دائمةٍ وتغييرٍ حقيقيٍ لجميع الأطياف الشعبية والفئات الجماهيرية وتنهض بهم نحو الأفضل.



أسباب الثورات

تختلفُ أسبابُ الثوراتِ من مكانٍ لآخرٍ ومن بيئَةٍ لأخرىٍ حسبَ طبيعةِ نظامِ الحكمِ القائمِ، لكنَّها تتفقُ بشكلٍ عامٍ في أسبابٍ مشتركةٍ إذاً وجدت واستفحلت دون معالجةٍ فستؤدي إلى ثوراتٍ واحتجاجاتٍ ومنها:

١- أسبابٌ سياسيةٌ:

فرض قوانينٍ جائرةٍ للضغط على الشعب كقانون الطوارئ الذي يصدر الحريات ويكمم الأفواه، ويسهل الاعتقالات السياسية العشوائية والتعسفية، وكذلك استخدام قوة النظام العسكري بعيداً عن سيادة القانون الذي يتجسد فيه صورُ احتكار السلطة وأشكالُ الاستبداد والتسلط واستسْهال استخدام وسائلِ البطش والقتل والقهر وخاصةً في حكم الأقليات أو حكم العائلة الواحدة لتضمن استمرارية حكمها وتسلطها على الناس.

٢- أسبابٌ اقتصاديةٌ:

تظهر من خلال تفشيِ الفساد ونهبِ الأموال العامة وانتشارِ الفقرِ والبطالةِ وممارسةِ سياسةِ التجويعِ والتركيزِ من خلال غلاء الأسعار وارتفاعِ الضرائب وعدم وجود فرص عملٍ وانخفاضِ دخلِ الفرد.



عناصر الثورات الرئيسية

للثورات بشكلٍ عامٍ عناصرٌ رئيسةٌ مشتركةٌ، وقد يتفرّع عنها عناصر أخرى ترتبط بها بشكلٍ أو باخر. وهنا سأتعرض لذكر العناصر الرئيسية فقط مع شرحٍ وتوضيحاً مختصراً لها والتي تتمثل بما يأتي:

١- الفكرة الجامعة:

هي القضية العادلة والمشروعة التي تجتمع عليها الأغلبية المحرومة والتي تضمنها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية في الحياة الحرة الكريمة (الحرية والعدالة والكرامة).

٢- النُّخب والمرجعيات:

رجالٌ يؤمنون بالفكرة أو القضية، ويحملون رؤيتها، ويروجون لها، ويدافعون عنها بالغالي والنفيسي برأويةٍ واضحةٍ وخطيطٍ سليمٍ ووقيٍّ وافرٍ وعملٍ دؤوب.

٣- الحاضنة الشعبية:

وهي الوعاء الحاضن للفكرة ورجالها، الوعائية لعدالة قضيتها والمؤمنة بشرعيتها، المستعدة للتضحية والعطاء والبذل في سبيلها، فإذا ما اجتمعت الفكرة الصحيحة أو القضية العادلة، وسعى الدعاة والمفكرون والعلماء والنُّخب على اختلاف أصنافهم ومشاربهم لنشرها وتوسيعها الناس بمضمونها وجوهرها، وكان الشعب هو الحصن الحصين الذي يحميها ويدافع عنها فإنَّ النصر بانتظارها مهما اعترضتها التحدّيات ومهما أعادتها الصعوبات.



أشكال الثورات

١. أشكال الثورات باعتبار طبيعتها

- منظمة: أن تكون بقيادة نخبٍ كفوءةٍ وفاعلةٍ تعمل على وفقِ رؤى وأهدافٍ ضمن خططٍ واضحةٍ وبرامجٍ مفيدةٍ وآلياتٍ مشروعة.
- غير منظمة (شعبية): أن تكون عفويةً عشوائيةً تسودها الفوضى والاضطراب، ويقودها الرعاع وأصحاب الغايات، تخلو من الخطط والآليات دون أهدافٍ واضحة.

٢. أشكال الثورات باعتبار أهدافها

- سياسية: تقوم لرفض الحكم القائم عند عدم الرضا عنه وتجاوز حدوده في الظلم والاستبداد والقهر والذل الذي يمارسه على أفراد الشعب.
- اجتماعية: تقوم على أساس التغيير المجتمعي والانقلاب على عاداته وتقاليده للتصحيح والتصويب في القواعد والنظم والقوانين التي من شأنها أن تصحّح المسار.

٣. أشكال الثورات باعتبار آلياتها

- سلمية: غالباً ما تبدأ الثوراتُ بالمظاهراتِ السلميةِ التي قد ترفع الورود وأغصان الزيتون، ثم تتطور إلى احتجاجاتٍ واعتصاماتٍ وإضراباتٍ للضغط على النظام الجائر بالخضوع والاستجابة لمطالبهم والسماع لأصواتهم أو الاستمرار فيما هم فيه من الاعتصامات والإضرابات التي قد تشنّ وتوقف استمرار الحياة كمرحلةٍ أخيرةٍ قبل انتقالها لمراحل العنف والدموية.



• مسلحة: فقد يستجُرُّ النَّظَامُ الظَّالِمُ الْحَاكِمُ شعْبَهُ لاستخدام العنف من خلال المماطلة والابتزاز والاستفزاز، كما قد يستخدم السلاح لقمعهم والقضاء عليهم فيضطرون للرد عليه بالسلاح والعنف المضاد، لتبدأ مرحلة دموية عنيفة، فالشعب الذي يقوم بثورته الجماهيرية على نظامٍ ظالِمٍ بمظاهراتٍ واحتجاجاتٍ سلميَّةٍ سيقابله ذاك النَّظَامُ الْوَالِغُ في الجريمة بالعنف الشديد لقمعه والقضاء عليه وعلى ثورته، وهو ما يؤدي بدوره لاستخدام الجماهير الشعبية للسلاح للدفاع عن أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وتكون النتيجة الطبيعية قتلى وجروحى ودماراً ودماءً وأشلاءً وتعقيداً في حل الأزمة والصراع.

٤. أشكال الثورات باعتبار مآلاتها:

- ناجحة: تعتبر الثورات ناجحةً عندما تحقق أهدافها التي خرجت من أجلها، وتحصل مطالبهـا التي تطمح لها، ويختلف معيار النجاح باختلاف الوقت الذي استغرقتـه، والمطالبـة التي حققتـها، والتـكلـيفـة المتـنوـعةـةـ التي بذلـتها بعيداً عن أنصافـ الحلـولـ وأرباعـهاـ التي قد تعـيـدـهاـ إلىـ المـربعـ الأولـ، ولا يضرـ الثـورـةـ فيـ نـجـاحـهاـ طـولـ فـترـتهاـ مـهـماـ اـمـتدـتـ، طـالـماـ بـقـيـ القـائـمـونـ فـيـهاـ وـالـعـامـلـوـنـ عـلـيـهـاـ ثـابـتـيـنـ صـامـدـيـنـ، وـإـلـىـ تـحـقـيقـ أـهـدـافـهـمـ سـائـرـيـنـ لـاـ تـهـزـهـمـ المـحنـ وـلـاـ تـهـزـهـمـ المـصـائبـ وـالـآـلـامـ.
- غالباً ما يكون النجاح حليفـ الثـورـاتـ المنـظـمةـ بـخـطـطـ مـدـرـوـسـةـ وـقـيـادـةـ وـاعـيـةـ وـتـحرـرـكـ منـضـبـطـ ضـمـنـ برـامـجـ هـادـفـةـ بـعـيـدـاـ عـنـ الفـوـضـيـ وـالـعـشـوـائـيـةـ وـالـأـرـجـالـ.
- فاشلة: تعتبر الثورات فاشلةً عندما تفتقدُ النُّخبَ الوعائيةَ في التخطيط، والقدرةَ الحسنةَ في الأداءِ والتنفيذِ، وتطغى الأنانيةُ على سلوكِ شبابها والقائمين عليها، وتجيئُ الثورة لصالح فئةٍ من فئاتها على حسابِ المصلحة العامة، فتنتشر الفوضى والفساد والعشوائية في مفاصلها.



وقد تنتهي إلى الفشل التام أو النجاح الجزئي الذي لا يلبي طموحات الشعب التائز ولا يرقى لتضحياته.

٥. أشكال الثورات باعتبار مراحلها

- إن كانت الثورات غير منظمة فستكون معقدةً منذ بدايتها للعديد القيادات والزعamas وتنوع المشاريع والأجندة، واختلاف الأهداف فيها، وستزداد تعقيداً مع الزمن، وقد لا يكتب لها النجاح المأمول.
- وإن كانت الثورات منظمةً فتبدأ بالتحرك الجزئي النخبوi ضمن لجانٍ وفعالياتٍ وترتيباتٍ للوصول إلى الأهداف المرجوة، ثم يتبعها التحرك الشعبي والتفاهم حول شعاراتٍ معبرةٍ وأمالٍ مرجوةٍ وضمن آلياتٍ ووسائل ضاغطةٍ (مظاهرات اعتصامات إضرابات).
- الانشطار والتحزب الفكري وظهور البرامج والأنشطة والمشاريع المختلفة والتي تنتهي غالباً بالاقتتال البياني والتّشظي الداخلي، وهذا ما سيكون له تداعياتٌ سيئةٌ على الواقع الداخلي من حيث:

 ١. ضعف الزخم الثوري بسبب التشتت الذي أصابه والتفكير الذي سيحصل جراءه.
 ٢. تخفيف الضغط عن العدو بسبب الانشغال بالخلاف الداخلي من جهةٍ، وضعف الصدف الثوري وتشتت قوته من جهةٍ ثانية.
 ٣. خسارة الحاضنة الشعبية وانفصالها عن المشهد الثوري كردة فعلٍ على الأخطاء القاتلة.

- انحسار الطرف المعتدل وخروجه من المشهد الميداني نسبياً لصالح الطرف المتشدد، وهو ما يسهم في ضعف القوة الثورية ويزيد من تشتيتها، والساحة في هذه الحالة مرتهنةٌ لقيادة المتغلب الذي سيصعب عليه جمع الحاضنة وتجميع القوى الثورية بعد التصدع الداخلي المقين المميت.



مميزات الثورات

١. الأكثريّة المظلومة: وهو غالباً من يقوم بالثورة بعدما فقدوا الكثير من مقوّمات حياتهم في العيش الكريم والحياة الآمنة الكريمة لأسباب كثيرة مختلفة ومتنوّعة تمارسُ عليهم من قبل أقلية متحكّمة ظالمة.
٢. الإصلاح الجذري: وهو أساس خروج الجماهير الشعبية بظاهراتها واحتجاجاتها بعيداً عن أنصاف الحلول لكتلة المظالم التي عايشوها والضغوط التي مورست عليهم ولم يستطعوا تحملها والصبر علىها.
٣. سرعة انتشارها ونجاعة حلولها: وقبولها وكثرة التفاعل معها، حبّاً بالتغيير والإصلاح وطيّاً لحقبة الظلم التي دفعتهم لذلك.
٤. التغيير وبناء القيم والأنظمة الجديدة: تسعى لذلك على أساس إعادة الحقوق وتفعيل الكفاءات وتشغيل القوى الفاعلة وتغيير الطاقات والقدرات.

من أهداف الثورات

تقوم الثورات عادةً من أجل تحقيق الأهداف المجتمعية أو بعضها على أقلِّ تقدير، كرفع المظالم التي تمارس على الشعب من قبل الحكام والمستبدّين وذلك لنقل المجتمع من حالة إلى حالة تجلّى فيما يلي:

١. نقل المجتمع من حالة الفقر وال الحاجة والعوز إلى التنمية الاقتصادية والنهوض الاجتماعي والحضاري.
٢. إقامة نظامٍ سياسيٍ جديدٍ يدير المجتمع بشكل يضمن الحريات والحقوق ويؤمنُ الاستقرار والحياة الكريمة.
٣. الخلاص من حياة الظلم والطغيان والاستبداد الذي يمارسه الحكام الظالمون وعملاؤهم المفسدون.



الخلل في إدارة الثورات

غالباً ما يؤدي الخلل في إدارة الثورات إلى كوارث قاسية على كل الأصعدة والمستويات التي قد تجلّى في النقاط الآتية:

١. التفريط بالكثير من الطاقات البشرية والكفاءات العلمية والفعاليات الثورية التي قد لا تتوفر فيما بعد.
٢. خسارة الحاضنة الشعبية وانحسارها بشكل كبير، وارتداد أفعالها عكسياً تجاه الثورة والثوار وهذا ما ينذر بإنتهاء كل مظاهر الثورة والقضاء على ما تبقى منها، من خلال ضعف القوى الثورية الفاعلة في الساحة.
٣. ردّ الفعل العكسي الذي ستتولّد عند الناس وكمية الحقد على الثورة والثوار وما نقلوه من صور مشوّهة عن مشروعهم الذي أرادوه لهم ولأهلهم ولبلدهم.

متلازمات النجاح في الثورات

كثيرة هي المبادرات الاجتماعية والدعوات الإصلاحية التي ولدت ميّة أو مثليّة معلولة، لأنها لم تستوف مقومات نموّها وعوامل استمرارها وضمان نجاحها.

ولعل من أهم تلك المقومات فقدان النخب والرمجعيات والقيادات الذين يملكون مقومات النجاح من النباهة والإدراك، والعلم والخبرة، ومن التخطيط والعزم، والجرأة والشجاعة، في خضم أمواج عاتية متلاطمة وهالٍ أكيد.



ولم تنحصر القيادةُ والمرجعياتُ والثُّخُبُ في مجالٍ واحدٍ من مجالات الحياة فـيقتصر ذلك في صنفٍ واحدٍ من البشر، بل اتسعت لتـشمل كلَّ المجالات السياسية والعسكرية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية والفكـرية وغيرها من المجالات المختلفة.

فليس بالضـرورة لـمن تـربع على سـدة الـقيادة العسكرية أن يـحوز الـقيادة السياسية أو غيرها، فـمن كان نابغاً في أمرٍ فقد يكون مـسبوقاً في أمرٍ آخر إذ لا كـمال إـلا للـله وحـده.

ولـكن بالـضرورة أن تكون الصـفات الـقياديـة متـقاربةً من بعضـها إن لم تـكن واحدة، كما لا بد من توـفر الصـفات الـقياديـة بـمن سـيرتقـي سـدـتها مـمـن يـعـرف قـدرـها فـيعـطـيها حقـها كما أمر اللـه فـينـظر إـلـيـها عـلـى أـنـها تـكـلـيف رـبـاني مـسـؤـولـ عنـه، ولـيـست تـشـريـفاً يـمـكـن التـفـرـيط فـيهـا وـالـاسـتـهـانـة بـهـا.

فالـقـيـادـة والـثـخـب والـمـرـجـعـيات بـمـعـناـهـا الـعـمـلي: هي فـن استـقطـاب عـوـامـ النـاسـ والـسـيـرـ بـهـمـ نحوـ هـدـفـ معـيـنـ ضـمـنـ نـظـامـ معـيـنـ يـفـرضـهـ الـوـاقـعـ وـتـسـتـدـعـيـهـ المـرـحـلـةـ.

الـقـيـادـة: هي الـمـهـارـةـ الـقـائـدـ فـيـتـلـكـهاـ القـائـدـ فـيـسـتهـويـ بـهـاـ الـقـلـوبـ الطـيـبـةـ فـتـحـبـهـ، وـيـسـتـدـعـيـ بـهـاـ الـنـفـوسـ الـمـشـرـقـةـ فـتـلـبـيـهـ حـبـاـ لـاـ يـنـتـهـيـ وـتـلـبـيـةـ لـاـ تـنـقـطـ.

الـقـيـادـة: هي فـهـمـ عـمـيقـ لـعـجلـةـ الـحـيـاةـ وـحـقـيقـتـهاـ، وـتـخـطـيـطـ دـقـيقـ لـتـجاـزوـ مـراـحلـهاـ وـتـحدـيـاتـهاـ، بـعـيـداـً عـنـ الـعـواـطـفـ وـالـمـجـامـلـاتـ وـعـنـ التـنـطـعـ وـالـمـزاـيدـةـ.

الـقـيـادـة: هي رـبـاطـةـ الـجـائـشـ عـنـ الـبـأـسـ وـالـحـفـاظـ عـلـىـ الرـوـحـ الـمـعنـوـيـةـ الـعـالـيـةـ وـالـثـقـةـ بـالـفـوزـ وـالـنـجـاحـ وـالـيـقـيـنـ بـالـوـصـولـ إـلـىـ الـهـدـفـ الـمـنشـودـ وـالـتـفـانـيـ مـعـ الـاستـعـدـادـ الدـائـمـ لـمـاـ يـتـطـلـبـهـ الـحـالـ وـالـمـآلـ.

الـقـيـادـة: هي الـبـوـصـلةـ الـتـيـ تـسـدـدـ طـرـيقـ الـعـابـرـينـ، وـتـصـوـبـ ضـلالـ التـائـيـنـ، تـرـفـعـ مـنـارـاتـ الـهـدـاـيـةـ وـمـشـاعـلـ النـورـ لـلـحـيـارـيـ وـالـمـغـفـلـيـنـ، فـتـغـدوـ مـعـهـمـ قـدـوةـ حـسـنـةـ وـمـثـالـاـًـ رـائـعاـًـ فـيـ الصـبـرـ وـالـثـبـاتـ وـالـصـدـقـ وـالـإـلـاـخـاصـ.



القيادة: هي جسدٌ سليمٌ خالٍ من الأمراض والعلل والأسقام، وروحٌ طاهرةٌ نقيةٌ من الأدران والآفات والزلل، وعقلٌ ناضجٌ بفکرٍ متوازنٍ لا يقبل الخلل ولا الكسل ولا الملل، تستوعب العوام وتستقطب النُّخب لتصنعَ منهم الحياةً وتقديمَ لهم الفوز والنّجاّة.

ولابدّ لنجاح الثورات بشكلٍ عامٍ من تلازمٍ بين عدّة مكوناتٍ ثورية، وبقدر ما يكون التلازم والتعاون والتنسيق كبيراً بينها بقدر ما تحقق نجاحاً أكبر وأفضل بكلفةٍ أقلّ ومدةً أقصر، ومن هذه المتلازمات:

١. الحاضنة الشعبية والثورية:

وهي مجموعة الكفاءات والطاقات والفعاليات الثورية التي تحشد لقضيةٍ تؤمن بها وتدافع عنها بكل الأسلوب والوسائل المتاحة وتحمّل كامل المسؤوليات وال subsequences التي تتنج عنها وتلحق بها.

وهي الشارة الأولى التي تُشعّل نار المقاومة ضدّ الفساد والمفسدين، والبوابة الرئيسية للحرية والصلاح والمصلحين.

وهي الداعم الأساسي للجانب السياسي والعسكري في صبره وثباته على مبادئه وتحقيق أهدافه.

وهي كنُز الثورات ومفتاح التغيير إذا ما أحسنت قيادتها واستثمرت عطاءاتها من خلال الإحسان إليها والحفاظ عليها.

وهي صمام الأمان في نجاح الثورات حال استقطابها ومستنقع الهزيمة حال فقدانها وخسارة رجالها.



ومن أحسن المواقف التي تجسد قوة الحاضنة الشعبية ما كان من رأي الأنصار على لسان سيدهم سعد بن معاذ رضي الله عنه في معركة بدر عندما قال للنبي ﷺ: (قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهَدْنَا أَنَّ مَا جِئْنَا بِهِ حَقٌّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا أَرْدَتَ، فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَالَّذِي بَعَثْنَا بِالْحَقِّ، لَوِ اسْتَعْرَضْنَا بِنَا هَذَا الْبَحْرَ، لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا وَاحِدٌ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ نَلْقَى عَدُونَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرُّ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقُّ عِنْدَ الْلِقاءِ، وَلَعَلَّ اللَّهُ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ).¹

نعم تلك هي الحاضنة الصادقة بوابة التغيير ومفتاح الحل والخلاص من الاستبداد والمستبدين، والسيفُ المشرعُ على الجبارة والطغاة عندما تمتلك الوعي الكافي بقضيتها، فتسعي بالعمل لها والدفاع عنها، وتبذل الغالي والنفيس من أجلها.

وباختصار فإنّ من أراد النصر والفوز في معاركه فلا بدّ له من امتلاك مقومات ذلك بدايةً ثم ترتيب أدواته ووسائله بما يتناصف بالمرحلة، ولعلّ من أهم ركائز النجاح وتحقيق النصر بأقصر مدةٍ وأقلّ كلفةٍ إنما هو الحاضنة الشعبية التي تؤمن الأنس للمجاهدين وتشكل السدّ المنيع في حمايتهم، ورفع معنوياتهم، وهذا يحتاج إلى مزيدٍ من الحكمة في التعامل مع الحاضنة بالرحمة والرعاية للحفاظ عليها وكسب ودها، حتى لا تنقلب الثورة على ثوارها ف تكون سبباً في خسارتهم والقضاء عليهم.



٢. **النُّخْبُ السِّياسِيَّةُ :** لأنّها البوصلةُ التي تحَدّد المسارَ السياسيَّ للدولة، وتضع البرامجَ المناسبةَ للإِدارَة الداخليَّة والخارجيةَ بما يحقّق الأمانَ الداخليَّ والأمانَ الخارجيَّ من خلال إقامة العدل بين المواطنين ومد جسورَ الألفة والتَّعاون وال العلاقات الخارجية مع الدول ذات المصالح والموارد، والممثّلُ الحَقِيقِيُّ للأمة في المحافل الدوليَّة وال المجالس الرسمية.

٣. **القادة العسكريون:** لأنّهم بيضةُ القبَّان في الدولة من خلال إعدادِ الجيش والقوَّة بكلِّ أصنافها وأشكالها وترتيبِ الإعداد والاستعداد لكلِّ السيناريوهات المُحتملة بعيداً عن تهديد أحدٍ من دول الجوار واستعراضَ لكلِّ من تسُوّل له نفسه الاعتداء أو نحو ذلك.

٤. **المرجعيات الدينية:** وهم البوصلةُ الشرعيةُ التي تحَدّد المسارَ السلوكيَّ لأفراد المجتمع، وتزكي نفوسهم على الأخلاقِ الكريمة والأفعالِ الحميدة وتربيتهم على معرفةِ الحقِّ والالتزام به وعلى اكتشافِ الباطلِ والتحذير منه والابتعاد عنه ضمن المعايير الربانية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَّقَمُ﴾ (الحجرات: ١٣)، وأسسَ المحبَّة والأخوة الإيمانية فلا فرق بين حاكمٍ ولا محكوم، ولا رئيسٍ ولا مرؤوس إلا بالتقى والعمل الصالح.



مدمرات الثورات

قد تنطلق الثورات من قلب المعاناه المجتمعية، وقد تصل إلى مرحلة متقدمة في تحقيق مطالبيها، إلا أن هناك بعض الأمور التي قد تطرأ عليها من داخلها ومن خارجها فتطيح بها وتقضى عليها أو تغير من مسارها.

المدمرات الداخلية

- الفوضوية وعدم وجود القيادة الموجهة: التي تسير بالمظاهرات ضمن خطوة مدرورة ومنظمة ومحكمة، فإذا ما فقدت القيادة الواحدة الموجهة فسوف تحل مكانها الفوضى، وسيتسلى أصحاب الأهواء وتنشر المظالم ويسود التسلط والابتزاز، وهو ما ينذر بانفلاط الحاضنة الشعبية والكنوز البشرية عنهم، وسيكون مآل الثورة إلى زوال وانتهاء.
- تحول الثورة إلى مصالح خاصة: قد تحقق الثورة جزءاً كبيراً من أهدافها في وقتٍ تعيّر بعض الشخصيات الثورية أنها صاحبة الفضل في ذلك، فتضيع أيديها على مفاصل المدن وحركة السكان مع وضع اليد على الممتلكات الخاصة بذرائع قد تكون واهية وغير صحيحة، وهو ما يؤدي إلى تدمير الحاضنة الشعبية وإسقاط الثورة والثوار.

المدمرات الخارجية

- التدخل الخارجي أو الدولي: حيث إن الدول تبني سياساتها على أساس المصالح ولو كانت على حساب الشعوب وتهب ثرواتهم من خلال البحث عن ذرائع تستدعي تدخلهم في الثورات ورجالها حسب زعمهم، وهنا يحصل الخلل وتدخل البلاد في نفقٍ مظلمٍ يطيل أمد الثورة ويضيّع حقوق الناس.



٢. الاختراق الأمني: وهو ما يعمل عليه الخصم عادةً من خلال شراء بعض ذمم خصمه، أو إدخال عناصر في صفوفهم فيصل إلى ما يريد من تمزيق صفوفهم وتشتيت قوّتهم وكشف خططهم، وهو ما يؤدي إلى إفشال الثورة والقضاء على الثوار.

مصطلحات مرادفة

يطلق على الحراك الثوري الذي يراد منه التغيير وإزالة الحكومات بعض المصطلحات كـ(الثورة) وقد عرّفناها آنفاً.

كما يطلق عليها مصطلح الأزمة ومصطلح الصراع مصطلح المعارضة. فماذا تعني تلك المصطلحات وماذا نسيّ ما يحدث في الواقع السوري ؟؟

مصطلح (الأزمة):

في مرحلة سابقة للثورة وتعبير عن موقفٍ وحالةٍ يواجهها متخذُ القرار والمسؤولية في لحظة حرجٍ وخطيرةٍ تحتاج للجسم في وقتٍ ضيقٍ مع عدم العلم بالمصير والمالات، فلا يتحمل التأخير ولا الخطأ في تقدير الموقف والمالات، والتي قد تمهد لأزماتٍ جديدةٍ.

كما أنها مجموعةٌ من الكوارث والمشكلات التي تحدث على نطاقٍ دوليٍّ فتؤدي إلى اندلاع الصراع بين مجموعةٍ من الدول بصفتها أطرافاً للأزمة، وغالباً ما تؤدي إلى حروبٍ بينها.

مصطلح (الصراع):

فهو اختلافٌ بين طرفين أو أكثر على فكرةٍ ما، يسعى كلُّ طرفٍ للتاكيد: أنه على حقٍّ في فكرته وعمله، ويبقى الصراع مستمراً ما لم يصل طرفاً إلى حلولٍ توافقية.



مصطلح (المعارضة):

فالبأ ما يُستعمل في المجال السياسي لجماعة سياسية أو حزب سياسي يختلف مع أهداف ومبادئ حكومة أو نظام دولة فيمارس الضغط عليه من خلال أعمال وتصرفات ميدانية أحياناً (تظاهرات، واحتجاجات، واعتصامات، وإضرابات)، تضع النظام الحاكم أمام خيارات صعبة، إما بالتنازل للمطالب والحقوق وإشراك المعارضة في صنع القرار مع الحكومة، وإما بالرفض والتعنت واستخدام القمع ضدّهم، وهنا قد تتحول المعارضة السياسية إلى معارضة مسلحة قد تتطور في إحدى مراحلها إلى حرب أهلية لا تُحمد عقباها.

وممّا سبق نرى أنّ ما حصل في الساحة السورية:

هو ثورةٌ من حيثُ خروج الشعب على جلاديه ليرفع الظلم ويستعيد حرّيته وكرامته، ولا يكون ذلك إلا من خلال الثورة على هذا النظام المجرم.

وهو أزمةٌ من حيثُ المشكلات والكوارث التي أصابت الشعب السوري المظلوم وأنهكت النظام الظالم والتي أدت إلى التدخل الدولي بعد تعنت النظام في الاستجابة فلا يعلم المستقبل والآلات.

وهو صراعٌ من حيثُ إنّها اختلفت بين مجرِّم متحكّم بمقدرات شعب وبمصيره، وبين شعبٍ مقهورٍ يسعى لنيل حرّيته واسترّاجع كرامته.

وقد أطلق مصطلح المعارضة على الثورة والثوار مجازاً، لأنّها تحمل معنى الثورة من أحد جوانبها من حيثُ إنّها تعمل على إسقاط النظام المجرم وتغييره تغييراً جذرياً من جهةٍ، ولا تحمل معنى الثورة من حيثُ إنّها قد تتنازل عن بعض أهدافها وثوابتها مقابل استرضاءها وإشراكها ببعض الحقائب الوزارات في الحكومة.



كما قد حاولتُ بعضُ وسائل الإعلام وصفَ ما حصل في سوريا بـ(بالحرب الأهلية) وهذا تعبيُّر لا ينطبق على الثورة السورية حيث إنَّ الحرب الأهلية هي التي تحصل بين أهالي البلد الواحد فيما بينهم لأسبابٍ مجتمعية غالباً تمسّ سمعةً أو كرامةً أو حميةً أو ما شابه ذلك، وغالباً ما تنتهي تلك الحروب بالتفاوض بين الأطراف والاتفاق على ما يرضيهما.

بينما الثورةُ السوريةُ كانت بين شعبٍ حرٍ مظلومٍ يطالب بالحريةِ والكرامةِ التي هي حقٌّ له من عصابةٍ مجرمةٍ اغتصبت السلطة واستحکمت فيها فخرج لانتزاع عرْتَه وكرامته وحرّيته من جديد.



المبحث الثاني

الواقع السوري والربيع العربي الدامي

وقفاتٌ مهمةٌ ومحطّاتٌ مؤلمة

تمهيد

يمكن تلخيص الواقع السوري قبل الثورة بعباراتٍ مختصرةٍ تتمثلُ بتسليط العصابةِ الأسديةِ الطائفيةِ وتحكمها في مفاصل الدولة المختلفة وممارسة الاستبداد بأنواعه والاستعباد البشري من خلال التصفيات الجسدية والتطهير الممنهج لمعارضيه، وإقصاء الكفاءات والطاقات الفاعلة وممارسة الضغط بكلِّ أشكاله وجميع مجالاته حتى باتت سورياً وكأنَّها مزرعةً للدواجن تحرسها الكلابُ وتشرف عليها الذئاب.

إضافةً إلى كم الأفواه والتغييب في السجون والتعليق على أعواد المشانق والإعدامات الميدانية وملاحة الناس في أرزاقهم والتضييق عليهم بكلِّ حركاتهم وسكناتهم.

كلُّ ذلك كان سبباً في خروج هذا الشعب الذي لم يستطع تحمل المزيد من الظلم والقهر والاستبداد عليه يدفع عنه ذلك ويعيد مجده كما كان أسلافه الأوائل، ولكن لم يكن يخطر على بال أحدٍ يوماً أنَّ الثورة السورية ستكون من أعقد الأزمات على المستوى الإقليمي والدولي، فضلاً عن المستوى المحلي والذي ولد شرخاً كبيراً في المجتمع قد لا يندمل على المدى المنظور، وذلك لأسبابٍ كثيرة منها ما هو داخليٌّ ومنها ما هو خارجي، إذ لم يقتصر مجال التعقيد والتحدي في الأزمة السورية في مجالٍ معينٍ بحيث يسهل حصره ومعالجته.

وإنما تعدّ كلَّ المجالات الحياتية للشعوب ليهدّد الدول الإقليمية ويستدعي بعدها الأطراف الدوليَّة التي وجدت بغيتها في مثل تلك الأزمات لتجد الذريعة الجاهزة للتدخل والسيطرة إن لم تكن هي من صنعت هذه الأحداث والأزمات.



أو دفعت إليها على الأقل بطريقٍ مباشِرٍ أو غير مباشِر، لكن كل ذلك لم يكن ليُثْبِتُ هذا الشعبَ عن القيام بثورته للتخلص من هذا النظَامِ الفاجرِ فكان الْرَّبِيعُ الْعَرَبِيُّ الذي طالما انتظرته الشعوب المظلومة، وتشوّقَت إليه النفوسُ المكلومة.

الربيع العربي (الدامي)

كُنْتُ قد وضعْتُ عنواناً لهذه الفقرة بـ(الربيع العربي) الاسم الذي أطلقه الناشطون.

نعم إنَّه الربيع العربيُّ الذي طالما انتظره الشعبُ السُّورِيُّ كغيره من الشعوب العربية المظلومة التي كانت متلهفةً لقادمِه، وتَعُدُّ ساعاته وأيامه ساعةً بساعةٍ ويوماً بيوم.

إنَّه اليوم الذي طالَ انتظارُه، ولطالما كنا نَحْلُمُ لأن نعيشَ أيامَه ونسعدَ بظلاله، إلا أنَّى عَدَلَتْ عن تلك التسمية إلى عنوانٍ آخرٍ هو: (الربيع الدامي)، ما جرى بقدومه من أنهارِ الدماءِ التي سالت في الشوارع والأحياء والقرى والمدن والأرياف، وروت الأراضي بعطرها الندي وريحها الشذى.

نعم إنَّه الربيع الدامي الذي أظهرَ إجرامَ المجرمين وحقدَ الحاقدين وفسادَ المفسدين. الذي أظهرَ زيفَ الشعاراتِ الكاذبةِ التي أوهَمتَ الناسَ وخدعَتهم طوالَ العقود الماضية. الذي كشفَ حقيقةَ رافعي تلك الشعاراتِ ونفاقَ من يدعونَ إليها ويرجِّجونَ لها.

حقاً إنَّه الربيع الدامي الذي لا بدَّ من استقباله وسلوكَ طريقه الشاقِ الطويل لنصل إلى الربيع المزهر بالعزَّةِ والكرامة، وقد سُقِيتَ الأرضُ بدماءِ الشيوخِ والأبطال، ودموعِ العرائِر الطاهراتِ والأطفال، من قسوةِ الحياةِ التي كانت تعيشها الشعوبُ العربيةُ التي كانت تنتظرُ الساعَةَ بالساعَةِ واليومَ باليومِ لترى فسحةَ أملٍ أو بقعةَ انفراجٍ في الأفقِ للخلاصِ من أولئك الطغاةِ الذين



جثمو على أجساد شعورهم لعقود. حتى إذا طغوا وبغوا وتكبروا واستكروا وتجاوزوا في بعدهم وعنجهيتهم جاء أمر الله لتقوم الثورة في تونس، فتنجح في انتفاضتها وانتزاع حريتها وعزتها وكرامتها في مدة قصيرة، فاستبشر الناس بها خيراً إلا أن الجميع لم يصدق ما حصل، بل كلُّ كان يردد قوله: (ما حصل في تونس خاصٌ بها ولا يمكن أن يحدث مثله عندنا في سوريا).

حتى إذا انتقلت الثورة إلى مصر وانتفض الشعب كله بوجه الطاغية وانتهت بالنجاح وخلع فرعون مصر أرادوا استبشاراً بزيارة الفجر الجديد وظهور الرياح العربي، إلا أن الجميع في سوريا يكرر مقولته: (إن هذا الأمر الذي نجح في تونس ومصر لن ينجح في سوريا لأن الوضع السوري مختلف).

وهكذا انتقلت الثورة من مصر إلى ليبيا التي انتصرت بعدها تأخرت أشهراً لما كان لحاكمها القذافي من صفات العنجهية والتكبر وشدة البأس، فزاد أداء الناس استبشاراً بقرب الخلاص من استبداد الحكم واستعبادهم، إلا أن الجميع في سوريا ما زال يشكُّ في قدرتنا على النفي، فالأمر عندنا في سوريا مختلف، حتى إذا حان الوقت وأذن الله للشعب السوري أن يرى حريتها وينزع كرامتها وسبقهُ في ذلك الشعب اليمني ضدَّ طاغيَّتهم بأسبابه.

وهكذا أدركنا أنَّ الظلم مرتعه وخيم وأنَّ للظالم يوماً لا بدَّ لاقيه في الدنيا قبل الآخرة، وأنَّ الله ليُملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، عباراتٌ كنا نسمعها ونردُّها دوماً، وأماماً اليوم فقد أصبحنا نعيشها حياً وحقيقةً لا مريةً فيها.

فها هو يوم الجمعة بتاريخ ٢٠١١/٣/١٨ م، يخرج بعض الشباب بمظاهره بعد صلاة الجمعة رفعوا فيها أصواتهم بالهتافات وشعروا بمذاقِها الرائع الذي لم يعرفوه من قبل، واعتنى أحدهم المنصة ليلقي خطاباً جريئاً يطالب فيه النظام الحاكم الظالم بالحرية والكرامة في ذهولٍ من الحضور وصممٍ من الأمن يستوعبُ النفوس ويتحملُ الصدمة.



وهنا أرى من الأهمية بمكانته أن أتعرّض لبعض العناوين التي تذكّر بالمراحل التي مرّت بها الثورة السوريّة والتي تضعنا بصورة الواقع الحقيقى للثورة والثوراً وما اعتبرها من صورٍ مشرقةٍ وأخرى مؤلمة تحمل كلّ منها قيمَ هذا الشعب ومدى تحمّله وصبره وثباته على مبادئه وأهدافه التي خرج من أجلها لا يعرف ذللاً ولا يقبل خنوعاً، متحدّياً لكلِّ العقبات التي من شأنها أن تُنزل من كرامته أو تحطّ من قدره بين الأمم، لأنّه يدرك أنّه صاحبُ أمانةٍ ورسالةٍ تشرفَ بحملها، وسيبقى على ذلك ما استطاع إلى ذلك سبيلاً موقناً بإحدى الحسينين، إما بالنصر والفوز والتمكّن في الدنيا، أو بالشهادة وحسن الختام في الآخرة، وتلك هي غاية المني عند المؤمن.

نفسُ الشّريفِ لها غایيّانِ فرودُ الْمَنَايا وَنيلُ المَنَى

فمن خلال سبرنا للثورة السوريّة بشيءٍ من الموضوعيّة والشفافيّة ووضعها تحت المجهر سنجد الكثير من النقاط التي تدلّ على نقاء هذا الشعب وصفاته وقيمه السامية وأخلاقه الكريمة من جهةٍ ومدى نضوجه وصحوته الثوريّة من جهةٍ أخرى، فالخروج بالثورة هو نوعٌ من النُّضُج الفكريٍّ والصحوة التي غُيّبت عن عقول الناس لعقودٍ مضت كانت قد رسّخت الفساد والظلم والطغيان والاستبداد في المجتمع السوري مع التخويف والترهيب وكتم الأفواه وعدم المطالبة بأي حقٍّ قد يؤدي إلى قتل صاحبه أو زجه في غيابات السجون أو تعليقه على أعواد المشانق.



١- المظاهرات والاعتصامات

خرجت الثورة السورية بعفويةٍ تامةٍ للمطالبة بالتغيير والإصلاح في بدايتها على يد أطفالٍ صغارٍ، ثم توسيعَت على أيدي شبابٍ تسري الحماسةُ في عروقهم وتماً الشجاعةُ قلوبِهم، كان ذلك بتاريخ ٢٠١١/٣/١٨ م (جمعة الكرامة)، حيث كانت أولَ المظاهرات التائرة ضدَّ النظام الأسدِي المجرم، وتحمل عدَّة مطالبٍ محققةٍ وعادلة، منها إطلاق الحرّيات، وإخراج المساجين السياسيين، ورفع حالة الطوارئ، ثم تطورت الأمور شيئاً فشيئاً مع تعنتِ النظام المجرم ورفضه لكلّ ما من شأنه الإصلاح وتحقيق العدالة، حتى رفعَ الثائرون سقفَ مطالبِهم إلى إسقاطِ النظام الأسدِي المجرم ومحاكمته رموزه.

وكانت المظاهراتُ بعدها في يوم الجمعة من كلِّ أسبوعٍ تسمى باسمِ يناسبُ الحالَةَ الميدانيةَ والواقعَ المؤلمَ الذي يعانيه الناسَ من الإجرامِ الأسدِيِّ اليوميِّ. وقد ابتدأت تلك المظاهراتُ بشكلٍ خجولٍ ثم سرعانَ ما امتلأت الشوارعُ والساحاتُ بالمظاهرات السلمية العارمة المطالبة بالحرية والإصلاح والكرامة، ثم توسيعَت لتشمل جميعَ المدن والبلدات والمحافظات بكل طاقاتها وفعالياتها وأبنائها الذين طالما انتظروها على أحرِّ من الجمر.



لم يرفع المتظاهرون الثائرون أيَّ شعاراتٍ مناهضةٍ للنظام المجرم بدايةً، كما لم تَحتوِ شعاراتِهم على أيَّة عباراتٍ إسلاميةٍ، وإنما كانت تطالب بالحرية والكرامة، وكان المتظاهرون يحملون بأيديهم الورود والرياحين وأغصانَ الزيتون في كثيرٍ من الأحيان.



وهذا يعني أنها (أي المظاهرات)، لم تكن إسلامية المنشأ والفتة، ولم ترفع شعاراتٍ إسلاميةً تصف من وراءها، وهو ما كان له الأثر الإيجابيُّ الكبيرُ في استجلاب وتجميع الطوائف الأخرى التي تشتراك معها في مناهضة العصابة الأسديةِ الحاكمة، وتقوي من مظاهراتها، وتعلّي من صوتها في العالم.

توسّعت المظاهراتُ والاعتصاماتُ

الإسلاميةُ المفتوحةُ حتى ملأت الشوارعَ والساحاتِ والميادينَ للتأكيد على مطالبهم وحقوقهم المشروعة بكلٍّ بسالٍةٍ وشجاعةٍ لم يصدقوا لأنفسهم بأنّهم تجاوزوا عقدة الخوف التي زرعت في قلوبهم طيلة العقود الماضية ()، فكانوا مستعدّينَ لكلّ ما قد يفعله النظام ضدهم لإخמד حراكم من اعتقالٍ وتهديـدـ، ومن رشاشات المياه وسيارات الإطفاء وغيرها مما كانوا يتوقّعون. وممّا زاد من زخم الثورة وقوّة شبابها القبولُ الشعبيُّ الكبيرُ من جميع الشعوب العربية والإسلامية، والتعاطفُ الدوليُّ السياسيُّ والعسكريُّ الذي رفع الصوت بدايـةً بدعمـه المتنـوعـ، في الوقت الذي لم يتنازل النظامُ المجرمُ إلى تحقيق شيءٍ من مطالب الشعبـ الثـائـرـ، بل لـجـأـ إلى أسلوبـ القـمعـ والـوحـشـيـةـ، واستخدامـ السـلاحـ للـقتـلـ والإـجـرامـ بـذرـيـعـةـ محـارـبةـ الإـرـهـابـ وـالـعـصـابـاتـ المـسـلـحـةـ، فـخـلـفـتـ عـصـابـتـهـ المـجـازـ بـمـئـاتـ الشـهـداءـ بـداـيـةـ منـ مجـزـرـةـ حـمـاـةـ وـمجـزـرـةـ معـرـةـ النـعـمـانـ وـغـيرـهـاـ منـ المـدنـ الثـائـرـةـ، حيثـ بلـغـ شـهـداءـ المـجـزـرـتـينـ آنـذـاـكـ أـكـثـرـ مـنـ مـئـةـ وـخـمـسـيـنـ شـهـيدـاـ، وـكـانـ ذـلـكـ فيـ شـهـرـ حـزـيرـانـ مـنـ عـامـ ٢٠١١ـ مـ.



اتسمت الثورة السورية ببدايةً بالسلمية شهوراً عديدة، وكان أداؤها رائعًا ومطالها محققةً ومرضيةً للناس ومفرحةً لهم، ينتظرون الأخبار من شاشات القنوات الفضائية يومياً، ويكتبون اليافات باروع العبارات المبادفة، وهنا أدرك النظام الفاجر أن الأمور ستخرج عن سيطرته إن لم يقم بما يلزم لعلاج الأمر والقضاء على التمرد حسب زعمه، لا سيما أنه صاحب تجربة سابقة حيث استطاع أن يقضي على ثورة الثمانينيات التي لم تكن أقل خطراً وأثراً من هذه الثورة، فاستخدم الأسلحة الثقيلة بأنواعها من دبابات تجوب المدن والقرى والشوارع والأسواق، ومن مدافع تدلى البيوت والأحياء والممتلكات والمرافق، ثم استخدم الطائرات المروحية لتسقط البراميل المتفجرة على المدن والقرى في الشهر الثالث من عام ٢٠١٢م، وهو ما أثار استغراب واستهجان العالم بهذا النظام الخبيث الذي أثبت إجرامه بشكل عملي، بل أدخل الطائرات الحربية بكل أنواعها ليبدأ تدمير المدن والقرى على ساكنيها وحرق أموالهم وممتلكاتهم، وكان ذلك في شهر تموز من عام ٢٠١٢م.

٢- انشقاقات عسكرية، ومواجهات ميدانية، وتحرير مناطق

مع تجاهل النظام الأسدي المجرم لمطالب الثورة المشروعة، بل ورده على المتظاهرين الشائرين بكل أنواع العنف والإجرام شجع الكثير من الضباط والعناصر العسكرية على الانشقاق وانضمائهم إلى صفوف الثورة، حيث بدأت حركة الانشقاقات في شهر آب من عام الثورة ٢٠١١م، وأخذت بالازدياد يوماً بعد يوم لتأخذ الثورة منحىً جديداً وطريقاً عسكرياً موازيًا للطريق الإسلامي معتمدين على الله ثم على أنفسهم دون أن يطلبوا نصراً من أحدٍ أو ينتظروا مساعدةً من أحدٍ حتى بدأ عرش الأسد بالاهتزاز تحته.



تم تأسيس ما يُسمى بالجيش السوري الحر بقيادة المقدّم المنشق الأول حسين هرموش والعقيد رياض الأسعد ()، وأخذ شكله العسكري بتشكيل كتائب الثوار والمجموعات العسكرية للدفاع عن المدنيين العُزل ضدَّ العصابة الأسدية المجرمة، وكان ذلك بنهاية عام الثورة وبداية عام ٢٠١٢ م.

استُجرَ الضبّاطُ والعسكريون وشبابُ الثورة لاستعمالِ السلاحِ للدفاع عن أنفسهم وأهليهم بعدهما أغلظاً عليهم النظامُ المجرمُ بشَّيَّ أنواعِ القمعِ والوحشيةِ والقتلِ دون أن يُفرِّقَ بين صغيرٍ وكبيرٍ أو بين امرأةٍ ورجلٍ مع الضخِ الإلَاعِاميِّ عن وجودِ العصاباتِ المسلحةِ والمندسين والإرهابيين لتشويهِ صورةِ التائرين أمامِ العالمِ، وساعدَه في ذلك التصريحاتُ الداعمةُ له من مشايخِ السوءِ الذين ربَّاهُم إلى هذهِ الأيامِ والذين كان لهم الأثُرُ السيئُ على الثورةِ والثوارِ من خلالِ تشويهِ صورتهم أمامِ العالمِ.

ومع دخولِ الطائراتِ الحربيةِ بصاروخها المتفجرةِ والطائراتِ المروحيةِ ببراميلها المدمرةِ بدأَت موجاتُ النزوحِ الجماعيِّ نحوِ الحدودِ والدولِ المجاورةِ وخاصةً مدينة جسر الشغور بعدَ المجزرة الرهيبةِ فيها في شهر حزيران من عام ٢٠١١ م.

ومع كلِّ ذلك فقد استمرَّت الثورةُ وتابعتَ مسیرتها بكلِّ ثباتٍ وهمَّةٍ وعزيمةٍ وما زالت الأمورُ بخِيرِ لصالحِ شبابِ الثورةِ حيث فتحَ اللهُ عليهم فتحرَّرَ على أيديهم أكثرَ من سبعينَ بالمئةَ من البلادِ وخاصةً أريافَ المدنِ (أريافَ حلبِ وحماةِ وإدلبِ والرقةِ وحمصِ والحسكةِ ودمشقِ) وأوشَكَ النظامُ المجرمُ على الانهيارِ والسقوطِ.

أخذت الثورةُ منحىً آخرَ من السلميةِ إلى المقاومةِ المسلحةِ بين طرفينِ غيرِ متكافئينِ، ولكنَّ اللهُ الذي علمَ ما في قلوبِ عبادِه من ظلمٍ وقهرٍ مُورِسَ عليهم من قِبَلِ نظامٍ فاجرٍ فتحَ عليهم أبوابَ نصرهِ.



فأخذت تتشكل الكتائب والمجموعات الصغيرة بإمكانيات متواضعة وتخوض المعارك مع قوات النظام التي لا تملك عقيدة الدفاع والقتال، معتمدين على الله سبحانه وتعالى ومستعينين به، متراافقاً بذلك ومتوافقاً مع شعاراتهم التي كانوا أعلنوها وما زالوا مؤمنين بها ويعملون لأجلها (هي لله هي لله... لا للسلطة لا للجاه) (ما لنا غيرك يا الله).

وما زالت الأمور تسير بخير لصالح شباب الثورة حتى تم تحرير حوالي ثمانين بالمئة من الأراضي السورية والإجهاز على النظام الأسدية المجرم، لكن الأمر الذي لم يكن بالحسبان أن تلك العصابة الحاكمة المجرمة قد تجدّرت في أرض العهر والفساد والاستبداد الدولي، في الوقت الذي كان الشعب التائر في غفلةٍ من ذلك، بدا ذلك واضحاً من خلال التدخلات الدولية التي توالّت لإنقاذه، فكان تدخل أصحاب المشروع الطائفي (إيران الصفوية) الذي عملت عليه منذ خمسة عقودٍ مضت لتحمي مشروعها من الخطر الذي يهدّدها، فزّجت بكل قوتها ومرتزقتها وميليشياتها الطائفية ضد ذلك الشعب الأعزل واستعملت كل ما بوسعها لإنقاذ ربّيهما الأسدية المجرم وللتحفيظ عنه، إلا أنها باهت بالفشل وتکبّدت الخسائر العسكرية والمالية والبشرية الفادحة بعد أن أفلست وغرقت في مستنقع الدماء وأصبحت تحتاج إلى من يساعدها وينقذها مما وقعت فيه.



٣- إيران بميليشياتها وال الحرب الطائفية

بدأ التدخل الإيرانيُّ مشاركته العلنيةَ بكلِّ ترسانته العسكريةِ في منتصف عام ٢٠١٣م، بإرساله لعشرات الآلاف من جنوده فضلاً عن تكليفه ودعمه لحزب الله اللبناني الشيعي من بداية الثورة السورية الذي أنكرَ تدخله بدايةً، إلا أنَّ قتلامهم وأسراهם كانوا خيراً دليلاً على نفاقِهم وكذبِهم. وهكذا دخلت الميليشياتُ العراقيةُ والإيرانيةُ والأفغانيةُ وغيرها حتى وصلوا لأكثر من /٦٦ ميليشياً شيعيةً والتي تُعدُّ بعشراتِ الآلاف من المقاتلين توزعوا على جهات القتال في سوريا وكانَ الأمرَ الآن أصبحَ حرباً بين الجيش الإيريانيِّ ومرتزقته وبين الثائرين السوريين الذين ما زالوا حديثيَّ عهدهِ بالقتالِ وخططهِ ونظامهِ وأساليبهِ فضلاً عن سلاحِهم المتواضعِ الذي بين أيديِهم.

ابتدأت مرحلةً جديدةً ثالثةً من المعارك حيثُ ظهرت الحربُ الطائفيةُ بامتياز، إذ شهدت زخماً كبيراً من الإجرام الطائفيِّ بحق المدنيين العزلِ الذين يُقتلون لأنهم سنةٌ من أحفاد معاوية رضي الله عنه (كما ظهر لنا ذلك واضحاً من المواقف في المعارك)، دون شفقةٍ أو رحمةٍ حتى بتنا لا نسمع صوتاً لجنديٍّ سوريٍّ إلا نادراً، واستمرت المعارك بشدتها وصراوتها مع ثباتِ أسطوريٍّ لثوارِ ومقاتلين أثخنوا فيهم قتلاً وأسراً حتى أنهكوهُم وأرسلوا الآلافَ منهم إلى إيران بالصناديقِ الصفراء، لكنَّ إيران صاحبةَ المشروعِ الصفوويِّ وحلّمتها بإعادةِ الامبراطوريةِ الفارسيةِ جعلها لا تملُّ ولا تراجعُ عن استقدامِ المرتزقةِ من هنا وهناك، لتحافظ على مشروعها الطائفيِّ الذي عملت على نشره منذ خمسة عقود مضت في كلِّ مدن ومحافظاتِ سوريا، لتكشفَ المشاريعُ التي كانت تعملُ في الخفاءِ دون أن يعلم بها إلا القليلُ الذين لا يجرونَ على الإفصاحِ والكلامِ خوفاً على مكتسباتهم الشخصيةِ أو موالاةِ لهم، لكنها إرادةُ اللهِ التي أبت إلا فضحَهم وكشفَ مخططاتهم الصفوويةِ الشيعيةِ في أرضِ باركَ اللهُ فيها وتكلفَ بأهلها. (١)



٤- النزوح والتهجير والجوع



لم يكن انفجار الشعب السوري بثورته ضدّ النظام الأسدّي مجرّم من فراغٍ يملؤونه، أو من نشاطٍ عبّثيًّا يريدون ممارسته، وإنّما كان نتيجةً طبيعيةً للإيأس والإحباط والظلم والاستبداد والفساد والإفساد وكبت

الحرّيات وتكريم الأفواه والطائفية المقيمة التي حولتهم إلى قطعاً ضعيفاً في مزارع الظلام والمفسدين.

فما إن انطلقت الثورة السورية حتى استنشط النظام مجرّم غضباً فكانت ردّات فعله قتلاً واعتقالاً وقصفاً وحصاراً ودميراً وتشريداً وتهجيرها.

نتج عنّه أولُ موجاتِ النزوح من مدينة حمص وريفها الشمالي منذ بداية عام الثورة، وفي شهر تموز من العام نفسه كانت حركة النزوح من درعاً إلى الأردن، وفي شهر أيار كانت حركة النزوح من جسر الشغور وريف اللاذقية إلى تركيا، وما إن انتهى عام الثورة الأول ٢٠١١ م حتى وصل عدد النازحين خارج القطر لأكثر من نصف مليون نازح.

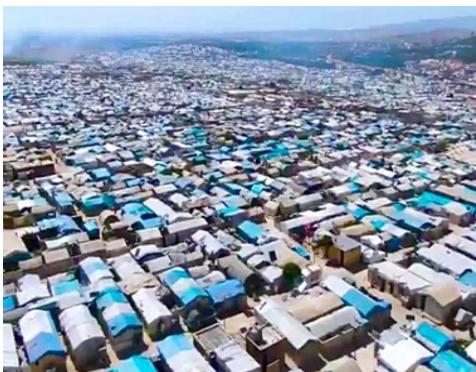


لم يكن قرارُ النزوح وتركُ الديار والبلاد سهلاً على أصحابها، لكنَ الضغوطُ المحيطة بهم والتحديات التي تنتظرونهم والمتطلبات التي تهدّد حياتهم وأولادهم أكبر بكثير، وخصوصاً عندما اتّبعَ النظام

المجرم سياسةً حصار المدن، وممارسة الإرهاب عليهم، والتجويع، وبث أخبار



الاقتحامات التي ترعب الناس، والاعتقالات التي تطال الجميع دون تفريق، والمداهمات العشوائية المستمرة التي تزرع الخوف والهلع في نفوسهم، مع إفساح المجال للهروب والتزوح بدفع الأموال والأتاوات للحفاظ على أنفسهم وأهليهم في بلده آخر يمكن أن يختاروه بأنفسهم ويصلون إليه بسهولة. ابتدأت حركة النزوح كما أسلفنا من بداية الثورة حيث بلغ عدد النازحين في نهاية العام الأول منها إلى نصف مليون نازح ثم ارتفع هذا العدد إلى ثلاثة ملايين نازح بنهاية عام ٢٠١٣ م.



تضاعفت أعداد النازحين بعد استخدام النظام المجرم الطائرات الحربية بصواريخها، والمرحىات ببراميلها، والقصف المدعي بكل أصنافه، مع الضغوط المتتالية على الحاضنة الشعبية بكل مقومات حياتهم بعد تدمير بيوتهم وحرق ممتلكاتهم، وزاد من ذلك دخول ما يسمى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وسيطرتهم على مناطق واسعة، وقتالهم للجيش الحر، ودخول التحالف الدولي الذي أكثر وزاد من هجماته وإجرامه على المناطق المحررة، وهو ما كان سبباً في ازدياد أعداد النازحين الهاربين من الموت.

وما زلت أذكر عشرات الآف النازحين على الحدود السورية التركية (اعزان) عندما أفرغت أحياً كاملاً من سكانها في مدينة حلب ما بين عام ٢٠١٢ م وعام ٢٠١٣ م، في موقفٍ تعتصر القلوب ألمًا وحزناً له، وكأنَّه يوم المحشر والناس هائمةً على وجوهها إلى حيث لا تدري.



ومع احتدام المعارك في عام ٢٠١٥ م والتدخل الروسي بكلّ ترسانته العسكرية ومقتل أكثر من نصف مليون شهيد، وفقدان مئلين في السجون والمعتقلات، وإحكام الحصار على المدن وابتزاز الأهالي لـإجبارهم على المصالحات والتسويات للبقاء في مدنهم وأماكن سكناهم، أو المغادرة الإجبارية ضمن (الباصات الخضراء)، وهو ما يسمى بالتهجير القسري الذي مورس على أهالي حمص وريفها والقلمون والزبداني والغوطة ودرعاً وحلب وغيرها إلى مناطق الشمال السوري وتركيا حيث تجاوز عددهم المليون مهجر.

لم تنتهِ عمليات التهجير، فقد استمرت وبقيت مرتبطةً بعمليات القصف والتدمير الروسي الذي لم يترك بشراً ولا حجراً ولا شجراً، حيث شهد شتاء عام ٢٠١٨ - ٢٠١٩ م موجاتٍ من النزوح هائلةً لمئات القرى، وتقدر بأكثر من مليون نازح إلى الحدود السورية التركية على اعتبارها أكثر أمناً من غيرها.

ثمّ كان عام ٢٠٢٠ م أيضاً أكثر دمويّةً مما سبقه من الإجرام والوحشية ليكمل على الناس آلامهم ومصائبهم في التشرد والنزوح والتهجير القسري عندما استخدم الروسُ بعملياتهم العسكرية سياسةً الأرض المحروقة، فنرحت مئات القرى والبلداتِ لتلحق بركب أخواتها المهاجرات على الحدود الأكثر أمناً، حتى باتت الحدودُ السورية التركية أكبر تجمّع سكانيٍ في العالم الحديث حيث يحوي أكثر من (ألف وخمسمائة مخيم على طول الحدود السورية) من النازحين فضلاً عن أصحاب الأرض والمنازل الساكنين والمقيمين فيها.



باختصار يمكن القول: إنَّ النازحين السوريين على اختلاف المصطلحات ما بين نازِحٍ ومهجَّرٍ ولاجئٍ في الداخل السوري وخارجه يمكن إحصاؤهم كما جاء في تقرير مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين لعام ٢٠٢٠ م كما يلي:

- * نازحون ومهجرون على الحدود: (أربعة ملايين).
- * لاجئون في تركيا: (ثلاثة ملايين و ٦٠٠ ألف لاجئ).
- * لاجئون في لبنان: (مليون ونصف لاجئ).
- * لاجئون في الأردن: (مليون و ٤٠٠ ألف لاجئ).
- * لاجئون في مصر: (٥٥٠ ألف لاجئ).
- * لاجئون في دول الاتحاد الأوروبي: (مليون لاجئ).
- * لاجئون في العراق أربيل: (٢٤٥,٨٠٠ ألف لاجئ).
- * لاجئون في أمريكا الشمالية وكندا: (١٥٢ ألف لاجئ).
- * لاجئون في دول متفرقة: (نصف مليون).

أي أنَّ العدد الإجمالي لللَّاجئين والنَّازحين السوريين يبلغ ثلاثة عشر مليونا.



٥- تعاطف دولي ونجاح عسكري

لاقت الثورة السورية تعاطفاً شعبياً كبيراً على المستوى المحلي والدولي، كالولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وتركيا، ودول الخليج العربي، وغيرهم من الدول العربية والغربية لما رأوه من ظلم النظام الأسدية ضد هذا الشعب الصابر فكانت تصريحاتهم توحى بفقدان النظام المجرم لشرعنته وتندد بإجرامه، وكذلك فقد كثرت المبادرات الشعبية المؤيدة للثورة والثوار بكل أطيافها وجميع مجالاتها للضغط على النظام الأسدية المجرم (كمؤتمر علماء المسلمين لنصرة الشعب السوري)، الذي انعقد في مدينة استنبول في تموز من عام ٢٠١١ م.

كان هذا بالتزامن مع استمرار المظاهرات وتوسيعها في المحافظات السورية الكبرى كافة (كدمشق وريفها ودرعا وريفها وحلب وريفها وحمص وريفها وحماة)، التي شهدت المظاهرات المليونية التي ردَّ النظام عليها بالسلاح الحي، فأدى ذلك إلى استشهاد المئات منهم وحصار المدينة وفرض العقوبات الجماعية على المدن والقرى الثائرة في أنحاء سوريا حتى أصبح عدد الشهداء اليومي مجرد أرقامٍ تُذكَر في القنوات الفضائية اليومية، ويدوِّنه مجلس حقوق الإنسان في الأمم المتحدة دون أن يحرِّك ساكناً بشكلٍ عمليٍ يُنهي إجرام هذا النظام ويقضي عليه.

ومع استمرار الإجرام الأسدية والإيرانية على الشعب السوري تدفق المئات من المقاتلين الأجانب للدفاع عنهم ومساعدته لهم في نيل حريتهم، وانضموا في فصائل عسكرية مع بقية الفصائل المدافعة وأخذت وضعها العسكري كغيرها من الفصائل.

ازدادت قوَّة الثوار والمجاهدين وباتت في تصاعدٍ مستمر، وكذلك توسيع الأراضي المحررة وأصبحت فرص فوزهم وانتصارهم كبيرةً و قريبةً والتي قد تقلب الطاولة على النظام العالمي في حال انتصارها، حيث أصبح المجاهدون



يعملون بخططٍ عسكريّةٍ بعد أن شكّلوا الكتائب والألوية والمجموعات القتالية وأخذت المناطق والمدن تهاوي أمامهم وتحرّر على أيديهم، مع ازدياد الروح المعنويّة في قلوب أبناء الثورة واليقين بانتصارها وانضمام المزيد من الفعاليات والهيئات والذئاب السياسيّة والفكريّة والعسكريّة إليها، حيث انتظمت تلك المجموعات المقاتلة في كتائب وألوية عسكريّة، ورتّبت أمورها ونظمت صفوفها في الدفاع عن نفسها وأهلها ولبلدها تحت مسمى: (الجيش السوري الحر)، وهكذا شهدت السنوات الأولى عشرات المعارك بين قوات النظام وبين الثوار المقاتلين الذين مرغوا أنوفَ القوات الغازية وأثخنوا فيهم قتلاً وتشريداً وأسراً واستطاعوا أن يغتنموا منهم ما يضمن لهم الاستمرار في ثورتهم حتى إسقاطِ النظام المجرم والخلاص منه.

لكنَّ الأمر الذي لم يكن بالحسبان عند الثوار هو أنَّ عشراتِ بل ومئاتِ من المقاتلين الأجانب الذين جاؤوا لنصرتهم وللدفاع عنهم وللقتال معهم (حسب زعمهم)، كانوا في حقيقتهم مبعوثين للتجسس عليهم وعلى ثورتهم، ولمهماتِ مخابراتيةٍ وأمنيةٍ،

وهو من شأن دول الاستعمار الغربي ووكالائهم بدسِّ العمالء بين صفوفِ المجاهدين والثوار لاستخدامهم لاحقاً في شق صفوفهم وتشتيت كلمتهم وإضعاف قوتهم كثورةٌ مضادةٌ تعمل ضمن صفوفهم وتلبس نفس اللباس، وهذا ما أوصل الثورة لفقدان التعاطف الدولي ووصفها بالإرهاب وهو ما سيمكّنهم من ملاحقة الثوار واستجلابهم للمحاكم الدوليّة فيما بعد (وهذا ما يصيرون إليه ويعملون لأجله).



٦- صمودٌ وثباتٌ مع غفلةٍ واختراقٍ

ومع ازديادِ أعداد الثوار واتساع مساحة سيطرتهم ازداد بأسمهم على النظام الذي بدوره صعدَ من عملياته العسكرية بكلّ وحشيةٍ وهمجيةٍ بما يملك من ترسانة عسكرية وأسلحةٍ كيماوية، فقصفَ المدن والمدنيين ودمّر المساجد والمدارس والمشافي والمرافق العامة، فضلاً عن منازل الآمنين للضغط على المدنيين حتى يتخلّوا عن الثوار المجاهدين الذين أوشكوا على إسقاطه والخلاصِ من حكمه، ولكنّه (النظام) لم ينجح في ذلك، فالحاضنةُ التفت حول أبنائها وقدّمت لهم كلَّ ما يحتاجونه في سبيل الخلاص ورفع الظلم وإسقاط الفساد والمفسدين من النظام وأتباعِه المجرمين.

أمام هذا الصمود الذي تمتعّ به السوريون الصادقون والذين خرجوا من أجل قضيتهم العادلة ومشروعهم الصادق، وأمام هذا المشهد المخيف الذي يمكن أن تتحققه الثورة والذي يهدّد المنظومة العلمانية والكيان الصهيوني والدول الغربيّة الصليبية كان العمل بكلّ الأدوات والوسائل التي من شأنها أن توقف هذا السيل الجارف الذي سيفضح المستور الغربي والنفاق العالمي المتآمر على الثورة وأهلها، فكانت الضغوطاتُ والتحديات المختلفة التي شملت كلَّ نواحي الحياة وطالّت كلَّ أطياف الشعب ممّن سار في طريق الثورة وكان حاضناً للثوار.

فكانت تهمة الإرهاب حاضرةً وجاهزةً لتبرّر التدخل المباشر في القضية السورية وخصوصاً أنَّ مواد الإرهاب جاهزةٌ بين أيديها، بل ومن تصنيعها من خلال الغرباء والأجانب الذين سرّبُتهم ضمن صفوف المهاجرين إلى الأراضي السورية وتبيّن شعارات الإمارة والخلافة الإسلامية، فكان تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) بيدها جاهزاً للقيام بالدور الخطير المنوط فيه بحق الشعب السوري والثورة السورية.



كما كان ظهور الفصائل والألوية ذات التوجّه الإسلامي بشكٍل واضحٍ وانحيازها عن الجيش السوري الحر براياتٍ إسلاميةٍ بزعمهم، وما نتج عنه من الاختلاف الفكري والعقدي سبباً رئيسياً في تشتت الثورة وتشريدّها ومعول الهدم في أركانها وما تبعه من مآسٍ ومنفّعاتٍ داخليةٍ أودت بحياة المئات من المجاهدين وأقصت آلهاً آخرين عن ساحة الجهاد إضافاً لتعريتها كثيرة لا مجال لذكرها الآن، وكذلك التبعات الخارجية التي تمثلت في تباين الدول في مواقفها بين مؤيدٍ للثورة أو داعمٍ لها من جهة، وبين معارضٍ لها أو محرضٍ عليها، من خلال التصنيف بالإرهاب الذي مورس على بعض الفصائل المقاتلة بعد أن أطلق عليها اسم: (الفصائل الإسلامية) بشكٍلٍ صريح، ومن هنا فقد دخلت الثورة السوريةُ نفقاً مظلماً لم تكن تحسب له حساباً، بل لم يكن الشعب السوري على درايةٍ تامةٍ بالخبث الدولي الذي من شأنه إدخال الساحة السورية في مطباتٍ بعيدةٍ عن أهدافه التي خرج من أجلها ليرى ثورته وقد اختُرقت بصنوفٍ من القادة والعناصر والفعاليات والهيئات والمنظمات الذين بدؤوا العمل بحرف مسار الثورة عن أهدافها بعدما وصلوا بدهائهم ومكرهم وخبيثهم إلى مراكز القيادة والقرار باسم الدين والإسلام والجهاد، وبعدما استطاعوا أن يحصّنوا أنفسهم ويحتموا بأبناء الثورة الذين انضموا إليهم عاطفةً وجهاً، في الوقت الذي لم يغفل فيه النظامُ عن إرسال بعض جنوده وأزلامه للانخراط في صفوف الثورة والثوار ليأتي الوقت الذي زرعهم من أجله، فيفتّ صفوفهم ويشتت قوّتهم، ويُمزِّق وحدتهم، ويستعيدَ بعضًا من الأرض التي خسرها من قبل.



٧- داعش (السهم الغادر)

بعدما اتخذت الثورة السورية شكلها العسكري، وتشكلت الألوية والكتائب تحت مسمى (الجيش الحر)، وبدأت بالعمل ونجحت فيه، تطور الأمر إلى مرحلة جديدة بتشكيل فصائل مقاتلة تحت مسميات إسلامية ك(أحرار الشام) ثم (جبهة النصرة)، التي تشكلت من أغلبية مهاجرة دخلت للدفاع عن بلاد الشام وشعبها السوري المسلم، إلا أنها كانت تتميز بالتشدد الديني والقسوة في التعامل مع بقية الفصائل؛ لأنها كانت تنظر إلى أنهم جاهلون في الدين، وبعضهم يصل إلى درجة الكفر والارتداد، وهذا ما كان له الأثر السيء في العلاقة معهم، ثم انشق بعضهم عن جبهة النصرة، وهم الذين كانوا أكثر تشديداً باسم تنظيم الدولة الإسلامية (داعش).

كما لم يغفل النظام المجرم عن خبث التعامل لتسويه سمعة الثورة وأسلتمها حيث أطلق سراح المئات من المساجين الإسلاميين من سجونه، وقد سبقه إلى ذلك ما حصل في العراق من إطلاق آلاف السجناء من الإسلاميين والقاعدة الذين التحقوا بالثورة السورية وانضموا إلى كتائب وألوية رفعت رايات إسلامية، ونحوها منحى الخلافة الإسلامية وإقامتها على أرض الشام ورفعت بشكل رسمي رايات تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين والشام لتدخل الثورة كما يبدو في حرب مع العالم كله، حيث استغل النظام المجرم هذا الأمر بشكل خطير، فحرّض من خلاله على الثورة وأهلها على أنهם عصابات إرهابية مسلحة لا بد من استئصالها والقضاء عليها.

كثيرة هي المصائب التي ألمت بالثورة السورية التي تختلف بضررها وقساوتها، ولعل من أخطر تلك المصائب التي أصابت الثورة بمقتلها قضية الاختراق الأمني والعسكري والسياسي والفكري الذي كان له الأثر السيء على مسار الثورة.



والواضح تماماً أنَّ الثورة السورية باتت تحت المجهر الدولي تُدرسُ من كِلِّ جوانبها، ويُصنَعُ بعضُ قادتها في المطابخِ السياسيَّة العالميَّة وتحت إشرافها بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ،

ولعلَّ ما نعيشه وما نعانيه من خوارج هذا الزمان خير دليلٍ على الصناعات المخبراتية العالميَّة، ولو شئنا لوضعنا إشارات استفهامٍ كثيرةٍ تحتاج إلى أجوبةٍ مقنعةٍ حول قادتهم وأصل منشئهم وطريقة أدائهم والجهات التي تخطَّط لهم، ولو دقَّقنا في بعض جزئيات تنظيمهم وهيكلته فيمكن أن نقسمه إلى أصنافٍ أربعةٍ:

• الأمنيون

وهم أصحابُ القرار في التنظيم، وقرارهم لا يقبلُ الطعنَ ولا المناقشة، وكلهم غرباء غيرُ معروفين إلا بالكتني والألقابِ، ولهم صلاحيةٌ معرفة كلِّ شيءٍ ولا يُسألون عن شيءٍ.

• الشرعيون

وهم أصحابُ العلمِ كما يدَّعون والدوراتِ الشرعية وأصحابُ الفتاوى المرموحة لتجاهاتِ التنظيم وقراراتهِ، وغالبُهمُ أجانبٌ إلا القلة القليلة من الأنصارِ الموالين.

• الأمراهُ والقادهُ

وهم المعنيون بالمعاركِ والمعسكراتِ والشؤون العسكرية والمسؤولون عن العناصرِ وضبطِ الأمور، وأغلبُهم ضباطٌ أجانبٌ غير معروفين إلا بالكتني والألقابِ، وقد التحق بهم خشيةِ المحاسبة بعضُ القادةِ ممن كان لهم خلفيةً مشبوهةً، فبايعوا (داعش) وأحسنوا الولاء لها حتى أصبحوا أمراء لا يستطيعُ أحدٌ مسائلتهم أو محاسبتهم.



• العناصر

وهم العددُ الأكبر، والفاعلُ الأعظمُ في المعاركِ، وأغلبُهم سوريونَ وهم صادقونَ مخلصونَ، انضموا إلى هذا التنظيم حبًّا بالجهادِ وطلبًا للشهادةِ، فأعطوا البيعةَ والولاءَ لأمرائهم من أجلِ إقامةِ دولةِ الخلافةِ كما يزعمونَ، ورفعوا رايةَ التوحيدِ، وتطبيق شريعةِ الله دون هوادةٍ أو رحمةٍ، وسياستهم أخذُ الجميعِ بالغلوةِ. ويغلب على العناصرِ صغرُ السنِ وحداثتهُ، وضحلةُ العلمِ وقلةُ المعرفةِ، وشدةُ البأسِ وتساويُ القلبِ، والسمعُ والطاعةُ وتنفيذُ الأوامرِ من غيرِ ترددٍ، وسرعةُ تكفير الآخرينِ ممن لا يوالونَهم، واستهانُتهم بسفكِ دماءِ الآخرينِ ممن كانوا إخوانَهم بالأمسِ القريبِ.

وهكذا تحولَ هؤلاءُ إلى حطٍّ في محرقٍ عظيمٍ أضحيَ فيها شبابُنا مجردَ أرقامٍ يقتل بعضُهم بعضاً، اختلفت الأهدافُ والغاياتُ، واختلط الحابلُ بالنابلِ، وكل ذلكُ بلياسِ المجاهدين ولسانِ المؤمنين ورايةِ المخلصينِ، والأعداءُ تذكّي ذلكُ وتدعّمهُ وتقدحُ زنادهِ ثم تنتظرُ نتائجَ المعاركِ فيما بين تلكِ الفصائلِ.



٨- عدم توازن، خللٌ واضطراب

التفوق العسكري إن لم يوازِه تفوقُ سياسيٍ فسيكون مآلِه الخلل والاضطراب، ولن يكتبَ له النجاح والاستمرار، فلا بدّ من امتلاك القيادة الراسخة والبطانة الصالحة والتوفيق بين جناحي القوة (السياسية والعسكرية) وامتلاك مقومات النجاح لضمان الوجود والاستمرارية والبقاء.

الحقيقة: إنّه لم ينجح السوريون بصناعة نخبة سياسيةٍ تتقدّر المشهد السياسي الذي يشرح القضية السورية للعالم على حقيقتها وبيان أهداف الثورة ثورة الحرية والكرامة مع بيان وفضح إجرام النظام الأسدية.

فقد كانت الدولُ الأوروبيَّة وغيرها من الدول صاحبة المبادرة في تقديم شخصياتٍ معينةٍ تصدّرت المشهد السياسي بما يتناسب مع مصالح تلك الدول بشكلٍ رئيسيٍّ على حساب مصالحة الثورة التي لم يمثلها إلا القلة القليلة من المخلصين في ذاك المجلس (المجلس الوطني السوري الائتلاف الوطني السوري)، والذين قد لا يملكون من القرار إلا الشيء اليسير أمام رجالٍ محسوبين لدولٍ معينة.

كما كان من أبرز المواقف المؤلمة أيضًا الانفصالُ الفكري والمنهجي بين أصحاب الثورة والميدان في الداخل وبين المتتصدرين للمشهد السياسي في الخارج، وهو ما كان أيضًا سبباً إضافياً في التشتت الثوري وضياع البوصلة الثورية والامتعاض من الأداء للقوى السياسية بعيدة عن الواقع والثورة والتي تحمل النصيب الأكبر من وزرها لما وصلت إليه الثورة.



٩- اختلافٌ وترهُّلٌ، انحسارٌ وتضييقٌ

نجحت الدول الغربية في تحويل الصراع بين الثوار ونظام الأسد إلى صراعٍ بيئيٍّ، أي بين الثوار أنفسهم مع بعضهم من خلال الدواعش الذين صنعواهم وأرسلوهם بلباس الدين وإقامة الخلافة الإسلامية المزعومة الموهومة، في غفلةٍ من أبناء البلد، عن خبيث ودهاءِ الغرب في ذلك، وتغليب العاطفة أحياناً، حيث وصل الدواعش لما لم يستطع أن يصل إليه النظام الأسديةُ المجرم، وكلُّ حلفائه من قتيلٍ لخيرة القادة والثوار بتهمة الردة فضلاً عن الاقتتال الداخلي الذي يظهر بين الفترة والأخرى في الساحة من أجل النفوذ والمكاسب الخاصة والمصالح المحدودة وبعض أماكن السيطرة وغيرها من الأسباب التي ليس لها أيّ علاقةٍ بالثورة وأهدافها السامية النبيلة.

فما حصل من اقتتالٍ فصائليٍّ داخليٍّ كان له انعكاسٌ سلبيٌّ واضحٌ على المسار الميداني والعسكري، وخسارة الكثير من الأراضي التي تم تحريرها في بداية الثورة، كما انعكست على الثورة وحاضنتها الشعبية التي باتت أكثر المتضررين، بل وأصبح بعضهم يرى أنَّ الثورة صارت عبئاً عليهم لا بدَّ من التخلص منها بأيّ ثمنٍ كان، كلُّ ذلك بسبب الأخطاء التي ارتكبت في الساحة والتي تجلَّى بعضها في شخصياتها غير الكفؤة في إدارة وقيادة الساحة، والذي أدى بدوره إلى الظلم الذي لم يرضوه والذي ثاروا عليه أيام الأسد وزمرته الفاسدة.

وزاد الخطير بعد تمدد تنظيم (داعش) على حساب المناطق المحررة وإعلان إمارتها الإسلامية المزعومة بعد السيطرة على مناطق الثروات ومكامن الدعم الذاتي واستقطاب الصغار من الشباب والتلاعب بعواطفهم وعقولهم وانقلابهم على أهلهم وإخوانهم الذين كانوا معهم بالأمس في الجبهات وأماكن الرباط، وكان ذلك سبباً في استجلاب ضياع العالم وذئابه للتدخل المباشر في الشأن السوري، وبذلك انتقلت الثورة السورية من ثورة داخليةٍ ضدَّ عصابةٍ مجرمةٍ إلى أزمةٍ إقليميةٍ وعالميةٍ أطرافها ليسوا من السوريين فحسب.



بل هي دولة إقليمية وأخرى عظمى وجدت بغيتها في الجغرافية السورية بذراعها عملت على صناعتها في المطابخ المخابراتية الدولية، فبات التدخل الدولي المباشر والصريح واقعاً حقيقة وجود تنظيم القاعدة والفصائل الإسلامية، وكان ذلك لصالح النظام المجرم على حساب دماء وأشلاء هذا الشعب وأهداف ثورته العظيمة.

كان ذلك من أسباب الانشطار الكبير في صفوف الثوار وتصنيفهم لبعضهم ما بين مرتدٍ ومجاهدين وفاسدين ومرتزقة، يكيد كل طرفٍ منهم للطرف الآخر، وتحوّل كل فصيلٍ لمنطقةٍ يسيطر عليها، ويبني دولته بما يناسب برنامجه الذي يؤمن به ويعتقد، فأصبح لدينا مزيدٌ من التفكك الفصائلي مع العداء القلبي المنتظر للثأر في الوقت المناسب.

لم تُعد المعارك مع النظام وحلفائه كما كانت من قبل، بل تضاءلت المساحاتُ المحررة بشكلٍ كبيرٍ، وقد أرقت الحالة النفسية السيئة قلوب الحاضنة التي سئمت ذلك، وتجلّى ذلك عند الكثير منهم بسحب أبنائهم من ساحات القتال وإخراجهم منها لضمان سلامتهم وعدم قتلهم أو اغتيالهم.

وقد رافق ذلك انحسار الدعمِ الخارجي وتجفيفُ منابعه بشكلٍ كبيرٍ، بل وانقطاع بعض أصنافه مع التضييق المالي على الفصائل بشكلٍ ممنهجٍ بغاية إضعافها إلى أدنى مستوى ممكن.



١- روسيا ومشروعها القذر في التغيير الديمغرافي والتهجير القسري

دخلت الثورة السورية عامها الرابع ٢٠١٥ م، بعد أن أنهكت إيران وميليشياتها ومن قبلها النظام الأسد المجرم، فدخلت روسيا صاحبة المصالح الاستراتيجية في المنطقة لتعيد هيبيتها وامبراطوريتها التي مضى على سقوطها أربعة عقود، لتدخل بأساطيلها البحرية والجوية والبرية بكل ما تملك لتنهي الثورة وتقضي عليها خلال ثلاثة أشهر حسب زعمها، ويبدو أنها تريد أن تجرب ترسانتها الجديدة، وتبيع أسلحتها القديمة والفاشدة، وتقوم بمناورات على الأرض السورية على حساب الثوار وأسلاء الشعب السوري، وهذا ما صرّح به المجرم فلاديمير بوتين بكل وقاحة وصلف.



وفعلاً كانت الطائرات تجوب السماء السورية ليلاً ونهاراً، والبواجح الحربية تقدُّف بحمّتها وصواريخها البالستية بشكل عشوائي ومدمر، والصواريخ الارتجاجية والقنابل العنقودية وغيرها من أنواع الأسلحة الجديدة التي أحرقت الأخضر واليابس، وأهلكت الحرش والنسل وحوّلت البناء إلى رماد، إلا أنه لم يستطع إخضاع هذا الشعب وتراجعه عن مطالبه المشروعية، ولم يبق له من الوقت الذي أعلنه في وسائل الإعلام بإنهاء مهمته في القضاء على الثورة والثوار، إذ بقي في حربه وإجرامه أكثر من خمس سنوات ولم يستطع حسم



المعركة، بل تفاجأ بشراسة المقاتلين وصمود الثوار والمجاهدين، فلم يستطع إنقاذ النظام الأسدِيِّ المجرم بالصورة التي كان يحلم بها وبالمدة التي وضعها كرئيس دولةٍ عظمى أمام رجالٍ يحسهم شراذمَ قليلين وعصاباتٍ متفرقين. لا يُنكر أنَّ سياسة الأرض المحروقة التي استخدمها الاحتلال الروسي ضدَّ الشعب السوري الأعزل أحدثت تغييرًا في الخريطة الجغرافية لصالح النظام الأسدِيِّ المجرم، فأخرجت من سقوطه، وأطالت من عمره من خلال سياسته الإجراميةِ المتمثلة بالنقاط الآتية:

١. القصف العنيف المتواصل على القرى والمدن لتهديم البنى التحتية والممتلكات على ساكنيها للضغط على الحاضنة الشعبية وحرمان الناس من أدنى مقومات الحياة وإجبارهم على حياة التهجير والتشرد.
٢. اتباع سياسة الأرض المحروقة في الجهات وأماكن المعارك والرباط مع التدمير الكامل لكلِّ شيءٍ، ثم الدخول برأً للإكمال على ما تبقى.
٣. الزج بكمال القوات العسكرية المختلفة والأسلحة المحرمة دولياً من أجل حسم المعركة أو انتزاع نصرٍ ولو صوريًّا.
٤. العمل على استقطاب بعض الشخصيات العسكرية والسياسية ببعض الإغراءات الوهمية لاستخدامهم في المصالحات والتسويات وإسقاط المناطق بدون قتال.
٥. العمل في الجانب السياسيِّ تزامناً مع الجانب العسكريِّ كضامنٍ كاذبٍ ي يريد الحلول السياسية باستجرار المعارضة وضامنها (تركيا) إلى مؤتمرات فارغة (ك الاستانة وسوتشي) لانتزاع تنازلاتٍ تساعدها على المزيد من السيطرة وقضم المناطق المحررة وإعادتها للنظام المجرم.



٦. تغيير الخطط والتكتيكات العسكرية من خلال شنّ المزيد من العمليات العسكرية لتحقيق أهدافٍ معينة، ثم إعلان الهدن المحددة من طرفها لتعيد انتشار قواتها وتؤمن استراحةً مليشياتها، ثم تنقض الهدنة في الوقت الذي تراه مناسباً لها بذريةٍ جاهزةٍ لتعود لعدوانها من جديد.

كما قد لجأ المحتل الروسي لاستخدام نوع آخر من المعارك (التركيز والتجويع والتهجير القسري)، إضافةً للمعارك العسكرية من خلال الحصار المبرمج والتجويع الممنهج حتى يضمن تركيع المدنيين وإجبارهم للضغط على أبنائهم الثوار والمجاهدين ليرضخوا إلى مطالب النظام المجرم والمحتل الروسي، وقد نجحوا في تفريغ مناطق كثيرةٍ مثل:

١. منطقة القلمون: فقد تم تهجير آلاف العوائل من مدنها: (الزبداني، ومضايا، رنكوس، عسال الورد، وبرود، وبقعة، ووادي بردى، وبسيمة، وعين الفيجة ...).
٢. الغوطة الشرقية: فقد تم تهجير أكثر من ثلاثين بلدة منها: (حرستا، ودوما، وسبقا، وكفرطنا، وحمورية، وبيت ساوي، والنشابية، والشيفونية، والريحان، ومديرية).
٣. الغوطة الغربية: تم تهجير أكثر مدنها (داريا، والمعضمية، وخان الشيح).
٤. درعا وحوران وريفها: حيث تم تهجير مئات العوائل منها على دفعاتٍ بدءاً من (درعا البلد، ونوى، ومدينة البعث في القنيطرة، وقرى شرق البصري ...).
٥. حمص المدينة: فقد تم تهجير كامل المدينة القديمة في عام ٢٠١٥ م، وهي: (الخالدية، والحميدية، وباب الدريب، وباب هود، ومنطقة السوق القديمة وانتهى عام ٢٠١٥ م بتهجير عوائل حي الوعر).



٦. حمص الشمالي: تم تهجير أكثر المدن الثائرة فيها في شهر رمضان من عام ٢٠١٦ م، مثل: (تلبيسة، الحولة، والرستن، والدار الكبيرة، تير معة، الغنطو، الفرحانية الغربية، غرنطة، الزعفرانة، وتسين، الفرحانية الشرقية، وبعض القرى من ريف حماة مثل حربنفسه، عقرب، ...).

٧. حلب القديمة: حيث تم تهجير أحيائها من حي إلى آخر بحسب القصف والإجرام الذي مورس عليهم حتى تجمّعوا وانحسروا أخيراً في حيي الأنصاري وصلاح الدين بمئات الآلاف، ويمكن ذكر بعض الأحياء المهجرة قسرياً منها: (حي الشعار، والصاخور، وطريق الباب، وباب الحديد، وباب النيرب، والمرجة، والصالحين، والمعادي، والفردوس، والكلاسة، وبستان القصر، والعامرية، والإذاعة، والسكنري، والأنصاري، وصلاح الدين...).

ما سبق ذكره كان تهجيراً قسرياً مارسه الاحتلال الروسي المجرم مع النظام السوري البغيض على مدن وبلدات سوريا المنكوبة وإجبارهم على التوجه إلى محافظة إدلب التي أصبحت الآن مكاناً خاصاً لتجمّع الثوار والمجاهدين ليظہر على الساحة طبيعة المشروع الذي يريدونه وينفذونه بخطواتٍ ثابتةٍ مدروسة وبطريقةٍ باتت واضحةً.

لم يكن واضحاً للوهلة الأولى الغايةُ من الحصار والتجويع إلا تركيُّ الناس واستسلامُهم ورجوعُهم إلى حضن النظام المجرم، إلا أنَّ الواقعَ أثبتَ أنَّ تغييرًا ديموغرافيًّا يُراد تنفيذهُ والعملُ عليه، وذلك بنقلِ السُّنةَ من دمشق وريفها إلى مدينة إدلب والشمال السوري، وإسكانِ مكانهم أبناءَ الميليشيات الشيعيةِ الذين استقدموهم من هنا وهناك، وأصبح التصريحُ بذلك علناً في وقتٍ تمكّنوا فيه من رقابِ الناس ومحاربتهم في أرزاقيهم وحليبِ أطفالهم.



وفي الوقت نفسه فقد عملت روسيا على القضاء على الثورة والثوار بكل المجالات وعلى جميع الأصعدة، واستعملت كل الأساليب الناعمة والخشنة للقضاء عليها، ودام الحصار سنواتٍ عجافاً بكل ما تحمل الكلمة من معان، ومع كل ذلك لم تتأثر الثورة بالشكل الكبير الذي أرادته تلك الدولة المجرمة، ولكنها أضعفتها إلى حدٍ لم تستطع القضاء على النظام الأسدية بشكل كامل، فتكون بذلك قد لعبت دور المنقذ له في البقاء في السلطة مدةً أخرى أطول.

والحقيقة أنَّ الكلام عن جريمة التهجير القسري كلامٌ طويلاً وسيكتب عنه الكتاب، ولكني أريد لفت النظر هنا إلى الجريمة المضاعفة التي قام بها النظامُ المجرمُ وحلفاؤه الغزاةُ من الروس والإيرانيين وهي أنَّ التهجير القسري يُعتبر جريمةً نكراءً بحدِّ ذاته، فما بالك أنَّ هذه الجريمة (التهجير القسري) كانت بالأساليب الوحشية والإجرامية التي دمرت عليهم مدنهم وقراهם، وحرقت لهم بيوتهم وممتلكاتهم، وطردتهم إلى حيث المجهول، لتتضاعف تلك الجريمة البشعة، ولم يقف الأمرُ عند هذا الحدّ، بل قامت العصابةُ الأسديةُ المجرمة بعد طردهم وإخراجهم باستجلاب الميليشيات الشيعية الطائفية وإسكانهم بدلاً منهم في مدنهم وقراهم وببيوتهم علمًاً أنَّهم لا يملكون فيها أيَّ حقٍ وليس لهم فيها أصل بل هم غرباء الوجه واليد واللسان والمنهج والقيم والأخلاق والأعراف، وهذا من أكبر الجرائم الذي لم تعرفه الإنسانية ولم تشهد له البشرية مثيلاً بتلك الصورة الهمجية، لتبقى شاهدةً على نظامٍ خبيثٍ مجرِّمٍ من أقدر أنظمة العالم وأكثرها خسَّةً ونذالةً ووحشيةً وهمجيةً.^٢

وسأفرد بباباً خاصاً لإجرام روسيا و موقفها من الثورة السورية.



١١- إجرامٌ ومجازرٌ مع صمتٍ وتواطؤٍ

صحيحٌ أنَّ جيشَ النظام قد أُنهِكَ وُقْتِلَ أكْثُرُ من ٧٠٪ من عناصره النصيريَّة والموالين له من أهلِ السنَّة، إلا أنَّه كان حاضراً بأجهزتهِ الأمنيَّةِ المُجْرمَةِ لِتمارسَ على بقایَا الشعوب قمعَهَا ووحشيتهاً، وابتزازَهُم بالأموال والأعراض، حيث امتلأَ السجونُ بمئاتِآلافِ المعتقلينِ والمعتقلاتِ الذين تعرضاً للموتِ البطيءِ إنْ بالتعذيبِ، وإنْ بحقهم بموادَ كيمياويَّة مميتَّة دونَأنْ يشعروا، إضافةً إلى مئاتِ الآلافِ من الشهداءِ الذين قتلتهم آلُّةُ الحربِ الأسديةِ والإيرانيةِ والروسيةِ، وعشراتِ الآلافِ الذين هُدِّمت علیهم بيوتهم ليشهدَ التاريخُ على تلكِ المجازرِ والجرائمِ التي يندى لها جبينُ البشريةِ.

وكذلكِ المجازرُ التي ارتُكبتَ بحقِ العوائلِ والقرى المُعروفةِ بمعارضتها للنظامِ والتي تُعدُّ بمئاتِ المجازرِ التي قضتَ عليهم بشكِّلٍ كاملٍ، فضلاً عنَّمن قُضوا وما توا بالسلاحِ الكيماويِّ في أكثرِ من مدينةٍ ومحافظةٍ، وكلَ ذلكَ على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ فالقائمةُ تطولُ من جرائمَ طائفيةٍ مرعيبةٍ وعملياتٍ انتقاميَّةٍ مروعةٍ.

ولعليَّ أذكرُ بعضَ المجازرِ على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ، كي لا ننسى هذا النظامَ



الفاشِيَّ القاتلَ ولنخلدَ إجرامَهِ في تاريخِ البشريةِ:

١- مجزرةُ الحولةِ بريفِ حمصِ التي راح ضحيتها أكثرُ من (١١٠) شهيدٍ أكثرُهم من النساءِ والأطفالِ، كانت بتاريخِ ٢٥ / ٥ / ٢٠١٢م.



٢- مجرزة داريا بريف دمشق

التي قضى فيها أكثر من (ألفي) شهيد بحسب شهود عيان.^٣ إضافةً إلى المجازر التي كانت تُرتكب في الاقتحامات وخاصةً في أحياء مدينة حمص، والتي كانت تجري بسوريةٍ تامةٍ ويُقدّر ضحاياها حسب شهود العيان بمئات الشهداء.

٣- مجرزة القبرير بريف حماة

التي راح ضحيتها أكثر من (١٥٠) شهيدٍ أكثرهم من النساء والأطفال، كانت بتاريخ ٦/٦/٢٠١٢ م.

^٣ شهادةً من قلب الحدث، مجرزة داريا: ٢٥/٨/٢٠١٢.

زارني البارحة في المكتب أحد الأحواة من شباب دمشق المجرّبين أبو حمزة وكان يعمل أيام النظام المجرم متعاقداً معهم في مجال الدبابات (رحبة تصليح وصيانة دبابات بكل ما يلزمها) وكانت حالته المادية جيدة جداً كونه يتحكم بالآليات من بيع وشراء، وحاله في ذلك كحال غيره من موظفي النظام المتنفذين. لم يكن أبو حمزة الشامي يطلع كثيراً على أخبار الثورة والثوار بدايةً إلا بما قد يسمعه من قناة الدنيا وغيرها مما يُفتركه النظام عن الجرائم التي يقوم بها بحق المدنيين ثم يقلب الحقائق والأخبار ويلصقها بالثورة والثوار. ذات يوم دعى أبو حمزة على وجه السرعة لتصليح دبابة في داريا فتوجّه فوراً إلى المكان ليروي أمراً غريباً ومنظراً رهيباً لم يكن يتصوره أبداً، بل لم يتوقع أنَّ مثل ذلك يمكن أن يحصل عند البشر والبشرية. نظر وكأنه في حلمٍ ومنام وليس في واقعٍ وحقيقة. يا إلهي ما هذا؟!! تركين كيّر يجرف كوماتٍ من البشر وقد تكدرست فوق بعضها حتى صارت كالجبل الكبير (مجزرة داريا وأكثر من ألفي شهيد قتلاً بالدم البارد)، سائق التركس رجلٌ مجرمٌ تقرأ في قسمات وجهه الخبائثة والنداة والإجرام، يجرف في كلٍ شفرة عشرة من النساء والأطفال والشيوخ المقطعة التي تدمي القلب بمنظرها، حتى إذا رفع شفرة التركس المملوءة للأجساد البريئة وإذا بجسد طفلة صغيرة قد مزقته سُنُّ نافرٌ في طرف الشفرة الكبيرة حتى صار الجسد معلقاً بالسنن ومتدلياً في الهواء، ثم يلقي بالأجساد كلها في صندوقٍ شاحنةً كبيرةً تعود لشركة قاسيون، وسائق الشاحنة يقف بجانب أبي حمزة ينتظر ريثما امتلأت السيارة بالجثث ليركبها وينذهب بها إلى حيث يأمره أسياده.

وهنا سؤال أبو حمزة السائق: إلى أين تأخذون هذه الجثامين؟؟

هزَ السائق رأسه ووجهه يحكى الحيرة والخوف مع الدهشة والاستغراب والاستنكار، لكنه يبدو ما زال حريصاً على وظيفته ولو على حساب الدماء وأشلاء الأهل والأصدقاء، قال: نأخذها كما تراها أجساداً إلى معمل الإسمنت في عدرا فتدخلها في الفرن أجساداً وتخرج منه بوردة وقد اختفت معالمها بالكامل. أصابت الصدمة أبي حمزة فعاد من فوره إلى بيته وترك عمله وجهز لوازمه الخاصة وخرج يحمل روحه على كفه حتى وصل إلى الشمال المحرر. الحقيقة أنَّ أبي حمزة تأخر في كشف إجرام هذا النظام الخبيث الذي نشأ وترعرع على الخيانة والنجاسة والدياثة منذ نشأة النصيرية في مهدها ليأتي اليوم الذي يان على عواره أمام الصغير والكبير إلا من أعمى الله على بصيرته.



٤- مجزرة معصمية الشام

حيث تمّت عند الاقتحام الأول للمدينة، فاضطر أهلها للهروب إلى مدينة داريا لمدة ثلاثة أيام، وبعد عودتهم إلى البلدة تفاجؤوا بالجثث وقد ملأت الشوارع والبيوت بحسب الشاهد (راتب أنيس أبو أنس) خادم المقبرة في المعصمية كما روى أحداً ثالثاً في الفيديو، بأنّهم دفنوا (٧٠٢) جثث في مقبرة المدينة حتى امتلأت فاضطروا لشراء قطعة أرضٍ أخرى لبقية الشهداء الذين بلغوا (٤٧٣) شهيد تمّ دفنهما فيها وسمّيت مقبرة الشهداء.

٥- مجزرة قريتي البيضا والبساتين وهي رأس النبع في مدينة بانياس الساحلية حيث تمّ قتل أكثر من (٤٥٠) شهيداً غالبيتهم من النساء والأطفال والمدنيين العزل، كان ذلك بتاريخ ٢٠١٣/٥/٣-٤ م.





٦- مجررتا نهر حلب (القويق)

التي قامت بها قواتُ النظام الأسدِيَّ المجرم في شهر ينایر كانون الأول من عام ٢٠١٣ م، فقتلت (١٢٠) شهيداً ثم قتلت (١١٠) شهيداً في شهر مارس آذار من العام نفسه، وألقت بالجثث في نهر قويق مكتوفةً الأيدي ومعصوبةً العينين، وأثارُ التعذيب باديهٌ على أجسامهم.



وأماماً عن مجازر الكيماوي التي استخدمها النظامُ المجرم ضدَّ هذا الشعب الأعزل فكان منها:

- ١- مجررة الغوطتين الشرقية والغربية: بصواريخ محمّلةٍ بغاز السارين، وراح ضحيّتها آنذاك قرابة (١٥٠٠) شهيداً أكثرهم من الأطفال والمدنيين.
- ٢- مجررة خان شيخون: التي راح ضحيّتها أكثر من (١٠٠) شهيداً و (٤٠٠) إصابة اختناق.
- ٣- مجررة معصميّة الشام: التي راح ضحيّتها على مدى ثلاثة أيام بالترتيب (٧٣ + ٨ + ٤) ليكون مجموع الشهداء بهذه المجربة (٨٥ شهيداً)، كان ذلك بتاريخ ٢١/٨/٢٠١٣ م.



كل ذلك كان على مرأى وسمعي من دول العالم كله، تواترت في ذلك جميع الدول التي تدّعي حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية والأمم المتحدة الذين شاركوا في قتل الشعب السوري بصمتهم وتخاذلهم عن نصرته، وعدم إدانة ما يحصل من قتل وهدم وتشريد وحصار وتجويع ومجازر، واستعمال لجميع أنواع الأسلحة الفتاكه والمحرمة دولياً، في إشارة واضحة إلى أنها حرب صليبيةٌ شيوخيةٌ مجوسيةٌ للقضاء على أهل السنة في بلاد الشام، وما زالت فصوص المؤامرة تسير وتمضي بشكلٍ ممنهجٍ على هذا البلد المنكوب حتى غدا الشعب السوري بين مهجرٍ وشهيدٍ وأسيرٍ ومفقودٍ، وحتى غدت سورياً خاويةً على عروشها من غير بشرٍ ولا حجرٍ ولا شجرٍ، يذكّرك حاليها بما فعله المغولُ والتتارُ والصلبيون قبل سبعة قرونٍ مضت من الهمجية والمغولية والتترية وأحقاد الصليب.



١٢- تآمرٌ وتواطؤ، اختبارٌ وتمحيص، تدويرٌ وصوملة

بات الوضع العسكري مسلولاً إلى حدٍ كبيرٍ لأسبابٍ كثيرةٍ:

داخلية:

(كالتشرذم والاقتتال الداخلي مثلاً)، الذي كان له آثارٌ سلبيةٌ على نفسيات المقاتلين وخروج بعضهم من الساحة الميدانية والقتالية حتى لا يخوضوا في دماء إخوانهم فضلاً عما أصاب قلوبهم من حقدٍ وبغضٍ تجاه بعضهم قد لا ينسونه لسنواتٍ طويلةٍ قادمة.

خارجية:

(كتوقف الدول الداعمة عن الثورة والثوار أو التخفيف منها، بل والتأمر عليها)، وذلك بحجّة الإرهاب التي ألقّتها بعض الفصائل الإسلامية مع غضّ النظر عن الميليشيات الشيعية والطائفية المصنفة أصلاً وتجاهلهما، بل ودعمها علانيةً بكلّ ما تحتاج إليه من سلاح ومال للقضاء على الثورة والثوار. مع تجفيفِ كاملٍ شاملٍ وممنهجهِ لكلّ أنواع الدعم السابق بما فيه المادي ليبقى العنصرُ المقاتلُ يفكّر فيما يملاً بطنه وبطن أبنائه وعائلاته طعاماً يسدُّ رمقهم ولو أدى ذلك إلى الانحراف عند بعضهم لتحصيل المال، فكلّ من كان على الثغور والجهات في مخصوصٍ صعبٍ جداً وحاجةٍ ملحّةٍ قد تدفعهم للسرقة والانحراف إلا أنَّ الثقة بالله والإيمان بالقضية والهدف جعل من أغلبهم رجالاً صادقين ثابتين لا تهزّهم الشدائِدُ ولا تنحني جياثهم إلا الله رب العالمين.

فرزت الصنوفُ وتمحّصت القلوبُ وتغريب المخدّلون وكشف المنافقون وفضح المرجفون ونزلت طائرات الهيلوكوبتر لتأخذ عباءها الذين أدوا دورهم بجدارةٍ ونجاحٍ ومكرٍ، وعاد الخباءُ إلى حضن الأسد المجرم بعدما استكملوا أدوارهم في الجاسوسية والتخدّيل والتسليم.



وسقط بعضُ الذين انتسبوا للثورة من أجل مالٍ زائل ومتاعٍ رخيص بعدهما انكشف أمرهم وافتضح زيفهم، وما زال الغربال يعمل وما زال السقوط جارياً في مستنقع الفضيحة والخيانة من الداخل: الذين لبسوا لبوس العسكرية، ومن الخارج الذين امتطوا جياد السياسة، والسياسة منهم براء، ولكن ما كانوا ليظهروا على حقيقتهم لو لا تلك المحن والملمات **لَيُمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** (الأنفال: ٣٧).

يبدو أنّ الثورة السورية باتت تسير في طريق الصوملة بعدما استحکمت فيها الدول، فلم تعد تلبّي مطالب شعبٍ أعزل صاحب قضية عادلة مشروعةٍ في الحصول على حقوقه المسلوبة، وإنّما أصبحت معركةً صليبيةً بامتياز بعدما اصطفت كلُّ قوى العالم على اختلاف أطيافها وجنسياتها للسيطرة والنفوذ على بلاد الشام وما فيها من ثرواتٍ باطنيةٍ هائلةٍ وموارد طبيعيةٍ وافرة فضلاً عن الأهداف الحقيقة (العقدية) التي قد يخفونها أحياناً، لكنّها تأبى إلا الظهور من خلال مكرهم وخبئهم وغدرهم وحقدthem الدفين على أمّة الإسلام، فكان إطالة أمد الثورة من خلال التحكّم الدولي بمنظومة الدعم ولعب دور الحكم بين النظام المجرم والمعارضة الثورية والسياسية بما يضمن إطالة فترة الأزمة حتى تتحقق تلك الدول (أمريكا وروسيا وإيران) أهدافها الخبيثة التي ترجوها.



١٣- صفاء ونقاء، مقابل خبث ودهاء

الأخطاء التي حدثت في الثورة السورية هي أمرٌ طبيعيٌ في الوقت الذي لم يعرف الثوار فيه الكثير عن الثورات وطبيعتها، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على فطرية هذا الشعب الكريم ونقاوة معدنه وعدم التحامل والتحايل على غيره، بل تميّزوا بنظرة حسن الظن تجاه غيرهم وخاصةً نحو المهاجرين الأجانب الذين قدموا للدفاع عنهم بعدهم أبدوا حماسهم وتعاطفهم مع الثورة وأهلها حيث انضم المئات منهم إلى صفوف المقاتلين ليزيدوا من قوّة المجاهدين ويسرّعوا في القضاء على عصابة الأسد المجرمة حسب زعمهم وظنّهم مع ما استقدموه من مالٍ سياسيٍ مشبوهٍ المصادر، فكان دخولهم ودخولُ المال السياسي والدعمُ المشروط وغير المباشر باسم الثورة ودعمها لتشكيل المزيد من الألوية والفصائل وظهور قياداتٍ مختلفة الولاءات، حتى غدت الساحة السورية كغرفة عملياتٍ عسكريةٍ للدول الغربية حسراً بذريعة الدعم المتنوع (المالي العسكري والإغاثي الإنساني ...)، وهذا يعني أنّ الثورة وأهلها باتوا أدواتٍ ومطاباً لتنفيذ مشاريع الآخرين من خلال الاختراق الفاضح الذي استطاعوا تنفيذه في الثورة والثوار.



المبحث الثالث

عين على الواقع

إنَّ الذي يراقبُ الواقعَ السُّورِيَّ ويقلُّبُ في صفحاتهِ بعدها انطلقتُ الثورةُ المباركةُ لِيَجُدُّ المكوَّناتُ الآتيةُ:

القسم الأول: العسكريون



وهم صنفانٌ :

أ- فصائل الجيش الحر

وينضوي تحتهُ :

١- لواء الضباط الأحرار والجيشُ السُّورِيُّ الحرُّ

ما إنْ بدأَتُ الثورةُ السُّورِيَّةُ انطلاقتها حتى تفاعلت معها جميعُ طبقاتِ المجتمعِ السُّوريِّ وأصنافهِ، عسكريون ومدنيون، فكان الانشقاقُ الأولُ في قادةِ الجيشِ السُّوريِّ الذي افتتح بوابته المقدمةُ حسين هرموش بتاريخ ٢٠١١/٦/٩ م، حيث شَكَّلَ تكتلاً عسكرياً تحت مسمىً: (لواء الضباط الأحرار)، ثمَّ بعدما تبالت عملياتُ الانشقاقاتِ العسكريةِ عن الجيشِ السُّوريِّ تحولَ لواءُ الضباطِ إلى كتلةٍ عسكريَّةٍ أكبرَ أطلقَ عليهِ: (الجيشِ السُّوريِّ الحرِّ) بقيادة العقيدِ رياضِ الأسعدِ الذي أنشقَ عن نظامِ الأسدِ المجرمِ بتاريخ ٢٠١١/٦/٢٩ م.

فكان أولَ التشكيلاتِ العسكريةِ التي قدَّمتُ للثورة وفتحتُ وحرَّرتُ الكثيرَ من المناطقِ بدعمِها المتواضعِ، وقد لاقى هذا التشكيلُ العسكريُّ الوليُّدُ التأييدَ الكبيرَ من الحاضنةِ الشعبيةِ والدعمِ المعنويِّ الواسعِ، كما حظيَ باعترافِ ودعمِ دوليٍّ محدودٍ، كمدافعٍ وممثِّلٍ عن الشعبِ السُّوريِّ.



ثم توسيع نطاق العمل العسكري ضد النظام المجرم من خلال تشكيل المجموعات والكتائب المقاتلة، الذين خاضوا المعارك مع النظام الأسدية الفاجر، وفتح الله لهم المساحات الواسعة التي تحررت على أيديهم والتي بلغت بعد عام ٢٠١٤ م أكثر من ٨٠٪ من مساحة الأرضي السورية، ثم توسيع دائرة تشكيل الفصائل والألوية المقاتلة في كل المناطق المحررة حتى بلغت المئات، منهم من العسكريين وأغلبهم من المتطوعين والثائرين، وقد تميزوا بالشجاعة والإقدام والتزاهة والصدق والإخلاص والكفاءة والخبرة العسكرية بشكلٍ نسبي.

إلا أنه بعد ظهور الفصائل الراديكالية أصبح الجيش الحر هدفاً للتصفية والاستيلاء على مقاربه وأسلحته واستئصاله من الساحة، بذرية التكفير والردة، وقد بقي محافظاً على وجوده كفصيل، لكن ليس بقوته كما كان في بداية العمل والتشكيل، وقد أسيء لهذا الفصيل بما انضم إليه من شخصيات فاسدة بسلوكها وسمعتها وبعض عناصرها الذين لا يملكون من التربية والعلم والأخلاق ما يرقى إلى مستوى ثورته المباركة العظيمة.

٢- لواء التوحيد:



وهو أول فصيل ظهر في الشمال السوري المحرر عام ٢٠١١ م، بقيادة القائد الثوري عبد القادر الصالح (حجي مارع) رحمه الله، الذي اغتالته يد الإجرام الأسدية عام ٢٠١٣ م، حيث ضم غالبية الكتائب الثورية في حلب وريفها آنذاك، وقد اتخذ من مدينة تل رفعت ببلدة مارع مقراً لقيادة، ثم ظهر بعده بأشهر قليلة لواء الفتح، وعاصفة الشمال، وكتائب الصفوة في نفس المنطقة، ثم كانت هناك رؤية لتوحيد الفصائل المقاتلة تحت جبهة واحدة هي: (الجبهة الإسلامية).



كان لواء التوحيد أحد تشكيلاتها في الشهر الحادي عشر من عام ٢٠١٣م، ثمّ ما لبثت طويلاً حتى انسحب منها أغلب الفصائل المكونة لها لتشكل كتلةً عسكريّةً جديدةً تحت مسمّى (الجبهة الشامية).



٣- نور الدين الزنكي:

تمّ تأسيسه في ريف حلب الغربي (قرى عنجرة وكفرناها)، في الرابع الأخير من عام الثورة ٢٠١١م، مع انطلاقه العمل العسكري ضدّ النظام المجرم بقيادة القائد الثوري توفيق شهاب الدين الذي اتخذ من منطقة قبتان الجبل وعنجرة مقرًا رئيسيًا له، تحت مسمّى: (كتيبة نور الدين الزنكي)، ولعلّ العامل الجغرافي لعب دوراً كبيراً في تمويض الفصيل في ذاك المكان، ثمّ توسيع التشكيل بعناصره وجغرافيته وكتلته العسكريّة والعدديّة من أبناء المنطقة، فأصبح تحت مسمّى: (كتائب نور الدين الزنكي)، ثمّ بعد مشاركته الفعالة في قتال داعش عام ٢٠١٤م، مع بقية فصائل المنطقة تحول إلى: (حركة نور الدين الزنكي)، وعمل في إدارة المنطقة بكلّ ما تحتاجه في مجالات الحياة المدنيّة وخصوصاً التعليميّة والصحيّة والقضائيّة، وقد تميّز بتنظيمه وحسن إدارته للمنطقة التي سيطر عليها لسنوات، إضافةً لخوضه معظم معارك التحرير في الشمال السوري بشكلٍ عامٍ ومنطقة حلب بشكلٍ خاص.



ولعلّ من أهمّ معاركه بالتنسيق مع بقية الفصائل: تحرير معبر باب الهوى الاستراتيجي، وتحرير مدينة الأتارب، ومعارك حي صلاح الدين، والشيخ سعيد، وتحرير ثكنة البحوث العلمية، ومعبر المنصورة، إضافةً لمشاركته في معارك درع الفرات وغصن الزيتون مع بقية الفصائل الأخرى.

كان يميل لفكرة التوحد والاندماج لتوحيد فصائل الساحة كما فعل مع جيش المجاهدين والجبهة الشامية وهيئات تحرير الشام التي لم يستمر التوحد طويلاً بينهم وانتهى بإنهائه عسكرياً والاستيلاء على مناطق نفوذه بعد انفصاله عنهم ثم انحيازه إلى مناطق غصن الزيتون وانضمماه إلى الجهة الوطنية للتحرير.

٤- تجمّع فاستقم كما أمرت:



تأسّس هذا التجمّع عام ٢٠١٩/١٢/٢٠، من عدّة كتائب وألوية في مدينة حلب مكان عملها الأساسي منها: (لواء درع الأمة، لواء درع الشهباء، لواء درع الوطن، كتائب ذو النورين، لواء حلب المدينة، لواء الإسلام، لواء حلب الشهباء، تجمّع كتائب السلام، لواء أنصار محمد)، وقد كان لهذا التجمّع جهود كبيرة في قتال تنظيم داعش والنظام الأسدى المجرم وميليشياته الطائفية.

٥- جيش المجاهدين:



كان عبارةً عن تجمّع لبعض الكتائب والألوية المقاتلة في ريف حلب منها: (لواء الأنصار، وحركة نور الإسلامية، وأنصار الخلافة، وجند الحرمين).



٦- فيلق الشام:



تم تأسيسه بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠ م بقيادة نخبة من الشخصيات والقامات العلمية وأصحاب الفكر المعتمد من ذوي الأدب والأخلاق الحميدة والبذل والتضحية، كان

تأسيسه نتيجةً لعدة ألوية وكتائب عاملة في الساحة السورية مثل: (هيئة حماية المدنيين، وألوية دروع الثورة التي كانت مواكبةً للثورة السورية منذ بدايتها)، وقد اتخد من منطقة كفرناها في ريف حلب الغربي مقرًا رئيسياً لقيادته، تميّز فيلق الشام بتخصصه العسكري في الجهات والمعارك، وبعلاقاته الطيبة الواسعة مع إخوانهم من بقية الفصائل بما يخصّ مصلحة الساحة وبما يخدم القضية السورية بكل جوانبها، عُرف بفكرة المعتمد الجامع بعيداً عن التشدد والتمييع والإفراط والتفريط، وعدم التدخل في حياة المدنيين وترك العمل المدني لأصحابه من أهل الاختصاص والعلم والمعرفة.

لم يدخل فيلق الشام بدعم إخوانه في بقية الفصائل بما يحتاجونه من مالٍ وسلاحٍ وخصوصاً في المعارك، وكما حافظ على العلاقة الأخوية الطيبة مع إخوانه من الفصائل، كما حافظ على علاقاته الدولية مع دول الجوار والدول الداعمة للشعب السوري بعيداً عن الإملاءات التي تسبّب ضرراً للثورة وأهلها. وقد توّسّع انتشاره على كامل المنطقة المحررة في الشمال السوري (ريف حلب، وإدلب وريفيها، وريف حماة وريف الساحل، ومناطق غصن الزيتون، ومناطق درع الفرات)، لتحقيق أهداف الثورة في تحرير الأرض والإنسان. شارك في معظم المعارك ضدّ النظام الأسديّ المجرم منذ تشكيله بدءاً من تحرير مدينة مورك، وخان شيخون، وريف حماة، وريف اللاذقية، ومدينة إدلب، وتحرير حلب وفك الحصار عنها، إضافةً لقتالهم الدواعش في الشمال السوري لتحرير مناطق درع الفرات، وقتالهم الحزب الإرهابي الانفصالي Bkk لتحرير مناطق غصن الزيتون.



٧- الفصائل العسكرية التركمانية:

حيث تم تشكيل عدّة فصائل تركمانية مع بداية تشكيل الفصائل المقاتلة من عام الثورة الأول ٢٠١١ م، وهي:

أ- لواء السلطان محمد الفاتح:

بقيادة اللواء محمود سليمان ثم استلم قيادته ابنه من بعده دوغان سليمان، كانت مقراته في أحياe حلب مثل الـ هـلـكـ والمدينة الصناعية ثم انتقل إلى ريف حلب الشمالي، وهو من ضمن التشكيلات العسكرية للجيش الوطني في الفيلق الأول.

ب- الفرقة الأولى:

وهو تجمّع لعدّة فصائل تركمانية في حلب وريفها منها: (لواء السلطان مراد، ولواء أحفاد الفاتحين، ولواء السلاجقة، ولواء المنتصر بالله).

شاركت في جميع معارك حلب ضدّ النظام المجرم، ثم قاتلت ضدّ داعش مع بقية الفصائل الأخرى، كما قاتلت ضدّ الفصائل الانفصالية الإرهابية التابعة لمنظمة bkk التابعة لحزب العمال الكردستاني.

ت- لواء المنتصر بالله:

بقيادة اللواء فراس باشا، حيث كانت مقراته في الإنذارات بحلب، والشيخ فارس، ثم انتقلت مقراته إلى ريف حلب الشمالي، ثم انضم للفيلق الأول ضمن الجيش الوطني.

ث- لواء الحمزات:

بقيادة سيف بولاد، تشكّل في الـ رـيفـ الشـمـالـيـ لـمحـارـبةـ دـاعـشـ، انضم اللواء إلى الفيلق الثاني في الجيش الوطني .





جـ- فرقة السلطان مراد:

قيادة العقيد أحمد عثمان في بداية ٢٠١٣م، في الريف الشمالي من حلب، ثم انتقل اللواء إلى جهات حلب في بستان الباشا، وكانت مقراته في الـلـك وستان الباشا.



و في أثناء حصار حلب انتقلت مقرات الفرقة إلى الريف الغربي، ثم إلى الريف الشمالي، كان قتال داعش من أهم معاركه في مناطق درع الفرات وغصن الزيتون، ثم استلم قيادة الفرقة الثائر فهيم عيسى بعد استلام العقيد أحمد عثمان للملف السياسي في الفرقة والممثل عنهم في الهيئة العليا للمفاوضات والائتلاف.

شاركت الفرقة في جميع معارك حلب المدينة والريف، كما شاركت في معارك الريف الجنوبي ضد النظام، ويشهد له أنه في يوم واحد تم تدمير ١٧ آليةً عسكريةً للنظام بصواريخ التاو. وشاركت الفرقة في تحرير مدينة جسر الشعور والعديد من المعارك في ريف حلب الغربي وإدلب. تنتشر مقرات فرقة السلطان مراد في بلدة حوار كلس من الريف الشمالي وعفرين، ورأس العين، والراغي، والغندورة. تتبع الفرقة للفيلق الثاني بالجيش الوطني بقيادة العميد أحمد عثمان.

٨- حركة أحرار الشام الإسلامية:



تم تأسيسها بدايةً ككتائب أحرار الشام في الشهر السابع من عام الثورة ٢٠١١م، ثم كان اندماج أربعة جماعات هي: (جماعة الطليعة الإسلامية، وحركة الفجر الإسلامية، وكتائب الإيمان، بالإضافة إلى كتائب أحرار الشام)، ليتم إعلانها كحركة أحرار الشام الإسلامية بتاريخ ٣١/١/٢٠١٣م، بقيادة القائد الثوري حسان عبود رحمه الله.



الذي تمّ اغتياله ومعه رفاقه القادة (الـ٤٥)، بتفجيرٍ غامضٍ مجهولٍ لم تُعرف طبيعته في بلدة رام حمدان بريف إدلب بتاريخ ٢٠١٤/٩/٩، كانت الحركة تعتمد في معظم قيادتها على أصحاب الفكر السلفي الجهادي بدأً من ذلك، ثمّ كان لهم مراجعاتٌ منهجيةٌ ضمن واقع الثورة ليصبح في الحركة توجهاتٌ فكريةٌ متعدّدة، كان لها انعكاساتها السلبية على مستقبل الحركة، وقد اتخذت الحركة من معبر باب الهوى مقراً رئيسياً لها، كما كان للحركة الانتشار العسكري الأوسع في كامل الأراضي المحررة من الشمال والجنوب السوري، وكما يُحسب لها تحرير محافظة الرقة بكماليها كأول محافظة يتم تحريرها كاملاً في الثورة السورية، وقد امتازت بعلاقتها المرحلية مع تركيا بينما حافظت على علاقتها الاستراتيجية مع قطر التي كانت أساس الدعم المتنوع لها.



٩- الجبهة الإسلامية الكردية:
بقيادة القائد الثوري أبو عبدالله الكردي الذي انضم إلى حركة أحرار الشام
عام ٢٠١٥ م.



١٠- أحرار الشرقية:
حيث تم تأسيسها في شهر تشرين الثاني عام ٢٠١٦ م،
بقيادة أبو همام الديري، ولاحقاً تم تكليف القائد الثوري
أحمد الهايس أبو حاتم شقرا قائداً عاماً لها. عُرف
فصيل أحرار الشرقية بشجاعة شبابه وشدة بأسهم في
المعارك، فقد شاركوا في أغلب معارك الشمال السوري كـ
درع الفرات بجميع مدنها وقراه، ومعركة غصن الزيتون



بمحورها الأخطر مركز الحزب الانفصالي الإرهابي Bkk بمنطقة راجو في عفرين. كما قد شاركوا في معارك نبع السلام بأعدادٍ ليست بالقليلة حتى تحريرها، وقد اتخذ الفصيل من بلدة الراعي مقراً رئيسياً لقيادته، ثمّ بعد ذلك تشكّلت عدة فصائل عسكريّةٍ من نفس المنطقة مثل جيش الشرقية وأبناء الشرقية.

١١- ألوية صقور الشام أو كتائب صقور الشام:



حيث تأسست في جبل الزاوية على يد القائد الثوري أحمد أبو عيسى الشيخ، وكان لها بصماتٌ كبيرةٌ جبارةٌ في قتال النظام الأسدي المجرم، وقد انضمت الألوية إلى حركة أحرار الشام في مرحلةٍ من مراحل الثورة وانتهت الأمر بها للانضواء تحت مظلة الجبهة الوطنية للتحرير.

١٢- الجبهة الشامية:



تأسست بتاريخ ٢٥/١٢/٢٠١٤م، بعد انفراط عقد الجبهة الإسلاميّة في حلب وانضمّ لها بمن بقي مع تجمّع لواء التوحيد، وجيش المجاهدين، وحركة نور الدين الزنكي، وتجمّع فاستقم كما أمرت، ولواء الصفوة، ولواء الحرية، كذلك لم تطل مدة بقائهم بهذا التشكيل إلا خمسة أشهر حتى بدأت الانسحابات منها ولم يبق فيها إلا لواء التوحيد وبعضٍ من أحرار الشام، ثمّ انضم إلى الجبهة الشامية ثوار الشام نتيجةً لتفاهماتٍ فكريّةٍ ومالية.

كان وجود الجبهة الشامية في مدينة حلب وأريافها الشمالية: (مارع اعزاز عندان حريتان حور كلس)، والغربيّة: (خان العسل كفرناها الأتارب)، وقد شاركت الجبهة الشامية في غرفة عمليات فتح حلب بتاريخ ٢٦/٤/٢٠١٥م لقتال النظام الأسدي وحلفائه المجرمين.



وفي غرفة عمليات مارع أواخر عام ٢٠١٥م لقتال تنظيم داعش، وقوات سوريا الديمقراطية ووحدة الحماية الكردية pd يپد الإرهابية، ونظام الأسد وميليشيات إيران الطائفية.

بقيت الجبهة الشامية محافظةً على تشكيلها بعد انسحاب الفصائل منها ليبقى لواء التوحيد الركن الرئيسي والنواة الأساسية فيها.

١٣- الغوطة الشرقية وفصائلها الرئيسية :

تضم الغوطة الشرقية عدداً كبيراً من المدن والبلدات الواقعة في الجهة الشرقية من مدينة دمشق، يحدّها طريق مطار دمشق الدولي جنوباً وأوتستراد حمص دمشق شملاً وتمتد شرقاً حتى منطقة القلمون، وتعتبر مدينة دوما عاصمة الغوطة الشرقية وكبّرى مدنها، وقد كانت الغوطة منخرطةً في الثورة السورية منذ أيامها الأولى.

ونظراً لموقعها الجغرافي الحساس وكثافتها السكانية فقد أولاها النظام المجرم أولويةً في قمع الاحتجاجات وتطويق المدن ومطاردة الناشطين. بدأ تحرير مدن الغوطة الشرقية في تشرين الأول ٢٠١٢م، واستمرت كتائب الثوار في ضرب التكتنات العسكرية وتحرير الأرياف، ولم ينته عام ٢٠١٢م حتى كانت الغوطة الشرقية من المليحة ودير العصافير جنوباً إلى دوما شمالاً، ومن جوبر وعربين وحرستا غرباً إلى العتبة ومدينة عدرا شرقاً محررة بالكامل وهي مساحة تزيد عن ١٠٠ كم^٢.

بدعم من حزب الله اللبناني وميليشيات شيعية تمكّن النظام المجرم من حصار الغوطة الشرقية في أيار ٢٠١٣م وهو الحصار الذي استمر حتى تهجير أهلها في ٢٠١٨م. بعد أن استعاد النظام بعض المناطق حوصل في مساحة جغرافية لا تزيد عن ٥٥ كم^٢ نحو نصف مليون إنسان في ظروف قاسية حيث منع النظام المجرم إدخال أبسط أنواع الغذاء والدواء إلى هذه المنطقة.



واستشهد المئات من الأطفال بسوء التغذية والجوع، والمئات من أصحاب الأمراض المزمنة والإصابات الخطيرة بقلة الدواء واستحالة العلاج. وقد استخدم النظام المجرم كلًّا أنواع الأسلحة فوق هؤلاء الآمنين طيلة خمس سنوات، بما فيها الأسلحة الكيماوية، وفي ٢١/٨/٢٠١٣ م ارتقى نحو ١٦٠٠ شخص في زملكا وعين ترما بالسلاح الكيماوي.

كان العام ٢٠١٤ م هو الفترة الذهبية في الغوطة الشرقية حيث تشكلت القيادة العسكرية الموحدة في السابع والعشرين من آب ٢٠١٤ م من تحالف جيش الإسلام والاتحاد الإسلامي لأجناد الشام وفيلق الرحمن وحركة أحرار الشام الإسلامية وألوية الحبيب المصطفى، واختير الشيخ زهران علوش قائداً لها وأبو محمد الفاتح نائباً له، وخاضت القيادة الجديدة على الفور معركة تحرير الدخانية.

كذلك تشكّل المجلس القضائي في الغوطة الشرقية بإجماع فصائلها في الرابع والعشرين من حزيران ٢٠١٤ م برئاسة الشيخ عبد العزيز عيون أبي أحمد رحمة الله. وبعد استقالته وانسحاب جهة النصرة، اتفقت فصائل الغوطة في الثاني عشر من آب ٢٠١٤ م على استمرار المجلس القضائي برئاسة الشيخ خالد طفور أبي سليمان.

قام النظام المجرم وحليفة الروسي في ١٨ شباط ٢٠١٨ م بشنّ حملة عسكرية على الغوطة الشرقية، اعتمدت سياسة الأرض المحروقة، وانتهت بتهجير نحو ألف من الأهالي والثوار أواخر آذار بداية نيسان ٢٠١٨ م. أولى التشكيلات العسكرية في الغوطة الشرقية كانت كتيبة أبو عبيدة بن الجراح بقيادة العقيد أبو محمد الكردي، التي انتهت بعد هجوم قوات النظام عليها في منطقة الشيفونية في تشرين الثاني ٢٠١١ م، ثمّ خرجت معظم تشكيلات الغوطة من رحم هذه الكتيبة فيما بعد. وكانت أبرز المكونات العسكرية في الغوطة الشرقية:



١- جيش الإسلام:



تأسست «سرية الإسلام» بقيادة الشيخ زهران علوش رحمه الله أواخر عام ٢٠١٢م ثم لم يلبث أن تحول إلى مسمى «لواء الإسلام» ليخوض إلى جانب فصائل الغوطة الشرقية معارك تحرير مدينة دوما وعموم الغوطة الشرقية، وليعلن في أيلول ٢٠١٣م عن تحوله إلى «جيش الإسلام» بعد إعادة هيكلة قواته بنظام عسكري جديد. تنتهي قيادة جيش الإسلام إلى التيار السلفي، وكان قائدُه قد درس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة واكتسب علاقاتٍ مع تجار ومشايخ ورجال أعمال وشخصياتٍ ساهمت في دعمه فيما بعد في تأسيس جيش الإسلام. انتشرت مقراته العسكرية في الغوطة الشرقية بشكلٍ عامٍ بمدنهما وقرابها وخاصةً مدينة دوما.

وكان لجيش الإسلام البصمة الواضحة في قتال الخوارج (داعش)، الذين أرادوا حرف الثورة عن مسارها واحتراق صفوف الثوار والمجاهدين لاستئصالهم والقضاء عليهم.

من أشهر المعارك التي خاضها ضد النظام المجرم: (معركة فوج الكيميا)، (عدرا العمالية)، ومن أهمها معركة (الله غالب) وكانت معركةً كبيرةً في المحور الشمالي لدمشق، حيث تدخلت بعض الدول لإيقافها وخاصة التدخل الروسي المباشر، وكان صرح وزير الخارجية الروسي آنذاك سيرغي لافروف: (إنّ العاصمة دمشق كانت ستسقط خلال أسبوعين أو ثلاثة في يد الإرهابيين لو لا هذا التدخل). استشهد الشيخ زهران بتاريخ ٢٥-١٢-٢٠١٥م، ليخلفه القائد الثوري عصام البوياضاني أبو همام.



٢- الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام:

تأسس الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام أواخر تشرين الثاني ٢٠١٣ م بعد اندماج خمسة تجمعات عسكرية هي: الولية الحبيب المصطفى وكتائب شباب الهدى وتجمع أمجاد الإسلام ولواء درع العاصمة في الغوطة الشرقية، وكتائب الصحابة في درايا وجنوب دمشق، بقيادة الشيخ ياسر القادرى أبي محمد الفاتح، ليخوض مع بقية فصائل الغوطة أولى معاركه في محاولة كسر حصار الغوطة في معركة (الله أعلى وأجل) في المنطقة الشرقية. ومن أهم المعارك التي خاضها الاتحاد: (تحرير معمل تاميكو)، (نفحات بدر)، (لهيب داريا)، (لهيب الغوطة)..

تنتمي قيادة الاتحاد الإسلامي إلى المدرسة الشامية، وانتشرت مقراته في جوبر وعربين ودوما وسقبا وجسرين والمرج.

وفي ٣٠ تشرين الثاني ٢٠١٥ م أعلن أبو محمد الفاتح استقالته من قيادة الأجناد ليخلفه أبو العبد في القيادة، ثم ليندمج الاتحاد مع فيلق الرحمن في شباط ٢٠١٦ م.



٣- فيلق الرحمن:

نواته الأولى (كتيبة البراء) بقيادة الضابط المنشق عبد الناصر شمیر أبي النصر.

تأسس فيلق الرحمن في نهاية عام ٢٠١٣ م نتيجة اندماج لواء البراء ولواء أبي موسى الأشعري، ثم تتبع انضمام الفصائل له اعتباراً من أواخر ٢٠١٤ م وانهاءً باندماجه مع الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام في شباط ٢٠١٦ م.



كانت معارك الغوطة على أشدّها ولم تتوقف يوماً واحداً، ومحاولات الاقتحام دائمًا كانت من عدة محاور فكان التصدي والدفاع لكل مجاهدي الغوطة بدون استثناء ومعارك جوبر وعين ترما تشهد لأبطال فيلق الرحمن، كما كانت معركة القابون بالاشتراك مع بقية الفصائل.

وأهم المعارك التي خاضها فيلق الرحمن: (ولا تهنووا)، و(يا عباد الله اثبتو) في المنطقة الصناعية وكراجات القابون.

اتخذ فيلق الرحمن من القطاع الأوسط في الغوطة الشرقية مكاناً له مثل: (جسرين، سقبا، كفربطنا، حمورية، عربين، جوبر، حزة). ساهمت فصائل أخرى في معارك التحرير وكسر الحصار والدفاع عن الغوطة إلى جانب هذه الفصائل، من أبرزها على سبيل المثال: لواء شهداء دوما، ولواء أسود الله، وحركة أحرار الشام الإسلامية، ولواء أمهات المؤمنين في دير العصافير، ولواء سعد بن عبادة في المليحة، وجبهة النصرة، وجيش الأمة وفيلق عمر في منطقة المرج، وغيرها. وكذلك فقد تشكّل الكثير من الفصائل المقاتلة تحت اسم الجيش الحر نذكرها على سبيل المثال لا الحصر ك (جيش إدلب الحر، وجيش النخبة، والجيش الثاني، والفرقة ٢٣، والفرقة الساحلية الأولى، والفرقة الساحلية الثانية، والفرقة الأولى مشاة، ولواء الحرية، وجيش النصر، وتجمع دمشق، حيث توحّدت هذه الفصائل تحت مسمى: ((الجبهة الوطنية للتحرير))، وأُعلن عنها بتاريخ ٢٨ / ٥ / ٢٠١٨ م، ثم انضم إليها لاحقاً كلّ من فصيل صقور الشام، وحركة نور الدين الزنكي، وحركة أحرار الشام، وجيش الأحرار).



وما زالت تلك الفصائل حتى تاريخه تعمل تحت قيادة الجبهة الوطنية للتحرير متبنيةً لأهداف الثورة السورية في الدفاع عن الأرض والدين والعرض والقضاء على النظام المجرم وإسقاطه ومحاكمة رموزه، وتتلقي من الدعم ما جعلها من أكبر الفصائل العاملة، وقد أثبتت بصمتها في القتال، وأثبتت في قوات الأسد وحلفائه المحتلين، وهو ما جعلها رقمًا صعباً في الساحة السورية، وهذه الفصائل تتماثل في فكرها ومنهجها المعتمد وقراراتها من الشارع الذي يمثل الحاضنة الرئيسية لها.

بـ- الفصائل الإسلامية الراديكالية: وينضوي تحتها :

١- مشروع القاعدة: جبهة النصرة عام ٢٠١٢ م، وهؤلاء يتميزون بالتزامهم الديني، وبأسهم في المعارك، وثباتهم ورباطة جأشهم، إلا أن تشددهم الديني وارتباطهم بالقاعدة جعل منهم محطة أنظار العالم كله ليكونوا في دائرة الاستهداف والاستئصال مع من يقف معهم ويحمهم، وبالتالي كان الضرب المترتب على السوريين كبيراً لعدم مرؤنة جبهة النصرة في التعامل مع غيرها بدايةً، فضلاً عن نظرية الدول الكبرى إليها والتي ترصد لمشروعها وتصيد من أصحابها ... ثم تحولت إلى اسم (فتح الشام) معلنًاً انحسار عملها في أرض الشام (سوريا) وعدم قيامها بالأعمال القتالية خارج الحدود السورية وحصر قتالها ضمن الحدود السورية فقط بقتل النظام الأسد المجرم وكل من روسيا ومرتزقتها وإيران وميليشياتها الطائفية الذين تدخلوا في قتال الشعب السوري الحر في أرضه ... ثم تحولت في عام ٢٠١٦ م إلى اسم هيئة تحرير الشام بعد مراجعته منهجيةً للواقع الجديد نتج عنه (فك الارتباط بالقاعدة) لم تكن العلاقة بين هيئة تحرير الشام وبين بقية الفصائل المقاتلة مبنيةً على الثقة والتعاون بسبب اختلاف المنهجية والم مشروع والذي نتج عنه الاشتباكات الداخلية والتناحر البياني الذي زاد من ترهُّل الساحة وإضعاف صفوف المقاتلين ...



ثمّ بعد مراجعاتٍ حول الواقع والمستجدات المحلية والدولية وسيطرتها على الساحة وإدارتها كان لها تغييرٌ واضحٌ من المنهجية والتقارب مع المجتمع وأفراده بما يسهل عليهم الإدارة والبناء وبما يتوافق مع الثوابت الشرعية (ثوابت الثورة) ...

٢- حرس الدين وجند الأقصى : أيضًا كانوا يتميّزون بفكرهم المتشدد ونظرتهم القاتمة إلى فصائل الجيش الحر، ويطلقون فتاوى الاحتطاب التي تبيح قطع الطرق علىهم وانتزاع أسلحتهم وسياراتهم وكلَّ ما معهم كغنائم هم أولى بها منهم للدفاع عن الدين وإقامة الإمارة الإسلامية حسب زعمهم ...

وهنا لا بدّ من لفت النظر إلى التعامل الإعلامي الخبيث للنظام المجرم وتركيزه على أنه يقاتل تنظيم القاعدة متجاهلاً كلَّ الفصائل من الجيش الوطني الحر والضباط الذين انسقوا عنه لفساده وطغيانه، وبطشه وعدوانه واصفاً المقاتلين بالإرهاب أمام العالم، ليأخذ الشرعية الدولية في قتالهم كعصابة إرهابية مسلحة ...

٣- المهاجرون: ويمكن تقسيمهم إلى ثلاثة أصناف:

أ- صنفٍ جاء بصدقه وإخلاصه للدفاع عن أهل الشام، ورفع الظلم وردع الظالمين عنهم، ورغبةً منه بفضل بلاد الشام المباركة والشهادة فيها، فكان منهم الانغماسيون والاستشهاديون والمرابطون على التغور في الجهات (كالتركستان).

ب- صنفٍ عُرف بفكرة المتشدد وغلوته في الدين ونظرته الاستعلائية والفوقيّة على غيره، فكان أغلبُهم شرعيين وأمراءٍ وقادّةً وأمنيين، فرضوا فكرهم وأجندتهم في أماكن نفوذهم، وأخذوا الناس بالغيبة، فازداد الوضع سوءاً، وزاد التململُ في الشارع، وكثُر التكفير والتفسيق والاتهام بالردة، وزادت الاغتيالاتُ في صفوف القاداتِ والدعاةِ وأصحابِ الفكرِ، ودخلت البلد في أتون تصفياتٍ لا يعرفُ المقتولُ فيما قُتلَ.



وهذا ما دفع طائفةً كبيرةً من الدعاة والقادات والمجاهدين إلى ترك الجماد والخلاص بنفسه من قبضة هؤلاء، وهنا استحكم هذا الفكر الغالي في مناطق نفوذهم مع استغلالهم للشباب الحالي الوفاض من الرصيد العلمي والثقافي والأمني بالعواطف ورفع الشعارات الجهادية التي تناسُّهم في هذه المرحلة.

ج - صنف متخفٍ بباس الدين والدفاع عنه، لكنه في الحقيقة كان من صناعة ((المخابرات العالمية)), ومهماًته حرفٌ بوصلة الثورة عن مسارها الصحيح ووسمها بالإرهاب من خلال اختراقها والوصول إلى صناعة القرار فيها، وقد أطلقت على نفسها اسم: تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، التي كان لها الأثر السلبي على الثورة والثوار وسيأتي الحديث عنهم في بحثٍ مستقل .

القسم الثاني : المدنيون :

أ- الشعب السوري الحر ونخبه الذي عاش طوال أربعة عقود على منظومة حزب البعث العلماني الفاجر، القاتل الماكر الغادر ونبيج الفساد والإفساد والطغيان، واستمراً الذل والهوان، ولم يكن مهياً لهكذا أحداثٍ كبيرة، ولذلك اختلف الناس في تعاملهم وتعاطفهم مع الثورة، بين مؤيدٍ لها ومدافعان عنها (وهم أغلبية) وبين معارضٍ لها ومنتقدٍ لداعمها وراعيها (وهم أقلية)، وبين فريق ثالثٍ لا ناقة له فيها ولا جمل، ولا هم له إلا الحفاظ على نفسه وأهله والعيش وحده على المبدأ الذي يقول: (من يأخذ أمي أنا ذي عمي).

وممّا لا شك فيه بأنّ نجاح أيّة حكومةٍ يحتاج إلى وجهين للتعامل يعملاً بالتواريزي جنباً إلى جنب:

- عسكري: وهو الذي يتولى إدارة المعارك الميدانية وتحرير الأرضي وبسط السيطرة والنفوذ، (وقد تقدم الكلام عنه)

- سياسي: وهو الذي يتولى إدارة المناطق المحررة في الداخل والعلاقات العامة الخارجية في الدول المجاورة والعالم بما يضمن الشرعية وحقوق الشعب ويلبي طموحاته وتحقيق مصالحه .



بـ- الأكراد: الذين يسكنون المناطق الشمالية والشرقية من سوريا، وهم ممّن عانى الويلاط من النظام الأسدي المجرم، وقد انضم إلى الثورة بدايةً ليحصل على حرّيّته واستقلاله، وكان الشعب الكردي كما غيره على أكثر من توجّهٍ فكريٍّ وسياسيٍّ، ولكن الطابع العنصري القوي هو السائد لديهم والطاغي على تعاملاتهم وعلاقتهم وتوجهاتهم مع بقية الفئات السوريّة.... كما كان المتحكّم بأمورهم هي الأحزاب السياسيّة الانفصالية المعروفة بحقدّها وعداوةّها للعرب، بقيادة حزب وحدات الحماية الكردي ال (BYD)، الجناح العسكري لحزب الاتحاد الديمقراطي الموالي لحزب العمال الكردستاني (Bkk) الذي يتزعّمه عبد الله أوجلان، وهذا الحزبان شوّهَا الصورة الحقيقية للأكراد بما قاموا به من أعمال عنفي إرهابي ضدّ الشعوبين السوري والتركي، ولتعاملهما العلني الواضح مع النظام السوري المجرم.

ومن الجدير بالذكر أنّ الأمر المشترك بين الأكراد جميعاً هو سعيّهم الحثيث وال دائم للاستقلال بالدولة الكردية وانفصالها عن وحدة الدولة السورية، وهو أحد العوامل التي جعلت من الدول الاستعمارية المستبدّة تستخدّمهم كأداة لتحقيق أجنداتها الخاصة

جـ- النظام الأسدي المجرم: وهو أسوأ المشكلات كلّها حيث أدخل الشعب السوري في نفقٍ مظلمٍ من الظلم والاستبداد والإجرام، وقد حكم البلد بالحديد والنار حتى تحكّم واستحکم، وكان جاهزاً للتعامل مع كلّ ما يمكن أن يحدث من معارضته لحكمه ونظامه بالأساليب السياسيّة والعسكريّة والأمنيّة المخابراتية، والاستفادة من جميع الخبرات الدوليّة التي تخدمه بهذا الخصوص ولو على حساب أرضه وعرضه وشعبه، وبذلك استطاع النظام المجرم بأجهزته القمعيّة والأمنيّة والعسكريّة اختراق المناطق المحررة بمفاصلها العسكريّة والسياسيّة والأمنيّة والإداريّة وغيرها بما زرعه من عناصر وضباط وأمراء وشروعين يضعونه وينقلون له صورة الواقع أولاً بأول.



وخاصَّةً ما يتعلَّق بالعمليات العسكريَّة التي كانت كثيُّراً ما تصلُّ إلى النَّظام قبلَ أن تصلَّ إلى عناصرِ المجاهدين، فضلاً عن الدَّهاء الإلَاعامي الذي اتبَعَه بكلِّ مجالاتهِ المركبة والمسموعة ووسائلِ التَّواصل الاجتماعي كافَّةً بجيشه الالكتروني وقلبه للحقائقِ وتزييفِ الواقعِ وتلفيقِ الأحداثِ، في محاولةٍ لتقديمِ صورةٍ أمامَ العالم بأنَّه صاحبُ الحقِّ المنتصر، وخصوصاً ما حدث أخيراً في سيطرته على أحياَءٍ من ريفِ حلب، حيثُ أعلَنَ الانتصاراتِ العارمة والتبريكَاتِ العظيمَة والاحتفالاتِ الواسعةَ علمًاً أنه في حينها لم يسيطرَ على أكثرَ من ٢٥٪ منها... .

وهكذا كان يستغلُ النَّظامُ المجرُّ حادثَةً عهدَ المعارضَةِ وقلَّةَ خبرتها السياسيَّة ليُجَيِّرَ ذلكَ ضَدَّها، ويُظْهِرَها إرهابيَّةً معتمدةً عليهِ أمَّامَ عالَمٍ ظالِّمٍ متخاذلٍ متواطئٍ معه، كعميلٍ يقدمُ لهم كلَّ ما يحتاجونه مقابلَ الحفاظِ على كرسِيهِ ولو أُبَيَّدَ كُلُّ شعبِه وتهَدَّمتَ مدنُهُ ودُمِّرتَ محافظاتُ بلدهِ واحتلَّها الروس والإيرانيون وقوى الاستكبار العالميَّة .



المبحث الرابع

نظرةً عامةً على العالم العربي والإسلامي

مما لا شك فيه ولا ريب أنَ الواقع المريء الصعب الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية لم يأت من فراغٍ محضٍ أو بلا أسبابٍ داعيةٍ أوقعهم فيه وألجمتهم إليه، ولم تكن هذه الأسبابُ وتلك التداعياتُ بالسهلةِ ولا بالبساطةِ عندما ألت بأثقالها على الواقع العربي والإسلامي فأحالته كالجسد المشلول لا يقدر على عملٍ ولا يقوى على حراك.

إنه الواقع المؤلم الذي استحكم في بلدنا من الشام المباركة (سورية)، وحلَّ في مضارينا، وتربيَّ على موائدنا، ويبدو أنَّه باقٍ حتى يقضي على آمالنا ونحن في غفلةٍ مما يدورُ حولنا من مخططاتٍ، وما يُحالك علينا من مؤامراتٍ ستودي بنا إلى التهلكة وسوء المال إن لم نستدرك أمورنا ونستنهض هممَنا قبلَ فواتِ الأوان.

لقد مضى عهدُ المجاملاتِ ولا ينبغي التعاملُ فيه بعدَ اليوم، فالخطُرُ داهمٌ والمستقبلُ خطيرٌ والعدو متَّکالبُ وجسدُ الأمةِ أضحى مشلولاً طريحة الفراش، فلا هو ميَّتُ فيرتاحُ، ولا هو حيٌّ يقوى على تحملِ آلامِ الموتِ وسُكْراتِه. هكذا غدا واقِعُنا للأسفِ، فنحن عن إنقاذه متقاعسون، وعن نصرته معرضون، غرقنا في شهوات دنيانا فَدَفَنَا أنفسنا ونحن أحيا، وابتعدنا عن عزة ديننا فأمسينا بين الأمم أذلاء، لا يُسمع لنا كلامٌ ولا يُحترم لنا مقامٌ ولا حولٌ ولا قوَّةٌ إِلا باللهِ.

فهَا هي مصرُ أمُّ الدنيا التي يُنظرُ إليها على أنَّها المرجُ الرشيدُ والسندُ العتيid، صاحبةُ الْبَاسِ الشديد والمجد التلييد والقوَّة التي يمكنُ الاعتمادُ عليها أمام أيِّ خطِّ داهم، والرجوعُ إليها عندَ أيِّ اختلافٍ قاًصِم.



لكنهااليوم وبعد أن تسلّط علىها الفراعنة الجُددُ، واستحکم في حکمتها الطفأة والجبارة ارتمت في أحضان المشاريع الصفویة والصهیونیة والغربیة والأمریکیة، فغزا شبابها الانحلال الأخلاقي، ودمّر كيانها الاتهیار الاقتصادي، وأمات هیبتها الفساد السياسي، فتحوّلت خنجرًا مسمومًا في خاصرة الأمة العربية والإسلامية.

وأمّا الجزیرة العربیة أرض الرسالۃ ومهد النبوة، ومنبع العلم ومنبت الأخلاق، ومنارة الفكر والتوجیه والإرشاد، فضلاً عن الثروات والخيرات والبرکات التي منَ اللهُ علی أهلها تفضلاً منه وتکرّماً، فقد باتت اليوم رهینة للمطامع الغربیة والأمریکیة والصهیونیة والمشاریع الشیعیة التي أطبقت الحصار علیها من كل جانب،

وزرعت بداخلها الأرذل من الأقارب والأجانب، وأبعدت عنها كلَّ من يُمکن أن يقدّم لها أو يؤازرها أو يساندھا، فھي إلى عزلةٍ كاملةٍ تتقطّع فيها الأنفاس ل تستکین وتستسلم للأمر الواقع المھین، تمھیداً لعودۃ أبي الطاهر القرمطي ومشروعه القمیء ولا حول ولا قوۃ إلا بالله العظیم.

وأمّا بغداد الرشید عاصمة الخلافة الإسلامیة ومركز حضارتها المشرق، ذلك البلد الأشمُ الذي وقفَ أمامَ المد الإیرانی الشیعی ردحاً من الزمِن لما كان يملک من إدرالٍ لخطرهم وخُبئِرِهم، قد تُركَ وحده في المواجهة الكبرى أمام القوى المجرمة لتهالَ علیه الخناجر المسمومة من كل حدٍ وصوبٍ، حتى أحوالته رکاماً وأنقاضاً هاویةً وشوارع خاویةً، وغدت بغدادُ من غير سکانٍ، وبقيت جرحًا ينزفُ من غير دواءٍ، وبذلك تحوّلت إلى مستعمرة إیرانیة بامتیازٍ بعد ما صار أهلها بین قتیلٍ وجريحٍ أو مطاردٍ ومهجرٍ في بلاد اللجوء لا يملک حولاً ولا قوۃً.



وَمَا الْيَمْنُ السَّعِيدُ كَمَا كَانُوا يَسْمُونُهُ، فَلَمْ يَبْقُ سَعِيدًا كَمَا كَانَ، فَقَدْ أَصْبَحَ مُنْكُوبًا بَعْدَ أَنْ مَزَّقَتْهُ الْحَرَوْبُ، وَنَهَشَتْهُ ذَئَابُهَا فَاسْتَحْكَمَتْ فِي مَقْدَرَاتِهِ وَأَهْلَكَتْ سَكَانَهُ، وَدَمَرَتْ بَيْوَتَهُ، وَشَرَدَتْ أَهْلَهُ، وَأَجْلَبَتْ عَلَيْهِ إِيرَانُ بَعْلَامَهَا وَوَكْلَاهَا وَمَا زَالَ يَئْنُ بَيْنَ خَنَاجِرِ الْأَعْدَاءِ وَطَعْنَاتِهِمْ حَتَّى يَقْضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.

وأمّا لبنانُ الأسير فقد وقع أسيراً في شباك ما يُسمّى حزب الله الشيطاني وأصبح رهينَ خيانته بعدهما أحکم قبضته عليه، وغرّ مخالبه في جسده، فزاده تفرقاً وتشتتاً وضعفاً وإنهاكا، ويکفي فيه أن تقول: إنَّ الطوائف اللبنانيَّة المختلفة والمترفقة لم تستطع أن تتفقَ على حكومةٍ تديرُ أمورَ البلدِ الذي لا تزيدُ مساحتُه على عشرة آلافِ كيلومتر مربعٍ، بل لقد أصبحَ معروفاً أمامَ الجميع بأنَّ لبنانَ هو البلدُ الذي يمكنُ أن يبقى لسنواتٍ دون رئيسٍ يحكُمه لتعذرُ الاتفاقِ بين تلك الطوائفِ التي باتت كلُّها رهينةً لمشاريعٍ خارجيةٍ ظالمة.

وأمّا سورياً الجريحةُ المكلومةُ فهي التي اجتمعَ عليها كلُّ ذئبٍ العالمِ وتکالبْ على خيراتها رؤوسُ الكفر وطواقيتُ الضلال ليتقاسمواً ولغيروا معالمها ولি�شوهوا تاريخها، فيفرضوا مشاريعهم الطائفية ومخططاتهم العنصرية، حتى غدت سورياً من غير سوريين، وأُسْكِنَ فيها من ليس منها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأمام بقية الدول العربية والإسلامية فليست بأحسن حالاً من أخواتها، فالأنظار الخبيثة تتوزع بين فرائسها لتضمن نجاح مسيرتها في السيطرة على ذاك العملاق المسلم والتمكّن منه بالأساليب الناعمة حيناً من خلال إلهائه وإغواهه وإغرائه وإغراقه في مستنقع الرذيلة والشهوات، وبالأساليب الخشنة حيناً آخر من خلال الجسم العسكري الذي يقضي على آماله وأحلامه وطموحاته في الخلاص من التبعية والخضوع.



ومن الجدير ذكره أنه لم يختلف الواقع العربي والإسلامي بحالاته المأساوية عن الواقع الداخلي لكل دولة من تلك الدول بما تعانيه من تعدد في فصائلها وتشتذب في صفوفها وفرقة بين أبنائها وتسلط بعضها على بعض بغياً وعدواً حتى أصبحوا أعداءً متناحرين، وعلى حِزبِ الزعامة والرياسة متنازعين، فهم بحاجةٍ لمن يصلح بينهم لأنهم فقدوا الثقةَ بأنفسِهم.

فمتى سنعودُ لرشدِنا ونتحملُ مسؤولياتنا؟

وهل سنصحو من سباتِنا ونعي ما يدورُ حولنا؟

أم سنبقى غافلينَ فنكونُ من طبع الله على قلوبِهم، فأصمّهم و أعمى أبصارهم !!!



المبحث الخامس

على رقعة الشطرنج

غالباً ما يكون اللاعبون على رقعة الشطرنج متكافئين في مباراةٍ تحتمل الربح والخسارة، يملّك كلُّ منهم خططاً للعب ومقومات النجاح ليضمنَ تفوّقهُ وكسبهُ لجولاتِ الفوز بأفضل النتائج وأقلِ الخسائرِ وأقصرِ الأوقاتِ، ويكون بذلك قد حقّقَ أعلى درجاتِ الفوز والانتصارِ.

وأما الحال في الثورة السورية فقد انعدم التكافؤُ فيها بين الطرفين، حيث نلاحظ طرفاً قويّاً متمثلاً بالقوى العالميّة العظمى التي تمتلك السلاح بكل أنواعه وأصنافه، فضلاً عن عقيدةٍ منحرفةٍ تشدُّها وتدفعُها لاستئصال شأفةٍ خصمهم والإجهاز عليه دون رحمةٍ أو رأفة، بمقابل طرفٍ ضعيفٍ من فصائل لا تمتلك أدنى مقوماتِ القوّة والدعم إلّا ما يأتيمها على استحياءٍ وخجلٍ من دولٍ تخشى من ظهورها وانكشاف أمرها.

الحلفاءُ الخصومُ أولئك الذين تکالبوا على الثورة السورية، فكانوا أعداءَها المباشرين على الرغم من اختلافاتهم البينية حسبَ المصالحِ والأهدافِ والخلفياتِ الخاصة بكلِّ دولٍ منهم، لكنَّهم اجتمعوا على قتل الشعب السوريّ المسلم ونهب ثرواته والتحكم في شؤونه ومستقبله لضمان استدرالٍ خطره المستقبلي عليهم، وهذا ما جعل الثورة السورية وأهلها فريسةً تکالبت عليهم ذئابُ العالم وضباعُه بانياً لهم اللئيمة، ومخالِفهم القاتلة، واستحکمت فيها حتى أحالتها جثةً هامدةً لا تقدُّر على حراك ولا تقوى على نزال.

تكلّمَ كثيرون من المفكّرين عن الثورة السورية وتقديرِ معاركها والحروبِ الطاحنةِ فيها، وكثرةُ الأعداءِ المتكالبين عليها والمترّصين بها، وطبيعةِ تدخلهم والاستماتةِ في القتال والإجرام بأهلها، علمًاً أنَّ الخلافاتِ الداخلية والاستراتيجيّة فيما بينهم كانت في أعلى درجاتها وأوج قيمتها، فما الذي جمعهم الآن؟



هل هي المصالح المشتركة فيما بينهم؟ أم إنها الحربُ الصليبيةُ التي بدأت منذ مئات السنين وما زالت تُتابعُ فصولها كلما دعت الحاجةُ لذلك، أو كلما بزغَ المُلْكُ الإسلاميُّ المناهضُ لها؟ إنَّ المراقبَ ل الواقعِ السوريِ والمُتتبعَ له ليُرى بكلِّ وضوحٍ أنَّ كافَةَ القوى التي اجتمعت وتكلَّبت على الثورةِ السوريةِ اجتمعَت على أساسِ المصالحِ المشتركةِ بما فيها الحروبُ الدينيةُ (الصليبية) في الوقتِ نفسهِ، ولو تلبَّست بزيِّ الإرهابِ تارةً وبلباسِ الأمانِ القوميِ تارةً أخرى وغیرها من المصطلحاتِ الزائفةِ التي باتت واضحةً أمامِ الصغيرِ والكبيرِ.

فلقد كانت بدايةً الحملاتِ الاستعماريَّةِ رغبةً في الهيمنةِ على ثرواتِ البلادِ وخيراتها، وطمعاً في الاستغلالِ الاقتصاديِّ للدولِ الضعيفةِ التي باتت اليومَ مختصرةً في الأمةِ الإسلاميَّةِ،

وهذا واضحٌ من استهدافها في مشاريعِها التنمويَّةِ ومخططاتها الحضاريَّةِ التي يمكن أن ترقى بها إلى مصافِ الدولِ المتقدمةِ فيما لو مُكِنَتْ (باكستانُ والعراقُ مثلاً)، لتعتمدَ إلى ضررِها وتُضيقَ على مشاريعِها ومؤسساتها وكلِّ أنشطتها ما لم تخضع لقيادتها وتعمل تحت إشرافِها، في الوقتِ الذي تتفاوتُ فيه عن أخطارِ الأسلحةِ النوويَّةِ في إيرانَ الرافضيَّةِ وكوريا الشيوعيَّةِ والهندُ الهندوسيةُ وإسرائيلُ اليهوديَّةِ الذي يهدُدُ العالمَ بأكملِهِ، فضلاً عنآلافِ الجمعياتِ والمنظَّماتِ التبشيريَّةِ للمهودِ والنصارى والهندوسِ والروافضِ والمجوسِ في أنحاءِ العالمِ.

من الأسئلةِ الملحةِ التي ينبغي الإجابةُ عنها والوقوفُ عندها، أَنَّنا لا نرى أيَّ حربٍ استعماريَّةٍ ضدَّ البلادِ التي تمتلكُ مقوماتِ التهديدِ والتدميرِ إلا مجرَّدَ كلامٍ إعلاميٍّ بعيدٍ عن معاني التطبيقِ أو التضييقِ، فيما لم نجدُ إلا المسلمينَ مستهدفينَ وحدهمَ وهم عرضةٌ للتصفيَّةِ الممنهجَةِ تحتَ حججِ الإرهابِ وذرائعِ التطرفِ.



نعم إنه النصُ القرآنيُ الذي أخبرنا به الخالقُ سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوْكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوْا﴾ (البقرة: ١٢٧). وفي قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضِيَ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَسْتَعِيْ مَلَكَتُهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠). إنها حربُ المطامعِ والمصالحِ. إنها حربُ السيطرةِ على التُّرُوّاتِ والمقدّراتِ.

إنها الحربُ الصليبيةُ التي تهدفُ إلى ضربِ الإسلامِ والقضاءِ على المسلمينِ بذرائعٍ ناعمةٍ بعيدةٍ عن الاستفزازِ والتحريضِ أحياناً.

في الثورةِ السوريةِ نلاحظُ اجتماعَ الخصومِ الأقوياءِ رغبةً خلافاتهم الداخليَّةِ والاستراتيجيَّةِ مقابلَ طرفٍ ضعيفٍ مجرِّدٍ من عناصرِ القوةِ والدعمِ، وذلكَ لما وراءَهُ من مكاسبٍ وغنائمٍ وثرواتٍ ماديَّةٍ قد تجعلُ منه منافساً قوياً يهدّدُ وجودَهم ويقضي على مصالحِهم فيما لو تركَ ردحاً من الزمن فتمكَّنَ من بناءِ صرحٍ واستعادةَ قوتهِ وتشييدِ بنائهِ، فكانَ لا بدَّ من تنسيقِ جهودِ تلكِ الدولِ وتوحيدِ الرؤى وترتيبِ العملِ والتعاونِ فيما بينها من أجلِ القضاءِ على تلكِ الطموحاتِ والأحلامِ. وكانَ لا بدَّ من جعلِ ذلكَ أولويَّةً لا يمكنُ تجاهلُها أو التغافلُ عنها ولا الاستبطاءُ في تنفيذِها.

من خلال دراسةِ الثورةِ السوريةِ طيلةِ السنواتِ العشرِ الماضيةِ وما اعتبرتها من تحدياتٍ ومعوقاتٍ، ومقارنةً بثوراتِ الربيعِ العربيِ وما رافقَ تلكِ الثوراتِ من دعمٍ دوليٍّ وأمميٍّ سارعتُ في إنجاحها وإسقاطِ نظامِ الحكمِ المتسلطِ ولو مؤقتاً، لم تحظَ الثورةُ السوريةُ بشيءٍ من ذلكِ، بل بدا كثرةُ الخصومِ لها والعاملينِ على إسقاطِها وتميُّزِ عدمِ انتصارِها.

وكما لم يريدوا لها الانتصارَ لم يريدوا لها الانتهاءَ، هم يريدونها ضعيفةً يتيمةً ليحققَ كلُّ منهمَ أهدافَهُ ومصالحَهُ التي يدفعُ باتجاهِها ويسعى إلى تحقيقِها ولو على حسابِ هذا الشعبِ الطيبِ الكريمِ المكلومِ.



المبحث السادس

لماذا سورية؟

من خلال تتبّع ثورات الربيع العربي وما رافقها من تدخلاتٍ غربيّة وأوربيّة وأمميّة لصالح الثورات والقضاء على الحكام المستبدّين لشعوبهم وسرعة الخلاصِ منهم، حيثُ مهَّدَ نجاحُ تلك الثورات لانتقالها إلى بلدانٍ أخرى متزامناً ذلك بالأملِ الكبير في أحقيّة مطالبهم المشروعة، وشجّعهم على ذلك أكثر وقوفُ بعض الدول معهم لنيل حقوقهم وانتزاعِ عزتهم وكرامتهم، إلا في الثورة السوريّة؛ فقد كان الأمرُ مختلفاً تماماً، على عكس ما كان يأملُه الشعبُ وما كان يتوقّعه من دولٍ تدعمه وتقفُ معه، ممّن تدعّى الديمocrاطية وتتغّيّر حقوق الإنسان.

لتمضي سنواتٌ تتلوها سنواتٌ من الدمار والدماء والأشلاء دون اتخاذ قراراتٍ صارمةٍ ملزمةٍ إلا ما كان من شجبٍ أو إدانةٍ أو استنكارٍ خجولٍ لا يرقى لمستوى المسؤوليّة الأخلاقية والإنسانية.

بل كان الوقوفُ مع الظلم والظالم بكلٍّ صلفٍ ووقاحةٍ عليناً دون مواربةٍ حتى دُمِرتُ البلادُ وقتلَ مئاتُ الآلاف من العباد، وغُيّبَ في السجون مثلُهم وهُجّر الملايينُ من الشعب وحلَّ محلُّهم أراذلُ الناسِ من مرتبقة الشيعة الروافض ليتبَدَّل الوجهُ الحقيقُ للبلد بتغييرٍ ديموغرافيٍّ كبيرٍ خطيرٍ تحت مسمى (سورية المفيدة) لتضمَّ محافظاتٍ مهمَّةٍ تتميَّز بخصائص معينة.

سورية المفيدة: هي محافظاتُ اللاذقية، وطرطوسُ، وحمادة، وحمص وريفها، ودمشق وريفها، ودرعا، لماً لتلك المحافظاتِ من أهميّة استراتيجيةٍ واقتصاديّةٍ وسياحيّةٍ تمثَّل بما يلي:



- ١- وجود المنافذ البحرية: (مرفأ اللاذقية، وميناء بانياس، ومرفأ طرطوس)، ومما لها من أهمية استراتيجية مع دول الخارج وخاصةً روسيا وإيران.
- ٢- هذه المحافظات هي المناطق الأكثر حيويةً ونشاطاً عمرانياً واقتصادياً وتجارياً بالنسبة لغيرها.
- ٣- دمشق هي العاصمة التاريخية للعصر الأموي، ومكانها في التاريخ كبيرة وعريقة، وهي العاصمة السياسية التي تتوجه إليها دول العالم.
- ٤- الوجود النصيري والشيعي فيها والمراكز الحساسة التي تم إنشاؤها لخدمة المشاريع الطائفية وخصوصاً بعد الهجرة الكبيرة من ريف الساحل إلى تلك المدن والمحافظات.
- ٥- ضمان المشروع الشيعي الطائفي من خلال النفوذ الشيعي القوي المسيطر على الساحل السوري واللبناني مع الحفاظ على سلامه مناطق النظام وأمنها وإعادة إعمار ما تم تدميره وإسكان غيرهم مکانهم.

كانت هذه الخطة البديلة في حال فقد النظام قدراته على استعادة كامل التراب السوري ليبقى محافظاً على دولته هذه (المفيدة)، بدعم روسي وإيراني وتغلغل أمريكي وصهيوني وغربي ظالم، متراجعاً ذلك باستمرار المعارك في الأماكن الثانية من سوريا لتدمير ما تبقى منها وجعلها ركاماً من دون مؤسساتٍ أو بني تحتية يحتاج شعيرها إلى سنوات لإعادة تأهيلها كما كانت عليه.



لكنّ السؤال الذي يحتاج إلى إجابةٍ واضحةٍ ومقنعةٍ عن الأسباب التي جعلت من كلّ من روسيا وإيران تضع كلَّ إمكانياتها العسكرية والمالية والأمنية والبشرية للحفاظ على الأسد ونظامه واستبقاءه في حكم سوريا والسيطرة عليها وعلى شعبيها، فهل لهم مطامعٌ ومصالحٌ وراء ذلك أم لسود عيون بشار الأسد وطائفته ؟؟؟

وللإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من قراءة المشهد السوريّ والواقع الجغرافي والاستراتيجي بالنسبة للعالم، وفهم طبيعة العلاقة بين النظام السوري وبين كلّ من إيران وروسيا كلُّ على حدة.

فإيرانُ لا تخفي طبيعة مشروعها الطائفي الصوفي في سورياً منذ زمن المقتور الهايك حافظ أسد حيث تعتبرها محافظتها الـ ٣٥ والتي لا يمكن أن تتنازل عنها بأيّ حالٍ من الأحوال، لأنّها جزءٌ من مشروع الهلال الشيعي الذي يشمل كلاً من اليمن وال العراق ولبنان وسوريا كما صرّح فيه رجال دينهم ومُعمّموهم، وقد أعدّوا الخطط وجهزوا الأدوات والوسائل والآليات الناعمة والخشنة للتنفيذ وخاضوا غمارها من زمن المقتور حافظ أسد، ولم يقفوا عند حدٍ معينٍ في استكمال مشروعهم حتى كانت الثورة السورية، فكانوا أول الداخلين والمناصرين لنظام الأسد المجرم بكلّ ما يملكون تحت ستار الدفاع عن المرقد الشيعية وحرمات آل البيت بدايةً، فقتلوا وشردوا ودمروا وانتهكوا الأعراض وقطعوا الأعضاء وما تركوا نوعاً من أنواع الإجرام إلا وفعلوه رافعين شعاراتٍ طائفيةً بغيضةً تبني عن مشروعهم الخبيث (يالثارات الحسين) ومثلها (لن تُسْبِي زينب مرتين)، على أنّ سورياً كانت حسب زعمهم (مرتع الظلم لآل البيت في زمن الخلافة الأمويّة) حيث كانت دمشق هي عاصمة الدولة الأمويّة).

وكذلك كانت الخطّة الاستراتيجيّة الإيرانية توسيع دائتها وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط لتصدير الغاز عبره إلى الأسواق العالميّة.



حيث إنَّ سورياً هي الرباطُ الحيوانيُّ بين إيرانَ وحزبِ الله اللبناني الذي يعتبر القوَّةُ الفاعلةُ في لبنان على الصعيد السياسي والعسكري، ومن هنا فإنَّ إيران بحاجةٍ لصناعةٍ ضاحيةٍ شيعيَّةٍ في دمشق تكون خنجرًا بيدها في الخاصرة الضعيفة من سوريا تتحكم بها كما هو حال حزب الله في لبنان، وكما هو الحال لأذرعها الخبيثة في كلٍّ من العراق واليمن. كما لا بدَّ من التنبيه على تكرار تصريحاتِ رجال دينهم بضرورة التمدد في الدول العربية ذات الأهمية الاستراتيجية لتحقيق البدر الشيعي كما عبر عن ذلك بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ الرئيسُ الإيرانِيُّ هاشمي رفسنجاني بقوله: «الطريق إلى القدس يمرُّ من كربلاء، والطريق إلى لبنان يمرُّ من العراق، ولا شكَّ أنَّ سورياً هي الطريقُ الواثقُ بين العراق ولبنان».

وبالتالي فهي جزءٌ أساسٌ من هذا الطريق الذي تعمل إيران على إنشائه والذي بدأت تترسم بعضُ ملامحه من خلال الرئيس الإيراني حسن روحاني لشركة السكك الحديدية الإيرانية بالبدء بتنفيذ مشروع سكة حديد (السلامجة) الذي يصل طهران بالبصرة، ثمَّ يستكمل المشروع حتى يصل إلى الموانئ السورية.^(١)

ولعلَّ من أفضل ما كتب في ذلك كتاب: «الاحتلال الإيراني لسوريا الممارسات والمواجهة» للمهندس مطیع البطین، وأمَّا روسيا فإنَّها تعتبر النظام السوريَّ نظامًا اشتراكيًّا الذي لن تخلي عنه في الشرق الأوسط إضافةً لبعض الأمور التي تعرضت لها في مبحث «الموقف الروسي من الثورة السورية» من الكتاب. وأمَّا عن غضَّ الطرف الأمريكي والتواطؤ الأمريكي عمَّا حصل في سوريا من تدخل دوليٍّ بعينها، وسکوتتها حيال ظلم الأسد وطغيانه على شعبه مقابل مصالح لها في سوريا يمكن تلخيصُها بالنقاط التالية:

١ من كتاب «الاحتلال الإيراني لسوريا الممارسات والمواجهة» للمهندس مطیع البطین .
لماذا سوريا، وما مدى أهميتها في المخطط الإيراني ؟ ص (٣٥-٣٤-٣٦).



- الموقع الجغرافي المهم للمصالح الاستراتيجية لدول التحالف الصليبي، وتقسيمها حسب أماكن نفوذها وسيطرتها.
- المنفذ البحري المهم والممتد إلى الساحل اللبناني، حيث إنّه النافذة الحية للعالم الخارجي.
- حماية أمّن إسرائيل بحماية حدودها، ونظام الأسد خيرٌ من يقوم بهذه المهمة.
- عدم وجود البديل المطابع والضامن للمصالح الغربية دون مقابل.

الحقيقة إنَّ ما يحصل في سوريا هو أكبر من إسقاط النظام الأسد المجرم بعد تدويل القضية السورية والتي كانت نتيجةً ثمرات عقود من العمل والتمهيد لذلك بين الدول الغربية المسيحية بكلِّ أصنافها: {البروتستانتية (أمريكا) والكاثوليكية (أوروبا) والأرثوذكسية (روسيا)} مع إسرائيل الصهيونية وإيران الصوفية.

ويتجلى هذا العمل في:

- ١- تمكين النفوذ الإيراني من الدول الشرق أوسطية وتقليل النفوذ السنّي أو تقليله وتنفيذ الهلال الشيعي لصالح الغرب وإسرائيل من خلال الفتنة والحروب الشيعة السنّية.
 - ٢- الحفاظ على الوجود الصهيوني وضمانة أمن إسرائيل من خلال العمل على دمجها في المحيط العربي كجسمٍ طبيعيٍ فيهم، وعضو فاعل معهم، بدلاً من بقائهما دولَةً منبوذةً مآلها الإقصاء والإنهاء.
 - ٣- السيطرة على الثروات الباطنية في الدول العربية وخاصة النفطية منها وأهمّها نفط العراق الأغزر في العالم.
- ولا يمكن أن تتحقق هذه الأهداف إلا من خلال إشعال الفتنة والحروب في المنطقة العربية بين الدول الشيعية والسنّية.



المبحث السابع

الثورة السورية بين التشظيات البينية والأطماع الدولية

من أين وإلى أين ؟؟
(تحديات وعقبات)

لنأتكلم عن الصفحات البيضاء المشرقة والواقف الشماء المشرفة للثورة السورية والثورا، فلها مكانٌ وموضع آخر بإذن الله، ولكنّي في معرض التشكيس والتوصيف عن مكان الخلل وطبيعة المصايب الذي أصابها وأصابهم، ولذلك سأضع بعض النقاط المهمة التي ألمت بالساحة والتي كان لها سيءُ الأثر بانعكاساتها وظلالها القاتمة على الجميع في المجالات كافة.

بعد الدراسة السابقة والنظرة التي أقيناها على أغلب الجوانب التي عاشتها سورياً منذ تسلّطِ المقبوْ حافظ الأسد مروراً بعهده ابنه المجرم بشار إلى أن دخلت الثورة بانتفاضة شعبية رافضة للأسد وحزبه ونظامه الطائفي.

فحققت الكثير من المطالب التي من أجلها خرجت، إلا أنها عانت في بعض مراحلها من تحدياتٍ صعبةٍ ومن معوقاتٍ قاسيةٍ أوصلتها إلى مرحلة حرجة انقسمت الساحة فيها إلى فئاتٍ وجماعاتٍ متشعبية الأفكار، متعددة المقاصد، زادت من تلك التحديات والمعوقات، وانعكست سلباً على طبيعة الحل السوري في بعض جوانبه.

ولم أقصد بالتحديات والعقبات ما تعرض له الشعب السوري من الإجرام الإيراني والروسي وما استخدموه من وسائل الإجرام المختلفة وما مارسوا من أساليب وحشية لم تعرف البشرية لها مثيلاً.

علماً أن ذلك من أكبر التحديات التي اعترضت هذا الشعب البطل في ثورته، ولكنه استطاع تجاوزها كلها بصبره وثباته، وصدقه وإخلاصه، وإيمانه بعدلة قضيته والدفاع عنها وتحمل كل تبعاتها، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير.



ولكن التحديات الأخطر تلك التي كان سبباً في صنعها بيده بعلمٍ أو بغير علمٍ، وحال خيوطها مع إخوانه في الساحة فوقع في شراكتها، وانغمس في مستنقعها، ففرق وأغرق من معه فيها حتى عجز عن إنقاذ نفسه وأهله (التشظيات البينية) فالتجأ لدولٍ كان يظهم المخلص والمنقد له ليقع في تحدياتٍ جديدةٍ وعقباتٍ خطيرةٍ (الأطماع الدولية)، انعكست سلباً على الساحة وأهلهما، ولعلّي أعرض بعض التحديات الرئيسية التي يتفرّع عنها الكثير من النقاط، وهي كما يلي :

١- انحرافُ المسارِ الثوريِّ وتحوله لمشاريع خاصة

حيث انحرفت بوصلة الأهداف والغايات الحقيقة للثورة عند الفصائل التي زادت من تشتت القوة عندهم وتبعثرها وزرع الفوضى والخلافات البينية وأدّت إلى التناحر والتنافر والاقتتال.

فالثورة لما خرجت ببدايةً كان شعارها: (هي لله هي لله لا للمنصب لا للجاه) واستمرت على ذلك سنواتٍ فتح الله لهم البلاد وحبّبهم إلى قلوب العباد. نعم خرجت الثورةُ والجميعُ يتطلعُ إلى حياةٍ عزيزةٍ كريمةٍ ينعم الناس فيها بالأمن والأمان والاستقرار والاطمئنان في دولةٍ واحدةٍ موحدةٍ تقوم على مبادئ العدالة والكرامة خاليةٍ من النظام الأسديةِ المجرم ونظامه الفاسد اللعين. نعم خرجت الثورة بكلّ أطياف الشعب ببدايةً لتعزّز القيم وتحيي كلّ معاني المحبّة والمودّة والأخوة والتعاون المجتمعي، وهذا ما كان واضحاً في سنواتها الأولى، وقد انعكس بإيجابيةٍ تامةٍ وشهاداتٍ عظيمةٍ على مستوى العالم بهذا الشعب الصابر المعطاء.



ولكن بعد سنواتٍ قليلةٍ ومن خلال العسكرية والفصائلية واستغلالها لصالح البعض الفاسد جعل منهم وكأنهم الأسياد المطاعون الذين لا يُعصى لهم أمرٌ، ولا يُناقش لهم قرار، فغدت المناطق المحررة وكأنها دويلاتٌ صغيرةٌ يحكمها الفصيل المسيطر، ويفرض حكمه و برنامجه بما يحقق له مصالحه ولو على حساب الآخرين بعيداً عن مصلحة الثورة السورية وأهدافها.

٢- المال السياسيُّ ودوره في تشتيت الثورة

وذلك من خلال بعض الدول ذات المصالح الخاصة وما ضخته من مالٍ مشروطٍ لشخصياتٍ وفصائلٍ بلباس المتبرّع النظيف، ولكنها كانت تخفي أجنداتها ومصالحها ومشاريعها على حساب الدماء والأشلاء وجرحات الشعب السوري النازفة الراغفة.

وقد لا يدرك البعض خطراً هذا المال وما تبغيه تلك الدولُ والجهاتُ الداعمةُ بدايةً لتغليب حسن الظن والوقوف مع الثورة، وللحاجة الماسة له لضمان استمرارية الثورة، وما قد تحتاج إليه من مالٍ وسلاحٍ وغير ذلك من لوازم الثورة، ولعدم اكتساب الخبرة الالزمة بتفكير الدول ومكرها وكيف تبني سياستها على حساب الآخرين.

لكته كان المطلب الخطير الذي أوقع الثورة والثوار في مستنقعه، وبقي رهن الأجندة الدولية الخاصة التي لا تزال آثارها وتباعتها طاغيةً على الساحة السورية.

ولعلَّ من أخطر ما كان للمال السياسي على الثورة هو الدفع إلى عسكرتها وتحویل الميدان إلى ساحة معارك بين الطرفين وما قد يجرّه ذلك من ويلاتٍ مختلفةٍ على الساحة وأهلها.



علمًاً أنَّ القضية العسكرية (استخدام السلاح في الثورات)، مسألةٌ فيها من الكلام الكثير ما بين مؤيدٍ لها ومشجِّعٍ عليها مع النظام المجرم، ويري أنها السبيلُ الوحيدُ الذي من خلاله يمكن القضاء عليه وتخلص الناس من ظلمه وطغيانه.

كما أنَّ من الناس من يجعل من العسكرية واستخدام سلاحها المعولَ الهدامَ للثورة وأهلها وأنَّ ما تحققَه الثورات بسلامَيْها أعظمُ بكثيرٍ مما تجنيه بعسكرَتها، فالعسكرة – بنظرهم بدايةُ الخراب ومعولُ الهدم لكل تصحيات هذا الشعب، وأنَّ النظام المجرم يدرك ذلك تماماً، ولذلك يستجرُ المعارضة لاستخدام السلاح ليسهل عليه التغلبُ عليها واتهامها بالإرهاب، ويأخذ الشرعية في القضاء عليها كما فعل باستجرار ثورة الثمانينيات إلى حمل السلاح.

ومن الآثار التي تترتب على عسكرة الثورة حسب رؤيتهم ما يلي:

١. خسارة التعاطف الدولي الذي ينظر إليهم كمسلحين وإرهابيين يعملون عمل العصابات المسلحة والمتمردين على نظام الدولة الشرعية حسب زعمهم.

٢. تعدد الفصائل المقاتلة وتعدد قاداتها وتعدد الداعمين، وهذا بدوره سيكون له الأثرُ السلبيُّ على الأداء القتالي فضلاً عن التناحر والتنافس الداخلي.

٣. تسليق المندسين إلى مراكز القيادات العامة واحتراقه للثورة من باب الدعم والثورية الكاذبة والعمل على كشف مخططاتها العسكرية، بل ونصب شباك الاعتقالات والاغتيالات للشخصيات والطاقات الفاعلة.

٤. عجز العسكريين عن التوحد تحت قيادةٍ واحدةٍ ومشروعٍ واحدٍ ومركزيةٍ واحدة، بل كان التناحر والتنافر سيد الموقف، وقد جرَ ذلك إلى الاقتتال على بعض الموارد والمعابر والثروات في بعض الأوقات، وهو ما كان سبباً سلبياً في ترك المئات والآلاف من الثوار المقاتلين للساحة القتالية وترك الناس لمصيرهم المجهول.



٥. فقدان ثقة الناس بالعسكرة وال العسكريين لما رأوه من مخالفاتٍ متنوّعةٍ وظلمٍ كبيرٍ وفسادٍ ألمَ بالساحة وطغى عليها لم يرها إلَّا في زمن النظام المجرم، فكان أحدهم يرى أنَّ الظلم لم يتغيّر، وكأنَّه كان عند نظامٍ ظالِمٍ فأصبح عند ظُلُمٍ آخرين.

ومن هنا ترى هذه الفئةُ أنَّ الثورة السورية خسرت بسلوكها الطريق العسكريَّ الذي استجَرَّها إلَيْهِ النظام المجرم (علماً أنها كانت مضطَرَّةً إلَيْهِ للدفاع عن نفسها وحماية أهلها وبلدها). لأنَّ النظام القاتل لا يفهم سوى لغة القوة ولا يصغي إلَيْها وحدها دون غيرها.

ولكته الواقعُ المؤلمُ الذي لا يمكن تغافله علماً أنَّ هذا الأمر كان من نصائح أحد السياسيين الأميركيين المخضرمين عندما كان سفيراً في دمشق كما صرَّحَ لي أحد الضباط (العقيد ع. س) مشافهَةً حيث قال:

«لقد التقى السيد فورد سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الداخل السوري بعد انشقاقِ عن جيش المجرم بشار الأسد عام ٢٠١١م، تحدَّثنا بأمورٍ بكثيرةٍ وقدَّمَ لي نصيحةً في هذا اللقاء حيث قال: (ابقوا على سلبيَّة ثورتكم، ولا تحولوها لثورةٍ مسلَّحةٍ، ولا تعطوا للنظام ذريعةً بأنكم مجموعاتٍ مسلَّحةٍ، لأنَّكم مهما خسرتم بالثورة السلميَّة فلن تعادل ١٠٠٪ من خسائركم إذا تحولتم إلى مسلحين)».».



٣- أسلمة الثورة وأدلجمُها وعدم إدراك مآلاتها

اقتحمت هذه المسألة (الأدلة الفكرية) بما فيها من غلوٍ وحيدٍ عن فهم الإسلام الصحيح عقولَ الثوار الذين لم يطّلعوا على تلك الأفكار ببدايةً، ولم يكونوا مؤهلين لاستقبالها أصلًا، ولكنّها دخلت مع دخول الأجانب والمهاجرين، وتغلغلت في أذهان بعضٍ من أبنائنا الذين لم يملّكوا المستويات الثقافية العالية ليوازنوا بين الأفكار الصحيحة والمنحرفة، وهذا ما كان له الأثرُ السلبيُّ على نفوس الناس والتغيير في طبيعة تعاملهم مع بعضهم حتى أصبح الأخ يكفرُ أخيه أو يعامله على أنه مرتدٌ يجب قتله، أو لا يجالسه في رباطٍ، أو لا يساعدُه في معركةٍ لأنّه لم يتبع لمنهجه الفكري.

ومن أخطر آثار الأدلة الفكرية التي أصابت الثورة هو انحسار شعبيتها أكثر وأكثر، فقد انفضّ عنها كلُّ من لم يؤمن بفكر القائمين بها والمعصّبين لها في الوقت الذي هي فيه بأمس الحاجة لتجمّع أكبر عددٍ ممكِّن من الناس والدول لنصرتها.

وممّا زاد من الخسارة أنّ بعضَ من يحسب على تلك الفصائل المؤدلة فكريًا لا يمتلك من السلوك والأخلاق ما يحسن لفكرته ولا لمبدئه الذي يعتقدُه، بل قد ترى سلوكه وعلاقاته في وادٍ وما يرفعه من مبادئ وأهدافٍ في وادٍ آخر، فلا تجانس ولا انسجام بين الفكر والعقيدة والسلوك، وكلُّ ذلك يحسب على الثورة والثوار كلّهم جميـعاً.

ومن الجدير ذكره هنا ما كان من نصائح للسفير الأمريكي روبرت فورد في اجتماعٍ ضمّ بعضًا من السياسيين وقادّات الفصائل ومندوبين لدولٍ داعمةٍ للثورة السورية في مدينة استنبول التركية عام ٢٠١٢ م قال فيه:



لهم مني ست نصائح فأحفظوها:

١. «لا تأملوا من الإدارة الأمريكية الحالية أن تقدم لكم أي دعم عسكري أو لوجستي، فهم سيقدّمون لكم الكلام فقط...».
٢. «لا تحولوا ثورتكم من ثورة سلميةٍ شعبيةٍ إلى ثورة مسلحةٍ، لأنكم بالثورة المسلحة ستخسرون الكثير، ولن تستطعوا على ذلك.....».
٣. «إذا تحولت ثورتكم إلى مسلحةٍ لا تُلبسوها الرداء الإسلامي لأنَّ الكثير من دول العالم ستغيّر موقفها من ثورتكم، ولن تستطعوا على ذلك ...».
٤. «لا تقبلوا الغرباء (غير السوريين)، أن يشاركون في ثورتكم، وخاصةً الذين يحملون الصفات الجهادية، وينتمون إلى جماعاتٍ مصنفة بالإرهاب، فإن ذلك سيحملكم تبعاتٍ صعبةً وقاسيةً، ولن تستطعوا على ذلك ...».
٥. «إذا دخل الغرباء إلى ثورتكم لا تجعلوهم قادةً ولا تقبلوا أن يكون لهم فصائلٌ خاصةٌ بهم فينقلبوا عليكم ويشوّهوا صورة ثورتكم، ولن تستطعوا على ذلك».
٦. «إن لم تعملوا بهذه النصائح فستخسرون ثورتكم وستُدمر بلادكم، وسيبقى النظام المجرم».



٤- التشظيات البينية القاتلة

من المفترض أن تكون كثرة الفصائل المقاتلة ضد الأعداء أيّاً كانوا حالةً صحيةً راقيةً، لكنّها في الساحة السورية كانت كثرة الفصائل في عددها واحتلافها في ولائمها وانصياعها لأوامر داعمها، وتحول مؤسساتها إلى دكاكين لشراء الولاءات والذمم من خلال تقديم الخدمات، وانتشار المحسوبيات بأشكالها كافةً، وبروز دور المتنفذين ليفرضوا أجندتهم وليرِّجعوا لمساريعهم التي تخدم أفكارهم أو من يدعمهم، وهذا ما كان سبباً في الانشطار والتشرذم الداخلي للساحة السورية.

وقد تعمّدت أن أستخدم هذه الكلمة (التشظيات) لما لها من دلالة قوية على الخطر الكبير الذي أصاب الثورة السورية على أيدي أبنائهما من خلال الاختلافات البينية المختلفة والتي كانت كالشظايا القاتلة على الساحة وأبنائهما في بعض الأحيان، والمعيقة في أحياناً آخر، وقد لا أبالغ إن قلت: إن الاختلافات الداخلية التي حصلت بين الفصائل وما تبعها من آثار سيئة على الواقع السوري لا تقل خطراً عما أصابها من خلال التآمر الدولي والتواطؤ الأممي بحال الثورة السورية.

ولعل من أكثر الأسباب الداعية إلى الاختلاف بين الفصائل هو عدم التجانس الفكري بين المكونات الثورية وخصوصاً بعد دخول الأجانب وما جلبوه من فكر متشدد بعيد عن الفكر الشامي المعتمد بعيد عن الغلو والجفاء.

حتى غدت الساحة السورية مسرحاً كبيراً لعرض البضائع الفكرية والمذهبية، وتحولت إلى ساحة صراع فكري أصبح من الكوارث التي حلّت بالساحة السورية من خلال استقطاب الكثير من أبناء بلاد الشام وانتسابهم بين متشدد لفكر القاعدة ونحوهم في إقامة الخلافة وبين متشدد وحربي على عودة الفكر السلفي الصحيح بما يخدم أهداف الثورة السورية، مع وجود الإخلاص والصدق عندهم.



وهو ما كان له الأثرُ الطيبُ في العملِ الجهاديِّ والبصماتُ الراهنَةُ في بطولاتهم القتالية على الجهاتِ، إلا أنَّ الوجهَ الآخرَ لم يكن بالحسبانِ إلا عندما استفحلَّ وقويَّ بشكلٍ كبيرٍ وسريعٍ، وذلك من خلالِ إعلانِ الخلافةِ المزعومةِ الموهومةِ واستجلابِ الشبابِ إليها عاطفياً وتغييرِ جهادهم بما يناسبُ الفكرةَ التي أُنشئتَ من أجلها، وهذا ما كان سبباً رئيسياً في البغيِّ والقتالِ البينيِّ على أساسِ التكفيرِ والردةِ وبداية انحرافِ البوصلةِ الثوريةِ وتحويلِ السلاحِ إلى صدورِ إخوةِ الأمسِ، فقتلَ المئاتُ ممَّن لم يستطعِ النظامُ الأسدُ أنْ يطالهم أو أنْ يصلَ إليهم، حيثُ سُفكَت دمائُهم، وحُرمتَ الساحةُ جهادهم المباركِ الميمونِ، فضلاً عن التغلبِ الفصائليِّ الذي أقصى آلافاً من الكفاءاتِ والفعالياتِ العسكريةِ والسياسيةِ والإداريةِ والذي بدوره أدى إلى الانقسامِ المجتمعيِّ.



٥- الأطماءُ الدوليةُ وآلياتُ الوصولِ إلى الهدف

مما لا شكّ فيه أنّ ما يدور من صراعٍ في العالم بشكلٍ عام تلعب به أيدٍ خفيةٌ من أجل تحقيقِ مصالحٍ أو دفعِ أخطارٍ وأضرارٍ يمكن أن تلتحق بتلكم الأيادي، وبقدر ما تكون مناطق الصراع غنيةً بالموارد الطبيعية والثروات الباطنية والموقع الاستراتيجية بقدر ما تكون أهدافاً سهلاً ومرغوباً فيها من خلال اختلاق المشكلات والصراعات وتعقيده حلّها لتدخل الدول الإقليمية والأطراف الدوليّة، وهذا ما نراه واضحاً في القضية السوريّة التي باتت مسرحاً لضياع العالم وذئابه الماكنة الغادرة.

ومن خلال ذرائع استوجبت التدخل الدولي، فكان تدويل الثورة السوريّة لتحقيق الأطماء والتحكم بها من خلال صوملتها وإطالة أمد الصراع والحل فيها.

وهذا من الأهداف الخبيثة للدول المارقة التي تسرّ الحرب وتدعم أطرافها بما يضمن بيع سلاحها الفاسد وتجريب سلاحها الجديد مع رسم الآليات التي تحقق لها مصالحها وأهدافها والمدة الزمنية التي تحقق لها منها، ومع الحفاظ على إثبات المتأصمين وسلطة السيطرة عليهم والتحكم بهم.

٦- تعدد المرجعيات واختلافها

وهنا أقصد المرجعيات السياسيّة والعسكريّة والثوريّة والشرعية التي تستطيع قيادة الشعب والحراك الثوري وتوجيهه إذا ما اجتمعت على وحدة الهدف والغاية واستشعرت ثقل الأمانة والمسؤولية تجاه أبنائها وإخوانها وأهل بلدتها. حيث كان التناحر والجفاء واضحاً في طبيعة تعاملهم فيما بينهم، وكان الشّيخ كبيراً بين الجناح السياسي والجناح العسكري الممثل للثورة والثوار.



بل كان التبادل الفكري أكثر وضوحاً في المرجعية الشرعية، لوجود التناظح الأيديولوجي في الساحة وتعدد المشارب الفكرية والمذهبية وإقصاء الفكر المتغلب لغيره وإخراجه من الميدان ومحاربته بكل الوسائل وعلى جميع الأصعدة من خلال إسقاط رموزه وملاحقة نشطائه.

ولطالما كان يُنظر إلى المرجعيات على أنها البوصلة الصحيحة التي تحدد المسار السلوكي والأخلاقي والانضباطي الديني للثورة والثوار، فقد ترتب بعض الآثار السلبية نتيجةً لاختلاف تلك المرجعيات وتعدد مشاربها والتي تتمثل بما يلي:

- ١- عدم الاتفاق والتوحد في تشكيل عسكريٍ واحدٍ تحت قيادةٍ واحدةٍ لعدم التجانس الفكري وتباعد الأهداف بينهم.
- ٢- الاقتتال الداخلي المقيت والذي كان مبعثه الرئيسي من الاختلاف الأيديولوجي الفكري بين متشدد ومتساهل أو معتدل، وهو وما جرّ إلى مزيدٍ من التحشيد والتحريض وسفك الدماء.
- ٣- ردّة الفعل عند الحاضنة الشعبية وانفكاكها عن الثورة والثوار الذين حرقو مسار الثورة وأساووا إليها وغياب دور المرجعيات أو عدم تأثيرها فيهم بالتوجيه والتوصيب والإرشاد.

والحقيقة أنّ تعدد المرجعيات واحتلافها كان من أكبر معاول الهدم للثورة حيث استغل النظام المجرم هذا الأمر أمام العالم، وأظهر العشوائية والفوضى التي سادت مناطق الثوار.

علماً أنه من المفترض أن تلعب المرجعيات دوراً البرلمانياً بالنسبة للشعب في سنّ قوانينه ومتابعة سير الحكومة بالشكل الصحيح الذي يضمن للشعب حرّيته وكرامته، وهذا مالم يحصل للأسف.



ولعلَّ من المفيد هنا لفتُ النظر إلى الأسباب التي أدىَت إلى ضعف تأثير المراجعاتِ وخاصَّةً الشرعيةَ منها والتي يمكن تلخيصها بما يلي:

- ١- البعد الجغرافي عن ساحة التأثير الفعلي والماهِر في الداخل السوري والاطلاع على أوضاعهم الحياتية بكل جوانبها وإشعارهم ومشاركتهم مصاهمِ وما سيهم مختلفه وتقديم النصائح والتوجيه والمواساة لهم في كل أحوالهم.
- ٢- اختلاف المشارِب الفكرية بين الداخل والخارج بشكلٍ يصعب التوفيق بينهما أساساً مع وجود أسباب التناحر والتنافر والعوامل المساعدة على ذلك في تأجيج الصراع الفكري وتضخيمه.
- ٣- عدم النصح الفكري والسياسي عند الشرعيين، وهو ما جعل دورهم منحصرًا في الدروس الفقهية والتربيَّة الأخلاقية.

٧- العجز عن إيجاد القيادة الواحدة

عدم وجود القيادة الواحدة التي تجمع القوى مع بعضها بقوَّةٍ واحدةٍ وخطةٍ عسكريَّةٍ واحدةٍ.

مع الاختراقات القاتلة في الصفوف الأولى لقيادات الفصائل فضلاً عن العناصر التي جُنِّدت لصالح دولٍ بعینها حتى أصبحت سوريا وكأنها غرفة عملياتٍ عسكريَّة وأمنيَّة للمخابرات العالمية.

فالقيادة الواحدة هي التي تحدد المسار، وتصوب البوصلة، وتضع الخطط والآليات، وتسير بالثورة بالاتجاه الصحيح الذي يتجاوز بهم كلَّ العقبات والتحديات الداخلية والخارجية.



لكن، وفي ظل الاختلافات الفكرية والمنهجية، وعدم التلاقي على الأهداف، واختلاف طريقة التفكير، واختلاف المشارب المذهبية والشورية، ودخول دولٍ بلباس الدعم والصدقة لم توفق الثورة بتصدير قيادة سياسية كفوءة متواافقٍ عليها لقيادة المرحلة، فكان ذلك من أخطر أسباب الشقاق والخلاف بين ممثلي الثورة في الداخل وممثليها في الخارج حيث قامت الدول ذات المصالح الخاصة بتجنيد شخصيات محسوبة لها، وتعمل لأجلها بعيداً عن الثورة وأهلها، فكان الفشل الذريع في أدائها طوال السنوات العشر الماضية ولم تجِن إلا الدمار والبوار.

وهذا حال الساحة السورية للأسف التي كانت ولا تزال دون رأسٍ يقودها ولا قائد يجمعها ويلم شعثها. ولعل من الأسباب الرئيسية لعدم وجود القيادة الواحدة ما يلي:

١- اختراق النظام للقادats ووصول بعض من دسّهم في صفوف الثورة إلى مراكز القيادة والقرار، وهؤلاء من يعطّلون ذلك.

٢- أوامر الداعم للقادats المرتبطة بالدول والتي تعمل لتحقيق أجنداتها ومصالحها الخاصة.

٣- الاختلاف بين القادات وخصوصاً الاختلافات الفكرية منها والذي من شأنه عدم الاتفاق على أي شيء يخص الثورة إن لم يتطور إلى التخوين والتكفير والاقتتال.



كل تلك الأسباب الآنفة الذكر انعكست سلباً على الساحة من حيث أنها فقدت الحاضنة الشعبية التي كانت السنداً الرئيسيّ لها في كل حالٍ من مسيرتها، كما أفقدتها التعاطف الدولي والداعم الذي يؤمّن لها استمرار حيويتها، فضلاً عمّا عبّأته النقوسُ من الكراهية والحدُود وحبّ الانتقام، علاوة على ترثّصِ بعضِ العاملين ببعضٍ بعدما كانوا بالأمس في حفرةٍ واحدةٍ وفي خندقٍ واحدٍ وعلى مائدةٍ مشتركةٍ يرابطون على قتال عدوٍ واحدٍ.

أمام هذا الوضع المؤلم الذي وصل إليه حال الفصائل، كما لم يكن النظام الأسدُيُّ وحلفاؤه بأفضل حال، ومع عجز الجسم العسكري لأحد الأطراف على الآخر مع التخاذل الدولي المعمّد والتواطؤ الأممي الواضح كانت القضية السورية أمام بعض السيناريوهات للخروج مما هي فيه بما يتنااسب مع المرحلة الداخلية والخارجية.



المبحث الثامن

انتكاسة حلب

يبدو أنَّ الثورة قد انحرفت عن مسارها المحدَّد لها، وعن أهدافِها التي خرجت من أجلها، وباتت أمام خياراتٍ صعبةٍ تؤذن بانهائِها أو وصولها إلى طريقٍ مسدودٍ، وذلك من خلال التفرق والتشرذم بين الفصائل، والتنازع والتنافر بين المشاريع، والوهن والخوف مما ينتظرُ العوَّام، والفووضى الأخلاقية المنتشرة في كلِّ مكانٍ، وانتشار الظلم والفساد في دوائر القضاء وغيرها مما كان يعانيه الشعبُ أيام النظام الأسدِي ليجده اليوم واقعاً حيّاً ماثلاً أمامه، لكنَّه باسمِ إسلاميٍّ وزيَّ قد يكونُ جهادياً، وهو ما كان سبباً كبيراً أدى إلى انتكاساتٍ قاسيةٍ وهزائم مؤلمةٍ لن تكون آخرها حلبُ التي أعادت التاريخَ إلى الوراءِ بضعة قرونٍ ليسترجع الناسُ أيامَ التتارِ وما فعلوه بال المسلمينِ آنذاك.

ولعلَّي أعرِّج على بعض النقاط المهمة في حصار مدينة حلب وانتكاستها والتي كانت أشبه بالسجن الكبير بدايةً القصفُ الهمجي المدمر بتاريخ ٢٣/٧/٢٠١٦م، وقد استمر القصف المتواصل بعشراتِ، بل بمئات الغارات اليومية ليلاً ونهاراً على أحياها.

ومع كلِّ ذلك فقد قامت الفصائلُ الثورية بدخولِ مدرسة المدفعية وأحياء من الحمدانية بعملية نوعيةٍ، وتمَّ فتح الطريق من جهة الراموسة إلى الريف الغربي في محاولةٍ لفك الحصار، وقد نجحوا بذلك جزئياً مع سقوط عشرات الشهداء يومياً واحتراق عشرات السيارات المدنية والعسكرية باستهداف الطريق من الطيران وبقذائف المدفعية والصواريخ بشكٍّ مستمرٍ حتى تاريخ ٢٨/٨/٢٠١٦م.

وسُمِّيت المعركةُ يومها (معركة الشهيد إبراهيم يوسف) وتمَّ تحرير مدرسة المدفعية واغتنام المدافع التي بداخلها والكثير من الغنائم العسكرية.



لكن كلفة المعركة كانت كبيرةً وعظيمةً حيث بلغت مئات الشهداء ومئات الآليات المدمرة أمام الإجرام الأسدية والروسي الذي استمر بتاريخ ٩/٤/٢٠١٦ م.

فعادت حلب تحت الحصار من جديد أمام صمت العالم كله على استمرار القصف الممحي على علّها وتدميرها على من فيها حتى خرج منها من تبقى فيها من الثوار والمدنيين بتاريخ ١٣/١٢/٢٠١٦ م.

وبالتالي يمكن القول بأنّ الثوار بقوا صامدين ما يقارب أربعة أشهر بدون إمداد، مع تناوب عشرات الطائرات ومئات الغارات اليومية حتى اضطر أهلها إلى الخروج منها مقابل إخراج أهل بلدتي كفرية الفوعة الشيعيتين إلى مناطق سيطرة العصابة الأسدية المجرمة.

فلم يكن سقوطُ حلب كما يروجه النظام المجرم سقوطاً للثورة السورية. فهذا ما دفع إليه من خلال وسائل إعلامه المسمومة والمقرؤة والمرئية وأبواقه المنتشرة هنا وهناك،

إذ أوحى للعالم كله أنه استطاع أن ينهي الثورة السورية، ويقضي على المتمرّدين كما يزعم من خلال سيطرته على حلب، وقد نجح إلى حد كبير في إقناع من لم يعرف الطبيعة الجغرافية السورية بشكّل عام ولحلب بشكّل خاص.

والحقيقة أنه لم يسيطر إلا على أقل من ٢٪ من مساحة حلب، إذ إن ريف حلب الغربي وريف حلب الجنوبي وحلب الشمالي كان ما زال بيد المعارضة وتحت سيطرتها، ولم يسيطر إلا على حلب الشرقية بعد إمطارها بجميع أنواع الأسلحة التي أحالتها ركامًا وحطاما، دخلها ليخرج أمام العالم بنصرٍ وهي يقنع به جيشه وأنصاره المنكرين من المستنقع الدموي الذي وقعوا فيه.

ومع كلّ هذا فقانون المعارك واضح عند الجميع، وهي عندنا بين كُر وفُر، وال الحرب سجال يوم لنا ويوم علينا، فلئن خسرنا اليوم جولة فقد ربحنا بالأمس جولات، ولئن ربحنا اليوم جولة فقد نخسرها في قابل الأيام.



وتلك الأيام نداولها بين الناس، وهذا أمر مسلم به بين المجاهدين، ولكن لا بدّ من الوقوف أمام ما حصل جراء هذه الانتكاسة لِنُسخِّصَ الخلل، ونُقيِّمَ المرحلة، ونَصِّفَ الحالة، ونضع الدواء بكل جرأة وشجاعة، فنستفيد من دروس الماضي ونقرأ الحاضر لِنُحَصِّلَ النجاح في المستقبل.

ولعلّي هنا أتعرض للأسباب الرئيسية لسقوط حلب، ولكن قبل ذلك أرى من الضروري أن أُلقي نظرةً على أحوال الثورة والثوار في المرحلة التي سبقت الحصار بسنوات.

فمن الأمور السيئة التي أسهمت في شقّ الصف في المناطق المحررة هي التبعية للسلطان، وما أقصده بالسلطان في المناطق المحررة هو صاحب القوة والنفوذ وهي ممثّلة بقادات وأمراء الفصائل، وهذا الأمر انطبق بشكلٍ كبيرٍ على المشايخ للأسف الشديد، فبات كلُّ واحدٍ منهم يفتى ويخرج بقراراتٍ تناسب قائد الفصيل أو أميره، فكانت هذه التبعية المطلقةُ والطاعةُ العميماءُ سبباً في شقّ الصف بين المجاهدين وبين الثوار وبين عامة أبناء الشعب في المحرر، وأتكلّم بشكلٍ خاصٍ عمّا حصل داخل حلب الحبيبة في مناطقنا المحررة، والحال نفسه يapas على باقي المدن المحررة بشكل عام.

فمثلاً بداية إحداث الشرخ والتصدّع كانت من خلال إطلاق تسمية الفصائل الإسلامية، مثل: جبهة النصرة، وحركة الفجر الإسلامية، وكتائب أحرار الشام الإسلامية، وصقور الشام، وباقى الفصائل باسم الجيش الحر ومن أسماء الفصيل كانت بداية نشأة الحساسية بين أفراده وكأنّ فصائل الجيش الحر نصرانية أو يهودية، وببدأ التعامل بينهم بشيءٍ من التحفُّظ والارتياح. وبعد مدّةٍ من العمل والتعب والجهد والنَّصَبِ تم تجهيز القطاعات الخدمية والمؤسسات التعليمية والعملية والمشافي والدوائر التي ستدير المناطق المحررة ضمن حلب، ثم تم تشكيل المحكمة الشرعية من أجل ضبط الوضع الجنائي والفلتان الأمني.



فبدأ الاعتراف من الفصائل، وصار عندنا المحكمة الشرعية الهيئة الشرعية ضمن حلب، والقضاء الموحد، وبعد مدة أصبح لدينا ستُ محاكم في حلب، لكلٍّ فصيلٍ محكمته الخاصةُ به، لأنَّه لا يثق بالفصيل الآخر.

وبعد إنشاء دائرة الأوقاف قامت جبهة النصرة آنذاك بإنشاء دائرة خاصةٍ بها، فتم تقسيم المساجد بين الدائريتين، وكل دائرة لها توقيتٌ خاصٌ بالأذان، وبات أهالي حلب يفطرون في رمضان على أذانين بفارق دقائق بين الدائريتين حسب رأي كل دائرة ، وبدأ الصراع والتنافس والتناحر بين الصوفية المتمثلة بفصائل الجيش الحر، والسلفية الممثلة بجبهة النصرة وحركة الفجر وبعض الفصائل الأخرى، متناسين خطاب رب البرية في كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ . (المؤمنون: ٩٢).

إذ لم يذكر سبحانه لا سلفية ولا صوفية ولا أي مصطلح يُقحم الناس البسطاء في دوامة التيه والتنازع والضياع، والنظام يتقدّم بيضاء حتى يُطبق الحصار عليهم.

فكانَت هذه بعضاً من الأسباب التي أدت إلى دمار الوضع الداخلي في حلب، وأمّا الأسباب المباشرة لسقوط حلب فيمكن تلخيصها بالنقط الآتية:

١. عدم وجود القيادة العسكرية الموحدة التي تجمع الشمل، وترضى الصف، وتُحكِّم الخطة، وتوحد الهدف، لكنه في الثورة السورية يكاد يكون من السهل الممتنع لأسبابٍ تتعلق بالتركيبة الفصائلية والاختلافات الفكرية، إلا أن عدم وجود القيادة الموحدة لا يبرر عدم وجود التنسيق الكامل بين الفصائل في العمل العسكري، الأمر الذي كان له الأثر السيء في أداء قادة الفصائل، وأظهرَ الخلل الكبير عندهم، فكان ذلك سبباً رئيساً لدخولِ النظام والحسد الشيعي وسيطرته على المناطق المحررة.



٢. الخلُّ الأمنيُّ في صفوف الثوار والمجاهدين ونجاحُ النظام الأسدِيّ
المجرم باختراقهم بكلِّ مجالاتِ أعمالِهم العسكريَّة والأمنيَّة والإعلاميَّة،
واستكشافه لأعدادِهم وأماكنِ تمركزِهم ونقاطِ رباطِهم وأماكنِ
مستودعاتهم وطبيعةِ سلاحِهم وكميةِ ذخائِرِهم حتى مواعيدِ انطلاقِ
معارِكِهم، فكان ذلك من أكثرِ الأساليبِ التي أدىَت إلى فشلِ المعاركِ وسرعةِ
سقوطِ المناطقِ المحرَّرة بيدِ قواتِ النظامِ الأسدِيِّ المجرم.
٣. كثرةِ المخبرين والموالين الذين زرعُهم النظامُ عيوناً له في أماكنِ المجاهدين
لبيِّ الأراجيفِ ونشرِ الشائعاتِ والأكاذيبِ وزرعِ الفتنةِ والدعایاتِ المغرضةِ
في صفوفِ المجاهدين والمدنيين وترويجِ الأخبارِ الكاذبةِ التي من شأنها
التهويلاً والتخييفُ وزرعُ الرعبِ والملع في قلوبِ الآمنين.
٤. الأنانيةُ السياسيَّة عند بعضِ القادةِ واتباعُ سياسةِ البغى والتغلبِ
والاستيلاءِ على سلاحِ بعضِ الفصائل وهو ما كان سبباً في إضعافِ الجماعاتِ
وأماكنِ الرباطِ بل وتركِ الجهادِ فضلاً عن زرعِ الحقدِ والبغضِ وحبِّ الثأرِ
والانتقامِ.
٥. الكُمُّ الهائلُ من الغاراتِ الجويةِ وقدائِفِ الدباباتِ والمدفعيَّة والصواريخِ
البالستيةِ والقنابلِ الفوسفوريةِ والعنقوديةِ والارتجاجيةِ وغيرهاِ من
جميعِ أنواعِ الأسلحةِ الفتاكَة التي قدَّرت بعشراتِ الآلافِ على منطقةِ
ضيقَةِ مضروبِ عليها الحصارِ منذِ سنواتٍ بجميعِ أشكالِه أحالت بناءَها
ركاماً وأرضَها خراباً.
٦. عدمُ تحريكِ الجماعاتِ القتاليةِ الأخرىِ التي يمكنُ أن تخفَّفَ عنهم إن لم
تفكرَ الحصارَ كما فعلَت من قبلُ، فلم تقم أيُّ جهةٍ من جماعاتِ البلدِ
حينئذٍ بأيِّ عملٍ عسكريٍّ للتخفيفِ عنهم، وهو ما جعلَ النظامَ وحلفاءَه
ينفردُون بهم بكلِّ ما يستطيعون من قوةٍ وسلاحٍ.



٧. تململ المدنيين من هذه الضغوط المختلفة بجميع أشكالها بالتزامن مع تذمرهم من أخطاء الثوار وعدم حكمتهم في التعامل معهم في مثل هذه الظروف التي تحتاج إلى حكمة وحنكة وسياسة وصبر.
٨. الحنكة السياسية التي أظهرها النظام في هذه الفترة من القصف المكثف متزامناً مع فتح المعابر المؤدية لمناطق النظام مع الترويج لسقوط حلب وانهاء الأزمة وإجراء المقابلات بلسان الأب الرحيم والأم الحنون وتشجيع البقية لضمان أنهم سلامتهم.
٩. لم يتوفّر للساحة السورية جهة نزيهة جريئة قادرة، تعمل على جمعهم وتوحيد كلمتهم، علماً أن تلك الدول لم تصرّ في الدعم المالي والإغاثي، ولو أرادوا ذلك لفعلوه واستطاعوا، ولكن يبدو أنهم يدركون خطورة ما ستؤول إليه الأمور على بلادهم والتي ليست بمنأى عن تبعات الخسارة عند سقوط الثورة السورية.
١٠. عدم وجود الوجه السياسي صاحب الكفاءة والأمانة وتحمّل المسؤولية فيما يحدث في سوريا بشكل عام وما يحصل في حلب بشكل خاص، ولم ينجح في نقل المأساة السورية للعالم بالشكل الذي نجح النظام فيه بإقناع العالم بأنه الضحية أمام إرهابيين قتلة ومسلحين ظلمة اجتمعوا من أنحاء العالم، علماً أنه استدعي أكثر من ٦٦ / ميليشيا من الروافض والشيعة الطائفيين من شتى بقاع الأرض وروجهم على أنهم حلفاء له لهم حق الدفاع.
١١. التخاذل الدولي تجاه الأزمة السورية والتواطؤ العالمي أمام ما يحصل من انتهاكات لحقوق الإنسان وجرائم حرب بكل أشكالها، بل لم تنجح تلك الدول بمجرد صدور الإدانة لتلك الجرائم التي يندى لها جبين البشرية.



١٢. التقايسُ الواضحُ لما يسمّى (دولُ أصدقاء الشعبِ السوري)، والذي أثبتَ عجزُه وتقاعسهُ في رفعِ الظلمِ عن ذاك الشعبِ الذي ادعى نصرته وصادقته، ولو كان فعلاً من أصدقائهِ لقدمَ له ولنجاحَ في ذلك، ولكنَّهم مرتئونَ جمِيعاً للقرارِ الأمريكيِ الذي يدفعُ باتجاهِ إجهاضِ الثورةِ السوريةِ والقضاءِ عليها فعلاً وعملاً وايحاءً.

أخيراً فإنَّ ما حصل في سورياً بشكلٍ عامٍ وفي حلب بشكلٍ خاصٍ ليس انتكاسةً لشعبٍ سُلِّبت منهُ كُلُّ مقوماتِ الحياة الكريمة رداً من الزمن وما زال صامداً ثابتاً صابراً مؤمناً بنصر ربِّه، مُصِرًّا على مطالبهِ المحققة، ولكنَّه كان فضيحةً لعالمٍ يدعي الديمocratية ويتجنَّب حقوقِ الإنسانِ، فانحطَّ إلى دركَاتِ الفسادِ الأخلاقي والتخاذل الإنساني والعبور السياسي والتعامل العنصري.

إِنَّ مَا حَصَلَ فِي سُورِيَّةَ لِيَسَ انْكِسَارًا لِمُجَاهِدِينَ لَا يَمْلُكُونَ مِنَ السَّلَاحِ إِلَّا قَلِيلٌ،
وَمِنْ مَقْوَمَاتِ النَّجَاحِ الْعَسْكَرِيِّ إِلَّا بَعْضُهُ، وَمَا زَالُوا صَامِدِينَ ثَابِتِينَ تَحْتَ
نَيرَانِ الْأَسْلَحةِ وَلَهِبِ الْقَذَائِفِ وَجَحِيمِ الصَّوَارِيخِ وَحَقَّدِ الْعَالَمِ كُلَّهُ مجْتَمِعًا،
وَاثِقِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ مُحَفَّوْفِينَ بِلَطْفِهِ وَرَضْوَانِهِ مُوقِنِينَ بِنَصْرِهِ وَفَتْحِهِ، لَكِنَّهُ كَانَ
انْكِسَارًا لِلْعَالَمِ الْمُتَحَضَّرِ الَّذِي يَتَغَذَّى عَلَى أَجْسَامِ الْضَّعَافِ وَيَبْنِي عَرْوَشَهُ عَلَى
جَمَاجِمِ الشِّيُوخِ وَالنِّسَاءِ وَأَشْلَاءِ الْأَطْفَالِ.

لم تسقط حلب، إنما سقطت أممٌ فقدت رجولتها وعزّتها وكرامتها عندما رأت
واشافت وسمعت ولم تحرك ساكناً، فسقطت في مستنقع الخيانة والدياثة
والتخاذل.

لم تسقط حلب، إنّما سقطت الوجوه الكالحةُ التي كشفت الثورةُ عوارها
وفضحت زيفها، وأظهرت نفاقها ومكرها وخداعها.

لم تسقط حلب، إنما سقطت منظومةِ الجسمِ المسلمِ الذي تتغنى به الدولُ العربيةُ والإسلاميةُ، وأضحى على فراشِ الموتِ ينتظرُ رصاصةَ الرحمةِ ليينتهي من رحلة طولية ملؤها المصائبُ والنكادُ وتتجوّها الكلاّبُ والضباءُ والذئابُ.



الفصل الثالث

سوريا الجريحة بين الوحوش الضاربة وسبل النجاة

الفصل الثالث بعنوان:

«سوريا الجريحةُ بين الوحوشِ الضاربةِ وسبلِ النّجاة»
سوريا جريحةٌ متخنةٌ بالجراحِ، كليمةٌ مُخضبةٌ بالدّماءِ، تحوطُها
الوحوشُ البشريةُ التي لا تعرفُ قيماً ولا تملكُ ضميرًا، ولكنها
(سوريا) ما تزالُ تحملُ الأملَ وتتطلعُ إلى سُبلِ الخلاصِ والنّجاةِ
الذي يبحثُ عنه الغريقُ بالرّغمِ من انسدادِ الطرقِ أمامَهِ وحسبَ
ظنهِ، فهو يعيشُ في الأملِ الذي ملأ قلبهِ ثقةً بربِّهِ عزّوجلّ.



وفي هذا الفصل خمسة مباحث، هي:

المبحث الأول

أعداء الثورة السورية والحقيقة المفضوحة

المبحث الثاني

داعش؛ خواج العصر، والخنجر المسموم

المبحث الثالث

الموافق الدولية تجاه الثورة السورية

المبحث الرابع

الثورة السورية والمعادلات الدولية

المبحث الخامس

مسارات سياسية لحل الأزمة السورية



المبحث الأول

أعداء الثورة السورية والحقيقة المفضوحة

يمكن لي أن أقسام أعداء الثورة السورية إلى قسمين:

أ- قسمٌ أظهر عداوته بشكلٍ ظاهرٍ سافرٍ

دفع بكمال قواته وترسانته العسكرية لقتال الشعب السوري

١- النظام الأسديةُ المجرم

وهو الذي دمر البلاد وشرد العباد ليبني دولته الطائفية على جماجم وأشلاء الأطفال والنساء والشيوخ، مما ترك من وسيلةٍ قدرةً إلا واستخدمها لقمع هذا الشعب ولم ينجح والحمد لله.

٢- روسيا المحتلة

صاحبةُ التاريخ الأسود في الإجرام والتي تعتبر النظام السوريَّ نظامها المخلص الذي يحقق لها مصالحها الخاصة فلا يمكن أن تتركه عرضةً للهلاك والانتهاء، فتتسرَّ بذلك مصالحها في بلاد المشرق العربي، فدافعت بكلِّ ترسانتها العسكرية وسخرت دعاءها السياسي لإخماد الثورة والقضاء عليها ولكنها لم تستطع والحمد لله.

٣- إيران الصفوية

صاحبةُ المشروع الصوفيِّ الطائفيِّ الذي تغلغلت جذوره في سوريا منذ زمن المقبور حافظ الأسد وما زالت تعمل في ذاك الإطار الطائفيِّ وتضحي بكلِّ مقومات قوتها لتعمق من جذورها، وتمكنَ أذرعها وميليشياتها في المنطقة، فتستعبدَ أهلها وتستحوذ على خيراتها وثرواتها.



٤- حزب الله اللبناني الخبيث

الذي دخل بكل قواته العسكرية والمادية والبشرية منذ بداية الثورة السورية (أي منذ عشر سنوات)، وهو ذراع إيران في المنطقة يعمل لتحقيق أجنداتها وتنفيذ مشروعها.

٥- الميليشيات العرّاقية الطائفية

والتي تتبع لإيران أيضاً وتبلغ أكثر من (٦٦ ميليشيا) دخلت من السنة الثانية للثورة السورية (أي منذ ثمان سنوات مضت).

٦- الميليشيات الأفغانية الشيعية البغيضة

التي تعمل لصالح المشروع الصفوی الطائفي حيث دخلت المعارك ضد الشعب السوري الحرّ منذ السنة الثانية للثورة (أي منذ ثمان سنوات مضت).

٧- الميليشيات الفلسطينية اللعينة (لواء القدس)

الذى يعمل لصالح نظام الأسد المجرم والدفاع عنه لقاء لعاعة من فتات يقدّمها لهم، وقد دخلوا القتال ضد الشعب السوري الحرّ منذ السنة الثالثة للثورة (أي منذ سبع سنوات مضت).

٨- الميليشيات الانفصالية الكردية الماكرة الـ k p وـ d y p

الذين يعملون لصالح النظام الأسدّي المجرم لتقاطع مصالحهم في القضاء على العرب السنة في سوريا من جهة وللطمع بمنحهم سلطنة ذاتيةً كرديةً مستقلةً، فدخلوا المعركة في مناطقهم ضد الشعب السوري الحر، ومارسوا عليه الضغط المتنوع من خلال المرور بمناطقهم قبل تحريرها منهم في عملية غصن الزيتون لينتقلوا بعدها إلى مناطق أخرى يرسلون منها السيارات المفخخة، ويجنّدون العملاء لصالحهم، ولا يتورّعون عن قتل الناس بأيّ وسيلةٍ متاحةٍ لهم.



٩- الدواعش (كلاب أهل النار) صناعة المخابرات العالمية
وهوؤاء كانوا الخنجر المسموم في خاصرة الثورة بما أجرموا بالثورة ورجالها عندما تحولوا إلى قتال الثوار بدلاً من قتال النظام بتهمة الردة والصحوات.^١

ب- قسمٌ أخفى عداوته بدايَّةً

ولكنه في الحقيقة كان من الأعداء الحقيقيين والخطيرين على الثورة السورية

١- أمريكا

العدُوُ الأكْبَرُ التي منعت مصادر الدعم الخاص والعام، وفرضت ذلك بالقوة، كونها القطب الأوحد في العالم، فهي التي تشرف على ارتکاب كلِّ الجرائم من خلال صمتها على ما يحدث.

٢- الجامعة العربية (بأغلب دولها)

فقد كانوا عنوان الخيانة والتآمر على هذه الثورة اليتيمة ومنهم: {مصر (عهد المجرم السيسي)، والسعودية (عهد ابن سلمان)، والإمارات (ابن زايد)، ولبنان وال العراق والأردن} وبالإضافة إلى ذلك كانوا سباقين في التحرير والتلقيب والدعم المضاد الذي يسرع في القضاء على الثورة وأهلها ومن يقف معها أو يدعمها، وخصوصاً حكام دولة الإمارات الذين أبدوا حقداً منهم الدفين على الثورة السورية وأهلها من خلال دعمهم المالي المفتوح للنظام الأسد المجرم ومشاركة طائراتهم بقصف المدن السورية وتدميرها على أهلها وقد سجنوا كبار العلماء والدعاة في الإمارات بحجج دعم الإرهاب في سوريا. وهنا أتكلّم عن الحُكَّام والحكومات ولا أقصد الشعوب العربية والإسلامية في تلك البلاد إذ لم تقتصر دعمها للثورة بكلِّ ما تستطيع وضمن المتاح لها.

١ وسأفرد بحثاً كاماً عن داعش ودعائي نشأتها وتأثيرها على الثورة السورية



٣- مجلس الأمن (كما يُسمى)

عنوان التواطئ الواضح في المراوغة والتخاذل في اتخاذ القرارات الرادعة ضد النظام الأسدية تجاه المجازر اليومية بحق الشعب السوري التي يندى لها جبين البشرية.

٤- الأمم المتحدة

التي اتّحدت على قرار قتل الشعب السوري من خلال تخاذلها وخذلانها للشعب السوري الحر الأبي المنكوب وتأمرها عليه ومكرها به.

٥- الصين

لم تخفي عداوتها للثورة السورية بالرغم من وضع الإجرام الأسدية على طاولة مجلس الأمن مراتٍ ومراتٍ لإدانة النظام المجرم بما يقوم به من إبادة، فكان الفيتو الصيني المتكرر لأكثر من ثمانى مرات في إشارةٍ واضحةٍ لعدم تخلّيهم عنه، ولتقاطع مصالحهم مع الروس والإيرانيين وتقوية وجودهم في الشرق الأوسط وقطع الطرق أمام الغرب في السيطرة على المناطق المهمة في قارة آسيا.

٦- دولٌ ما يسمى «أصدقاء الشعب السوري»

من خلال العنوان يتبدّل إلى ذهن القارئ أو السامع ما يزيل عنه همّاً أو يفرّج عنه كربلاً، لأنَّ الصديقَ يقدِّمُ لأخيهِ وصديقهِ ما يحتاجه عند حاجته وضيقه، فما بالك باجتماع عشرات الأصدقاء الذين يملكون الإمكانيات والطاقة التي تنقدُ صديقاً واحداً ضعيفاً، إلا أنَّهم على العكس تماماً، والحقيقةُ أنَّ العنوان الأقرب والصحيح يجب أن يكون (أعداء الشعب السوري) وذلك لما تجلّى من مواقفهم خلال السنوات العشرِ من تاريخ الثورة، ويمكن لي أن أقسمهم إلى ثلاثة أقسامٍ:



١. دول العالم العربي: أغلب الدول العربية تتبع في قراراتها وسياساتها إلى أجنداتٍ خارجيةٍ لا تستطيع أن تتخذ قراراً دون الرجوع إلى حليفتها ذات القوة العلمي والقرار الأوحد، فضلاً عن رفضها للثورة ومحاربتها خشية تسلل ذلك إلى بلدانهم التي لم تكن أحسن حالاً من بلدان الربيع العربي.
 ٢. دول العالم الإسلامي: وأغلب هذه الدول مشغولٌ بمشكلاته الداخلية التي أنهكته وأبعدته عن مسرح العلاقات الدولية، ولا يهمّهم أخيراً إلا خلاص بلادهم مما قد يصيبهم من بلاءٍ ووباءٍ داخل بلدانهم وتحدياتٍ خارجها.
 ٣. الدول الأوروبية: لا تقل عداوتها عن عداوة أمريكا وروسيا وإيران إلا أنهم أخفوها وتزيّنوا بلباس الصداقة والمحبة ليمرّروا مخططاتهم ويزرعوا عملاءهم من خلال الدعم المالي الذي قدّموه ضمن جمعياتٍ إغاثيةٍ وهيئاتٍ تعليمية ومنظماتٍ تبشيريةٍ تغلغلت في المجتمع السوري الذي فقد كلَّ ما يملك، وأصبح بحاجةٍ لكلِّ شيءٍ من تلك الجمعيات وهذه المؤسسات والمنظمات، وما دروا أنَّ السُّمّ الغربي قد دُسَّ في العسل العربي والإسلامي، فضلاً عن الدخول في المجالات التعليمية التي تحرفُ الجيل بالاتجاه الذي يريدونه وذلك من خلال المال وإدارته وتوزيعه بما يضمن زراعة الفساد والانحراف ويدمر قواعد الأمن الأخلاقي والاجتماعي.
- ولعلَّ من أخطر ما مُورسَ على الثورة السورية باسم أصدقاء سوريا اختراقهم لصفوف المجاهدين باسم الدعم والتخطيط والتدريب والخبرة وغيرها من خلال رجالٍ تسلّقوا مناصب القيادة في بعض الفصائل، وأصبحوا من أصحاب القرار فيها حتى باتت الساحة السورية وكأنَّها غرفة عملياتٍ عسكريةٍ لمخابرات الدول الغربية.
- ومن هنا يتبدّى لك الخطُر الذي تلعبه هذه الدول، وتعلمُ أنَّ هذه التسمية (أصدقاء سوريا) أكبر كذبةٍ على الثورة السورية.



وبالعموم فإنه ومع اصطفاف كلٍّ هؤلاء الأعداء فإنَّهم لم يهزموا الثورة ولن يستطيعوا كسب المعركة بفضل الله تعالى، لأنَّها معركةٌ بين حقٍ وباطل ، بين كفرٍ وإيمان ، وفي ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ تُقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصْنَعُونَ﴾ (الأبياء: ١٨).



المبحث الثاني

داعش خوارج العصر والخنجر المسموم

قد يسأل البعض وحقٌ له أن يسأل: أَنَّه وبعد هذه السنوات من التضحيَّة والبذل والعطاء، فلم نر إِلا مزيداً من التراجع والتفكُّك والتشرذم والاقتتال فيما بين إخوة الدين والعقيدة والسلاح.

فأين نحن اليوم؟

وإلى أين نحن ذاهبون؟

وما الذي تغيَّر في معادلة الثورة حتى انحرفت البوصلة وخرجت عن طريقها؟ أَسئلة كثيرة تحتاج إلى أجوبة مقنعة، خاصةً أنَّ الكثير من أبنائنا لا يقرؤون التاريخ ولا يدركون حقيقة الأعداء وخطر مخططاتهم واستمرار كيدهم، فالملامح التي نراها اليوم في الساحة الثورية وما يعتريها من تدميرٍ لبنيتها التحتية وتشريدِ لسكانها المستضعفين إنما هو مخططٌ خبيثٌ يرسمه الأعداء وينفذه العملاء والأغبياء، وكل ذلك بغية السيطرة على بلاد المسلمين وضمان تفرقهم وضعفهم، دون أن يخسروا شيئاً من كياناتهم أو طاقاتهم، فما يخرج الاستعمار من بابٍ إلا ويعود ليدخل من بابٍ آخر بلباسٍ جديدٍ ليُلِّيس على الناس خبئه ودهاءه ولি�أخذهم في غفلةٍ من الزمن، وما نعيشه هذه الأيام ما هو إلا ضربٌ من ضروب المكر والخيانة والخداع أوقع شباب الأمة في مستنقع الفتن والدماء عندما صُنِعَ من بعضهم تماثيلٌ بشرية، وأُلبست أسماءً إسلاميةً براقة، فكانت (داعش) التي من خلالها حصدَ الغربُ نتائجَ باهرةً يمكن أن نلخص بعضها بما يلي:

1. زرع الفتنة والشقاق والاقتتال بين إخوة الدين وهبوا أنفسهم لرفع راية التوحيد وتحكيم الشريعة، بعد أن تم استجلابهم من شتى بقاع الأرض، وبذلك استطاعوا القضاء على الآلاف من المجاهدين دون أن يطلقوا رصاصةً واحدة على العدو



٢. ضمان السيطرة على المناطق المهمة التي يُسِّرون إليها المعارك حتى يستنفدوها قوى الأطراف المتحاربة والتي سيخرج الرابع فيها خاسراً منها، فيحصدوا بذلك النفوذ والسيطرة دون أي جهد يذكر.
٣. تدمير البنية التحتية للبلاد الإسلامية وإعادتها لسابق عهدها من التيه والضياع والتخلّف والجهل، وإشغالهم في إعادة إنشائها ثانية، وهو ما يُفسح المجال لشركات أجنبية تابعة لهم تقوم بذلك، فيضمون تخريب منشآتنا وسرقة أموالنا.
٤. التخلص من الأسلحة القديمة التي تم تصنيعها من عشرات السنين وبيعها للأطراف المتنازعة بأسعار باهظة، وتجرب الأسلحة الجديدة وفعاليتها في القتل والتدمير والتخييب ولو على حساب الأبرياء العزل من النساء والشيوخ والأطفال والعجزة.
٥. استنزاف الأموال العربية، وخاصة الخليجية منها، بحجج واهية وذرائع باطلة، تُدفع لهم عنوةً وقسرًا لقتل المسلمين في بقية الدول العربية.
٦. إعادة صياغة المنطقة جغرافيًا وديمغرافيًا بما يتاسب مع مصالحهم وتحقيق طموحاتهم لعشرات السنين إن لم يكن مئات السنين، حسب خططهم الممنهجة في السيطرة على بلاد المسلمين.
٧. استكشاف الطاقات الكامنة والشخصيات النخبوية، من أهل الفكر والعلم والإبداع، وصاحبة الرؤى والتوجيه والقيادة، والتي قد لا تظهر إلا في تلك الأماكن والأوقات، لتطويعها لصالحهم واستخلاص خبراتها، أو اختراقها والعمل على تصفيتها والقضاء عليها عند الحاجة والضرورة.



لم تكن نظرة الفصائل وغيرهم من عوام الناس إليهم بدايةً إلا أنّهم فضيلاً مقاتلاً معهم وإخوةً لهم في الله، على عكس نظرتهم (أي داعش) إلى الناس والفصائل حيث نظروا إليهم على أنّهم مرتدون يجب قتلهم، فاحتلوا المناطق المحررة التي بُذلت الدماء حتى تم تحريرها، وقاموا بتصفية آلاف المجاهدين والعلماء والدعاة وكبار الشخصيات الفاعلة التي لم يستطع النظام الوصول إليها بكل إمكاناته، فكانوا هم من يقوم بالاغتيالات والتفجيرات في الأماكن التي يريدونها دون أن يكشفهم أحد أو أن يشك بهم أحد، ثم يتبنّون ذلك باسم الجهاد، حتى افتعضَ أمرهم وأعلنوا أهدافهم ومشروعية قتالهم للمجاهدين واستهداف أماكن وجودهم، وهو ما أوقع الساحة في معوقاتٍ وتحدياتٍ صعبةٍ، ولعل أبرز أهدافِ صناعة تلك الجماعات ما يلي:

١. ضمان سرعةِ تفكّك المجتمع المسلم بوجود الجماعة المتشددّة التي تكفرُ غيرها ليكونَ ذلك مدخلاً للخلاف والاختلاف المفضي إلى القتال، فيقتلُ بعضهم بعضاً، وفي هذا ضمانٌ للخلاص من العنصر الشبابي الذي عنده حبٌّ وميلٌ للجهاد بعد استجلابهم من بلدان العالم وزجّهم بمعارك يغدو فيها أحدهم رقماً لا أكثر.
٢. استجلاب الشبابِ المتحمّس للجهادِ من بلدان العالم وتسهيل مرورهم واستعطافهم بعباراتٍ رنانةٍ وخطاباتٍ طنانةٍ وراياتٍ تستجلب حماسهم، ثم تُقحمهم بمعارك مجحولة الأهداف، محددة الأماكن لقتلِ أكبر عددٍ منهم فضلاً عن تدميرها، (وهذه من الخطط الخبيثة الغربية أن يجعل قتل المسلمين بأيديهم).
٣. تدمير البنى التحتية للبلد أو للمحافظات التي يُراد تدميرها، ونقل المعارك إلى أماكن ثانيةٍ حسب الخطّة ليتم تدمير المؤسسات والمراافق العامة والأماكن المهمّة كافيةً.



٤. تشویهُ صورة الإسلام والخلافة الإسلامية من خلال الممارسات التي يقوم بها الأمراء والقادة من قطعٍ للرقاربِ وجليٍ للظهور وحرقِ للأحياء بما يسيءُ للدين الحنيف بتلك الممارسات الخاطئة، وهذا يعطي الأعداء الضوء الأخضرَ للتحالف ضدَّ الإسلام والقضاء على أيّة جماعةٍ إسلاميةٍ بحجة الإرهاب.

٥. متابعةُ الدعاة والعلماء والقادة المخلصينَ ممّن لا ينتسبون إلى هذا التنظيم وضمّهم إلى لائحة التصفية والاغتيال لعدم مبايعتهم أو اتّباعهم.

٦. ابتزازُ العالم العربي والإسلامي بإنفاق الأموال الطائلة لتكلفة الحرب على داعش وتصريف السلاح والذخيرة القديمة وتجريبِ ما جدّ من سلاح بالعملة الصعبة.

كلُّ هذه الأمور السابقة انعكست سلباً على الحاضنة الشعبية وعوام الناسِ الذين عانوا من فسادهم وظلمهم واستبدادهمِ فضلاً عن التحدّيات الاجتماعية والصعوباتِ المعيشية والمعوقاتُ الحياتية والضغوطاتُ الدوليّة التي مورست عليهم فزادت من حالهم سوءاً على سوءِ ظلّمٍ، وهو ما جعل الكثيرَ من النُّخب العلميّة تهاجر حفاظاً على نفسها من التصفية والاعتقال، وكذلك هروبُ الكثيرِ من الشبابِ مع عوائلهم خوفاً من تصفيتهم على يد قاداتٍ يعرفونهم بخلفياتهم الفاسدةِ وماضيهم الأسود بعد أن تسلّقوا على الثورة وتسلطوا على الرقاب ووصلوا إلى مراتب يصعبُ السيطرةُ عليهم فيها.



المبحث الثالث

المواقف الدولية تجاه الثورة السورية

بعد استعراض الكثير من جوانب الثورة السورية وما اعتبرها من عقباتٍ ومنعّصاتٍ مختلفة دعونا نسلط الضوء على المواقف الدولية المتباينة تجاهها والتي تعكس دوافعها الحقيقية وأطمامها الاستعمارية.

فمن المعلوم والمؤكّد أنَّ الدول تبني سياساتها على أساس المصالح الخاصة بالدرجة الأولى وما يدرُّ عليها من الخيرات والثروات والأرباح المختلفة والمتعددة، وهذا ما يبرر اختلاف السياسات والتعاملات السياسيَّة بين الدول بين الفينة والأخرى، فصديقُ اليوم قد يغدو عدوًّا الغد، وعدُّ اليوم قد يصبح صديقَ الغد حسب المصلحة والمنفعة البينية.

ومن هنا فقد تباينت المواقف الدوليَّة تجاه الأزمة السوريَّة منذ بدايتها، فمنهم من دعمها ووقف معها، وسرع في ذلك حاجةُ الأطراف المتنازعة (من المعارضة والنظام المجرم) إلى الدعم الماليِّ والعسكريِّ بشكلٍ خاصٍ والذى لا يستطيع تقديمها إلا الدول وذلك لضمان الصمود والاستمرار من جهةٍ وتحقيق النصر على الخصم من جهةٍ ثانية، ولعلَّ تلك الدول وجدت بغيتها في ذلك للوصول إلى أهدافها ولتحقيق مآربها فيما تراه مناسباً في التعامل مع الثورة السوريَّة أو النظام الأسديِّ المجرم، وهنا يمكن لي أن أستعرض المواقف الدوليَّة باختصار كما يأتي:



١- الولايات المتحدة الأمريكية وموافقها من الثورة السورية

يعتبر الموقف الأمريكي مهمًا في كل المحاولات العالمية لتدخله في كل القضايا الدولية والمحليّة على حد سواء بشكل سلبي أو إيجابي، ولم تكن القضية السوريّة بمعزل عن المواقف الأمريكية والتي لم تبد واضحةً من الأزمة السوريّة، بل كانت مواقفها متذبذبة بين الدعم وضده، وخاصةً أن أمريكا تعتبر القطب الأوحد والقوة العظمى في العالم، وهذا ما يؤهلها ويمكّنها من إيضاح المواقف واتخاذ القرارات الحاسمة إن شاءت، وقد يكون هذا التذبذب في الموقف تبعًا للظروف الميدانية على الأرض أو تبعًا للتغيير رأي ونظرية الإدارة الحاكمة واختلاف استراتيجياتها، علماً أنَّ رسم الاستراتيجية الأمريكية العام تعتبر فوق الرئاسة وترسم بأيدي خاصةٍ خبيثةٍ ملزمةٍ للجميع، فلا يمكن لأي رئيسٍ (ديمقراطي أو جمهوري) الحياد عنها إلا بهوامش جزئية لا تسمن ولا تغني من جوع.

وعلى كل حال فقد لعب الأمريكي دور المراقب للأحداث الجارية الظاهرية، وتغيّر دوره كما دور غيره حسب الظرف والمرحلة لنراه داعماً للثورة في بدايتها صورياً عندما تجلّى ذلك من خلال موقف السفير الأمريكي في دمشق روبرت فورد بالمشاركة في المظاهرة المليونية في حماة بداية الثورة عام ٢٠١١م؛ وعندما جاء التصريح الأمريكي بأنّه: «يجب على الأسد التنحي لأنَّه فقد شرعية»، ولكنَّه يبدو أنَّه لم يكن جاداً في ذلك كما كان في أمر سلفه للأسد نفسه بالانسحاب من لبنان عام ٢٠٠٥م، خلال ٧٢ ساعة إبان حكم بوش الابن، حيث تم تنفيذ الأمر والانسحاب بالوقت المحدد، ذاك الوقت الذي لا يتسع لانسحاب قواتٍ هائلةٍ تجمّعت على مدى ٢٥ سنة، ومع كلَّ هذا فقد تم الالتزام والانسحاب الفوريُّ آنذاك لإدراك النظام الأسيدي بما سيلحق به من تبعاتٍ قاسيةٍ إن تأخر في التنفيذ أو أبطأ في الاستجابة.



بينما لم يتخذ الرئيس الأمريكي باراك أوباما أيّ موقفٍ واضحٍ كقوّةٍ عظيمٍ تجاه الثورة السورية، بل أعطى الضوء الأخضر لروسيا وأطلق يدها في القضية السورية لظهور أمام العالم وكأنّها صاحبةُ القرار العالمي، كما لم يكن خلفهُ ترامب بأفضل منه إلّا بضخامة جسمه وجشعه وشدّة حقده على التيار المعارض للأسد والبديل المحتمل له (ولا عبرة ببعض الألفاظ المناوئة التي كانت تصدر منه تجاه الأسد أحياناً)، ولذلك لم يتغيّر التعامل الأمريكي مع الثورة السورية إلّا من خلال الوعود والأقوال فقط، في الوقت الذي يردّ فيه مندوبُ النظام بشارُ الجعفريُّ عليهم في إحدى جلساتِ مجلسِ الأمن بكلٍّ سخريةٍ وعنجهيةٍ، وهو ما يدلّ على أنَّ أدواراً متناقضةً يقومُ بها الأمريكي كالتصريحات اللاحقة من المتحدث الرسمي الأمريكي: «بأن رحيل الأسد لم يعد من الأولويات عندنا»، وهو ما يكشف الإرادة الحقيقية لإطالة أمدِ الصراع وعدم الاستعجال في حلِّ القضية السورية مع ضرورة دعم الأطراف المتنازعة بما لا يحقّق نصرَ طرفٍ على آخر.

الحقيقةُ واهمٌ من يظنُ أنَّ أمريكا ليست عدواً للثورة السورية، واهمٌ من يظنُ أنها من أصدقاء هذه الثورة، فكثيرٌ من المفكرين والمنظرين يصنّفون أمريكا على أنها من أصدقاء الشعبِ السوري ومن داعميِّه لما يسمعونه من تصريحاتٍ تصدرُ عن مسؤوليهم توحّي بوقوفهم ضدَّ بشارِ الأسدِ حين يدعونه فيها للتنحي وأنه فقدَ شرعنتهُ، وما ذاك إلّا لذرِّ الرمادِ في العيون، أو هي فقاعاتٍ إعلاميةٍ لاسترضاء البعضِ ممّن لا يرونَ أبعدَ من أنوّفهم، بل إنَّ الحقيقةَ التي يجبُ أنْ نجهرَ بها وينبغي أنْ يعلّمها الجميعُ أنَّ العدوَ الأولَ والأخطرَ على الثورة السورية إنّما هو أمريكا، لأنّها كانت العدوَ الخفيَّ في إجهاضِ الثورة واستبقاءِ الأسدِ ونظامِهِ، وذلك من خلال الأمورِ التالية:



١. أمريكا هي من منعت وصول الأسلحة النووية للثوار المقاتلين وخاصة مضادات الطيران التي من شأنها تغيير موازين القوى، مع تهديد وتحذير الدول التي يمكن أن تقدم الدعم للثوار وتزودهم بها، بحجة احتمال وقوعها بأيدي متطرفين إسلاميين، وهي تبغي بذلك إطالة أمد الحرب واستنزاف الأطراف المحلية والإقليمية والدولية كافة في المستنقع السوري.
٢. أمريكا هي من عرقلت إنشاء منطقة عازلة آمنة لحماية المدنيين، وهي من منعت قرار حظر جوي يمنع طائرات النظام المجرم والطائرات الروسية من استباحة القرى والمدن السورية، يوقف ارتکاب المجازر اليومية في الشعب السوري الأعزل مع قدرتها على ذلك وقلة تكاليفها.
٣. أمريكا وإيران تطبق المصالح، وهذا واضح من التقارب والغزل العلني بينهما وفي منح إيران حق التدخل السافر مع ميليشياتها لدعم الأسد ونظامه بعشرات الآلاف من الجنود والمرتزقة، مع التساهل في تعاملها في الملف النووي الإيراني، والإفراج عن أموالها المجمدة وهو ما أعطاها دفعاً كبيراً في دعم الأسد ونظامه، علمًا أن ذلك لم يكن لسواد عيون إيران، وإنما لاستنزافها وتقليل أظافرها بعد تحقيق المصالح الأمريكية على أكتافها.
٤. أمريكا هي من أطلقت يد روسيا في سوريا لإغرائها في المستنقع السوري، وذلك من خلال إعطائهما الضوء الأخضر في ضرب الفصائل المقاتلة وتصفيف الشعب السوري الأعزل بكل أنواع الأسلحة المحرمة دولياً، فقتلت مئات الآلاف وشردت ملليين وهجرت الملايين بعد أن دمرت الممتلكات وحرقت الأخضر واليابس دون أن تنبس أمريكا ببنت شفة حول ذلك، وتكون بذلك قد ضمنت انهيار ودمير البنية التحتية للدولة السورية مع عدم سقوط نظام الأسد وعدم انتصار أي على طرف من أطراف الصراع في المنطقة على الآخر.



٥. أمريكا هي من سهلت عمليات تنقل تنظيم داعش بأرتالها الضخمة ولمسافات بعيدة في أثناء معاركها المفتعلة وسيطرتها على بعض المناطق الاستراتيجية وانسحابها منها بعد مدة بمعارك يُقتل فيها آلاف الشباب المتحمّسين للجهاد والمحبين للشهادة، (ولا يخفى على أحد دور الأمريكي في ظهور هذا التنظيم الاستخباراتي العالمي).

٦. أمريكا هي من مارست الضغط الهائل على تركيا لمنعها من دعم الثوار والمقاتلين في الوقت الذي ظهر التآمر الواضح منها مع الأحزاب الانفصالية الكردية وخاصة pkk ودعمها لهم فيما يحتاجون إليه لتمكن مشروعهم الانفصالي الإرهابي، واستخدامهم في هذه المرحلة كأدوات ومطايلا لتحقيق المصالح الأمريكية في المنطقة، ومحاصرة تركيا وخلق كيانات سياسية جديدة قائمة على الأرض السورية بأبعاد عرقية تكون خنجرًا جديداً في خاصرة المنطقة على غرار الخنجر الإسرائيلي في خاصرة الدول العربية والإسلامية.

٧. أمريكا تبغي الاستحواذ والسيطرة على الأماكن الاستراتيجية، وبناء محطات وقواعد أمريكية فيها تضمن مصالحها دون جرأة أي من الدول بالاعتراض عليها، وهذا ما تم فعلا في مناطق الثروات النفطية وغيرها من سوريا.

٨. أمريكا تسيطر على القرار الدولي وتستعمله فيما يلبي مصلحة النظام المجرم، من مجلس الأمن، إلى الأمم المتحدة، إلى منظمة حقوق الإنسان، وغيرها.

والحقيقة التي لا تخفي على أحد أن التدخل الأمريكي لا يحتاج لقرار أمريكي، فلقد كانت جلسات مجلس الأمن بخصوص سوريا وما يحصل فيها من مجازر يندى لها جبين الإنسانية كانت مسرحيات واضحة المعالم تتبادل فيها روسيا وأمريكا الأدوار اللعينة المشؤومة على حساب الشعب



السوري ودماء أبنائه العزل، كما قد لا تحتاج أمريكا للتدخل بشكلٍ مباشر إلا بالتخفيط والتأمر والإشراف على عمليات الإجرام ثم جنى النتائج والثمرات المأمولة والمطلوبة.

٩. أمريكا تسيطر على مرجعية ما يسمى بدولٍ أصدقاء سورية، لتدور قراراتهم بشأنِ سورية بما تملّيه أو بما يتناسبُ مع رغباتِ أمريكا ويحقق مصالحها، وهذا أصبح واضحاً جلياً لا يمكن لأيِّ دولةٍ أن تخرج عن العباءة الأمريكية في المرحلة الراهنة وضمن الواقع الحالي.

كلُّ هذه الأمور وغيرها مما خفَّ على الشعب السوري تجعلُ من أمريكا العدو الأكبر والأخطر على الثورة السورية لأنَّها المتحكَّمُ الأوَّلُ والقطب المسيطر على كلِّ شيءٍ من مقومات القوة في العالم، فهي اللاعبُ الرئيسيُّ فيه والمراقبُ الذي يغمسُ كلَّ القوى التي يريدُ لها الدمار في المستنقعِ السوري ليضمنَ بذلك هلاكَها مع هلاك الثورة السورية ويخرجُ متماسكاً قوياً ضاماً مكانه ومكانته في إعادةِ رسم الخرائط الجديدةِ والتحكُّم في مصيرِ الأمم والشعوبِ.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ الحمايةَ الأمريكية للنظامِ السوري ليست حبَّاً بالأسد ونظامه، وإنما هي المصالحُ الخاصةُ والتي يمكن أن نلخصها بالنقاط الآتية:

١. حمايةُ الأسدِ ونظامه ضمانةً لاستمرارِ السلامِ والأمانِ على الحدودِ الإسرائيليَّةِ والتي كانت من شروطِ تسليمِ حافظِ الأسدِ السلطةَ في سورية منذ أن كان وزيرَ الدفاعِ عام ١٩٦٧م، وسلَّمَ الجولانَ آنذاكَ لها من غيرِ حربٍ ولا قتالٍ، ببيان (٦-٦) المشؤوم الذي أُعلنَ فيه سقوطِ القنيطرة عاصمةً الجولانَ.

٢. بحمايةِ الأسدِ ونظامه الطائفيِّ النصيريِّ يمكنُ القضاءُ على الجماعاتِ الإسلاميَّةِ والضربُ عليها بيدِ من حديدٍ بحجَّةِ الإرهابِ، وهذا أيضاً من الشروطِ السريةِ لتأسُّمِ الأسدِ السلطةَ في سورية.



٣. العمل على ترسیخ التفسخ الاجتماعي بدعم إقامة المشروع الكردي الانفصالي لزعزعة الداخل التركي وتغيير منظومة الحكم فيها، لأنّها خط الدفاع الأول في القضية السورية في هذه المرحلة (مرحلة حكم حزب العدالة والتنمية).

لقد نجحت أمريكا في إيقاع روسيا في مستنقع الولل السوري عندما أدارت ظهرها لها، وفسحت المجال في تدخلها والذي أظهر مدى الضعف العسكري الروسي الذي كانت تتغنى به على أنها دولة عظمى، فانكشف عوارها أمام العالم بعدم قدرتها على حسم المعارك في مدينة كحلب وإدلب في مدة تزيد على خمس سنوات.

فضلاً عما سيترتب على روسيا من التبعات السياسية والعسكرية والأخلاقية بما ارتكبت من جرائم حرب لا تستطيع المهرب منها في وقت من الأوقات.

لقد نجحت أمريكا في إشغال القوى ذات النفوذ على الساحة في دائرة المعارك الميدانية في الساحة العربية والإسلامية، فأدخلت السعودية في اليمن، وأدخلت إيران في سوريا ومن بعدها روسيا، وهي ترسم وتخطّط وبيدو أنّهم لن يخرجوا من أتون المعارك إلا وقد استنفدوا كامل قواهم، وبقيت هي (أمريكا) بكلّ قوتها وامبراطوريتها.

وممّا يؤكّد الموقف الأمريكي ما صرّح به سفيرهم روبرت فورد بدمشق بداية الثورة عام ٢٠١١م، في إحدى جلساته مع أطراف المعارضة السورية قوله: (بأنّ الثورة السورية ستطول كثيراً) وقد يكون من الأسباب الداعية لإطالة الأزمة السورية عند الأميركيان ما يأتي:

١. إطاله أمد الصراع للتمكّن من التهـب والسلـب والسرقة والتـمويـع المـثـمر والهيمنـة الـاقتصادـية على أماكن الثـروـات المـهمـة فيـ الـبلـد.



٢. عدم وجود البديل المطلوب والمناسب عن الأسد والذي يمكن أن يلبي الطموحات الأمريكية، ويحقق لها مصالحها في المنطقة، وخاصةً أنَّ المعارضة السياسية التي تصدرت المشهد السياسي تفتقر لامتلاك الصفات التي ترغب فيها أمريكا.
 ٣. فقدان الثقة في القيادة العسكرية للمعارضة وعدم تجانسها مع بعضها فكريًا كجيشِ يمكن أن يحل مكان جيش النظام الأسدِ.
 ٤. الاستقرار في سوريا قد يكون لصالح تركيا في الفترة المقبلة، وهو يعكس التوجهات والرغبات الأمريكية التي تنظر إلى تركيا على أنها منافسٌ ومنازعٌ مستقبليٌ لا تريد له خيراً، بل تضرر له شرًّا وعداؤه وكيداً.
 ٥. اعتماد أمريكا على الميليشيات الانفصالية الكردية ووعدها بالحكم الذاتي واستخدامهم كمطاييا لتحقيق المصالح الأمريكية المرحلية واستعمالهم ككلاب حراسته وضباعٍ تمزق وحدة الشعب السوري مستقبلاً.
 ٦. مصلحة إسرائيل وسلامة منها في المنطقة ومتانة بناءها العسكري في الوقت الذي تنهار فيه الدولة السورية التي قد تشكل خطراً مستقبلياً، وهذا لا يكون إلا من خلال إطالة أمد الصراع.
 ٧. رجُّ روسيا بقواتها العسكرية في الواقع السوري واستنفافها فيه من خلال السماح لها بدخول سوريا علمًا أنها لن تعطيها الحق ولن تسمح لها بوضع الحلول النهائية.
- وممَّا سبق نلاحظ أنَّ الموقف الأمريكي ليس جاداً في حلَّ القضية السورية إلا بما يحقق له مصالحه ولو على حساب القيم والأخلاق والدماء والأشلاء، وهذا ما بدا واضحًا من خلال دوره في القضية السورية كالمراقب الذي يتفرج على الضحايا المظلومة والجلاد الفاجر الماكر، فيискُت على أجرام الأشرار ويغضُّ النظر عن الإبادة والدمار.



٢- روسيا و موقفها من الثورة السورية

روسيا هي مُنقذة الأسد ونظامه من الهلاك المحتم وم الموت المؤكد، وهي العدو اللدود والخصم العنيف في حربها ودفاعها المستميت لاستبقاء بشار الأسد ونظامه المجرم، لأنّه الحامي لمصالحها القديمة، والذریعة في ضمان حصتها من الكعكة السورية، وطمعها في استعادة مكانها التي خسرتها في ثمانينيات القرن الماضي.

ومما زاد من الصلف الروسي وتدخله السافر استدعاء النظام الأسد لـه (كدولية شرعية لها مكانها في جامعة الدول العربية)، بالتدخل العسكري باعتباره حليفاً استراتيجياً بعد أن فقد السيطرة على أكثر من ٨٠٪ من الأرض، وأكثر منها من جيشه الذي أضحي بين قتيل وجريح ومعاق وأسير ومنشق، وبعد أن فشلت إيران وميليشياتها في القضاء على الثورة والثوار الذين ما زالوا يتقدون في السيطرة على الأراضي وتحريرها ويختنون في أعدائهم.

لم يكن التدخل الروسي إلا بعد الضوء الأخضر الأمريكي لضمان مصالحه بعد أن ضمن مصالحة هو الآخر، وما كان يظهر من اختلاف إعلامي بينهم في بعض الأحيان إنما كان لاختلاف على توزيع الثروات واقتسم المساحات الجغرافية والأماكن الاستراتيجية لكلٍّ منها.

وبالعموم فقد كانت روسيا ولا تزال الحليف الرئيسي للنظام السوري، فلم تتنازل عنه أبداً بل لم تتوان في الدفاع عنه رغم استفحال إجرامه وانتهاكاته لكلّ المحرّمات الدوليّة، وقد تجلّى ذلك من خلال استخدام الفيتو وتعطيل قرارات إدانته في مجلس الأمن عدّة مرات، بالتوازي مع دخولها المباشر بكلّ ترسانتها العسكرية واستخدامها لجميع أنواع الأسلحة الفتاكه من أجل حسم المعركة لصالح النظام المجرم وإنهاء المعارضة، إلا أنّها لم تفلح في ذلك والحمد للله.



وقد تكون نجحت في تأخير إسقاط النظام الفاجر، ووفّرت له نصيباً من الراحة والاستقرار النسبي في بعض المناطق، لكنّها لم تحقّق هدفها الذي دخلت من أجله، ولم تحصل على ما تريد، ولذلك سعت لاستجرار المعارضة السياسية وترويضها لتدخل في شراكة مع النظام الأسدّي بعد (مسرحية الإصلاحات الإدارية والدستورية المزعومة) التي من شأنها تقليص الهوة بين النظام الأسدّي والمعارضة، فتكون بذلك قد حافظت على نظامها الذي أسّسته بدايّة لحماية مصالحها وللحفاظ على ثرواتها، ومن هنا كان دفاعها عن النظام الأسدّي دفاع المستميت، لأنّ خسارة النظام في سوريا هي خسارة المصالح الروسيّة في الشرق الأوسط بأكمله وخاصةً أنّ روسيا تريد إعادة امبراطوريتها ثانيةً بعد تفكّكها نهاية القرن الماضي لتنافس الولايات المتحدة الأميركيّة، وذلك من خلال سيطرتها على المزيد من دول العالم، فضلاً عن الأهداف الأخرى التي تعود عليها بالنفع الخاص، كالخالص من الأسلحة الكامنة القديمة عندها وبيعها بالعملة الصعبة للنظام السوري، وكذلك في تجريب الأسلحة الحديثة وتبيّان صلاحيتها ومدى فاعلياتها وترويجها للعالم، وهذا ما صرّح به كثيرون المجرم بوتين: «**بأنّ سوريا كانت الأرض المناسبة للتدرّيبات الروسيّة بأقلّ كلفة مالية.**».

روسيا والإجرام الناعم

لم تستخدم روسيا عدوانها العسكري ضدّ الشعب السوري فحسب، وإنما ركّزت على الجانب السياسي جنباً إلى جنب مع الجانب العسكري من خلال تشكيل ودعم بعض المنصّات التي من شأنها أن تكون أدواتٍ طيّعةً بيدها تحركها كيفما تشاء وفي الوقت الذي تشاء بمساعدة بعض الدول صاحبة المصالح الخاصة (كمنصّة موسكو ومنصّة الرياض ومنصّة القاهرة..).



وكل هذه الأمور لاستجرار المعارضة لجلساتٍ سياسيةٍ تفاوضيةٍ تكون لها اليد الطولى فيها، فكانت سوتشي والاستانة والتي استجررت إليها المعارضة (وهذا بحد ذاته انتصارٌ لها حسب زعمها أن تسحب المعارضة إلى أراضيها لتعقد معهم صفقاتٍ ولتخضعهم لتنازلاتٍ سياسية) وكان من بعض نتائج تلك الجلسات تصنيفُ المناطق السورية حسب وضعها الأمني والعسكري بين مناطق هادئة، ومناطق ساخنة، وبين مناطق ما يُسمى (خفي التصعيد)، وما كان لهذه البنود من خطٍّ كبير على المناطق المحررة في الوقت الذي لا تلتزم روسيا بما أبرمته من اتفاقياتٍ وبما نكثت من وعودٍ ونقضت من عهود.

فقد كانت سوتشي والاستانة أشبه ما تكون بالوجبات المسمومة التي إذا ما وافق عليها الرجل وأكل منها سرعان ما دَبَّ المرض في جسده فانهار أو مات. وهكذا كان حال المناطق المحررة التي استفردت بها روسيا، وصبت إجرامها عليها، واتبعت سياسةً القضم ودببَ النمل في استرجاعِ المناطق للنظام المجرم متزامناً ذلك مع الكثافة النيرانية بكلّ أنواع الأسلحة وصنوفها على مدى سَتِّ سنواتٍ متواصلةٍ لم تتحقق المطلوب الذي أرادته فتظهرَ أمام العالم بزيِّ المنتصر بحربه والمتفوّق على خصميه، وهذا ما كانت تسعى إليه في آخر معاركها بعد أن أنفقت المليارات من الدولارات، ولم تصل لأهدافها بعد ولن تصل بإذن الله، ولا تزال تعقد الهدن لتأمين استراحة مقاتلتها وإعادة انتشارهم بعد استعادة نشاطهم لتقضم المزيد من المناطق، وتعيدها للنظام المجرم، وهكذا بقي الحال بين كِرْ وفِرْ دون هزيمةٍ لها أمام الثوار والمعارضة، دون تحقيق نصرٍ لهم عليها.



فبعد كلّ هذه المعارك العسكرية والجولات السياسية لم يكن أمام الروس إلا وضع خطةٍ للخروج من عنق الزجاجة التي أقحموا أنفسهم فيها لينتهوا من تلك المرحلة بما يحفظ لهم ماء وجههم أمام العالم، مع الحفاظ على مصالحهم في المنطقة، مستخددين كلَّ الأسلوبِ والأدواتِ التي من شأنها أن تحقق لهم ذلك، فكانت الدولُ الكبرى ذات الصلة تحاول ترويض المعارضة في ميادين السياسة لتنزع منها ما لم تستطع انتزاعه بالياديِنِ والمعاركِ العسكرية، ويبدو أنَّه لن يكون آخرها اتفاقُ سوتشي بين تركيا وروسيا والذي أرغمت فيه روسيا على التراجع خطواتٍ إلى الوراء أمام الموقف التركي الضامن والثابت والمتمسك بعدم السماح بأيِّ عملٍ عسكريٍّ في الشمال المحرر مهما كلف الأمر معتبراً سقوطَ مدينة إدلب بيد النظام وحلفائه هو بداية المعركة ونقلها إلى الأراضي التركية، وقد ساعدتها في موقفها المتماسك امتلاكُها للكثير من أوراق القوة على الطاولة الدوليَّة.

روسيا وال الحربُ القدرة

إنَّ الذي يقرأ التاريخَ يجد وقاحةَ الروسِ وإجرامهم في الحروب التي يديرونها، فلا يعرفون من الحروب إلا سياسة الأرضِ المحروقةِ والتدمير الشاملِ لكلِّ البنية التحتية والحياتية، فهم أصحابُ تاريخٍ أسودٍ في الإجرام، فلا يعرفون أخلاقاً ولا يلتزمون بمواثيق ولا عهود.

روسيا تعتبر سوريا ونظامها مقاطعةً منها حسب زعمها، فلا يمكن أن تخلى عنها مهما كانت التضحياتُ ومهما بلغت الخسائرُ حتى لا تخسر بخسارتها مناطقَ الشرق الأوسط، ولذلك كان التدخل الروسيُّ بعد فشل إيران وميليشياتها بإيقاف نظام الأسد، فدخلت لمدة ثلاثة أشهر لتحسم الأمر ولكنها دخلت في السنة السادسة (منذ عام ٢٠١٥م)، ولم تستطع أن تحسِّم الأمر لصالح الأسد المجرم والحمد لله.



نعم لقد أخرجت روسيا من سقوط النظام المجرم وانهياره بما هدمت ودمرت من البيوت والممتلكات والبني التحتية والمرافق العامة والخاصة، وبما قتلت وشردت من النساء والأطفال والشيوخ، إذ لم ترك نوعاً من أنواع السلاح إلا واستخدمته في القتل والإجرام ولم تستطع هزيمة الثوار والمجاهدين والحمد للله.

كانت روسيا باستخدامها للترسانة العسكرية في سوريا تقوم بالتدريبات الازمة لجيشهما وتجريب سلاحها في حقل لا تتكلّف فيه بشيءٍ، وهذا ما صرّح به أحد المسؤولين في وزارة الدفاع الروسية بقوله: (إنَّ قادة التشكيلات المسلحة التابعة للجيش الروسي، شاركت في اختباراتٍ في ظلّ ظروف القتال الحديث). وأضافت الوزارة على لسان وزير خارجيته «سيرغى شويغو»: (أنَّه تمَّ اختبار جميع الأسلحة الروسية خلال العملية العسكرية في سوريا).

أوضح شويغو على قناة «زفيزدا التلفزيونية» بقوله: (جميع قادة الفوج وقادِة الفرق والجيوش وكلَّ قادة المناطق وكلَّ رؤساء الأركان وكلَّ رؤساء الخدمات، قد شاركوا في معارك سوريا خلال هذه الفترة).

وكان وزير الدفاع الروسي، سيرغي شويغو، اعترف في وقتٍ سابقٍ أنَّ بلاده تستخدم سوريا (كحقل تجارب لأسلحةها الجديدة).

وقال «شويغو»: (لقد اختبرنا في سوريا /٣١٦/ نموذجاً من الأسلحة الروسية الجديدة)، بحسب وكالة «سبوتنيك»، منذ أن بدأت العملية العسكرية الروسية في سوريا، يوم ٣٠ أيلول من عام ٢٠١٥م، بهدف دعم رئيس النظام السوري بشار الأسد.



٣- إيرانُ و موقفها من الثورة السورية

إيرانُ صاحبةُ الطموحاتِ الكبرى في تدخلها وميليشياتها لبناء إمبراطوريتها الفارسية، وهي تعتبرُ سورية المحافظة /٣٥/، وكانت تعمل من أجل ذلك منذ تسلُّطِ المقبورِ حافظ الأسد على الحكم في سورية بأساليبٍ ناعمةٍ كبناء الحسينيات والمراءقِ والبعثاتِ الدراسية إلى مدينةِ (قم) الإيرانية، والنشاطات السياحية وشراء العقارات في أماكن مهمةٍ ونشر التشيع بكلٍّ ما تستطيع من بذل للمال ترغيباً في نشره وقوبه، ولمْ تخفِ نيتها ورغبتها في ذلك من خلال حشدِ جلٍّ إمكانياتها وطاقاتها وتوظيف مؤسساتها حتى باتت مشاهد اللطم وانتشار الرایات السود ولعن الصحابة رضي الله عنهم وسبّ أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عليناً في ساحةِ وعاصمةِ الأمويين، وانتشرت النشاطات الكشفيةُ التشييعية للأطفال لينضموا إلى الجيل القادم ويربوه على المنهج الشيعي، وبذلك يضمنون سوريةَ المستقبل شيعيَّةً صفويةً كما يريدونها، ولم يقف الأمر هنا بل تغلغلوا في الوظائفِ والمناصبِ الحكومية برواتبٍ مغريةٍ، وأخذوا البطاقاتِ الأمنية، وأصبحوا من المتنفذين في الإدارة والحكم وحصل كثيرٌ منهم على الجنسيةِ السورية.

وممّا سهل للاحتلال الإيراني تدخله في الشأنِ السوري فضلاً عن تحقيقِ مشروعه الصفووي الانفتاح الذي حظي به بعد الإفراج عن أمواله المجمدة في البنوك الأمريكية والتي فتحت أمامه أبواباً واسعةً زادت من صمودها وتماسكها أمام العواصفِ السياسية التي اعترضتها ولو ظاهرياً، وبدا ذلك واضحاً في تمددِ أدواتها العسكرية في كلٍّ من اليمن والعراق ولبنان وسوريا مزاحمةً بذلك التدخل الروسي.



لقد كان للدور الأميركي المتقارب معها وتساهمه في الملف النووي الأثر الإيجابي تجاهها والذي زاد من صلتها وعنجهيتها وزيادة تمدّدها على العالم، بل وتمادت في التعالي والتلوّح والتهديد للعالم الإسلامي بعد أن أوشكـت على إطـلاق الحصار على بلاد الجزيرة العربية وباتت تحكمـ في مصـيرها، ومن قـبل كانت قد استولـت على الجـزر الإـماراتـية: طـنب الـكـبـرـيـ، وـطنـب الـصـغـرـيـ، وـجزـيرـة أـبـي مـوسـىـ.

هـذا العملـ الذي كانت تقومـ به إـیران لـنشر التـشـیع بـكل مـجاـلاتـه وأـسـالـیـبـه لـلوـصـول إـلـى الـهدـفـ المـنـشـودـ فـي بنـاء إـمـپـراـطـورـیـتـا عـبـر دـوـلـ بـعـینـا لـمـا لـهـ مـنـ مـکـانـیـ استـراتـیـجـیـ وـحـضـارـیـ عـالـیـ حـسـبـ رـؤـیـتـا يـمـکـنـ أـنـ نـلـخـصـهـ بـماـ يـلـیـ:

١. كانت البداية من العراق المتاخمة لها، والتي كانت (العراق) أذاقـها الـوـیـلـاتـ في ثـمـانـينـیـاتـ الـقـرـنـ الـمـاضـیـ، وـقـتـلـتـ مـنـهـا مـئـاتـ الـأـلـافـ آـنـذاـكـ، بل قـضـتـ عـلـىـ أـجيـالـ منـ إـیرـانـ فـيـ حـرـبـ الثـمـانـیـ سـنـوـاتـ، إـنـهـاـ العـرـاقـ، أـرـضـ الرـافـدـيـنـ وـعـاصـمـةـ الـخـلـافـةـ رـدـحـاـ مـنـ الزـمـنـ، وـبـلـ النـهـضـةـ الـعـلـمـیـةـ وـالـدـینـیـةـ وـالـحـضـارـةـ الـإـنـسـانـیـةـ الـتـيـ قـلـ نـظـیرـهـ فـيـ ذـاـكـ الزـمـنـ، لـيـأـتـيـ الـيـوـمـ الـذـيـ تـمـکـنـتـ فـيـهـ (إـیرـانـ) مـنـ ذـاـكـ الـبـلـدـ الـجـرـیـحـ لـتـرـعـ فـیـهـ مـنـ مـیـلـیـشـیـاتـاـ الـحـاقـدـةـ الـمـجـرـمـةـ لـیـقـتـلـوـ وـیـدـمـرـوـ وـیـشـرـدـوـ وـیـهـجـرـوـ أـهـلـ السـنـنـ وـیـفـعـلـوـ بـهـمـ الـأـفـاعـیـلـ الـمـرـعـبـةـ.
٢. بعد استـحـکـامـ المـدـ الشـیـعـیـ بالـعـرـاقـ كـانـ قـدـ تـغـلـلـ فـیـ الـیـمـنـ لـیـظـہـ بـشـکـلـ الـأـصـلـیـ الـقـبـیـحـ الـمـاـکـرـ الـذـیـ کـانـ يـخـفـیـهـ، فـکـانـتـ مـیـلـیـشـیـاتـ الـحـوـثـیـنـ خـنـجـرـاـ مـسـمـوـمـاـ وـسـهـاماـ غـادـرـاـ فـیـ ظـهـرـ الـدـوـلـةـ الـیـمـنـیـةـ حـتـیـ أـسـقـطـتـهـ فـیـ مـسـتـنـقـعـ مـنـ الدـمـاءـ وـنـفـقـ لـاـ يـعـلـمـ مـنـهـاـ إـلـاـ اللـهــ.
٣. مع استـمـرـارـ الـمـعـارـكـ فـیـ الـعـرـاقـ وـالـیـمـنـ مـنـ قـبـلـ الـأـذـرـعـ الـإـیرـانـیـةـ الـخـبـیـثـةـ کـانـ حـزـبـ اللـهـ فـیـ لـبـنـانـ مـسـتـحـکـماـ فـیـ الـحـیـاـةـ السـیـاسـیـةـ وـمـسـیـطـرـاـ عـلـیـ الـمـیدـانـ الـعـسـکـرـیـ حـتـیـ بـاتـ مـفـاـصـلـ الـدـوـلـةـ بـیـدـهـ مـنـ أـعـلـیـ سـلـطـةـ إـلـیـ أـصـفـرـ مـوـظـفـ تـحـتـاجـ إـلـیـ أـمـرـهـ وـرـضـاـهـ فـیـ تـسـیـیرـ أـیـ شـیـءـ فـیـهـ.



٤. لم يكن ذلك بعيداً عن المد الشيعي في سوريا الذي كان يدبُّ ديبَ النملِ في المجتمع السوري حتى استشرى في كاملِ الجسدِ السوريِ واستحكمَ به، حتى إذا ما استيقظَ أهلُ السنَّةُ من سباتِهم وانتبهوا فاتَّ أوانُ الإصلاحِ والتصحيحِ، وهكذا باتت المنطقةُ كلُّها من العراقِ إلى لبنانَ مروراً بسوريا واليمنِ وصولاً إلى بلادِ الجزيرةِ العربيةِ والتي باتت قابَ قوسينِ أو أدنى من إحكامِ الطوقِ عليها لتعلنَ إيرانُ الإمبراطوريةُ الفارسيةُ وتقضى على الحلمِ السنَّيِ بإعادةِ الخلافةِ الإسلاميةِ.

٥. كانت إيرانُ حليفاً قوياً للنظامِ الأسدِيِّ المجرمِ منذ البدايةِ، ولم يُكُّلُّ مشروعُها الطائفيُّ مخفياً وإنْ لم يظهرْ بشكِّلٍ علنيٍّ إلا بعدَ أشهرٍ من بدايةِ القتالِ والمعاركِ، وذلكَ بعدَما اشتدتَّ الحملةُ على النظامِ المجرمِ، وكاد ينهارُ أمام شبابِ الثورةِ، فكان التدخلُ المباشرُ من خلالِ زجِّ أذرعِها الخبيثةِ كحزبِ اللهِ اللبنانيِّ وعشراتِ الميليشياتِ العراقيَّةِ والأفغانيَّةِ ومنهم: الزينبيون، والفاتطميون، والنجباء، وأبو الفضلِ العباس، وغيرِهم التي نشرتها إيرانُ وزرعتها في الجغرافياِ السوريةِ والدولِ العربيَّةِ كخنجرٍ مسمومٍ تمارسُ أفعىَ الجرائمِ من بقرٍ للبطونِ وقطعِ للأطرافِ وحرقِ للأحياءِ والأمواتِ والإبداعِ والتفننِ في التنكيلِ والتعذيبِ لأهلِ السنَّةِ من العربِ وغيرِهم وتهجيرِهم وإقامَةِ حكمِ ولايَةِ الفقيهِ كما فعلتُ في لبنانِ والعراقِ واليمنِ.

كما لا يخفى على أحدٍ علاقاتها مع المقبورِ الملاكِ حافظِ الأسدِ الذي كان حليفاً الرئيسيِّ في حربِها على العراقِ، وحضارته لربِّيهَا حزبَ اللهِ اللبنانيِّ ورعايتها له أثناءِ الاحتلالِ السوريِّ للبنانِ، وتمريرِ السلاحِ الإيرانيِّ له من مطارِ دمشقِ الدوليِّ.



٦. فلم تك إيران في غفلةٍ من أمرها كما نحن اليوم، بل كانت تبني العلاقات مع الدول ذات الصلة والمصالح لتعيد إمبراطوريتها التي تحطمت على أيدي السُّنة النواصِب حسب زعمها، فوُجِدَت في سوريا ولبنان والعراق واليمن وبِلَادِ الخليْج مرتعاً خصباً عملت فيه لعُقوَدٍ خلت عَلَيْهَا تسيطر على خيرات تلك البلاد من خلال البؤر السرطانيةِ التي زرعتها فيها، ولذلك نجدها كيف وضعت ثقلها في الثورة السورية وزجت بعشرات الآلاف من مليشياتها وأكابر مجرميها حتى لا تخسر ثمرة عملها الدَّهُوب على مدى خمسة عقود مضت، فضلاً عن الموارد المالية الهائلة التي ضخّتها في الساحة السورية حفاظاً على مصالحها ومشروعها الصَّفوِي باستبقاء النظام الأُسديِّ المجرم والحافظ عليه.

٧. وبالرغم من التهديدات الأمريكية والإسرائيلية والاستهدافات العسكرية لقواعدها في سوريا ولو صورياً، إلا أن ذلك عبارةً عن مسرحياتٍ مفضوحة، إذ ما زالت إيران ماضيةً في مشروعها الطائفي بكلٍّ صلفٍ ووقاحة، بل وتقف أمام أي اتفاقٍ يتجاهلها أو يتغافل عن وجودها من شأنه إيقاف القتال الدائر على حساب مصالحها وخاصةً في الاتفاق الأخير (سوتشي) بين تركيا وروسيا والذي شعرت بهما خارجه، فسعت لإفشاله وتخريبه بما تستطيع وما تملك من أوراقٍ لتحافظ على مصالحها القديمة وحقوقها الحديثة جراء ما صحت به طوال عشر سنواتٍ مضت.

فهل سيصحو العربُ السُّنة من سباتهم قبل فوات الأوان؟
وهل هم على درايةٍ وفهمٍ للواقع وما يحاكُ لهم، أم ما زالوا في سكرتهم يعمهمون؟
وإذا كنَّا ندرُّ الخطر القادم والعدو الداهم، فما عسانا أن نفعل؟
بل ماهي ردُّ الفعل من ذاك الشعب الذي يغلي ممَّا يراه تجاه حكامِ الذين
باتوا عاجزينَ عن مجرد الشجب والإدانة والاستنكار؟
هل هو الخوفُ والرعبُ؟



أم أنه الخبثُ والمكرُ والخيانةُ؟

وهل بعد هذا كله نحن كشعبٍ عربيٍ مسلمٍ مسؤولون عن ذلك من احتلالٍ للبلاد وقتلٍ للعباد وانتهاكٍ للأعراض وسرقةٍ للموارد وتضليلٍ للأجيال ؟ وللاستزادة عن طبيعة المشروع الإيراني البغيض في المنطقة العربية وسوريا تحديداً^(١)

٤- الدول الأوروبية و موقفها من الثورة السورية

١. تباينت مواقف الدول الأوروبية حيال الثورة السورية بين مؤيدٍ وداعمٍ لها، وبين معارضٍ ورافضٍ لها، ولكنها بشكلٍ عامٍ كانت أفضلَ من مواقفِ الدول العربية، فقد أبدت معظم دول الاتحاد الأوروبي تأييدها للثورة السورية وأحقية مطالبها بالحرية والإصلاح، وصرّحت بضرورة رحيل بشار الأسد ونظامه عن الحكم، وأبدت استعدادها لتقديم الدعم والمساعدة للمعارضة السورية.

٢. ولكن سرعان ما انقلب ذلك إلى تخوفٍ من البديل المحتمل وخصوصاً بعد تدفق المهاجرين وظهور الهوية الإسلامية والرأييات السوداء التي رفعتها بعض الفصائل المعارضة، والذي كان سبباً في تراجع الكثير من تلك الدول وإحجامها عن الدعم، بل وإعادة النظر في حل القضية السورية والتريث فيها، مع الخوف من تدفق اللاجئين السوريين الهاربين من القتل والإجرام الأيدي، الذين يمثلون الكابوس المخيف بالنسبة لهم إذا ما تدهورت الأمور، وفقدت السيطرة على الحدود، فتحوّل دورهم من مساندين ومساعدين للثورة إلى متفرّج حذر، دفعوا بتركيا لتكون اللاعب الرئيسي الذي يكشفهم عباء اللاجئين مع الرغبة بإنهاء نظام الأسد ضمن عملية انتقال سياسيٍ تُبعد عنهم تبعات كبيرة هُم في غنى عنها في هذه الظروف الحرجة التي تمر بها القارة العجوز.

^١ أنسح القارئ بالرجوع إلى كتاب: «الاحتلال الإيراني لسوريا الممارسات والمواجهة» للمهندس مطبع البطين.



٣. تشكّل ما يسمّى بدول أصدقاء سوريا في غرفة واحدة من أجل تقديم الدعم الإنساني والعسكري من خلال نظام منضبط ومنظّم بإدارة وقيادة وصندوق دعم مالي.

٤. لعبت الدول الداعمة دوراً سلبياً في مسار الثورة من خلال استقطاب شخصيات معينة ودعمها بشكل مباشر لتحقيق أجندات معينة بحيث تحولت الساحة السورية لغرفة عمليات مخابرات عالمية تطلع على أسرار المناطق المحررة، وتحكم بها، بل وتصل من خلالها إلى أهدافها الخاصة بما فيها تفكيك بعض الفصائل والقضاء على بعض القادات وتوفيق بعض المعارك أو إفشالها، وكان هذا كلّه من خلال المال السياسي المدمر الذي أدخلته.

٥. لم تقطع الدول الأوروبيّة علاقتها مع النظام المجرم بشكل كامل، وإنما أبقيت معه شعرة معاوية ظاهرياً ريثما تبدّلت الأمور وتغيّرت الأحوال، فتبدل مواقفها لتصبح أكثر وضوحاً إذ لم تكن التصريحات الأوروبيّة ثابتةً تجاه النظام المجرم وإنما كانت متراجحةً بين الفترة والأخرى، وكان المأمول أن يكون الدور الأوروبي أفضل من ذلك في دعم القضيّة السوريّة إلا أنه كما يبدو كان رهيناً وأسيراً للموقف الأمريكي ولم يستطع الخروج من العباءة الأمريكية، فاقتصر الدعم على المجال الإغاثي والإنساني مع استقبالهم لآلاف اللاجئين الهاجرين من ويلات الحرب.



٥- تركيا و موقفها من الثورة السورية

تركيا هي الحليفُ الأمين الصَّدوقُ الحقيقِيُّ للثورة السورية، والصديقُ الأولُ الوفيُّ لها، وقد يكون الأوحدُ الذي احتضنها في وقتٍ تخلَّ عنها الأقاربُ وتخاذلَ تجاهها الأبعدُ، وتواطأً عليها الأجانبُ، فكانت تركيا معها في كلِّ وقتٍ منذ انطلاقتها وقدَّمت لها ما تستطيعُ ضمنَ إمكانياتها وطاقاتها، وفتحت أبواب بلادها أمام المهجَّرين وأكرمَتهم، وأحسنت ضيافتهم، وتحمَّلت من المخاطر والتحديات الداخليَّة والخارجيةِ ما أحاط بها من كلِّ الجوانب والذِّي تجلَّى فيما يلي:

أ- التحدِّيات الداخلية

التي تجلَّت بشكلٍ ظاهرٍ من جهاتٍ عدَّةٍ معارضٍ للسياسة التركية في أدائها الحكوميِّ وهم:

١- الأحزاب الانفصاليةُ الكردية (p k k p y d)



وقد كانوا وما زالوا مناوئين للحكومة التركية ساعين لإثارة الفوضى في البلاد بدعمٍ خارجيٍّ لإرباك الأداء السياسيِّ في محافظاتٍ وجودهم من تركيا، والقيام بأعمالٍ تخريبيةٍ وتفجيراتٍ إرهابيةٍ أدَّت إلى مقتل الآلاف من أفراد الجيشِ والأمن التركي فضلاً عن الدمار الذي طال البنية التحتية في البلاد، وعن الرعِيَّ الذي دبَّ في قلوبِ المدنيين، بُغيةَ فضِّي الحاضنة الشعبية عن الحزبِ الحاكم والسعىِ لِإسقاطه والقضاءِ عليه، وببناء دولتهم الانفصاليةِ ولو على حسابِ دماءِ الأبرياء، متزامناً هذا الحراكُ الانفصاليُّ من الداخل التركي ومن الخارج الذي يعملُ بالتنسيق معه.



٢- الأحزاب التركية المعاشرة

التي لم ترضَ عن حكومة العدالة والتنمية الحاكمة بتوجهها وأدائها، فهى تتحمّلُ الفرصة لإسقاطها، ولم يكن ثمة سببٌ في ذلك إلّا الكره السياسيُ والمنهجيُ الذي يمكن أن يدفعهم للإيقاع بهم ولو على حساب المصلحة العامةِ العليا للبلد، وقد تجلّى ذلك في الانقلاب العسكري الفاشل في الخامس عشر من شهر يوليو عام ٢٠١٦م، الذي كشف عوارهم، وهتك أستارهم، وفضح مخططاتهم وردَّ كيدهم في نحرهم.

٣- العلويون الأتراك

وهم أكثر الناس عداوةً وكيداً لحكومة العدالة والتنمية الحاكمة لوقفها مع الثورة السورية ضدَّ بشار الأسد ونظامه المجرم، وقد تجلّى مكرهم وخبيثهم علانيةً في أغلب الأحيان وفي الخفاء أحياناً آخر خشية الحساب والعقاب، إلَّا أنَّهم لم يألوا جهداً في العمل للإيقاع بالحكومة التركية بكلِّ ما يستطيعون واستبدالها بحكومةٍ مواليةٍ لحليفهم الأسد.

٤- العلمانيون الأتراك

وهم يشملون جميع أطياف المجتمع التركي، ويختلفون مع حكومة العدالة والتنمية في المنهج والتوجه والفكر والأداء، ومنهم الكثيرُ ممَّن يُحسبونَ على السنة إلَّا أنَّهم يحملون الفكر العلماني، فكانوا ضمن الصف المعادي للحكومة التي يقودها حزب العدالة والتنمية.

٥- الدواعشُ

وهؤلاء هم الذين تسلّلوا إلى الداخل التركي توجّههم مخابرات عالمية حاقدة من أجل الانتقام من تركيا و موقفها الذي يعتبرونه ردةً وعلمانيّةً يجب القضاء عليها، وقد شكلّوا تهديداً كبيراً وخطراً عظيماً على الأمن الداخلي بما أحدثوه من تفجيراتٍ داميةٍ طالت البشر والحجر وأدخلت الرعب والهلع إلى قلوبِ الأمنين.



٦- أذنابُ النظام وأزلامه

فقد دأبَ النّظامُ منذ بداية الثورة على استعمال كلّ الأساليب التي من شأنها تأليب الرأي العام التّركي وتغيير موقفه من الشعب السّوري الذي ترك أرضه، وهاجر فراراً بنفسه وعرضه ولكنَّه (النّظام الأسدِي) لم ينجح أمام الإصرار التّركي على تبني الثورة السّورية واستضافة أهلها، فأرسل الكثيرون جيوشاً من عمالئه وأزلامه الذين افتعلوا المشكلات، وأحدثوا الفوضى، وبثّوا الفتنة بين صفوف الأتراك حتى ينتفض الشعب التّركي عليهم، ويصلوا إلى مبتغاهما، وما زال هذا التّحدى قائماً أمام الحكومة التّركية.

ما سبق نلاحظُ خطورةَ الوضع الداخلي للحكومة التّركية وصعوبتها، إذ إنّ نسبة المعارضين من الأكراد الانفصاليين والعلويين والعلمانيين تفوق الخمسين بالمائة من نسبة عدد السكان، وهذا يجعل السياسة التّركية وأداءها على شفا جرفٍ هاريٍ، بل يجعل القائمين على الأمور والمسؤولين فيها وكأنهم في حقلٍ من الألغام لا بدّ من اجتيازه بسلام دون انفجار أي لغمٍ منه قد يؤدي بحياته.

ب- التحدّيات الخارجية

ويمكُنُ تسميتها بـالمؤامراتِ الخارجيةِ التي لم تكن وليدةَ الساعةِ على حكومة العدالةِ والتنميةِ التّركية، فقد سعت بعضُ الدولِ الكبرى إلى الإيقاع بها، ووضع العصي في عجلاتها منذ تسلُّمها الحكم، وزاد ذلك بعد النموِ الاقتصادي والازدهار الذي حقّقه في كلِ المجالات، وهو الذي فرضَ وجودها على الطاولةِ الدوليَّة وفي المطابخِ السياسيَّة لرسمِ الخرائطِ وترسيمِ الحدود، بل وزاد من ذلك أكثرَ عندما أصبحت رقماً صعباً في القضيةِ السّورية، أفشلت مخططاتِ التقسيمِ التي أرادوا لها، وباتت ترسمُ الخريطةَ المستقبليةَ نيابةً عن الأمةِ العربيَّة والإسلاميَّة.



من هنا كان دور المتربيين بها ليلاً نهاراً قبل أن تستكمل قوّتها التي تسعى إليها في بناء تركيا الكبرى وإعادة الخلافة العثمانية.

وقد تجلّى ذلك في الانقلاب الفاشل الذي قام به فتح الله غولن بداعي من حليفه الأميركي في عام ٢٠١٤م، وكذلك المحاولة الفاشلة الثانية عام ٢٠١٦م، التي كشفت زيف الدول الغربية المتآمرة وأظهرت عوارها وعداواتها التي كانت تخفيها في قلبها وحقدتها الدفين على الدولة النامية في سلم التحدّي العالمي. لم تيأس تلك الدول الغربية من محاولات إيقاع تركيا بالمغطس الدموي في سوريا من خلال التحرير والتبرير والابتزاز، إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك والحمد لله، فما زالت تركيا متماسكةً قويةً في مسيرتها الصعبة بين أعداء الداخل الذين يتربصون بها ويكيدون لها، وبين أعداء الخارج الذين يحرّضون عليها ويُجيشون ويتأمرون عليها، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

ما زالت تركيا هي الأمل الوحيد بعد الله عزّ وجلّ في دعم هذه الثورة المباركة والوقوف معها والدفاع عنها وتقديم الدعم لها بما تستطيع ضمن إمكانياتها وضمان أنها وحدودها، فاقت بذلك السعودية وكل الدول العربية الذين لم يكونوا على المستوى المطلوب لارتفاعهم للقرار الأميركي ومرجعيتهم له، وهذا لا يعفيهم من حقوق أهالي بلاد الشام عليهم، بل لم تسلم الثورة السورية من مكرهم وكيدهم للإيقاع بها والقضاء عليها بأوامر أمريكا والصهاينة والغرب. ومن المعروف أنّ تركيا دولة قانون تحكمها المؤسسات، وهذا من أكبر التحدّيات التي تقيد صالحيات الرئيس، وتحول دون تحقيقه للأمني التي قد نفّرّ بها نحن السوريين ونطلبها من الرئاسة التركية متغافلين عن أنّ الطيب أردوغان هو رئيس لتركيا وليس رئيساً لسوريا، وأنّ أكثر من نصف شعبه قد يعارض قراراته وسياساته بما يخص الثورة السورية، وهذا يعني بشكل أو باخر أنّ العلاقات الدولية تحتّم على الرئيس التركي أن يقدم مصلحة بلاده على كلّ المصالح الأخرى وخاصةً المصالح الاستراتيجية الطويلة الأمد.



تركيا دولة ذات سيادةٍ وخصوصيةٍ، ولها أمتها الخاص بها، وقد أصبحت رقماً صعباً على الساحة الدولية، وما زالت تتقدّم وترتقي على السلم التكنولوجي والحضاري بخطى ثابتةٍ هادئةٍ دون أن تخلق لنفسها تحدياتٍ ومشكلاتٍ هي بغنى عنها حتى تكمل مشوارها الحضاري، وتستكمّل قوتها، وتصبح قادرةً على الثبات والصمود أمام القوى الكبرى الظالمية المتسّلطة على الأمم.

ومن هنا فتركيا لن تدخل حرباً ضدّ أي دولة في هذه المرحلة (أمريكا وروسيا وإيران وأوروبا وإسرائيل والتحالف العربي المدفوع ...)، تحاشياً منها لهم، ولكنها تعمل بسياسةٍ هادئةٍ ولو اضطررت للاحتجاء لبعض العواصف أحياناً على مبدأ: (القبول بالشيء مع عدم الرضا عنه وقت الحاجة والضعف).

لا يخفى على أحدٍ حجم التآمر العالمي على تركيا ومشروعها من خلال الحرب الغاشمة التي تمارس عليها من قبل اللوبي العربي اللوبي الأثيم (الإمارات السعودية مصر الجامعة العربية) والمدفوع من اللوبي اليهودي والذى بدا حرباً علنيةً وقحةً ت يريد الإيقاع بها والتحريض عليها والدفع بكلّ ما تملك للقضاء عليها وعلى مشروعها الناهض، ومع كلّ هذا فلم يتغيّر الموقف التركي من الثورة السورية بل زاد تأييده ودعمه لها بما يستطيع.

لا يمكن اعتبار تركيا من دول الاحتلال كما اعتبرها بعض المؤتونين والحاقدين، لأنّها المتضرّر الأول من الثورة السورية بالمعنى العملي، وقد تحملت غرم الثورة فيما حصّدت بقية الدول المحتلة (روسيا أمريكا إيران) غنمهما الأكبر، علمًا أنّ من حقّ تركيا التدخل لصالح أمتها القومي وحماية حدودها التي تمتدّ لأكثر من ٩٠٠ كم مع سوريا، فضلاً عن أنها (أي تركيا) بنفس خندق الثورة السورية في التآمر والاستهداف.



ومن هنا فقد كانت تركيا وما زالت الحليف الرئيسي للثورة السورية منذ البداية ولم تخفي مساندتها أو مساعدتها بما تستطيع، وقد تجلّى ذلك بفتح حدودها أمام اللاجئين الذين تجاوزوا أربعة ملايين لاجئ، وكذلك رعايتها للجيش الحر ومساعدتها له ضمن إمكانياتها وظروفها الداخلية المعقدة من جهة، والقيود الدولية من جهة أخرى.

إذ لا يخفى على أحدٍ أنّ تركيا ليست بال موقف المريح الذي يمكنها من اتخاذ أيّ قرارٍ يخصّ دولةً أخرى مع تجاهل موقف المعارضة الداخلية التركية والذي لا يقلّ خطراً عن الموقف الدولي المسيطرة على قرار السلم وال الحرب، وهو الأمر الذي جعل اليد التركية مقيدةً في القضية السورية إلى حدٍ كبير، ففي تعيش بين المطربة الروسية والسدان الأمريكي مع التريص الإيراني والدولي الذي ما زال مُقَنعاً ومحفياً، إذ ما زالت تركيا تعيش في ظلال الخيانات الداخلية المتآمرة والمؤمرات الخارجية الماكنة من تلك الدول التي طالما عملت من قبل على ذلك للخلاص من خطر القيادة التركية الحاكمة.

ولكنّ الفشل الذي حصدوه بعد كلّ ما بذلوه وأنفقوه دفعهم للتغيير من استراتيجياتهم مؤقتاً في التعامل معها على أساس المصالح الاستراتيجية بعيدة المدى، وهذا مما أكسيها مكاناً مهماً على طاولةِ رسم الخرائط وجعل منها رقماً صعباً في المعادلة الدوليّة من خلال الحنكّة السياسيّة عند قيادتها والحكمة في استخدام أوراق القوّة التي امتلكتها.

استطاعت تركيا ترويضَ الأميركيان للتدخل في شرق الفرات وملء الفراغ حال انسحابها، كما استطاعت ترويضَ روسيا في عفرين لتدحر الحزب الانفصالي الكردي حليفَ النظام الأسدِي وتنحي وجوده على حدودها.



في الوقت الذي تدرك مدى الخطر الذي يحيط بها من كل جانبٍ بسبب التوجه الديني للقيادة التركية وما سيلحقه من تبعاتٍ ستنعكس على السياسة التركية الداخلية والخارجية من قبل الدول المتربصة لقطع الطريق أمام عودة الخلافة العثمانية التي طالما عمل الأعداء على هدمها والقضاء عليها بجهود كبيرةٍ متواصلةٍ لعقود من الزمن.

ما زال خطرُ التآمر على تركيا قائماً سراً وجهراً، ولذلك نرى التعامل التركي مع الدول بشكلٍ عامٍ وفي القضية السورية بشكلٍ خاصٍ يسير بخطىٍ ثابتةٍ بطيئةٍ يوازن بين المصالح والمفاسدِ بعد ما عمل على امتلاك أسباب القوة الداخلية لبلاده من اقتصادٍ وسياسيٍ وحضاريٍ وعسكريٍ حتى باتت تركيا من الدول التي يحسب لها الحسابات، وبقيت محافظةً على موقفها من النظام الأسديةِ المجرم طيلة عشر سنواتٍ مضت بالرغم من كل التحديات الداخلية التي اعترضتها داخل تركيا والخارجية من الدول الحليفة للنظام الأسديةِ المجرم.

أوراق القوة التركية

قد تمتلك تركيا أوراقاً كثيرةً بسبب قربها ومحاذاتها للحدود السورية تجعل منها لاعباً قوياً على طاولة رسم الخرائط الدوليّة وعدم تفرد بعض الدول بالملف السوري، ولكنها لا تستطيع في الوقت الراهن فرضَ قراراتٍ جديدةٍ، وإنما يمكنها أن تکبح جماح راسم الخرائط وصانع القرار الدولي إلى حدٍ ما، ولعل من هذه الأوراق ما يلي:

- الحدود السورية التركية الطويلة التي تستدعي أحقيّة التدخل المباشر لحماية أمّها القومي أكثر من الدول التي تدخلت (روسيا وإيران) في الشأن السوري وهي تبعد آلاف الكيلومترات عن التراب السوري.



٢. الترحيبُ الشعبيُّ السوريُّ بالتدخلِ التركيِّ المباشرِ لحمايةِ المدنيينِ من الاحتلالِ الروسيِّ والإيرانيِّ والأسديِّ ورفعِ الظلمِ عنه، وذلكَ من خلالِ الفعالياتِ الثوريةِ والمبادراتِ الشعبيةِ المطالبةِ بِالوصايةِ التركيةِ وحمايتهاِ للمناطقِ المحررةِ.
٣. الزخمُ الشعبيُّ الكبيرُ الذي ملأَ الساحاتِ بالمظاهراتِ المطالبةِ بالحريةِ والمعبرةِ عن احتضانِ الثورةِ والثوارِ والرافضةِ لنظامِ الأسدِ المجرمِ، وحلفائهِ الروسِ والرافضةِ المجروسِ، والذي فرضَ نفسهَ على العالمِ، فكانَ من نتائجهِ التصريحاتُ الغربيةُ التي نطقَ بها المندوبُ الفرنسيُّ في إحدى جلساتِ مجلسِ الأمنِ بنزعِ صفةِ الإرهابِ عن المتظاهرينِ الذين يطالبونَ بحقوقِهم المشروعةِ، وهذا مما أعادَ للثورةِ نشوتهاِ وقوتهاِ وحيويتهاِ من جديدٍ لتعودَ أقوىَ مما كانتَ عليهِ من قبلِ.
٤. القضاءُ على المفسدينِ والمرجفينِ والمنافقينِ الذين جنّدتهمِ روسيا والنظامُ من أجلِ إبرامِ المصالحاتِ في المناطقِ المحررةِ لتسهيلِ عمليةِ إسقاطِها وعودتهاِ لنظامِ الأسدِ بالتسليمِ والخيانةِ، فكانتَ هذهِ الخطوةُ من الثوارِ والمجاهدينِ ضربةً قاصمةً للخطّةِ الروسيةِ وإفشالها في مراحلِها الأولىِ، كما زادتَ من أوراقِ القوةِ التركيةِ في المحافلِ الدوليَّةِ.
٥. ملفُ اللاجئينِ الذي تهربَتْ منهُ أغلبُ الدولِ التي تتغنىُ بحقوقِ الإنسانِ وخاصةً الأوروبيَّةِ منها، ولم تفِ بذلكِ إلا تركياً وشعبُها الأبيُّ الذين قدّموا أفضلَ نموذجٍ في تاريخِ البشريةِ في كلِّ المجالاتِ وعلى جميعِ الأصعدةِ باستضافةِ إخوانِهم السوريينِ المهرجينِ، كانَ ذلكَ ورقةً رابحةً بِأيديِهم هدَّدتَ بها فتحَ حدودِها معَ أوروباً إذا ما استمرَ الحالُ على غضَّ الطرفِ عنِ الظلمِ والإجرامِ الأسديِّ.



٦. التغيير الديمغرافي الذي حصل جراء التهجير القسري الذي قام به النظام وحلفاؤه لكلٍ من لم يستسلم له ويطأووه في البلد الذي ولد فيه وعاش حياته وشبابه في ربوته، ليهجر قسرياً إلى مدينة إدلب وريفها كملاذ آخر، وهو الأمر الذي جعل من إدلب نواةً صلبةً تحوي خيرة الثوار والمجاهدين الذين لا يملكون شيئاً يخسرونها بعد، فضلاً عن الخبرة القتالية في الميادين والمعارك، والقوة الإيمانية التي جعلت منهم رجالاً في ساحات النزال يتحينون الفرص ليخوضوا معارك العزّ والكرامة ضدَّ أعداء الأرض والعرض والدين.

٧. المصالح الاستراتيجية بين روسيا وتركيا والتي من المفروض أن تكون أكبر بكثيرٍ من قضية إدلب والتي يمكن أن تُحل فيما بينهما بطرقٍ سلميةٍ يُتفق عليها مع يقين روسيا وثقتها بفاعلية الدور التركي في المرحلة الراهنة والمقبلة على الساحة الدولية، فمن الغباء الروسي أن تفرّط بعلاقتها مع تركيا من أجل إدلب في الوقت الذي يتناهى فيه العداء الأمريكي الروسي مع استمرار العقوبات الأمريكية عليها.

ومن هنا استطاعت تركيا أن تجلس على طاولة المفاوضات ومعها ما يكفيها من أوراق القوة المادية لتكميل نجاحها بالحنكة السياسية والذي تجلّى بالأمور التالية:

١. فقد نجحت تركيا في لجم الدب الروسي لحدٍ ما، وخفت من ارتكاب مجازر بشريّةٍ وما سُمِّي إنسانيةً في إدلب وريفها فيما لو تمكّن الروس من أخذ قرار الحرب فيها.

٢. كما نجحت في إبعاد ملالي إيران عن حلبة الصراع، الذين كانوا يتربّصون الدوائر من أجل شن المعركة لاسترجاع إدلب وريفها إلى نظام الأسد المجرم طامعين بالتجطية الجوية الروسية لمليشياتهم المجرمة، إلا أنهم خابت آمالهم بعد استبعادهم عن طاولة المفاوضات وقتذاك.



٣. وكذلك فقد نجحت في الفصل بين روسيا وإيران في الاتفاق الأخير والذي بدا سبباً واضحاً بظهور شرخ بينهما، وأن إيران أصبحت عائقاً في الملف السوري يجب الخلاص منه، ويبدو أن الدور الإيراني أوشك على نهايته في سوريا، ويراد له الخروج من دون أي ثمرة تذكر إلا من بعض الفُتات، بل يbedo أنه الخاسر الأكبر في معركته التي خاضها من أجل الحفاظ على مشروعه الطائفي البغيض الذي عمل لأجله منذ خمسة عقود تقريباً.

٤. نجحت تركيا في استجلاب الدول الأوربية لصالحها وكسب أصواتها ضدَّ روسيا في تبنيِّهم للحلول السلمية بعيداً عن الدمار المتوقع والدماء التي ستترنَّف وال subsequences الكارثية جراء الحرب والمعارك.

٥. تمكَّنت تركيا من بسط نفوذها في المنطقة المحررة ونشر أسلحتها القتالية المتنوعة استعداداً للأسوأ في حال الغدر والخدعة مع إفساح المزيد من الوقت أمام الثوار والمُجاهدين في التحصين والتدعيم والاستعداد لأي طارئ.

٦. ولعلَّ من أعظم ما حقَّقته تركيا لصالح الثورة السورية هو انتزاع مساحة جغرافية أكبر من مساحة لبنان لتكون منطقةً آمنةً للمدنيين العزل فيما لم تستطع أي دولةٍ عربيةٍ أو إسلاميةٍ انتزاع مترٍ مربع واحدٍ ولم تسلم الثورةُ السوريةُ من مكر هذه الدول وكيدها وهذه المناطق هي التي سمِّيت:

- نبع السلام (رأس العين وتل أبيض...).

- درع الفرات (جرابلس والباب ومارع واعزاز ...).

- غصن الزيتون (عفرين وقرها ...).

كما تسعى الآن لتضم إليها منطقةً إدلب وقرها كمنطقةٍ آمنةٍ لتكمَّل مساحة المناطق الآمنة إلى أكثر من ١٥ ألف كم ٢ تبقى تلك المناطق آمنةً تحت الوصاية التركية ريثما يتمَّ الاتفاق الدوليُّ على حلٍ مناسبٍ للقضية السورية.



هذه الأسباب وغيرها جعلت من تركيا لاعباً قوياً في الساحة السورية تحافظ بذلك على أمنها بالدرجة الأولى، وتحي حدودها من خلال المحافظة على المناطق المحررة ووضعها تحت إشرافها وحمايتها بعد أن رحلت شبح الحرب ولو لفترةً ريثما تستقر الأوضاع الدولية على حلول تحفظ للمنطقة أمنها واستقرارها.

وأخيراً فإنّ تركيا مستمرةً في إدارة الملف السوري بشكلٍ هادئ وناجح بعيداً عن الدماء والأشلاء ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ريثما تتفق مع الدول على طبيعةٍ وشكلٍ سوريةٍ الجديدة والدستور الذي سيحكمها.

فهي تسير بالقضية السورية كما يسير الرجل في حقل الألغام بكلّ حذر، فلا يضع رجلاً في مكانٍ حتى يتحسين المكان الآخر بشكلٍ جيدٍ ويتفقد مكان الخطوة الثانية حتى لا ينفجر فيه، وهكذا يعمل ما بين العسكرية والسياسة بخطى ثابتةٍ بما يحقق أمن بلاده وعودة المهجرين إلى بلادهم بأمن وأمان.

ولقد دفعت تركيا أثمناً باهظاً على كلّ المستويات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية لمواقفها المشرفة تجاه الثورة السورية من خلال تغيراتٍ اسْتَهدفت مدنها قامت بها أذْرُعُ خبيثةٌ من أدوات النظام الفاجر وعصاباتِ الأحزاب الانفصالية الكردية ومن أفراد الدواعش الذين عملوا على زرع الخلل في النسيج الاجتماعي التركي والضغط على الحكومة التركية للتخلّي عن دعم الثورة السورية والثوار ولكنّها بقيت الأَمَّ الحنون والحاصل الرئيسي للسوريين المكلومين المهاربين من آلة القتل والإِجرام الأُسدي.



٦- موافق الدول العربية من الثورة السورية

١. في بداية الثورة وبعدما ظهرت المواجهة الإجرامية من النظام الأسدية ضد الشعب السوري الذي طالب بالحرية والكرامة وتكشفت حقيقة النظام المجرم أمام العالم ظهر الدعم العربي للثورة السورية بشكل صوري وعبارات مشجعة، فبدأت التصريحات الإعلامية الداعمة للثورة عبر وسائل الإعلام، وبدأت بعض الدول بقطع العلاقات الثنائية مباشرةً، وأبدت استعدادها لدعم الثورة ونصرتها بكل ما يلزم.

بعد التدخل الروسي بدأت تظهر اختلافات وجهات النظر عند بعض الدول، فبعضها تراجع صراحةً عن دعم الثورة، وبعضها أخذ حالة الصامت الخجول، وبعضها كان يقدم الدعم الإنساني على استحياء. وكان من أشد الدول عداوةً للثورة السورية دولة الإمارات، ومصر بعد انقلاب المجرم السيسي، وال سعودية، ثم الأردن، ولبنان، والعراق. وقد كان لهم الموقف المؤلمة المخزية تجاه الشعب السوري وثورته بشكلٍ علنيٍ واضحٍ وفاضح.

٢. بعض الدول كانت تدعم بالبطانيات والملابس والأكفان في الوقت الذي كانت تقدم الدعم المفتوح للنظام المجرم وحلفائه ومرتزقته. كما كانت بعض الدول تقدم الدعم المالي لبعض الفصائل الراديكالية والمصنفة صاحبة المشاريع المتطرفة (داعش) ولبعض الشخصيات المشبوهة وتمنع ذلك عن الجيش الحر، وهو ضرب من التآمر والكيد والمكر.

التضييق الممنهج على السوريين (اللاجئين وغير اللاجئين) وخاصةً في بعض دول الخليج العربي ومنع تحويل الأموال إلى السوريين من خلال قانون مكافحة الإرهاب الذي كان لهم النصيب الأكبر في إنشائه وتفعيله ومتابعة الحسابات البنكية لتضييق الخناق على الثورة السورية وأهلها.



٣. في الفترة الأخيرة من الثورة وبعد دخولها العام التاسع ظهرت المواقف الفاضحة المخزية التي كانت مخفية طيلة السنوات الماضية لتكشف حقيقة المكر والخداع عند الدول العربية وخصوصاً مصر وال سعودية والأردن ولبنان والعراق، ولتحتم جلسات جامعة الدول العربية آنذاك على لسان المجرم أبي الغيط الأمين لجامعة الدول العربية بعداوة الثورة السورية وكل من يقف معها (يقصد بذلك تركيا).

٤. بشكل عام لم يظهر للدول العربية موقف إيجابي من ثورات الربيع العربي، لخوفهم من انتقالها إلى بلادهم التي تعج بالظلم والفساد والخيانة والاستبداد، وخاصة دول الخليج العربي التي لعبت دوراً الثورة المضادة من خلال تقديم الدعم الإغاثي والإنساني للمعارضة (على استحياء)، بالتزامن مع تقديم الدعم الكامل للنظام الأسد المجرم بشكل سري بدأياً، ولكن سرعان ما تم كشفه والإعلان عنه من خلال الجامعة العربية وتعاطفها مع النظام بشكل واضح وصريح ، ويمكن تلخيص الموقف العربي بعبارة مختصرة أنه: (لا يمكن التعويل عليهم لأنهم تابعون وليسوا أصحاب كلمة، وقرارتهم مرتبطة بغيرهم فهم عبيد عند أسياد لا يملكون قراراً ولا يخرجون عن سلطانهم).

وفي الختام يمكن القول بكل ثقة ويقين بأن هذه الثورة منتصرة بإذن الله مهما تکالب عليها الأعداء وتجمع عليها أوباش البشر وتأمر عليها ضباعهم، ومهما خذلها القريب والبعيد وحاصروها من جانب، وإن فعلوا كل ما يُضيق على أهلها حياتهم، وينقص عليهم معيشتهم، ويقضي عليهم في أرضهم ولكنهم خابوا وخسروا والحمد لله، لأنها ثورة حرية وعزّة وكراهة انطلقت باسم الله واستمرت بعون الله وستنتصر بإذن الله.



المبحث الرابع

الثورةُ السوريةُ والمعادلاتُ الدوليَّة

إنَّ المتأمِّلَ في الواقع العَامِ لِلْعَالَمِ المُتَحَضَّرِ فِي الْقَرْنِ الْوَاحِدِ وَالْعَشِيرِينِ وَالَّذِي يَتَمَيَّزُ بِالنَّمَوِ الْحَضَارِيِّ وَالْاَزْدَهَارِ التَّكْنُولُوْجِيِّ لِيَرِيَ الْعَالَمَ المُتَرَامِيَّ الْأَطْرَافَ وَكَانَهُ قَرِيَّةٌ صَغِيرَةٌ فِي التَّوَاصُلِ وَالْعَالَقَاتِ وَالْحَضَارَةِ وَالْتَّنْمِيَّةِ، وَلَعِلَّ هَذَا مِنْ أَكْثَرِ مَا تَمَيَّزَ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ مَمَّا سَبَقَهُ مِنْ الْحَضَارَاتِ السَّابِقَةِ.

وَلَكِنَّ الَّذِي لَمْ يَتَغَيَّرْ نَحْوَ الْأَفْضَلِ وَالْأَحْسَنِ بِذَاكِ الْعَالَمِ أَنَّهُ مَا زَالَ فِي الْمَرَاتِبِ الْمُتَدَنِّيَّةِ فِي السِّيَرَةِ وَالْقِيمَ وَالْأَخْلَاقِ.

يَدْلِيُ عَلَى ذَلِكَ مَا نَعِيشُهُ الْيَوْمَ مِنْ ظُلْمِ الدُّولِ الْكَبِيرِيِّ الْمُتَغَطَّرِسَةِ وَاسْتَعْبَادِهِمْ وَتَسْلِطَتِهِمْ عَلَى صَفَارَهَا الْمُسْتَضْعِفَةِ الَّذِينَ لَا يَمْلُكُونَ حَوْلًاً وَلَا قُوَّةً، مُتَسَّرِّينَ بِعَنَاوِينَ كَاذِبَةٍ وَتُهْمِ زَائِفَةٍ جَاهِزَةٍ لِنَهْبِ أَموَالِ الشَّعُوبِ وَسُرْقَةِ مَوَارِدِ بِلَادِهِمْ وَاسْتَعْبَادِ أَهْلِهِمْ وَاسْتِئْصالِ شَأْفَتِهِمْ لِنَوَازِعِ عَنْصُرِيَّةٍ بَغِيَّضَةٍ، أَوْ دُوَاعِ طَائِفَيَّةٍ مَقِيَّةٍ.

يَتَعرَّى أَحَدُهُمْ مِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْفَضْيَلَةِ الَّتِي يَلْبِسُهَا زُورًا وَهَبَّاتَانَا، وَيَنْزَيَّا بِهَا مَكْرًا وَخَدَاعًا، لِيَأْتِيَ الْيَوْمُ الَّذِي يُكَشِّفُ فِيهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ وَنَفَاقِهِ الْحَقِيقِيِّ وَحَقْدِهِ الْبَغِيَّضِ، مِنْ خَلَالِ الْمُحَطَّاتِ الْقَاسِيَّةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا الدُّولُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ بِشَكْلٍ عَامِ وَالسَّاحَةُ السُّورِيَّةُ بِشَكْلٍ خَاصٍ.

عَلَمًا أَنَّهُ تَبَاعِينَ التَّحْلِيلَاتِ وَالتَّقيِيمَاتِ بِهَذَا الْخَصْوصَيَّةِ مِنْ شَخْصٍ لَا خَرَجَ حَسْبَ الْمُؤَهَّلَاتِ الْعَلَمِيَّةِ وَالْ ثَقَافَاتِ الْمُكتَسَبَةِ، وَمِنْ بَيْنِهِ لَأَخْرِيَ حَسْبَ الْوَضْعِ الْحَضَارِيِّ الْعَامِ وَالْمَوْقِعِ الْجُغرَافِيِّ الْمَنَاسِبِ الَّذِي يَعِيشُهُ الْمُحَلَّ وَالْمُنَظَّرُ لِيُعْطِي رَأِيهِ مُتَجَرِّدًا عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهْوَاتِ.



في هذا المقام سأعرض وجهة نظرٍ الخاصة حول الخطة الإبليسيَّة التي تُسَيِّر إلَّها الساحة الدوليَّة من خلال الأدوار المتعلقة بالدول الفاعلة تتوضَّح من خلالها حقيقة سياساتهم الخبيثة والمالات المرجوَّة منها والأهداف المنشودة لها. مختصراً ذلك على سبيل التوضيح من خلال تقسيم الأدوار على أصحابها كما يلي:

١- جهةُ أمرَّة حاكمة «إسرائيل وللوبِي الصهيوني»

وذلك من خلال اختراقه لأجهزة المخابرات العالميَّة وخاصةً الأمريكية منها والتحكم بها للوصول إلى مشروعها الصهيوني النهائي بالسيطرة على العالم والتحكم به عن بعد، فتضع خطط السيطرة والنفوذ، وتحيك المؤامرات لزرع الفتنة وبثِّ الفرقة ونشر الكراهية بطرق خداعٍ وأساليب ماكرة، حتى إذا حانَ الوقت المناسبُ أو عزَّتْ وأمرَتْ غيرها من الجهات المنفذة.

٢- جهةٌ مشرفةٌ على التنفيذ «أمريكا»

كونها القطبُ الأوَّل في العالم والمحكم به لامتلاكها مقومات القوَّة القاهمة والسلطة الغاشمة التي تخولها الإشراف على تنفيذ المخططات التي تخدم مصالحها وشركاءها.

٣- جهةٌ منفذة «روسيا ومرتزقتها وإيران وميليشياتها»

وهؤلاء خدمُّ لأسيادهم من الدول الحاكمة والمشرفة لتنفيذ ما يُكلَّفون به بكلٍّ سروريٍّ وامتنان (بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشر)، بما امتلكوا من مقومات القوَّة ووسائلها، خوفاً من عاقبة العصيان وطمعاً بالفتات المتبقّي الذي يُلقى لهم، مع الرغبة في استجلاب الود على حساب دماء وأشلاء العباد وتدمير البلاد.



٤- جهةٌ باذلةٌ للمال دافعةٌ له «السعودية والإمارات وبعض دول الخليج» وهي بمثابة البقرة الحلوة التي تُستخدم في صالح الدول الحاكمة بما مَنَّ الله عليها من خيراتٍ وثروات وأموالٍ، فتسلط على حُكمها أمراءٌ فاسدون باتوا أسياداً على شعوبهم، ظلماً لهم، وعبيداً لأعدائهم وخدماً لهم.

٥- جهةٌ محكومةٌ مقهورة وهي «الشعوب المسلمة»

صاحبةُ المبدأ والتي تعمل وفقَ منهجها الصحيح لتبني مجدها وتعيَّدَ تاريخ أسلافها الضائع كما كانت زمن الرعيل الأول ومن بعدهم.

صاحبةُ الحق الذي لا يعرف خصوصاً ولا خنواعاً، ولا يخشى جباراً ولا ظالماً. وبمعنى آخر إنَّ مثلنا كمثل غابةٍ جميلةٍ فيها من كلِّ ما لذّ وطاب، يتحكّم بها ملكٌ جبارٌ يريد استبقاءَ السلطةِ والسيطرةِ عليها من خلال قوّته وجبروته، عنده رجلٌ فاجرٌ (أزرع) يرسله على من يخالف أوامره أو يحاول الخروج عن حكمه فيعمل له (اللازم) ليعيده إلى حظيرة الطاعةِ للملك المُبجلِ.

وهكذا يعيش جميعُ من في الغابةِ تحت حكم الملك الذي يأكل خيراتهم ويستغلُّهم في مصالحه، ولا يرِيهم إلا ما يرى مع عدم الاعتراض أو التذمر. ومن هنا فإنَّنا أمام معادلةٍ قاسيةٍ صعبةٍ، ومعركةٍ طويلةٍ وشاقةٍ تحتاج للإرادة والعزمية، وللإعداد والعمل.

ونحن المسلمين أمام قراءةٍ للتاريخ وتفهُّم لعقباتٍ طرق الريادة والسيادة والقيادة، وحكمة التعامل معها بكلِّ مراحلها.

أمام سيلٍ جارفٍ من ذئابِ العالم وضباعِ البشريةِ وقد اجتمعت على عملٍ نائمٍ لتبقيه مستغرقاً في نومه بما أغرقته بموادٍ مخدرٍ وبرامجٍ خداعٍ فتنقضَ عليه وتجعله هباءً لا أثرَ له أو غثاءً لا خيرَ فيه.

هذه حكايتنا في عالمٍ ظالِمٍ مبْطَلٍ اجتمع على باطله لقتلنا، وتغافل عن اختلافاته المصلحية البينية لأجل القضاء علينا.



ولعلّ من الآليات والوسائل الخبيثة التي تستخدمها الجهاتُ الحاكمةُ الامرأةُ لتقطع الطرق أمام الدولِ الطامحةٍ لبناء إمبراطورياتها والترقي في سلم الحضارة والسيادة أن تصنع لها المشكلاتِ الداخلية وتشغلها بشعيبها، أو أن تُغرقهم في مستنقعاتِ الدماء هنا أو هناك بذرائعٍ وهميّةٍ زائفة، وقد تَعدُّها بفُتاتٍ من خيرات تلك البلدان المستضعفَة التي ستكون ساحةً للصراعِ أو تصفيَة الحسابات البينية، فتكون بذلك قد حصدت من النتائج الكثيرة والثروات الوفيرة دون أن تخسر طلقةً واحدةً أو تفقد شخصاً واحداً، فضلاً عما كسبته من بيع السلاح بالعملة الصعبة، والتتأكد من صلاحية هذا السلاح وتقييم مدى الأذى الذي ينبع عنده، والخلاص من العناصر التي يمكن أن تشَكّل عليهم خطراً مستقبلياً، والتحكُم بمدّة القتال وإدارة الصراع بما يضمن لهم خروج الأطراف المنغمسة في مستنقع الدماء وقد أفلسوا ماليّاً وبشريّاً ومادياً وباتوا منهكين لا يقدرون على حراك، عاجزين عن الاعتراض على أيّ قراراتٍ يمكن أن تُفرضَ عليهم من قبلِ الجهاتِ الحاكمة، لتبقى تلك الجهاتُ باسطةً سلطانها على العالم تحكم به، تستعبدُ شعوبه، وتأكلُ خيراته قروناً عديدة، فتمكّن جذورها في عمق التاريخ وتخلّد اسمها في صفحاته كقوّةٍ واحدةٍ صاحبةُ الملك والحكم المطلق.

فمتى سنصحو من غفلتنا؟؟

بل هل سنبقى محكومين ومستضعفين؟؟

أما أن لهذا الفارس أن يترجل ويستعيد عزته وكرامته؟؟

وهل وعيينا المخططُ الخبيثُ الذي يُحاكُ علينا، فبادرنا للعمل بكلّ همةٍ وشجاعةٍ ونشاطٍ؟؟

أم سنكون ممّن غلبتْ عليهم الشهواتُ فأعمتهم عن حقيقة وجودهم؟
أو ممّن طمسُوا على قلوبهم الشبهاتُ فتاهوا في غيابِ الجهل والفساد، واستمرؤوا العيش في مستنقع الذل والخنوع والمهوان.



وإن بقينا نواسي أنفسنا ونبكي على أطلال أسلافنا دون العمل المسؤول، والبذل والعطاء والتضحية بما يناسب التحديات المختلفة والمتنوعة فسنبقى تبعاً للآخرين وأداة طيعة في مشاريعهم، حتى يستبدلنا الله بقوم آخرين يعيدون لهذه الأمة عزتها وكرامتها، ويكون مثلنا حينذاك كمثل من قال فيهما ربنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ لِهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).



المبحث الخامس

مسارات سياسية لحل الأزمة السورية

إنَّ ممَّا يُحسب للمعارضة السورية سعِيَ المبكر لتشكيل الواجهة السياسية للثورة والثوار لتبادر ببلورة الحلول الآمنة والمريحة لها، ولتأخذ الشرعية الدولية والقانونية لدولتهم الجديدة، بعد أن تُسقِطَ دولة النظام الأسدِي المجرم من المنظومة الدولية، فكانت المبادرة الأولى بتشكيل

المجلس الوطني السوري:

١- المجلس الوطني السوري



هو أول جسم سياسيٍ من شخصياتٍ سوريةٍ أُعلن عن تشكيلها بتاريخ ٢٠١١/١٠/٢م، في استنبول في إطار توحيد المعارضة السياسية بأطيافها المختلفة والمُؤلفة من ٣١٠ عضو برئاسة السيد جورج صبرا.

وقد تشكّل المجلسُ من هيئاتٍ ذاتٍ خلقياتٍ سياسيةٍ مختلفةٍ منها: (الحرّاك الثوري، ومستقلين، وإعلان دمشق، والإخوان المسلمين، وربيع دمشق، وحركة العدالة والبناء، والكتلة الوطنية الكردية، بالإضافة إلى شخصياتٍ وطنيةٍ وسياسيةٍ مستقلةٍ).

وقد حظي المجلس الوطني بتأييدهِ شعبيٍّ كبيرٍ يمكن أن يلبي طموحاتِ الشعب السوري في تأمين تدخلٍ عسكريٍّ خارجيٍّ يطيح بنظام الأسد المجرم، وتتأمين حظرٍ جويٍّ يحمي الناس من مجازر الطيران التي تمطرها ليلاً نهاراً وتحيلهم جثامين هامدة.



عاني المجلس الوطني من عدم التجانس بين أفراد مكوناته السياسية والفكرية فلم يستطع تقديم رؤية واضحة المعالم للحل السياسي الذي يمكن أن يخرج البلد من أزمته مع العجز عن تقديم البديل المناسب الذي يمكن أن تجتمع عليه الساحة، في الوقت الذي تدخلت بعض الدول من خلال شخصيات سياسية ممثلة بالمجلس لصالح تلك الدول والتي كان لها دور في استبدال المجلس الوطني بجسمٍ جديٍ قادرٍ على تلبية طموحات الشعب وتخليصه من كابوس النظام الأسدية وإجرامه.

٢- الائتلاف الوطني السوري لقوى الثورة والمعارضة السورية
تشكل الائتلاف في العاصمة القطرية (الدوحة) بتاريخ ١١/١١/٢٠١٢م، برئاسة السيد معاذ الخطيب. يتكون الائتلاف من ٦٣ مقعداً، ويمثل أعضاؤه معظم قوى الثورة والمعارضة،

وهم: (المجلس الوطني السوري، والهيئة العامة للثورة السورية، ولجان التنسيق المحلية، والمجلس الثوري لعشائر سوريا، ورابطة العلماء السوريين، واتحادات الكتاب، والمنتدى السوري للأعمال، وتيار مواطنة، وهيئة أمناء الثورة، وتحالف معا، والكتلة الوطنية الديمقراطية السورية، والمكون التركماني، والمكون السرياني الآشوري، والمجلس الوطني الكردي، والمنبر الديمقراطي، وال المجالس المحلية لكافة المحافظات، إضافةً إلى بعض الشخصيات الوطنية والسياسيين وبعض المستقلين).

تشكل المجلس بدأياً من ٦٣ مقعداً، ثم توسيع بتاريخ ٩/٣١/٢٠١٣م، بإضافة أعضاء جدد ليصل عدد المقاعد الإجمالي إلى (١٤٤ عضواً)، كان ذاك التوسيع من أجل التوازن الفكري والتوجهات السياسية داخل الائتلاف من جهة وكذلك ضمان التوازن بين الدول الإقليمية والدولية وتوزيع الثقل بين الأقطاب الذين يمثلون تلك الدول من جهة أخرى.



الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية



كان تشكيل الائتلاف الوطني بهدف تحقيق أهداف الثورة السورية وتلبية طموحات الشعب ضمن وسائل وأليات من خلال:

١. إسقاط النظام الأسدية المجرم ومحاكمته ورموزه وتفكيك منظومته الأمنية بكل أشكالها وفروعها.
٢. توحيد عمل المجالس العسكرية والثورية ضمن منظومة عسكرية واحدة منضبطة، وتأمين الدعم العسكري اللازم.
٣. العمل على تأمين دعم الشعب السوري من خلال صندوق دعم دولي.
٤. متابعة أمور القضية السورية بكل ما يتعلّق فيها على مستوى الدول من خلال لجنة قانونية وطنية لمتابعة المسؤولين عن قتل السوريين وتهجيرهم وتدمير سوريا.
٥. العمل على تشكيل حكومة انتقالية وطنية والحصول على الاعتراف الدولي بها.

وقد تم الاعتراف بالائتلاف الوطني كممثّل شرعي للشعب السوري من دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي الـ(٦ دول). وكذلك فقد تم اعتراف دول الجامعة العربية الـ(٢٢ دولة) باستثناء: (العراق والجزائر ولبنان)، بالائتلاف كممثّل شرعي للشعب السوري. وقد لقي الائتلاف الوطني في سنواته الأولى دعماً من تركيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، والدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي الـ(٣٠ دولة).

ثم تغيّر التعامل الدولي مع الثورة السورية بشكل سلبي أدّى إلى ضعف الأداء العسكري للمقاتلين والثوار وانحسار مساحات جغرافية كبيرة لصالح النظام المجرم إضافةً إلى مئات المجازر التي خلّفت عشرات الآلاف من الشهداء وتهجير الملايين من المدنيين إلى أماكن أكثر أمناً على الحدود السورية التركية.



ولم يبق إلا جمهورية تركيا التي دعمت الثورة بكل ما تستطيع وما زالت تدعمها ضمن مجالات ومسارات تحقق منها الداخلي وتوازنها الخارجي مع استمرارية وضمان بقاء الثورة السورية.

يُحسب للائتلاف ما قام به من إنجازات إنسانية وسياسية في سنواته الأولى من تأسيسه، حيث استطاع أن يلعب دوراً المثل السياسي لقوى المعارضة من خلال تحصيل الاعتراف الدولي به وفتح سفاراتٍ له في بعض الدول، لكنه فشل في تقديم رؤية واضحةٍ للخروج من الأزمة بالتوافق مع الدول ذات الصلة والقرار لأسباب متعددةٍ منها عدم التجانس بين أفراده، واختلاف توجهاتهم الفكرية التي بدورها تؤدي إلى اختلاف وجهات النظر في الرؤى ومزيدٍ من المناكفات الداخلية ضمن الائتلاف، ليتحول مسارُ الائتلاف عن الأهداف الحقيقية لثوابت الثورة وأهدافها إلى المصالح الشخصية والتجاذبات الحزبية، إضافةً للشخ الكبير بين المسار العسكري في الداخل وبين المسار السياسي الممثل بالائتلاف في الخارج، وهذا ما كان له الواقع السلبي والنظرية القاتمة عليه.

٣- الحكومة السورية المؤقتة

في البداية تم تسميتها الحكومة الانتقالية السورية وهي الحكومة البديلة في سوريا التي تم تشكيلها عن طريق مجموعةٍ من الائتلاف الوطني السوري لقوى الثورة والمعارضة السورية.

رؤساء الحكومات

١- غسان هيتو: وقد تم انتخابه ليكون أول رئيسٍ للحكومة المؤقتة بتاريخ ٢٠١٣/٣/١٩ م، وكُلف بتشكيل حكومةٍ تتولى إدارة شؤون «المناطق المحررة»، إلا أنه اعتذر عن متابعة مهامه بعد حوالي ثلاثة أشهرٍ على تسميته، «حرصاً على وحدة المعارضة»، بحسب ما جاء في بيانٍ صادرٍ عنه نُشرَ على صفحة الحكومة آنذاك لتنتمي ولايته بتاريخ ١٤ من شهر أيلول عام ٢٠١٣ م.



- ٢- أحمد طعمة: تسلّم رئاسة الحكومة بتاريخ ١٤ من شهر أيار عام ٢٠١٣ م حتى تاريخ ٢٠١٦ م.
- ٣- جواد أبو حطب: تسلّم رئاسة الحكومة بتاريخ ١٧ من شهر أيار عام ٢٠١٦ م، حتى تاريخ ١٠ من شهر آذار عام ٢٠١٩ م.
- ٤- عبد الرحمن مصطفى: تسلّم الحكومة بتاريخ ٣٠ من شهر حزيران عام ٢٠١٩ م حتى تاريخه في ٢٠٢١ م.

الأمم المتحدة ودورها في حل الأزمة السورية

١. كانت الجلسة الأولى لمجلس الأمن بتاريخ ٩/٣/٢٠١١ م، حيث تم إدانة النظام المجرم لعمليات العنف، لكنه لم يرُق إلى مستوى القرار.
٢. بتاريخ ٤/١١/٢٠١١ م، حيث تم إدانة النظام المجرم لاستخدام القوة ضد المتظاهرين السلميين مع اعتراض روسيا والصين.
٣. بتاريخ ٤/٢/٢٠١٢ م، حيث تم إدانة النظام المجرم وتشديده على وقف العنف مع اعتراض روسيا والصين أيضاً.
٤. بتاريخ ٦/٢/٢٠١٢ م، الجمعية العمومية للأمم المتحدة تدين استخدام القوة من قبل النظام المجرم.
٥. بتاريخ ٢٤/٢/٢٠١٢ م، حيث تم تعيين الأمين العام كوفي عنان مبعوثاً خاصاً للأمم المتحدة إلى سوريا.



مؤتمر جنيف ١

وبناءً على دعوة كوفي عنان مبعوث الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية إلى سوريا بتاريخ ٣٠ من حزيران ٢٠١٢م، استضاف مكتب الأمم المتحدة بمدينة جنيف في سويسرا م، ٣٠ من شهر حزيران ٢٠١٢م، اجتماعاً لـ «مجموعة العمل من أجل سوريا» وضمّ الاجتماع كلاً من:

الأمين العام للأمم المتحدة، والأمين العام لجامعة الدول العربية، ووزراء خارجية الاتحاد الروسي، وتركيا، والصين، وفرنسا، وقطر (رئيسة لجنة جامعة الدول العربية لمتابعة الوضع في سوريا)، والعراق (رئيس مؤتمر قمة جامعة الدول العربية)، والكويت (رئيسة مجلس وزراء الخارجية التابع لجامعة الدول العربية)، والمملكة المتحدة، وإيرلندا الشمالية، والولايات المتحدة، وممثلة الاتحاد الأوروبي السامية للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية، بوصفهم مجموعة العمل من أجل سوريا، برئاسة المبعوث الخاص المشترك للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية لسوريا، وتبني المؤتمر ست نقاط أساسية لحل الأزمة السورية، عُرفت بخطبة كوفي عنان واضع هذه النقاط وهي: أولاً: الالتزام بالعمل مع عنان من أجل عملية سياسية شاملة يقودها السوريون.

ثانياً: الالتزام بوقف جميع أعمال العنف المسلح، بما في ذلك وقف استخدام الأسلحة الثقيلة وسحب القوات ووقف تحركات قوات الجيش باتجاه المناطق المأهولة بالسكان.

ثالثاً: تطبيق هدنة يومية لمدة ساعتين للسماح بإدخال المساعدات إلى جميع المناطق المتضررة من القتال.

رابعاً: الإفراج عن جميع من جرى اعتقالهم تعسفياً، ومن فيهم المعتقلون لقياهم بنشاطات سياسية سلمية.



خامساً: الاتفاق على ضمان حرية الحركة للصحافيين في جميع أنحاء البلاد وتبني سياسة لا تقوم على التمييز بشأن منحهم تأشيرات لدخول البلاد.

سادساً: الاتفاق على حرية تكوين المؤسسات وحق التظاهر السلمي على أنها حقوق مضمونة قانونياً.

وقد رحبَت المعارضة السياسية بالمؤتمر كونه يضع حدّاً لجرائم النظام ويضع خطة لانتقال سياسي يُجنب البلد مزيداً من الدماء، كما أيدت معظم دول الحضور ما جاء في خطة عنان، فيما تهرب النظام المجرم من التزاماته بذرائع كاذبة مشككاً بالأطراف التي حضرت المؤتمر وانحيازها لصالح المعارضة.

لم ينجح المؤتمر ولم يصل إلى أهدافه في تطبيق الخطة للتباين الحاصل في التفسيرين الروسي والأميركي لنتائج مؤتمر جنيف ١.

حيث أكد وزير الخارجية الروسي «سيرغي لافروف» أنَّ البيان الختامي للمؤتمر لا يتضمن شرط تخلّي بشار الأسد عن منصبه، بينما رأت وزيرة الخارجية الأميركيَّة «هيلاري كلينتون» أنَّ المؤتمر «يمهد لمرحلة ما بعد الأسد».

مؤتمر جنيف ٢

حيث تم بتاريخ ٢٢ كانون الثاني من ٢٠١٤ م، بعد استقالة كوفي عنان وتسليم الأخضر الإبراهيمي ك وسيط دولي بحضور النظام المجرم والمعارضة السورية ممثلةً بأحمد الجربا رئيس الائتلاف آنذاك، انتهت بالفشل وإلى طريق مسدود واستقالة الإبراهيمي في ١٤ من أيار ٢٠١٤ م.



القرارالأممي رقم / ٢٢٥٤

حيث صوّت مجلسُ الأمِنِ بتأريخ ١٨ من كانون الثاني من عام ٢٠١٥م، بالإجماع على مشروع القرار الأمريكي رقم ٢٢٥٤ الذي ينص على:

١. بدء محادثات السلام بسوريا في كانون الثاني ٢٠١٦م، مقرراً بدور المجموعة الدولية لدعم سوريا باعتبارها المنبر المحوري لتسهيل الجهود الأممية الرامية إلى تحقيق تسوية سياسية دائمة في سوريا.
٢. ضرورة إنجاح المفاوضات بين السوريين تحت الإشراف الأممي.
٣. وأن تنتج هيئة حكم ذات مصداقية، تشمل الجميع وتكون غير طائفية.
٤. اعتماد مسار صياغة دستور جديد لسوريا في غضون ستة شهور، وإجراء انتخابات في غضون ١٨ شهراً بإشراف أممي.

مؤتمر جنيف ٣

عقدت تلك المفاوضاتُ بالتزامن مع دخول الأزمة السورية عامها السادس، لكنها فشلت في النهاية بسبب خلافاتٍ بين النظام والمعارضة، بما يخص بعض فقرات القرار الأممي ٢٢٥٤، والخلاف على تشكيل المعارضة السورية وفدها المفاوض.

كما أنَّ المعارضة السورية رفضت أن يكون للأسد أيُّ مستقبلٍ في سوريا الجديدة، وهي رؤيةٌ تشارطها فيها القوى العربية والدولية الداعمة للشعب السوري.



مؤتمر جنيف ٤

تم بتاريخ ٢٣ شباط ٢٠١٧ م، حيث بدأت الجولة الرابعة من المفاوضات عقب التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في سوريا أواخر كانون الأول ٢٠١٢ م، وجولتين من المفاوضات بين النظام والمعارضة المسلحة في أستانة بكزاخستان. وتمكن المشاركون الذين قادهم دي ميستورا من التوصل إلى اتفاق على جدول أعمال يتكون من أربعة «سلال»، هي:

١. السلة الأولى: القضايا الخاصة بإنشاء حكم غير طائفي يضم الجميع، مع الأمل في الاتفاق على ذلك خلال ستة أشهر.
٢. السلة الثانية: القضايا المتعلقة بوضع جدول زمني لسمو دستور جديد، مع الأمل في أن تتحقق في ستة أشهر.
٣. السلة الثالثة: كل ما يتعلق بإجراء انتخاباتٍ حرة ونزيهةٍ بعد وضع دستور، وذلك خلال ١٨ شهراً، تحت إشراف الأمم المتحدة، وتشمل السوريين خارج بلادهم.
٤. السلة الرابعة: إستراتيجية مكافحة الإرهاب والحكومة الأمنية وبناء إجراءاتٍ للثقة المتوسطة الأمد.

مؤتمر جنيف ٥

تم في نيسان من عام ٢٠١٧ م، حيث ناقشت الوفود المشاركة بالتفصيل المواضيع الأربع الرئيسية، وهي: الحكم، والدستور، ومكافحة الإرهاب، والانتخابات. وتبادل وفدا النظام والمعارضة الاتهامات بشأن عدم تحقيق تقدّم في جولة المفاوضات التي استمرت ثمانية أيام.



مؤتمر جنيف ٦

تمَ بتاريخ ١٦ من أيار عام ٢٠١٧ م، حيث دامت هذه الجولة لمدة أربعة أيام، لكنها انتهت بحسب ما صرَّح دي ميستورا حينها، دون تحقيق أي تقدِّم ملموس. واقترح دي ميستورا إنشاء آليةٍ تشاوريةٍ لمناقش القضايا التقنية المتعلقة بالقضايا الدستورية والقانونية، وهو اقتراح رفضته المعارضة، لكنها أرسلت وفداً شارك بجولتي نقاشٍ حول المسائل التقنية بعد انتهاء الجولة السادسة.

مؤتمر جنيف ٧

تمَ بتاريخ ٩ من تموز عام ٢٠١٧ م، حيث دامت هذه الجولة لمدة ستة أيام وانهت دون تحقيق أي تقدِّم بما يُعرف بالسلال الأربع مع ترتيب جدول أعمال المفاوضات وتوحيد وفود المعارضة لعقد جولاتٍ جديدةٍ من المفاوضات.

مؤتمر جنيف ٨

تمَ بتاريخ ٢٨ من تشرين الثاني عام ٢٠١٧ م، حيث اعتبر المبعوث الأممي أنَّ هذه الجولة التي استمرت حتى ١٦ كانون الأول كانت فرصةً ذهبيةً ضائعة، حيث لم ينجح في عقد أي لقاءاتٍ مباشرةً بين الطرفين المتفاوضين، وحمل روسيا والنظام المسؤولية عن عدم الانخراط بجديةٍ في المفاوضات. وفي المقابل أصرَّت المعارضة على اعتبار أنَّ مسألة الانتقال السياسي وتشكيل حكمٍ انتقاليٍ يشكّلان أولويةً بالنسبة لها، الأمر الذي اعتبره وفدُ النظام شرطاً مسبقاً يمنعه من قبول التفاوض.



مؤتمر فيينا

تمَ بتاريخ ٢٥ كانون الثاني من عام ٢٠١٨ م، حيث عُقدت الجولة التاسعة من المحادثات السورية برعاية الأمم المتحدة بفيينا يومي ٢٥ و ٢٦ كانون الثاني، التقى خلالها المبعوث الأممي وفدي النظام السوري والمعارضة.

وقدّمت كلٌّ من الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، والأردن، وال سعودية، للمبعوث الأممي الخاص إلى سوريا دِي مِيسْتُورَا مقترحاً بعنوان «ورقة غير رسمية»، تهدف إلى إحياء العملية السياسية في جنيف بشأن سوريا استناداً للقرار /٢٢٥٤/، غير أنّ النظام السوري رفض المقترن.

ولم تتعقد هذه الجولة كما الجولات الثمانية السابقة في جنيف لأسبابٍ لوجستية، وجاءت قبل أيامٍ من مؤتمر الحوار السوري في منتجع سوتشي الروسي.

محادثات أستانة للسلام في سوريا

هي محادثاتٌ جرت بين ممثليِّ النظام الأسدِيِّ المجرم وعدِّ من قادةِ فصائلِ المعارضة السورية برعاية روسيا وتركيا، وذلك في العاصمة الكازاخستانية «أستانة» بتاريخ ٢٣ و ٢٤ كانون الثاني من عام ٢٠١٧ م.

أستانة ١

وأهم ما جاء في الجولة الأولى منها هو التأكيد على الحل السياسي في سوريا، كما توصلت وفودُ تركيا وروسيا وإيران إلى اتفاقٍ على إنشاء آليةٍ ثلاثةٍ لمراقبة تنفيذ وقف إطلاق النار في سوريا، وعلى أن تكون المفاوضات بين وفدي النظام المجرم والمعارضة غير مباشرة.

وقد طالبَ وفُدُّ المعارضة روسيا بإعلان وقف إطلاق النار على الأراضي السورية، وهو ما ردّت عليه موسكو بأنّها وجهت طلباً صارماً للنظام بوقف الأعمال القتالية في وادي بردى بريف دمشق.

**أستان١ ٢**

كانت الجولة الثانية من المفاوضات بتاريخ ١٥ من شباط ٢٠١٧ م، وأبرز ما جاء في هذه الجولة الحديث عن تشكيل مجموعة عملٍ ثلاثية (روسية تركية إيرانية) لمراقبة وقف الأعمال القتالية، وتشكيل آلية لتبادل المعتقلين بين قوات النظام والمعارضة المسلحة.

وأكد محمد علوش أنّ المعارضة لن تبحث أيّ مواضيع سياسيةٍ ما لم يتم تثبيت إنجازٍ حقيقيٍ على أرض الواقع يتمثل في تثبيت وقف إطلاق النار وإيجاد صيغةٍ عمليةٍ لإيصال المساعدات الإنسانية وبحث ملف المعتقلين.

أستان١ ٣

كانت الجولة الثالثة من المفاوضات بتاريخ ١٤ من آذار ٢٠١٧ م، وأبرز ما جاء في هذه الجولة أنّ روسيا قدمت اقتراحاتٍ بوضع دستور للبلاد، وانتهت في ظل مقاطعةِ المعارضة.

أستان١ ٤

كانت الجولة الرابعة من المفاوضات بتاريخ ٤ من أيار ٢٠١٧ م، وأبرز ما نتج عن هذه المفاوضات هو اتفاقٌ مناطقٌ خفض التوتر التي تشمل كامل محافظة إدلب، ومحافظة اللاذقية، ومحافظة حلب، وأجزاء من محافظات حماة، وحمص، ودرعا، والقنيطرة، ومنطقة الغوطة الشرقية بريف دمشق.

ووقع ممثلو الدول الراعية لمحادثات أستان١ (روسيا وتركيا وإيران) على المذكرة التي اقترحتها روسيا لإقامة مناطق لتخفيض التوتر في سوريا، وأكّدت روسيا أنه سيتم تطبيقها لمدة ستة أشهرٍ قابلةٍ للتمديد، في حين أعلن وفدُ المعارضة أنّهم ليسوا جزءاً من الاتفاق.

**أستاناء ٥**

كانت الجولة الخامسة من المفاوضات بتاريخ يوم ٤ من تموز ٢٠١٧ م، ولم تتمكن الدول الضامنة الثلاث (روسيا وتركيا وإيران)، من التوافق على رسم حدود مناطق خفض التصعيد في سوريا، وبعد يومين من التفاوض تم تحديد اجتماعين لاحقين في الأول والثاني من آب ٢٠١٧ م بإيران، وذلك للاتفاق على تحديد خرائط للمناطقين الثانية والثالثة، مع وجود أسئلة بشأن المنطقة الأولى في محافظة إدلب وبعض التحفظات بالنسبة للمنطقة الجنوبية.

أستاناء ٦

كانت الجولة السادسة من المفاوضات بتاريخ ١٤ من أيلول ٢٠١٧ م، حيث استؤنفت المفاوضات بعد عدّة شكاوى من المعارضة بشأن عدم التزام النظام باتفاق خفض التصعيد في العديد من مناطق المعارضة. وتدور المفاوضات بين وفود الدول الضامنة (تركيا وروسيا وإيران)، كما يشارك فيها وفدٌ من الولايات المتحدة برئاسة ديفد ساترفيلد مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى بالوكالة، ووفد الأمم المتحدة برئاسة المبعوث الأممي الخاص إلى سوريا ستافان دي مستورا، وكذلك وفدُ أردني، ووفدُ قطري بصفة مراقبٍ لأول مرة.

وتمخّضت المفاوضات عن رسم حدود مناطق خفض التوتر التي أعلنت عنها سابقاً، خاصةً منطقة إدلب التي كانت محطةً لخلافات.



أستانـا ٧

كانت الجولة السابعة من المفاوضات انطلقت بتاريخ ٣٠ من تشرين الأول ٢٠١٧م، وحضر المفاوضات غير المباشرة بين النظام السوري والمعارضة، وفود الدول الضامنة (روسيا وتركيا وإيران)، وعدّ من الدول المراقبة. والتقي وفد المعارضة مسؤولين من فرنسا والأردن، بينما طالب الروسي تركيا بفرض الاستقرار في محافظة إدلب.

وكانت المعارضة قد جهزت نسخةً من الملفات التي يقدّمها ويناقشها وفد قوى الثورة التابع للمعارضة مع الأمم المتحدة خلال مفاوضات أستانـا في العاصمة الكازاخية، وبحسب الوثائق فإن المعارضة ستطلع الأمم المتحدة بالوثائق على التغيير الديموغرافي والتهجير القسري الذي نفذه النظام والمليشيات الإيرانية عن طريق المجازر وما بات يعرف بـ«المصالحات الوطنية» والحسد الطائفي وتدمير البنية التحتية للبيئة الاجتماعية في المناطق الخارجية عن سيطرة النظام.

كما تتضمّن مناقشات الجولة السابعة ملفَ المعتقلين في سجن حمص المركزي وإضرابهم ومحاولات النظام تضليل وفد الصليب الأحمر الذي أتى لزيارتـهم.

وبحسب الوثائق، فإنَّ المعارضة أفردت ملفاً للحديث عن التدخل العسكري الإيراني المباشر في سوريا، وحجم المليشيات التابعة لإيران وانتشارها والجرائم التي ارتكبها، كما ستناقش المعارضة مع الأمم المتحدة المجذرة الأخيرة التي وقعت في مدينة القرىتين في ريف حمص الشرقي، والتي تمّت عقاباً لمن رفض الانخراط في صفوف قوات النظام.



أستانـا ٨

تمت الجولة الثامنة بتاريخ ٢١-٢٢ كانون الأول من عام ٢٠١٧ م، واختتمت الجولة بتفاهماتٍ تقضي بإنشاء لجـانـاً جـديـدـاً تتـابـعـ مـلـفـاتـ المـعـتـقـلـينـ والمـخـتـفـيـنـ وإـزـالـةـ الأـلـغـامـ، وبـقـوـاعـدـ مشـكـلـةـ لـشـكـلـ وـمـضـمـونـ مؤـتـمـرـ «ـالـحـوارـ الوـطـنـيـ»ـ السـوـرـيـ،ـ المـقـرـرـ عـقـدـهـ فيـ سـوـتـشـيـ الـرـوـسـيـةـ.

إعلان التوافق حول اللجان تأـخر لـجـولـةـ كـامـلـةـ،ـ بـعـدـ تعـذـرـ التـفـاهـمـ الـحـكـومـيـ .ـ المـعـارـضـ عـلـىـ تـفـاصـيلـ قـضـيـةـ الـمـعـتـقـلـينـ.

أستانـا ٩

كـانـتـ الجـولـةـ التـاسـعـةـ بـتـارـيخـ ١٥ـ مـنـ أـيـارـ عـامـ ٢٠١٨ـ مـ،ـ وـقـدـ تـمـ الـبـحـثـ خـلـالـهـاـ حـولـ منـاطـقـ خـفـضـ التـصـعـيدـ وـتـبـادـلـ الأـسـرـىـ وـالـجـثـثـ وـمـلـفـاتـ الـمـعـتـقـلـينـ وـنـزـعـ الأـلـغـامـ بـيـنـ الـطـرـفـيـنـ،ـ وـقـدـ تـمـ الـاـتـفـاقـ عـلـىـ مـنـاطـقـ خـفـضـ التـصـعـيدـ فـيـماـ رـفـضـتـ إـيـرانـ باـقـيـ الـمـلـفـاتـ.

أستانـا ١٠

كـانـتـ الجـولـةـ العـاـشـرـةـ بـتـارـيخـ ٣٠ـ وـ٣١ـ تمـوزـ مـنـ الـعـامـ نـفـسـهـ فيـ سـوـتـشـيـ لـلـدـوـلـ الـضـامـنـةـ (ـتـرـكـياـ وـرـوـسـيـاـ وـإـيـرانـ)ـ وـاـسـتـمـرـتـ لـيـوـمـيـنـ،ـ وـيـعـتـبـرـ نـقـلـ مـقـرـ اـجـتمـاعـاتـ أـسـتـانـاـ إـلـىـ (ـسـوـتـشـيـ)ـ إـشـارـةـ إـلـىـ اـنـتـصـارـ رـوـسـيـاـ فـيـ حـربـهاـ ضـدـ الـمـعـارـضـةـ السـوـرـيـةـ،ـ وـقـدـ كـانـتـ الـمـحـادـثـاتـ فـيـ أـسـتـانـاـ (ـعـسـكـرـيـةـ مـيـدانـيـةـ)،ـ حـيـثـ نـقـلـتـهاـ رـوـسـيـاـ إـلـىـ (ـعـسـكـرـيـةـ سـيـاسـيـةـ)،ـ فـيـ مـسـعـيـ لـلـانـقلـابـ عـلـىـ عـمـلـيـةـ جـنـيفـ،ـ وـقـدـ تـمـ مـنـاقـشـةـ مـسـأـلةـ الـلـجـنةـ الدـسـتوـرـيـةـ السـوـرـيـةـ.



أستانـا ١١

كانت الجولةُ بتاريخ ٢٨ من تشرين الثاني ٢٠١٨ م، بمشاركة الدول الضامنة (تركيا وروسيا وإيران) ومراقبين من الأمم المتحدة والأردن لبحث مجموعةٍ من الملفات كحلٍ عقدةٍ تشكيلِ اللجنة الدستورية ومعالجة خروقات اتفاق سوتشي في إدلب ومحيطها، وبحث ملف المعتقلين على وفقٍ خطٍّ تجريبيةٍ لبناء الثقة بين الأطراف. وقد جاءت مخرجاتُ هذه الجولةِ من المفاوضات مخيّبةً لآمال الذين يرغبون بوقفٍ شاملٍ لإطلاق النار مع النظام المجرم، حيث حاولت روسيا إقحامَ أسماءٍ معينةٍ تم رفضها لأنّها تطعن بشرعية اللجنة الدستورية كونهم غير حياديّين.

أستانـا ١٢

كانت الجولةُ بتاريخ ٢٧ من نيسان ٢٠١٩ م، ولم يتمخض عنـه أيّ جديد.

أستانـا ١٣

كانت الجولةُ بتاريخ ٣١ من تموز ٢٠١٩ م، حيث أعربت روسيا وتركيا وإيران عن ارتياحـهم لما تمّ إنجازـه من تقدّمٍ في تحديد قوام ونظام عمل اللجنة الدستورية مؤكدةً استعدادـها للمساعدة في انعقـاد هذه اللجنة في أسرع وقتٍ ممـكـنـ.

أستانـا ١٤

كانت الجولةُ بتاريخ ١٤ من كانـون الأولـ عام ٢٠١٩ م، حيث اختـتمـت المفاوضـات فيـ العاصـمةـ الكـازـاخـيةـ (نـورـ سـلـطـانـ) بـمشارـكةـ تركـياـ وـروسـياـ وإـيرـانـ وـالمعـارـضـةـ السـورـيـةـ وـنـظـامـ الأـسـدـ المـجـرمـ.



وقد بحث المجتمعون إجراءات بناء الثقة بما فيها إطلاق سراح المعتقلين، وكشف مصير المفقودين، ومناقشة المبادرات الالزامية لعقد مؤتمر دولي، وتكثيف المساعدات الإنسانية في سوريا، وعودة اللاجئين إلى ديارهم.

أستانـا ١٥

كانت الجولةُ بتاريخ ١٧ من شباط ٢٠١٩ م، حيث اختتمت الدول الضامنة لمسار «أستانـا» (تركيا وروسيا وإيران) أعمالها من المحادثات التي جرت في مدينة سوتشي الروسية على البحر الأسود، دون أن يتضمن البيان الختامي أيَّ جديـد مقارنةً بالجولة السابقة.

الهيئةُ العليا للمفاوضات



هي هيئةٌ تابعةٌ للمعارضة السورية انبثقت عن مؤتمر الرياض الأول الذي انعقد في العاصمة السعودية (الرياض)، في ١٠ من كانون الأول عام ٢٠١٥ م.

ومهمتها الإشرافُ المباشرُ على العملية التفاوضية مع النظام السوري المجرم، ضمن مساراتٍ ترعاها الأمم المتحدة.

تأسـست الهيئةُ العليا للمفاوضات السورية في ١٠ من كانون الأول ٢٠١٥ م، خلال اجتماع عقـدته أطراف المعارضة السورية في الرياض، واتفقوا أن تكون تشكيلتها من (٣ - ٢ - ٣ - عضوا)، هـم:

- ١ - تسعـةٌ من الائـتلاف الوطـني لقوى الثـورة والـمعارضة السـورية وـهم: (جورج صـبرا، وفاروق طـيفور، وعبد الحـكـيم بشـار، وسـهـير الأـتـاسي، وـمنـدر مـاخـوس، وخـالـد خـوـجة، وريـاض سـيف، وريـاض حـجـاب، وـسـالـم المـسلط).



٢- عشرة من الفصائل المسلحة: ويتوّزع أعضاء الفصائل المقاتلة بين: أربعة عن الجبهة الجنوبية ومثلهم عن الجبهة الشمالية، إضافة إلى ممثّل عن كلّ من أحرار الشام، وجيش الإسلام، وممثّل ثالث لم تحدّد تبعيّته.

٣- خمسة من هيئة التنسيق الوطني: (منير البيطار، وصفوان عكاش، وأحمد العسراوي، ومحمد حجازي، وزياد أبو وطفة، ووليد الزعبي).

٤- وثمانية مستقلون: (معاذ الخطيب، ولؤي حسين، وأحمد الجري، ورياض نعسان آغا، وهند قبوات، ويحيى قضماني، وحسام الحافظ، وعبد العزيز الشلال).

انتخبت الهيئة العليا للمفاوضات بعد تشكيلها السيد رياض حجاب منسقاً عاماً لها.

وشاركت الهيئة في مفاوضات جنيف^٣، وجنيف^٤، ومفاوضات أستانـا، بشأن الأزمة السورية، لكنّها رفضت في تشرين الثاني من عام ٢٠١٧ م المشاركة في مؤتمر اقتربت روسيا في منتجع سوتشي على البحر الأسود، وقالت إنّها تعارض مناقشة مستقبل سوريا خارج إطار الأمم المتحدة، ووصفـت المؤتمر بأنّه يمثّل حرفـاً لمسار الوساطة التي ترعاها الأمم المتحدة، ومحاولة لإعادة تأهيل نظام الأسد.

مرجعيّة الهيئة العليا للمفاوضات

تعتمد الهيئة العليا للمفاوضات على مرجعية تقوم على نقطتين:

أ- التمثيل بوحدة سوريا، وإقامة نظام يمثّل أطياف الشعب كافة، لا مكان فيه لبشار الأسد وأركان نظامه، وذلك على وفق ما أعلنـه المنسق العام للهيئة رياض حجاب في ٥ من كانون الثاني ٢٠١٦ م.



بـ- أطلقت الهيئةُ خلال اجتماعاتها التالية لتأسيسها في الرياض الإطار التنفيذي للحل السياسي في سوريا، واعتبرت أنّ «الحل السياسي هو الخيار الاستراتيجي» الأول الذي تعتمده، ووفق بيان جنيف ١ والقرارات ٢١١٨ و٢٢٥٤، القاضية بإنشاء هيئة حكم انتقالية كاملة الصلاحيات التنفيذية، «لَا وجود ولا دور للأسد ومن اقترف الجرائم بحق الشعب السوري بدءاً من المرحلة الانتقالية».

وفي ٦ من آب ٢٠١٧م، أعلنت الهيئة العليا بدء التحضيرات لعقد اجتماع موسّع في الرياض، وقالت إنّ الغرض من الاجتماع هو «توسيع قاعدة التمثيل والقرار، على قاعدة بيان الرياض كمرجعية أساسية في عملية الانتقال الديمقراطي»، مضيفة أنها طلبت من المملكة استضافة الاجتماع وأتها أبدت موافقتها ودعمها.

وفي ٢٠ من تشرين الثاني ٢٠١٧م، أعلن منسق الهيئة العليا للمفاوضات السورية مع عشرة من أعضاء الهيئة استقالتهم، بينهم الناطق الإعلامي باسم الهيئة رياض نعسان آغا.

وقال حجاب -في بيان إنه وجّد نفسه اليوم مضطراً لإعلان الاستقالة من مهمته، وذلك بعد سنتين من العمل للمحافظة على ثوابت الثورة السورية، وأضاف أنه كان ملتزماً بمبادئ الثورة، ويعمل على تأسيس نظامٍ تعددي دون أن يكون للأسد ونظامه مكان فيه.

وهنا بدأت روسيا بإنشاء نسخة جديدةٍ من الأعضاء (منصة موسكو)، وفي مؤتمر الرياض الثاني الذي عقد يومي ٢٣-٢٢-تشرين الثاني ٢٠١٧م، اختارت المعارضة السورية أعضاء النسخة الجديدة من الهيئة العليا للمفاوضات، وتضم في المجموع (خمسين عضواً) موزعين على الشكل التالي:



١. عشرةً من أعضاء الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، وهم: (نصر الحريري، وهادي البحرة، وبدر جاموس، وعبد الأحد اسطيفو، وعبد الإله فهد، وربى حبوش، وحسان خليل، وعبد الرحمن مصطفى، وأحمد سيد يوسف، وإبراهيم برو).
٢. ستةً أعضاء من هيئة التنسيق الوطنية هم: (حسن عبد العظيم، وأليس مفرج، وأحمد العسراوي، وصفوان عكاش، ونساء طعيمة، ومحمد حجازي).
٣. أربعةً أعضاء مما يُعرف بمنصة القاهرة وهم: (جمال سليمان، ومنير درويش، وفراس الخالدي، وقاسم الخطيب).
٤. أربعةً أعضاء بما يُعرف بمنصة موسكو وهم: (يوسف سلمان، وعروبة المصري، ومهند دليقان، وسامي الجابي).
٥. عشرةً ممثلين للفصائل العسكرية من الجيش السوري الحر، وهم: (بشار الزعبي، ومحمد الدهني، وأحمد جباوي، وأحمد عثمان، وطلاس سلامة، وأحمد العودة، وياسر عبد الرحيم، وحسن حاج علي، ومحمد منصور، وأيمن العاصمي).
٦. ستة عشر من الأعضاء المستقلين بينهم بسمة قضماني، وعبد الجبار العكيدى.

مؤتمر الحوار الوطني السوري

هو الذي دعت إليه روسيا بتاريخ ٣٠ كانون الثاني عام ٢٠١٨ م، في منتجع سوتشي حيث شاركت في المؤتمر شخصياتٌ محسوبةٌ على الموالاة والمجتمع المدني السوري، ووفودٌ من المعارضة قادمةٌ من دمشق والقاهرة وموسكو وأنقرة وبلغ عددهم ١١٥١ شخصاً من أصل ١٦٠٠، وجّهت الدعوة رسمياً لهم.



بينما عاد وفد فصائل المعارضة المسلحة المكون من نحو ثمانين شخصاً إلى أنقرة بعد رفضهم المشاركة، وجاء في بيانهم أنّهم فوجئوا بأنّه: «لم يتحقق أيُّ من الوعود التي قطعْتُ، فلا القصفُ الوحشِيُّ على المدنيين توقفَ، ولا أعلامُ النظام على لافتاتِ المؤتمر وشعاره أزيلت، فضلاً عن افتقادِ أصولِ اللياقةِ الدبلوماسيةِ من الدولةِ المضيفة».

وأمّا الهيئة العليا للمفاوضات السورية فأعلنت قبل المؤتمر مقاطعته حيث أوضح الناطق باسمها يحيى العريضي أنّ مقاطعة المؤتمر تعود لكونه يهدف إلى شرعنة الاحتلال في سوريا والالتفاف حول مقررات «مؤتمر جنيف».

ومن نتائجِ مؤتمر سوتشي كان تأسيس اللجنة الدستورية، حيث اجتمع المشاركون في مؤتمر الحوار الوطني السوري بسوتشي على إنشاء لجنة للإصلاح الدستوري تتكون من وفدي من النظام السوري ووفدي من المعارضة واسع التمثيل، بعرض صياغة إصلاح دستوري يسهم في التسوية السياسية التي ترعاها الأمم المتحدة وفقاً لقرار مجلس الأمن الدولي / ٢٢٥٤ .

تضُمُّ اللجنة الدستورية أيضاً خبراء سوريين وممثلين للمجتمع المدني ومستقلين وقياداتٍ قبليةً ونساء.

وبحسب دي ميستورا فإنّ اللجنة ستضمّ ممثلين من وفد المعارضة المشاركة في مفاوضات جنيف برعاية الأمم المتحدة في إشارة إلى «الهيئة العليا للمفاوضات» التي قاطعت مؤتمر سوتشي.



واللجنة الدستورية هي:

جمعيةٌ تأسيسيةٌ مُرخصةٌ من الأمم المتحدة، وتسعى إلى التوفيق بين الحكومة السورية برئاسة بشار الأسد والمعارضة السورية، في سياق عملية السلام السورية، من خلال تعديل الدستور الحالي أو اعتماد دستورٍ جديٍّ لأجل سوريا، وتأمل الأمم المتحدة أن يؤدي هذا إلى مفاوضات سلامٍ تؤدي إلى نهايةٍ سلميةٍ للحرب الأهلية السورية، التي كانت مستعرةً لأكثر من ثمانين سنواتٍ بحلول تشكيل اللجنة.

تم تشكيلها بموافقةٍ رسميةٍ من الطرفين المعنيين، وكذلك الأمم المتحدة نفسها.

وصفها الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس بأنّها جزءٌ من عمليةٍ سلام «مملوكةٌ لسوريا وتتزعّمها سوريا»، والقراراتُ التي تتّخذها ليست ملزمةً بموجب القانون السوري وتعتمد اللجنةُ على حسن نيةِ الطرفين لتنفيذها. اجتمعت اللجنةُ لأولٍ مرّةٍ بتاريخ ٣٠ من تشرين الأول لعام ٢٠١٩ م، في مكتب الأمم المتحدة في جنيف برئاسة هادي البحرة ممثّل المعارضة وأحمد الكزيري ممثّل النظام المجرم.

وتعتبرُ اللجنةُ الدستوريةُ السوريةُ من مخرجاتِ مؤتمر «سوتشي» الذي عقدته روسيا في مطلع عام ٢٠١٨ م، ويعوّل عليها في وضع دستورٍ جديٍّ لسوريا، وتحظى بدعمٍ ورعايةٍ من الأمم المتحدة، والتي تراها الطريقُ الوحيدُ للوصول إلى الحل السياسي، بحسب رؤية مبعوثها إلى سوريا، غير بيدرسون. تأتي رؤية بيدرسون من منطلق أنَّ اللجنة هي المسارُ السياسيُّ الوحيدُ الذي يجمعُ شخصياتٍ من المعارضة والنظام والمجتمع المدني أيضًا، لكن وبالنظر إلى واقعها الحالي، فلم تحرز أيَّ تقدِّمٍ على صعيد كتابة الدستور، والذي من المفترض أن تتم مناقشة مبادئه في الجولة الخامسة المزمع عقدها في يناير العام المقبل.



والحقيقة أنّ النظام المجرم يحاول اللعب على الوقت وشرائه لاقتراب موعد الانتخابات الرئاسية المقبلة وإغراق المعارضة بالتفاصيل والجزئيات وحرف مسار قرارات مجلس الأمن، حيث نصّت الفقرة الرابعة من قرار مجلس الأمن «٢٢٥٤» على أنّ العملية السياسية في سوريا تتضمّن إنشاء حكم شاملٍ وغير طائفي خلال ستة أشهر،

وعقب ذلك يتمّ النظر في النظام الدستوري للوصول إلى انتخاباتٍ برلمانيةٍ ورئاسيةٍ في ١٨ شهر، أي أنّ الدستور حسب الوثائق يأتي ما بعد «هيئة الحكم الانتقالي».».

تقدير موقف:

من خلال استعراض جهود الأمم المتحدة لحل الأزمة السورية ومقارنتها بالأزمات السابقة نجد الإخفاقات المتتالية في أدائها من أكثر من جانبٍ وصعيد.

أ- على الصعيد السياسي

فقد أخفقت الأمم المتحدة في لعب دور الضامن للاتفاقيات والمؤتمرات التي أشرفَت عليها بين النظام المجرم والمعارضة السورية منذ مؤتمر جنيف عام ٢٠١٢م، وإلى نهاية جولاتِه المتعددة دون نتائج إيجابية، بل كانت مضيعةً للوقت وضحاياً على الذقون.

كما لم ينجح مجلسُ الأمن باتخاذ أيّ قراراتٍ من شأنها وقفُ إطلاق النار وحقنُ دماءِ الشعبِ المسكينِ وعجزها أمام الفيتو الظالم الذي تبدّى ظلّمه وظهر للعالم أجمع.



ب- على الصعيد الإنساني

فقد تعزّزت الأمم المتحدة في فك الحصار عن العديد من القرى والأحياء والمدن المحاصرة ظلماً وعدواناً لأعوامٍ مضت على الحصار، حتى عجزت عن إلقاء المساعدات الطبية والغذائية جواً للمحاصرين في الوقت الذي كانت شاشات الفضائيات تعرض فيه جثامين المحاصرين هياكلَ بشريةً ينهشها الموت، فضلاً عن قصف بعض قواقل المساعدات التي تسليلت ونجحت بالدخول فدمّرها وقتلت العشرات من موظفيها الإغاثيين من دون أن تحرّك ساكناً أكثر من الشجب والإدانة.

ت- على الصعيد الأمني

فلم يستطع مجلسُ الأمن استخدامَ القوة تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة لتحقيقِ السلم والأمن في سوريا، بالرغم من استحقاقه ضدَّ نظامِ ظالِم مجرِّم لم يترك مجالاً ولا ميثاقاً ولا عهداً إلا وقد انتهكه بما في ذلك استخدامه للأسلحة الكيماوية عشرات المرات.

من هنا نجد أنَّ دورَ مجلسِ الأمنِ والأممِ المتحدةِ كان دورَ الصامتِ الساكتِ على الظلمِ والظالمِ في إشارةٍ واضحةٍ لتخاذله عن مساعدة الشعب السوري وتواطئه في نصرته، ليكون ذلك وصمةً عارِ في تاريخِ الأممِ المتحدةِ ومجلسِ الأمنِ على مدارِ تاريخِ البشرية.

الفصل الرابع

الثورة السورية مخاضٌ عسيرٌ ومستقبلٌ غامضٌ

«الثورة السورية مخاضٌ عسيرٌ ومستقبلٌ غامضٌ» فالصعوبات تترافق على الشعب السوري بكل أشكالها وألوانها وأصنافها، والتي تتجلى بتساوٍ الواقع المدني والميداني مع انسداد أفق الحل والخروج من تلك الأزمة ليعيش المرأة مضطرباً في واقع مؤلمٍ ومستقبلٍ مجهولٍ.

وفي هذا الفصل خمسة مباحث، هي:

المبحث الأول تيهٌ، وضياعٌ، واستبدال

المبحث الثاني الثورة السورية في عنق الزجاجة

المبحث الثالث أزماتٌ، ومصارحاتٌ، ونقدٌ وتقدير



المبحث الرابع

دور النُّخبِ والمرجعياتِ الشرعيَّةِ في الثورةِ السُّورِيَّةِ

المبحث الخامس

الثورةُ السُّورِيَّةُ وتداعياتُها العامَّةُ



المبحث الأول

تيهٌ، وضياعٌ، واستبدال

من خلال دراسة الواقع الميداني الحالي للساحة السورية بشكلٍ واقعيٍ منطقيٍ ونقدٍ ذاتيٍ بكلٍ تجردٍ ومسؤوليةٍ.

نرى اجتماع الأعداء المتکالبين والمرتزقة الحاقدين والغزاة الطامعين في الوقت الذي ترهّلت فيه الفصائل، وتشردّمت القوى، وانكشفَ المتسّلون، وتمرّد المنافقون، وغدرَ المرجفون، وتخلّى الأقربون والأبعدون، وتقاعسَ الأصدقاء المدعون، فظهرت العوراتُ، وانكشفت السوءاتُ، وفضحـت بعضُ القياداتِ، فضعفـت العناصرُ وتشتـّتـتـ القـوـاتـ، ودخلـتـ الثـورـةـ فيـ تـيـهـ وـضـيـاعـ لـمـ تـكـنـ تـحـسـبـ لـهـ حـسـابـاـ، كـأـنـهـ تـيـهـ فـاقـ تـيـهـ بـنـ إـسـرـائـيلـ.

نعم إنّه التّيّهُ الذي كتبهُ اللهُ على بني إسرائيل عندما رفضوا أوامرَ الله واستكثروا عنها، فكان لا بدّ من تغييـهم في حـيـاتـهـمـ حتـىـ يـظـهـرـ جـيـلـ آخرـ يـعـيـدـ للأمةِ عـزـتهاـ وـكـرامـتهاـ، وـيـنـدـثـرـ ذـاكـ الجـيـلـ الذـيـ تـرـبـيـ علىـ موـائـذـ الذـلـ والـانـكـسـارـ والـهـوانـ.

يبـدوـ أـنـنـاـ مـاضـوـنـ إـلـىـ تـيـهـ وـضـيـاعـ وـاسـتـبـدـالـ كـمـاـ مـضـتـ إـلـيـهـ بـنـوـ إـسـرـائـيلـ مـنـ قـبـلـ.

فلـقـدـ اـمـتـلـأـتـ دـوـلـ الـعـالـمـ مـنـ أـبـنـائـنـاـ الـذـيـنـ تـاهـوـاـ فـيـ أـصـقـاعـهـ، وـانـتـشـرـوـاـ فـيـ شـوـارـعـهـ، وـتـرـبـيـعـوـاـ فـيـ مـضـارـبـهـ.

لـقـدـ اـمـتـلـأـتـ بـطـوـنـ الـحـيـاتـانـ وـالـأـسـمـالـ مـنـ لـحـومـ أـبـنـائـنـاـ الـذـيـنـ فـرـوـاـ مـنـ جـيـمـ المـعـارـكـ ليـكونـواـ طـعـامـاـ لـهـاـ.

لـقـدـ اـمـتـلـأـتـ الـمـقـابـرـ فـيـ كـلـ الـأـمـاـكـنـ مـنـ أـجـسـادـ أـبـنـائـنـاـ وـفـلـذـاتـ أـكـبـادـنـاـ الـذـيـنـ لـجـؤـواـ إـلـيـهـاـ حـفـاظـاـ عـلـىـ أـرـوـاحـهـمـ وـمـاـ دـرـوـاـ أـنـ مـلـكـ الـمـوـتـ كـانـ بـاـنـتـظـارـ لـقـائـهـمـ هـنـاكـ.



نعم إنّه التيهُ والضياعُ الذي يعيشه الشعبُ السوريُّ بأشكاله المتعدّدة المتنوعةِ. يعيشُ السوريون تهأّ فكريًاً غريبًاً في زحمةِ البضائعِ وتراكمِها وتصادمِها، وفي سوقِ الجهلِ البغيضِ والاتّباعِ الأعمى، يصبحُ المرءُ فيه على فكِّ ويسمّي على فكِّ آخر، يتلجلجُ في ليلِ حalk يهيمُ في حيرةِ وشتاتٍ باحثًا عن سبلِ الخلاصِ والنجاةِ.

يعيشُ السوريون في تيهٍ وضياعٍ ماديٍّ خانقٍ أودى ببعضِهم إلى السقوطِ في مستنقعِ الرذيلةِ والفسادِ وألْجأَ بعضِهم إلى التنازلِ عن الكرامةِ والبحثِ في المكباتِ والحاوياتِ.

يعيشُ بعضُ من تصدّرَ للقيادةِ تهأّ فكريًاً قاتلًاً يتخبّطُ به ذاتُ اليمينِ وذاتُ الشمالِ لا يلوّي على شيءٍ من أمورِ رعيتهِ الذين هم بدورِهم ضائدونَ تائدونَ بين قادةٍ ظلّمةٍ لا يَعُونَ معنى القيادةِ، ولا يَعرفُونَ قدرَها ومسؤوليّتها، وبينَ عدوٍ مجرِّمٍ لا يرحمُ بما يصيّبُه عليهم من حمِّ حارقةٍ وقدائِفَ قاتلةٍ، وبينَ مدنيينَ عزِّلَ ينتظرونَ منهم نصراً عزيزاً بلمسةٍ سحريةٍ .

هكذا تخلى الكثيرونَ من القادةِ، وهربَ الكثيرونَ من العناصرِ، واعتذرَ الكثيرونَ من أصحابِ الخبرةِ والكفاءاتِ... والكثيرُ ممّن بقيَ في الطريقِ تائدونَ، وعن تدبيرِ شؤونِ حياتهم غافلونَ، لكنَّهم مع ذلك ورغمِ ضعفهمِ وتقصيرِهمِ فما زالوا يملكونَ الأملَ برحمَةِ اللهِ ولطفِهِ ومعيَّتهِ لهم، فهل بعدَ هذا التيهِ والضياعِ من عزٍّ ينتظرونَ منه نصراً عزيزاً بلمسةٍ سحريةٍ .

حل ؟

وهل بعدَ هذا التفرُّقِ والتّشتّتِ من عودةٍ ونصرٍ ؟

وهل بعدَ هذا الضعفِ والوهنِ والكربِ من مخرجٍ وفرجٍ ؟

فقد علِمنا من كتابِ ربِّنا سبحانهَ أنه: ﴿وَمَنْ يَقِنَ اللَّهَ بِيَعْلَمُ لَهُ مَخْرَجًا﴾^١

كما علِمنا من كتابِ ربِّنا سبحانهَ أنه: ﴿وَمَنْ يَقِنَ اللَّهَ بِيَعْلَمُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾^٢.

١. سورة الطلاق: الآية ٤.

٢. سورة الطلاق: الآية ٤.

نعم إنّه تيهٌ وضياعٌ لمن تسلّق على رقاب الناس واستقوى عليهم وتسلط على أرزاقهم وأقواهم وزاد في مشكلاتهم ومعضلاتهم وعَكَر عليهم صفو حياتهم. نعم إنّه تيهٌ وضياعٌ لمن أضاعَ البلاد من العملاء المأجورين، وغَبِثَ فيها مع الخباء والمنافقين، وتغافل عن فسادِ حُكَّامها من دعاةِ العلم المُزيفين الذين طبوا في جبال الظالمين والمجرمين.

نعم إنّه تيهٌ وضياعٌ لمن استخدم الثورةَ لينهبَ من خيراتها ويُسرق من ثرواتها على حساب دماء النساء والأطفال والشيوخ، ليستبدلهم الله برجالٍ أوفياءً كرماءً، وأتقياءً أنقياءً تربوا على لبان العزة والكرامة تحت ظلال السيف وميادين النزال، فكانوا أملَ الأمة في انتشالها من براثن النصيرية المجرمة وتسلط الغزاة المحتلين، وكانوا أملَ الأمة في استعادة عِزِّ البلاد إلى مجدها الزاهي التليد، ولعلَّهم ممّن قال فيهم ربنا سبحانه: ﴿مَنْ مُؤْمِنٌ رَجُالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^٣

وبعد:

بعد التيه الفكري والضياع الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية كان لا بد من البحث عن الأمل الذي يمكن أن يعيدها إلى مربع الصحوة والرشاد. وهذا قد لا يكتب له النجاح المأمول مالم تتضادر الجهود الجماعية والتي يمكن أن نسمّيها اليوم باللغة العصرية (الحركات الجماعات الأحزاب التنظيمات ...) فقد أصبحت الأمل في تخلص الأمة من كوابيس الاستبداد وتناثنة العهر السياسي، وهي المؤهلة لقيادة الأمة بما تحمله قيمٍ وأفكارٍ وتصوراتٍ ومنهجٍ رشيدٍ يقود الجماهير لرفع الظلم ورد العدوان وحماية الأرض والعرض بالتوازي مع رفع المستوى الثقافي والأخلاقي لأفراده وحاضريه.



المبحث الثاني

الثورةُ السوريةُ في عنق الزجاجة

لم يكن يخطر على بال أحدٍ من الكفاءات السورية الفاعلة بتخصّصاتها كافيةً ضخامةً التحدياتِ وحجمُ الصعوباتِ التي ستعرضهم في مسيرة ثورتهم التي خرجوا فيها من أجل إسقاط نظام الأسد الظالم وأجهزته الأمنية المجرمة. وإنْ كان الشعب قد استعدَ للكثير منها وتجهزَ للتصدي لها والصمود أمامها مما عرف من تبعات ثورات الربيع العربي التي سبقت ثورته، إلا أنَّ الأمر الذي لم يخطر له ولم يتهيأ لمواجهته قيامُ ثورةٍ مضادةٍ لثورته المحققة بمشروعيتها ومطاليبها، وتهيئة الأجواء لها بما يحقق نجاحها والقضاء على ثورة الشعب الأولى ودفنهَا في أرضها.

فلقد بات واضحًا وبعد مضيِّ عشر سنواتٍ عجافٍ على الثورة السورية المباركة أنَّ هناك ثورةً مضادةً كانت تعمل في الخفاء طيلة الفترة الماضية، وقد آن الأوان لظهور علانيةً بعد أن دلّست على الكثير من أبنائنا، ولبسَت عليهم انحراف البوصلة في سير سفينتهم ليروا أنفسهم أخيراً بأئمَّهم هلكوا وأهلکوا من معهم في وقتٍ لا يمكن استدراكه ولا ينفع الندم وقتذاك، كلَّ ذلك بسبب الجهل المركب بمعالم الطريق والغرور الذي ركب عقولهم والإعجاب بالرأي الذي أصا لهم من الاستخفاف بعقول الآخرين والتكبر عليهم.

لم يكن من وراء تلك الثورة المضادَّة أشخاصٌ بعينهم فحسب، إنما هي دولٌ تلبس لبوساً إسلامياً مخلصاً للشعب السوري وثورته، تبدو داعمةً له إغاثياً وإنسانياً، ذات طاقاتٍ ومقدراتٍ فاعلةً على الساحة الدوليَّة، ترسمُ وتخطُّ وتحركُ الشارعَ من خلال مشاريع مسبقة الصنع تحقق لها مصالحها المرجوة والمطلوبةً بما فيها القضاء على الثورة السورية بأيدي أبنائها، فتحولهم إلى معامل هدمٍ لكيان ثورتهم التي أجرت بحاراً من الدماء، وعمّرت جبالاً من



الجماعات والأسلاء

ولعلي أشير هنا إلى بعض تلك المظاهر الدالة على ذلك والتي تمثل بالأمور التالية:

١- العمل على صبغ الثورة السورية بالاسلامة والسوداد في أماكن نفوذها:
 وذلك من خلال تقديم الدعم المادي واللوجستي لبعض الفصائل ذات التوجه الإسلامي المتشدد والمصنفة بالإرهاب دولياً بشكل مباشر أو غير مباشر، (وليس بالضرورة أن يكون ذلك بالاتفاق مع تلك الفصائل كما قد يفهم، إنما يكون بتسهيل الأمور وترتيبها كما يريد الطرف القوي المقتدر)، ما يمكنها ويعطيها قوة التغلب على غيرها من الفصائل وانتزاع شرعية الوجود منهم، واحتكار ذلك لها دون غيرها من الفصائل، وهذا ما تريده الدول الكبرى التي تعلن العداء للمشروع الإسلامي، وتنتظر الفرصة لاستئصاله والقضاء عليه بمسوغ دولي وبباركة أممية.

وأعتقد أننا أمام هذا السيناريو الخطير الذي سيحرق الجميع دون استثناء، وخاصةً بعد التهجير القسري الممنهج للثوار من أماكن سكناهم الأصلية من الجنوب السوري إلى محافظة إدلب وريفها حصاراً ليسهل عليهم استهدافهم والقضاء عليهم في الوقت المناسب والمحدد لذلك.

٢- العمل على إشعال الفتنة بين الفصائل والتحريش بينهم
 والذي أدى إلى بغي بعضهم على بعض من خلال تسويق بعض التهم الكاذبة والذرائع الواهية بفتاوي شرعية مبطنة، مشبوهة المصدر، يكون أولادنا هم المعول المدّام لتلك الفصائل بغية السيطرة على سلاحهم وأموالهم ومقدراتهم وطعنهم في ظهورهم والتخلص من نفوذهم وتحييد خطر قراراتهم التي يمكن أن تضرّهم في الخارج (حسب زعمهم) فأصبح الأخ عدو أخيه في البيت الواحد، وغدا الجار عدو جاره في الحي الواحد، بعد أن كانوا بالأمس يداً واحدةً في خندق واحدٍ وثغرٍ أمام عدوٍ واحدٍ.



فمَ الَّذِي تَغْيِيرٌ مِنَ الْأَمْسِ إِلَى الْيَوْمِ؟؟؟
أَمْ إِنَّهُ الْجَمَرَ تَحْتَ الرَّمَادِ الَّذِي قَدْ يَحْرُقَ الْقَرِيبَ قَبْلَ الْبَعِيدِ؟؟؟

٣- العمل على تشكيل تيارٍ عريضٍ من المعارضة المزيّفة

يتمّ تهيئتها مسبقاً لقيادة المرحلة الحرجة التي أوصلتنا إليها الفصائل وقادتها الفاشلون وإجرامهم بحق الثورة والسوّريين وسوء تعاملهم مع المدنيين في الداخل وعدم حنكتهم السياسية في علاقاتهم وتعاملاتهم مع الخارج، كل ذلك كان مدعماً للتعاون والتشارك والتصالح مع بشار الأسد بإصدار مبادراتٍ وطنيةٍ نزيفيةٍ تحفظ ما تبقى للسوّريين من كرامة، وترى لهم ما تبقى من عقولٍ وكفاءاتٍ فاعلة، من خلال خطة تسويةٍ ومصالحةٍ واتفاقٍ مع رأس النظام المجرم بشار الأسد الذي مازال متّمسكاً (حسب زعمهم) باحتضان معظم الدول له، وتقرّبهم منه سراً وجهرًا من سنوات مضت.

وهذا المظهر من أخطر المظاهر البارزة في الساحة السورىة، والذي تبنّاه روسيا ومعها بعض الدول التي تعمل بالخفاء لأنّها تعتبر نفسها من أصدقاء الشعب السورى في ثورته، على إنجاح هذا المشروع الخطير الذي سيُعيد الثورة إلى المربع الأول الذي انطلقت منه، والذي قد يدفنها في مهدّها بعد أشهرٍ من نجاحه فيما لو قدر له ذلك، ولم يُعمل على إسقاطه وقطع الطريق أمامه. أمام تلك المظاهر السابقة الخطيرة، والتي أصبحت واقعاً لا يمكن تغافله، بل من الجريمة تجاهله والسكوت عليه، وخاصةً أصحاب العلم والرأي والمسؤولية.

إذ لا بدّ من العمل على وضع آليةٍ لخروج الشعب السورى بأزمته من عنق الزجاجة بسلامٍ وأمان.

لابدّ من شرح المطالب التي تنتظروننا جميعاً دون رحمةٍ ولا هوادةٍ إن لم نحسن التصرف.



لَا بدُّ من معرفة ما يترتب علينا فعله لتحييد أهلنا وبلدنا عن دائرة الصراع الدموي قبل فوات الأوان.

لَا بدَّ أن نعيّد للثورة ألقها وحياتها وحيويتها وقوتها من خلال ترشيدها وإعادتها إلى أهدافها في بداية عهدها.

لَا بدَّ من العمل على إعادة الثقة إلى الحاضنة الشعبية التي تملك مقوّد النجاح ومعوّل الهدم والإسقاط.

لَا بدَّ من الوقوف مع النفس بصدقٍ وإخلاصٍ وتحمّلٍ للمسؤوليات أمام الله وأمام هذا الشعب المسكين، فإن التراجع عن الخطأ والخضوع للحق خير من التمادي في الباطل.

فهل سنكون على قدر المسؤولية في تلك المهمة الصعبة، فنُحمل على الأكفر والراحات في الدنيا، والفوز بالمغفرة والرضوان ورفعه الدرجات في الآخرة؟؟؟ أم سنبقى أسارى لشهواتنا وزراراتنا، وننزلق في مهاوي أنانياتنا، لتطالنا الألسن بالشتائم واللعنات في الدنيا، والخزي والتبران في الآخرة.

أمام تلك الواقع الماثلة في الساحة السورية من هلاك للعباد وتدمير للبلاد، والتي تضع الجميع أمام تحديات أخلاقية وإنسانيةً ودينيةً، كان لا بدَّ من تحديد المسؤوليات من تصدر لقيادة الثورة وأمسك بزمامها والسيطرة عليها، وأخصّ بذلك الفصائل الكبرى العاملة في الساحة والتي تتحمّل النصيب الأكبر من المسؤولية عما ستؤول إليه الساحة إن لم تُحسن التصرف وتقم بما عليها من واجبات ومسؤوليات.

ومن هنا يمكن أن أذكّر ببعض النقاط المهمة ذات الصلة لمدارستها والبحث في تفاصيلها لتشكيل خطٍّ عملٍ تخفّفُ عن الساحة مُصابها إن لم تنفذها بالكامل، ولعل من أهم تلك النقاط ما يلي:



١. مما لا شك فيه ولا ريب، بل ولا يخفى على أحدٍ أنه لم يبق للثورة والثوار من المناطق المحررة إلا إدلب وريفها، فهي الملاذ الأخير للثورة، والحصن النهائي للثوار بعدها فقدوا حلب وغيرها، فقوّة إدلب الآن هي قوّة الثورة، وضعفها من ضعفها، ولا شك أنّ القضاء عليها سيكون قضاءً على الثورة برمتها، وهذا يعني أنّ الحفاظ على الثورة في هذه المرحلة الصعبة يقتضي الحفاظ على إدلب وساكنيها وحمايتهم مما يمكن أن يدمّر عليهم بيتهم ويجهّرهم منها من جديد، وهو ما يستدعي خطّة عملٍ منظمةٍ تدير الشؤون الداخلية للمدينة بكفاءاتٍ مدنيةٍ فاعلةٍ بعيداً عن كلّ ما من شأنه إثارة استفزاز مراكز القوى الكبرى، والتي لم تكن نزهه يوماً في تاريخ الثورة، إلا أنّه من الواجب سحب الذرائع منهم لتجنب اعتمادهم وتغولهم علينا.

٢. إنّه من الغباء أن نتجاهل مؤامرات النظام التي يقوم بها دون أن يكون لنا تفسيرٌ صحيحٌ لما يخططه ويقوم بتنفيذه من معاهدات التهجير القسري ورسم خريطة التغيير الديموغرافي أمام صمتٍ دوليٍّ وأمميٍّ مخِّر، وتخاذلٍ عربيٍّ مخجل، علمًا أنَّ ذلك يرقى لجرائم الحرب التي يعاقب عليها القانون الدولي، فإنصرار النظام على تهجير الثوار من أماكن سكناهم وتحديد وجهتهم إلى مدينة إدلب وريفها حصراً، يحمل من الرسائل المهمة التي لا ينبغي تجاهلها ولا التغافل عنها، وفي الوقت الذي تُرسم فيه الخرائط الجديدة للتغيير الديموغرافي في دمشق وريفها تتحدد معالم ثانية في إدلب وريفها يمكن أن تحمل في طياتها رسائل من معانٍها سهولةً استهداف الثوار الذين تم تجميعهم في مكانٍ واحدٍ من قبل التحالف الصليبي أو النظام الأسدية المجرم وحلفائه عند رفضهم لأي استحقاقات تليّ مصالحهم التي سيفرضونها في الوقت المناسب لذلك، ومن هنا كان لا بد من أن تكون على المستوى المطلوب من فهم ما يدور حولنا وإدراك مقتضيات المرحلة ومدى صعوبة مآلاتها إن لم يتم سحب الذرائع التي يمكن أن يتمسكوا بها.



٣. من خلال الأحداث المتسارعة في الساحة الدولية تجاه القضية السورية، فقد تكون في المرحلة الأخيرة لحل القضية السورية بخطوة دولية تضمن تقاسم الكعكة السورية وتقسيم خيراتها وثرواتها فيما بينهم، وهذا قد يستدعي فترة أشهر معدودة أو سنين قليلة يؤمن كل طرف حصته من الكعكة وأماكن نفوذه ووجود قوا عده على الأرض السورية، حتى إذا حان الوقت لإنهاء حكم الأسد (مع يقينهم بأنه لا يصلح لقيادة سوريا بعد أن أجرم في حق شعبه) ظهروا بصورة الأب الحنون والمخلص الصادق بالضريبة القاضية ليحصلوا نتائج بحار الدماء التي نزفت وسكتوا عنها، ومئات آلاف الأرواح التي أُزهقت وباركوها وقتذاك.

لكن الأمر المخيف في ذلك والذي يشكل تحدياً كبيراً أمام الثوار في هذه المرحلة التي قد تفرض عليهم نموذجاً ممّن سيتصدون القيادة السياسية والعسكرية والإدارية في سورية الجديدة، والتي ستثير جدلاً داخلياً واسعاً قد تدخل البلد في ممعنة جديدة يظهر من خلالها حفارات وكرازيات^(١) جدد امتطوا الدبابات الأمريكية ليتحكموا بشؤون الشعب كما يحلو لأسيادهم الذين أمّنوا لهم الحماية والرعاية، وللصّاب الشعب بعدها بحالة من اليأس والإحباط بأنه تخلّص من طاغية جبار إلى طاغية جبار آخر.

ومن هنا كان لا بد من التجهيز لتلك المرحلة، ولا أظن أنها بعيدة، والتي توجب علينا العمل بكل دأب وجديّة لحصاد ثمرات ثورتنا ووجهادنا، وقطع الطريق على المتسلّقين والمتسلّطين بما نمتلك من إمكانات وطاقة وكفاءات فاعلة.



فهل سنكون على جاهزيةٍ تامةٍ لهذه المرحلة الفاصلة بكل أشكالها و مجالاتها؟؟ أم أننا سنبقى تحت الوصاية الخارجية والانتداب الغربي لحقبةٍ جديدة، ننتظر حفتراً سورياً جديداً، فنكون بذلك كمن أفتر على قشرةٍ بصلةٍ بعد صيامٍ طويل.

أخيراً من خلال ما سبق من تحدياتٍ فاصلةٍ في مسيرة الثورة بما يُحالك لنا ولبلدنا من تنصيبٍ لشذمةٍ حراسٍ أمناءٍ يُلبّون مصالح الغرب ويتحققون أمنياته ورغباته، وبما يجب أن تكون عليه من مسؤوليةٍ تلبي طموحات الشعب المظلوم، وتوازي تضحياته العظيمة بعد إنتهاء حقبةٍ سوداءً مظلمةً جثمت على صدورهم عقوداً ملؤها الظلمُ والقهرُ والفساد.

فأين سنكون من تلك التحديات؟
وماذا أعددنا لتلك المرحلة؟

وما هي الخيارات المتاحة أمامنا كي نبرئ ذمتنا أمام الله وأمام أهلهنا ولبلدنا؟



المبحث الثالث

أزمات، ومصارحات، وتقييم

أزمات الثورة

بعد سنواتٍ عدّةٍ من الثورة المباركة وبعد التأمل فيها والنظر بعين البصيرة يرى العاقل المتبصر الأزمات التي أصابت الثورة وألمت بها والتي كانت من الأسباب الرئيسية لما وصلت إليه من انتكاساتٍ خطيرةٍ في بعض جوانبها. ولعل من الأهمية بمكانتِ لفت النّظر إليها واستكشاف أسبابها والعمل على علاجها أو التخفيف من مضاعفاتها على أقل تقدير، فمن أزمات الثورة السورية ما يلي:

- ١- أزمة قيادة

تتجلى بعدم تمكين أصحاب الكفاءات وذوي الاختصاصات الذين يملكون مقومات القيادة من العلم والمعرفة والخبرة، مع الشخصية الحازمة في مواقفها، القوية في قراراتها تجسيداً وتنفيذاً. وفي إشارةٍ واضحةٍ من الأحاديث النبوية الشريفة ومنها (إذا وسَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ).^(١)

ولذلك كان للقيادة صفاتٌ لا بدّ من توفرها لتعلق مصلحة الأمة بها وبمن سيقوم عليها بإدارتها.

وقد يحصل الخلط في اختيار القائد فيجنب البعض لتغليب صفاتٍ على أخرى كاختيار من هو صالحٌ وتقىٌ لكنه لا يملك من القوة والحكمة والحزم والرأي، مثل أبي ذرٍ رضي الله عنه، الصحابي الجليل الذي طلب الإمارة من النبي ﷺ فقال له: (يَا أَبَا ذَرٍ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِزْبٌ وَنَدَاءٌ، إِلَّا مَنْ أَخْدَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَدَى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا).^(٢)

١- صحيح البخاري: بابُ مَنْ سُئِلَ عَلَمًا وَهُوَ مُشْتَغلٌ فِي حَدِيثِهِ، فَأَتَمَ الْحَدِيثُ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ، (٥٩-٢١).

٢- صحيح مسلم: بابُ كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، (١٨٢٥-١٤٥٧).



أو كمن ملك القوّة والحزم والرأي والشدة دون أن يتحلى بالدين والتقوى والالتزام فإنه سيصل بالبلاد لمستوى الظلم والقهر والاستعباد كما وصل فرعون بقومه فقال: أنا ربكم الأعلى، وكما هو حالنا اليوم في الثورة السورية التي تسلّطت علينا العصابة الأسدية فأذاقتها سوء العذاب.

ومن هنا فحرى بثورة الشام المباركة التي لم تشهد البشرية لها مثيلاً في سمو أهدافها ونبيل غایاتها وفي صمودها وثباتها وعظمتها رجالها الذين تحذّوا الصعاب بكل أنواعها وتجاوزوا العقبات بكل أشكالها، أن تفقد بوصلتها باختطاف القيادة منها، القيادة التي ولدت من أتون المحن ونبتت من أرض الميدان وترعرعت في ساحات القتال وميادين النزال،

لأنّها تعرف قيمة الحرية وثمن الكرامة فلا تفرّط في تضييعها ولا تُثقل من مستلزماتها ومستحقاتها، وقد وجّهنا ربنا سبحانه في كثير من الآيات القرآنية التي لا تقبل تأويلاً لصفات القيادة الجديرة بالنجاح فقال سبحانه في سورة يوسف: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظَ عَلَيْمٌ ﴾^٣.

٢- أزمّة فكر

وبالنظرة المباشرة على واقع الثورة السورية نلاحظ أن الانحرافات الفكرية التي اعتبرتها كانت تدور بين محورين:

أ- شبهاتٌ فكريَّةٌ أدخلت إلَيْهم من شخصيَّاتٍ مُختلَّةٍ مُغتَلَّةٍ غريبَةٍ مجهولةٍ قُدْفَ بها في الساحة الشاميَّة تدعي العلم في وقتٍ عمَّ فيه الجهلُ والتصحرُ الفكريُّ في الساحة السوريَّة طيلة حكم البُعث المجرم، ثمَّ كانت الثورةُ السوريَّة المباركةُ والانعتاق من ذاك الحكم اللعين، فكان الشعبُ متعرِّضاً وجاهزاً للتلقِّي وتقبِّلِ أيِّ فكرٍ يأتيه من هنا أو هناك حتَّى خرج من أبنائنا وشبابنا من انحرافٍ فكريٍّ واختل سلوُوكُه وأغلظ على غيره ممَّن كانوا إخوةً له بالأمس القريب فكَفَرُهم واستحلَّ دماءُهم وأموالهم.

ب- شهوَاتٌ استحکمت في النفوس فأعمتها، وتغلغلت في القلوب فأضلَّتها، فلم يرَ أصحابُها إلَّا أنفسِهم، فالحقُّ ما يقولونه وما عداه باطل، والصوابُ ما يرونه وما سواه خاطئ، وقد يكون بعضُهم ممَّن أُوتِيَ شيئاً من حلاوة اللسان وجمال العبارات وحسن البيان، فجمع حوله من المعجبين والمحبّين الذين يندفعون بالعواطف والشهوات، لتردد الهُوَّة اتساعاً بين الفكر الشامي المعتدل وبين الفكر الواغل الدخيل عليه في أرضه وميدانه، وهذا ما كان له سيُّ الأثر في الساحة وعلى أبنائها، والذي قاد فيما بعدُ للإقصاء والإبعاد والاغتيالاتِ والتصفياتِ الجسديةِ.

علمَاً أنَّ أكثرَ الاختلافاتِ الفكريةَ كان منشؤها من الاختلافاتِ اللفظيةِ في العناوين والمصطلحاتِ واختلافِ تفسيرها بين هذا وذاك، كمن يطعنُ بالجهاد لوجود مجاهدين سِيَّئين، وكمن يمدحُ ويرفعُ الخواجَّ الذين استحلوا دماء المسلمين رغم إجماع العلماء على ضلالهم وانحراف نهجهم لأنَّهم كانوا أكثرَ خشوعاً في صلامتهم وأكثرَ صلابةً في قتالهم.



وهذا خللٌ كبيرٌ في النظرة والتقييم تحتاج لوقفةٍ صادقةٍ ودراسةٍ فاحصةٍ، فالامر يتعلّق بشأن أمّةٍ تنتظر أبناءها ليقودوها بسلامٍ في بحرٍ متلاطم الأمواج إلى برِّ الأمان وشاطئ السلام بفكِّرٍ معتدلٍ سليم قويم يجمع الكلمة، ويлемُّ الشمل، ويوحد الصفوفَ بعيداً عن صوفيةٍ تشطحُ وسلفيةٍ تنطح.

٣- أزمةُ قيمٍ وأخلاق

بنظريةٍ متواضعةٍ لأسبابٍ هلاكِ الأمم السابقة نلاحظ أنَّ انحطاطَ القيم الأخلاقية وانحلالها في مجتمعاتهم كانت من الأسبابِ الرئيسية في انهيار دولهم وهلاكِ أممهم واندحارها، وقد بينَ القرآنُ الكريمُ ذلك عندما تحدثَ عن بني إسرائيل وكيف أصابتهم اللعناتُ الربانيةُ عندما استمروا على المعاصي والمنكرات التي نهوا عنها ومردوا عليها، فلم ينتهوا ولم يقم عالمُهم بنصْحٍ جاهيلهم، بل سكتَ عنهم، ثمَّ آكلُهم وشارَّهم حتى استحقوا اللعناتُ والغضب من الله تعالى رب العالمين.

وكذلك شأن بقيةِ الأقوام من الأمم السابقة الهالكة كقوم لوطٍ وكيف أهلوكوا بسبب انحرافهم الأخلاقي وشذوذهم الجنسي وغيرهم من بقيةِ الأمم التي لم تعطِ الأخلاقَ مكانتها وقيمتها في المجتمع.

وهكذا نحن في ثورتنا فإننا نواجه كثيراً من التحدّيات التي إن لم نعالجها ونعمل على استدراكِ الخلل فيها فإننا سنلحق بغيرنا ممّن هلكوا على أيدي غيرهم لأنّهم تخلّوا عن منهجهم القويم في بناءِ الأمم وسيادةِ الشعوب.

صحيحٌ أنَّ النظامَ البعيّ المجرم كان قد زرع فينا القيم الفاسدةِ وهدم قواعدَ الأخلاق الفاضلة وحرص على أنْ نبقى رهن التفلُّت والانحلال وحبِّ الذات والانغماس بالشهوات والملذات بعيداً عن المعاني الحقيقيةِ لوجودِ الإنسان والإنسانية وعمارته لهذه الأرض وطبيعة صراعه مع الباطل وأهله وما يتربّ عليه حيال ذلك من إعدادٍ وترتيبٍ وبناءٍ ومستحقات.



لذلك كان لا بد من بناء الفرد الوعي لعدالة قضيته المخلص لها والمضحي من أجلها الإيجابي في نشاطه وعطائه المستبصر بمكر أعدائه العارف بفقه السنن والأولويات والمصالح الواقع والسياسة الشرعية، المتوازن بخلقه وسلوكه، القادر على حمل الأمانة والدفاع عن نفسه وأهله وبلده وأمته.

مصارحاتٌ شفافةٌ

صحيح أنَّ الثورة السورية تمثلَةً بالثوار المجاهدين سطَرَت ملاحم بطوليَّةً، وحقَّقت انتصاراتٍ كبيرةً كادت تقضي على النظام المجرم في أوكراره وتأتي على بنيانه من القواعد، حتى استنجدَ بطاواغيت الكفر ورؤوسِ الضلال في العالم من الروسِ والمجوسِ والروافضِ والمرتزقةِ، فأعادوا له جزءاً من ماء وجهه الذي فقدَه، وفرضوا أمراً واقعاً لا يمكنُ إنكاره، بل علينا أن نعترف به وبما آلت إليه أمورنا، وبما وصلنا إليه من أحوالٍ قاسيةٍ وظروفٍ صعبةٍ كان لها تداعياتٌ سلبيةٌ والتي تمثلت بالنقاطِ التالية:

1. التراجعِ الميدانيِّ للثوارِ المجاهدين وخسارةِ المناطقِ الاستراتيجيَّةِ كحلب والساحلِ وريفِ دمشق، وهذا ما أوصلَ الثورةَ إلى عنقِ الزجاجةِ بسبب حالةِ الترهُّلِ التي أصابتها والفرقَةِ والتشردِ في فصائلها والوهنِ الذي تغلغلَ في قلوبِ عناصرها وقادتها بعدَ أعوامٍ من انطلاقتها المباركةِ الميمونة.
2. التقدِّم العسكريِّ للاحتلالِ الروسيِّ وفرضِ الحلولِ التي يريدها من خلال سيطرتهِ الجغرافيةِ على بعضِ المناطقِ وتمسُّكهِ بمفاصلِ اتخاذِ القرارات على المستوىِ الإقليميِّ والدوليِّ في محاولةٍ لاسترجاعِ هيبةِ إمبراطوريتها القديمةِ من خلالِ تحالفاتهِ مع الدولِ الشرقِ أوسطيَّة، ومع التراجعِ للدورِ الأمريكيِّ وغيابِهِ في إدارةِ أهمِ الملفاتِ الدوليَّةِ التي باتت تخرجُ من عباءتها لتدخلُ في العباءةِ الروسيَّةِ.



وهذا ما جعلَ من روسيا لاعبًا قويًا على الساحةِ الدوليَّةِ بشكلٍ عامٍ والسوبريةِ بشكلٍ خاصٍ، فهي من تديرُ القضيةَ السوريَّةَ حيث تراوغُ بخططها العسكريَّة، وتمكرُ بهدفَها السياسيَّة، وتخدعُ بدهانها السياسيَّ بصناعةِ معارضَةٍ تحلوُ لها وتنماشى مع حليفَها لمشاركه في العمليةِ السياسيَّة مع إدخال بعض القوى السياسيَّة المعارضَة من هنا وهناك لفرضَ الحلَّ الذي تريده بالشكل الذي تريده.

٣. التململِ في صفوفِ المدنيين والحاضنةِ الشعبيَّة التي أثَرَت سلباً على الثورةِ والثوارِ، وظهر ذلك من خلالِ تصرفاهم وتصريحاهم التي تدلُّ على يأسهمِ وتذمرهمِ من حالِ المجاهدين بما بدا منهم من أخطاءٍ وإساءاتٍ واستهتارٍ وعدمِ مسؤوليَّةِ أبنائهم في حملِ الأمانةِ التي أقحموا فيها أنفسهم.

٤. تخليِ الدولِ التي ادعت أنها من أصدقاءِ الشعبِ السوريِّ عنها بعد أن كانت معها ولو صورياً حتى أصبحت الثورةُ السوريَّةُ يتيمةً إلا من بعض الدولِ التي تدعمُ بشكلٍ خجولٍ ومحدودٍ.

٥. الفشلِ في إنتاجِ هيئَةٍ سياسيةٍ تمثلُ الشعبِ السوريِّ في المحافلِ الدوليَّةِ والمجالسِ الرسمية، وترقى إلى طموحاتهِ، وتنطقُ بلسانِهِ، وتعبرُ عن آلامِهِ وآمالِهِ، وتطالبُ بحقوقِهِ ومظلوميتهِ لتأخذُ الشرعيةِ الدوليَّة لثورتهِ، وقد يكون هذا الفشلُ لأسبابٍ خارجيَّةٍ وضغوطٍ دوليَّةٍ خارج نطاقِ الإرادةِ الذاتيةِ.

٦. الفشلِ في إنتاجِ مجلسٍ عسكريٍّ موحدٍ يجمعُ الطاقاتِ العسكريَّةِ والكفاءاتِ الميدانية تحت قيادةٍ واحدةٍ وأهدافٍ جامعَةٍ وخططَ عملٍ مدرَوسةٍ بشكلٍ حقيقيٍ بعيدٍ عن التنظير.



٧. الفشل والتقصير في الخطاب الشرعي الذي كان له نصيب كبير في عملية الانتكاسات، وذلك من خلال تحول الشرعيين إلى دعاة لقيادة الفصائل، يدافعون عن وجهة نظرهم دون أن يسعوا لتوحيد الرؤية الشرعية في قيادة المسيرة، فلم يكونوا البوصلة الصحيحة التي توجه السفينة إلى بري الأمان كما ينبغي، ولم يكونوا المنارات التي تضيء دروب التائبين في ميادين الجهل والفساد كما يجب، علمًا أنه يوجد منهم من العاملين المخلصين الذين تحملوا الأمانة والمسؤولية وكانوا أهلاً لذلك، إلا أن الساحة تحتاج للكثير من الدعاة والعلماء ليسدوا الحاجة المطلوبة ويرفعوا من المستوى الفكري والثقافي والتربوي لدى شباب الثورة.

نقد وتقدير

قد يفهم البعض من خلال التقييم الذي عرضته عن حال الثورة بشكل عام والذي سأعرضه عن الثوار بشكل خاص أن هذه الثورة لم تجلب علينا إلا الخراب والدمار والهلاك ولم يتتصدر صفوتها وقيادتها إلا بعض من المفسدين والظلمة وذوي الانحراف السلوكى والأخلاقي والفكري. ولذلك أرکز وأقول إنه ومن خلال التقييم الدقيق والمتجرد لا بد من ذكر المساوى وأصحابها والعيب وأسبابها ليتم دراستها واستدراكتها وتصويب أخطائها وإعادة انحراف مسارها علمًا أن المحاسن الكثيرة والثمرات الطيبة التي أنتجتها والصفحات المشرقة التي سطّرتها كثيرة وكثيرة جدا وهي التي نعول عليها وعلى أصحابها بعد الله سبحانه في النصر والخلاص من الظلم والظلمة والمستبدين والمفسدين.

ولعلى في هذا المقام أعرض تقليماً متواضعاً لحال الثوار بكل أصنافهم مسلطًا الضوء على التقصير والانحراف للدراسة والتمحيص ثم التشخيص والتصويب بدايةً من العناصر وانتهاءً بالنخب والمرجعيات.



العناصر والجنود

وهم أساس العمل العسكري ومحور القوّة فيه، فصلاح الجندي هو صلاح الكتيبة واللواء العسكري، وفساده بفساده.

والحقيقة أنَّ الجنود والعناصر لم ينالوا الجهد الكافي والحظ الوافي من التربية العسكريَّة والشرعية والميدانية فكان التقصير والعوار واضحًا في كثيرٍ من المواقف والمظاهر، فمن خلال النظرة المباشرة على أيِّ فصيلٍ من الفصائل العاملة في الساحة السوريَّة والتي أنهت السنة العاشرة من انطلاقتها، يمكن لي أنْ أوصِّف الواقع بما رأيت وشاهدت ولاست وعالجت بحكم عملي معهم في الساحة واطلاعِي على كثيرٍ من خفاياها وملابساتها، علمًاً أنِّي لا أعمم ذلك، ولكرها حالة غالبية الفصائل، وإذا كانت بعض الفصائل خاليةً من بعض الصفات المعينة فإنَّ فيها صفاتٍ أخرى لا تقل عيبًا عن أخواتها.

ونحن لم نذكر ذلك هنا على سبيل التهكم والانتقاد والإذراء كما ذكرتُ آنفًا، وإنما على سبيل التقييم والتشخيص لوضع العلاج المناسب الذي يحتمه علينا الواجبُ الشرعيُّ تجاه مجاهدينا وأبنائنا ووضع آلياتٍ وتوصياتٍ لنعيد ترتيب صفوتنا ونعالج عيوبنا ونصوب أخطاءنا ويكون كلُّ مبنًا لبنيَّ صالحَة في كيان المجتمع المسلم والأمة المجاهدة.

و فيما يلي تشخيص لما عليه الفصائل العاملة والتي يمكن لي أن أحصر العاملين فيها في أربعة محاور:



١- العناصر

هناك الكثير من الملاحظات التي ينبغي الإشارة إليها ولكنني سأذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر، منها:

كثيرٌ منهم منتفعون، يعملون من أجل الراتب أو تحصيل منصبٍ أو استغلال حالةٍ معينةٍ من أجل سرقات، علماً أنَّه يوجد منهم الكثيرُ ممَّن يشعر بالمسؤولية والأمانة ويقوم بما هو مكلفٌ به حتى قبل أن ينضم إلى الفصيل، إلا أنَّ هؤلاء مغمورون ولا يُنظر إليهم، حملوا قضيةً عادلةً مشروعةً، وخرجوا من أجلها، فكان أحدهم كالتاجر مع ربِّه في جميع أحواله، فارسٌ في النهار وراهنٌ في الليل، لا يحول بينه وبين رسالته مال، ولا يرده عن هدفه وغايته حال، همه إحدى الحسينيين النصر أو الشهادة.

ما زال الكثيرُ من العناصر مقيمين على المعاصي في المقارِّن من دخانٍ وأراكيلٍ ولعبِ الورق وكشِّن الحمام والسرقات، وتقصير في جنب العبادات وهذا واضحٌ ومنتشرٌ في صفوفهم للأسف، وليس من محاسبٍ على ذلك وإنْ وجدت المحاسبة فليست على المستوى المطلوب، إذ لا تُغنى الدروسُ والمواعظُ والخطب والمحاضرات والدورات مع عدم المتابعة والمحاسبة.

عدم وجود الولاء للثورة أو للفصيل الذي ينتسب إليه عند العناصر وحتى عند بعض القادات، وهذا له تأثيرٌ سلبيٌّ على سلوكياتهم واستسهالهم للسرقات والمخالفات الشرعية والأخلاقية.

المحاباةُ والمحسوبياتُ كثيرةٌ وواضحةٌ في كلِّ مجالات العمل الثوري وكلِّ أقسامه وهذا واضحٌ لا يحتاج إلى كثيرٍ شرحٍ أو تفصيل.

سلوك القادة في التعامل مع العناصر غير متوازنٍ وغير مسؤولٍ في الأمور المالية والذي يدفع أصحابَ الأهواء والشذوذ والنفوس الضعيفة إلى بيع الذخيرة والسرقة من أجل سدّ حاجاتهم في بعض الأحيان.



بينما يستدرين من كان عنده مروءة وعفةٌ ومخافةٌ من الله على منحته المالية كي يكفي عائلته ويستر أولاده، كما قد ينسحب البعض الآخر إلى فصيل آخر أو يخرج كلياً من ساحات الجهاد.

٢- القادة

عندما تتعدد المصطلحات الثورية وتختلط معانها العملية ويدخل في الثورة من ليس منها فيتسلق ويتسلط وينهب ويسيء، بل لربما صار له شأن كبير بين القادة بما دلس على غيره من البسطاء وتصدر الفضائيات بما أوتي من لسانٍ حلوٍ وكلماتٍ طنانةٍ، فجمع من السلاح والجنود ما يفرض به نفسه على الساحة، وهكذا حالاتٌ من القادة المزيفين الذين فسدوا وأفسدوا، حتى إذا ما اختلفوا فيما بينهم وعلى مصالحهم الخاصة دخل السلاح ليفصل بينهم، فضاعوا وأضاعوا غيرهم، فما جمعوه من سلاح وأموالٍ وعتادٍ في سنواتٍ أضاعوه في قتل أنفسهم وأهلهم في أيام وساعات، فضلاً عن الاختراق الخارجي الذي تمكّن فيهم وتحكم بأفعالهم حتى غداً المحرك الأساسي في التحرير والتوريض المؤدي للخسارة والهلاك.

فهناك بعض القادة من يعمل من أجل تثبيت كرسيه، ويجمع حوله أعداداً يوالونه ولو على حساب الصدق والإخلاص والأمانة والأخلاق والولاء للثورة ومبادئها.

وهذا الصنف قد يجد له مكاناً جاهزاً ودعمًا خاصاً وأمراً ميسراً وذلك بتقريبه من القيادة العليا للفصيل أو غير ذلك من الأساليب، فنجحوا في تحويل الثورة لمشاريع خاصة يستخدمون فيها عناصرهم وجنودهم في خدمة مشاريعهم بعيداً عن مصلحة الثورة والثوار الحقيقيين.

المحسوبياتُ المقيّدةُ التي فشت وانتشرت في ألوية الفصائل، وعدم العدل في التعامل العسكري، وهناك قياداتٌ عندها من الآلياتِ الحديثةِ والمعداتِ العسكريةِ مالم يكن عند غيرها ممّن يعملون، وكلُّ ذلك لأسبابٍ مشبوهةٍ أو مجرولة.

لم تتوفر الصورةُ الحقيقيةُ للقائد الناجح والتابع للأمور أولاً بأول والذى يجب أن يكون حليماً مرناً، صبوراً متجرداً، حريصاً كريماً حازماً، إذ الحزم في مكانه مرونة، والمرونة في مكانها حزم.

وهذا القائد في حال وجوده فهو مهمشٌ للأسف، وهؤلاء القادة المخلصون يعملون بصمتٍ وبكلّ مسؤوليةٍ وأمانةٍ ولا يقصرون في أداء واجباتهم في جبهاتهم وأماكن رباطهم، وقد لا يتكلّمون عما يعانونه من تقصيرٍ معهم ومع عناصرهم لما يرونـه من محسوبياتٍ وتمييزٍ واضحـ.

٣- الأمنيون

من المعروف أنّ المؤسسة الأمنية يجب أن تكون صماماً الأمان للفصيل وللثورة بشكل عام ، ولقياداته الصادقة المخلصة بشكل خاص، ولكن الواقع يوحي بغير ذلك.

المكاتب الأمنية مؤسساتٌ مستقلّةٌ وكياناتٌ خاصةٌ لكلّ فصيل موجودٍ في الساحةِ السوريةِ وهي أشبه بفروع المخابراتِ السوريةِ بسمعتها ومعاملتها للسجناء وتفشي الظلم فيها وبأدائها.

الأنانيّاتُ وعدم وجود التعاون والتنسيق بين الجهاز الأمني وبقية المكاتب ذات الصلة وخاصةً القضائيّة في الفصيل الواحد علماً أنّ المكتب الأمنيّ يعتبر جهازاً تنفيذياً للمكتب القضائي.



كثيرٌ من القضايا الأمنية لا تُعرض على المكاتب القضائية والشرعية إلا كما يحلو لرئيس المكتب الأمني، مع عدم التزامهم أحياناً بما يصدر عن المكتب الشرعي الذي يعتبر بوصلة المسار، وذلك حتى لا يطلع على ما يجري من تجاوزاتٍ ومخالفاتٍ شرعية وهذا بحد ذاته أمر خطير.

الاحتياطاتُ والإجراءاتُ الأمنية بالنسبة للثورة دون المستوى المطلوب، وهذا يحتاج إلى دراسةٍ ومراجعةٍ ووضع خطٍّ ضمن الأمان والسلامة للمدنيين والعسكريين على حد سواء.

عدم وجود الولاء للفصيل عند عناصر الأمنية بشكل عام، والأغلب منهم نفعي، وهذا له آثاره السلبية التي تجلت في الساحة.

٤- الشرعيون

المكتب الشرعي بما يضمُّ من علماء ومشايخ وداعية وملائكة هو البوصلة التي تحدّد سير ووجهة العمل الميداني والسلوك الاجتماعي والأخلاقي للفرد والقائد. فالشرعية هو المنارة التي تضيء الطريق أمام التائبين والضائعين، وتحدد ماله وما عليه بكل أمانة ومسؤولية، لكنه (الشرع) لم يعط دوره الذي ينبغي، بل كان مهمشاً في كثير من القضايا المهمة التي يجب أن يتكلّم فيها.

كما قد حُول أو تحول بعضهم لعلماء سلطان يفتى لقائد فصيله ما يُطلب منه وبما يلبي حاجاته ويسرع عن له قراراته وأحكامه التي يريد تنفيذها ببطءٍ شرعي. وكذلك فقد بدأ التحرب سمةً واضحةً عند بعضهم للدفاع عن فصيله ولو كان مجانباً للحق والصواب أحياناً، وهذا ما أفقد بعضهم المصداقية في الساحة، وكان سبباً في تطاول المنافقين والمتسلقين على دماء الشهداء لتبرير شذوذهم ومخالفاتهم الشرعية والأخلاقية.



علمًاً أنّ الساحة السورية كان فيها الكثير من العلماء الأفاضل الذين لم يألوا جهداً في نشر العلم والهدى والدعوة إلى الله بكل صدقٍ وأمانةٍ وإخلاص رغم التحديات المحدقة والصعوباتِ المحيطة بهم والتي لم تُثنهم عن أداء الأمانة التي أوكلها الله إليهم ووضعها في أعناقهم.

وهنا أرى من الأهمية بمكان أن أذكر بعض الصفاتِ العامة المشتركة بين الفصائل على سبيل الذكر لا التهكم والسخرية والانتقاد، للاستفادة من الخطأ والانحراف والعمل على التصويب والترشيد فيما بقي لنؤدي الأمانة التي حملناها ونكون على مستوى المسؤولية أمام الله وأمام الشعب الذي وضع ثقته في رقاب أبنائه من القادة والجنود ضمن الفصائل المقاتلة.

وهذه جملةٌ من الصفات التي اجتمعت في أغلب الفصائل، وكانت سبباً في الانتكاسات وبعضِ الهزائم وانفضاض قسمٍ كبيرٍ من الحاضنة الشعبيةِ عنهم، وهي كما يلي:

١. الأنانيةُ وحبُ الرئاسة: فقد يكون القائدُ لا يملك من صفاتِ القيادةِ إلاَّ الاسم أو الجزءُ اليسير من صفاتِها، فضلاً عن الحياة المترفة التي يعيشها على حساب عناصره وجنوده، والأنانية مرض قاتل وداء فاتك.
٢. الارتهانُ للمال السياسي المشروطِ: والذي يفرض على القائد أموراً لا تناسبُ الساحةَ السورية، أو افتعالَ معركةٍ قد يكونُ ضررُها أكثرُ من نفعها من غير تخطيطٍ دقيقٍ ولا تنسيقٍ ولا ترتيبٍ.
٣. غيابُ الوعيِّ الفكريِّ لدى كثيرٍ من المجاهدين: وعدم التعامل مع مجريات الأحداث بالشكل المطلوب الذي ينبغي، فضلاً عن غيابِ النضجِ الفكريِّ عند شريحةٍ واسعةٍ من الناس، وعدمِ الاستعدادِ لدفعِ مستحقاتِ الحرية والكرامةِ التي ستترتبُ عليهم.



٤. عدم الارتقاء في التعامل بين الفصائل: بالشكل الذي ينبغي أن يكون عليه من وعيٍ وفهم، وهذا كان له الأثرُ السيء على الثورة في سرعة نشوب الاقتتال بين الفصائل وانتشار العداوة الموصولة إلى الاستئصال في بعض الأحيان.

٥. رفض المشاريع التي تدعو إلى التوحّد والاندماج: مخافة خسارة منصب القيادة أو نقصان الراتب، مع سمعتهم لذلك ومطالبتهم به قولًا فقط وليس فعلاً.

٦. ضعف استخبارات الثوار في كشف العملاء والخونة الذين اخترقوهم في جياباتهم مؤسساتهم وغرف عملياتهم العسكرية.

٧. غياب الوعي السياسي: ونجاح النظام المجرم بث الشائعات والأخبار الكاذبة وترويجها وتلبيس الناس على المعارضة والثوار من خلال ذلك.

٨. دخول الكثير من العناصر المندسة والمرسلة: من قبل النظام المجرم وتسليمهم لمناصب مهمة في صفوف المعارضة وقيامهم بدور التشويه والتجييش بما يخدم النظام المجرم.

أخيراً بعد توصيف الواقع المؤلم للثورة السورية بشكل عام لابد من دراسة خيارات الحل للخروج من تلك الأزمة الخانقة.

فمن المسلم به أنّ خروج الثورة السورية من عنق الزجاجة ليس بالأمر اليسير ولا يمكن التنبؤ بسلامة المولود الجديد وخاصةً أنّ القابلة التي ستولّده هي عدوة له قبل أن يخرج للحياة، وهذا يعني أنّ مولودنا الجديد سيولد إما ميتاً أو مشلولاً على أكثر تقدير، لكنّ ذلك لا يعني اليأس والاستسلام أبداً، ولا بدّ منأخذ زمام المبادرة من جديد، فنحن أصحاب القضية ونحن أصحاب الأرض والميدان، وليس من المقبول أن ننتظر الآخرين ليحلّوا لنا مشاكلنا، ولو فشلنا مراتٍ ومراتٍ، فما زال في الوقت متسع لرأب الصدع ولمّ الشمل وجمع الكلمة واستدراك الأمور.



المبحث الرابع

دور النخب والمراجعات الشرعية في الثورة السورية

الشرعيون

سأتناول في هذا المبحث من الكتاب الموضوع الشرعيَّ ودوره وأهميَّة وجوده في الثورة السوريَّة سلباً وإيجاباً، وكيف استُعمل هذا الاسم في بعض الأحيان في غير مكانه، بل وكيف استُغلَّ من بعض الجهات لتبير انحرافاتهم، ولتزين خداعهم، للنيل من الثورة وإضعافها، لا سيما أنَّ الشعب السوريَّ معروضٌ بفطرته السليمة وامتثاله لأوامرِ الخالق ومدبرِ الأمر سبحانه وتعالى، غافلين عمَّا قد يُصنع لهم ويُدبر لهم من مكائدٍ ومؤامراتٍ باسم الدين، حتى غداً هذا الاسم علامَةً شؤمٍ عند الكثير من أهلهنا، ولذلك كان لا بدَّ من التعرِيج على هذا الموضوع بشيءٍ من الإسهاب والتفصيل؛ لأنَّ الساحة السوريَّة قد أصابها داءٌ كبيرٌ وبلاءٌ مستطيرٌ من جراء ذلك.

فمن أين جاءت كلمةُ الشرعيَّ وكيف تحولت إلى ظاهرةٍ عامَّةٍ واسعةٍ الانتشار، وأصبحت فيما بعد حاجةً ماسَّةً وملحَّةً في المجتمع لا يمكن الاستمرار بدونها. الشرع لغة: هو الطريق.

اصطلاحاً: ما شرعه الله تعالى، مثل: الصلوات والزكوات المفروضة. الشرعي: هو المناسب إلى الشرع كالطبيب الشرعي أو القاضي الشرعي. هذا هو المعنى الأصلي لكلمة الشرعي ومن هذا المنطلق كان إطلاقُ كلمةِ الشرعي على الشخصِ صاحبِ العلم الذي يكون بين المجاهدين، يقدم لهم النصح والعونَ في كلِّ ما يعترضهم من مسائلٍ شرعية، ومع تغير الأحداثِ في الساحة السوريَّة أصبحت ظاهرةُ الشرعي حاجةً ماسَّةً وبالأخصَّ بعد ظهور الفصائل الإسلاميَّة التي كان من أهمِّ شعاراتها تطبيقُ الشريعةِ الإسلاميَّة.



أقسام الشرعيين باعتبار ولائهم وتحصيلهم العلمي في الثورة:

١. قسمٌ منهم رضيَ البقاء في صُفَّ الباطل يسانده ويدافع عنه ويبرر له أفعاله، بل ويؤوّل آياتِ القرآن وأحاديثِ النبي ﷺ لصالح الباطل الذي رضيَ أن يكون جزءاً منه.
٢. قسمٌ منهم علماءٌ لا يخفى علمهم على أحدٍ من الناس إلا أنَّهم تركوا الساحة وخرجوا منها مبررين خروجهم بحججٍ وذرائع، منها ما هو منطقٌ مقبولٌ ومنها ما هو هروبٌ مرفوض.
٣. قسمٌ متعلمٌ وصاحبُ شهاداتٍ وفكِّ إسلامي ناضج درسَ العلوم الشرعية بمقرراتها في الكلياتِ والمعاهدِ الإسلامية، أو جاء من مدرسة مشيخية قرأ فيها العلوم الشرعية على يد شيخٍ معروفٍ بعلمه وسمعته عمل في الثورة من البداية ولا يزال فيها مع أبنائه وإخوانه.
٤. قسمٌ منهم وقفَ على الحياد في بداية الثورة ثم انخرط فيها وعمل مع المجاهدين فيما بعد وأصبح جزءاً منهم.
٥. قسمٌ منهم تعلمَ في الثورة في دوراتِ الشهرين والشهرين، وكانت الفتوى التي تصدر منهم في مختلف الشؤون بعيدةً عن الحقّ والصواب أحياناً، ومن هذا القسم جاءت الطاماتُ للثورة وانتشرت الفتوى المضللة، وتطاول الأقزام الصغار على أهل العلم المشاهير الكبار.

ومن هنا تبدأ قصةُ الشرعيين في الثورة حيث بُرِز دورهم في الحراك الشعبي في سوريا في فترةٍ مبكرة، بفعل عدّة عوامل، من بينها التغييب الممنهج لأغلب الشخصيات الدعويَّة الفاعلة خلال حكم البعث، والتضييق عليهم حتى جاءت الفرصةُ المناسبةُ لِيُستغلَّ النظامُ وجودهم فاتخذ خطوةً سريعةً وخبيثةً لجذبِهم والحوار معهم لاحتوائهم وللحدّ من تأثيرهم في الشارع وأهله.



لكن مع استمرار تصاعد عنف النظام المجرم بشكلٍ كبيرٍ في تعامله مع الثورة وأهلها ورفض مطالب الشعب المحققة من جهة، وعدم استجابته لمبادرات المشايخ التي تدعوه للإصلاح من جهةٍ ثانية، ومع دخول أطرافٍ دينيةٍ تحمل فكراً مغايراً لفكرة علماء أهل الشام، وكذلك إخراج النظام الأسدية للكثير ممن يحمل فكراً متشددأً من السجون، وكذا التضييق على المشايخ في المساجد وغيرها أدّى إلى إضعاف دورهم بصورةٍ كبيرةٍ ودفع كثيراً منهم إلى مغادرة المشهد الديني داخلياً، وبعضهم تم إخراجه بشكلٍ أو باخر، كان ذلك مع تحول الثورة الواسع نحو الاتجاه العسكري للدفاع عن النفس والأرض والعرض.

في هذه الأثناء وضمن تلك الظروف ظهر (الشرعى) الذي جاء ليملأ الفراغ الذي خلّفه خروج أو إخراج المشايخ الكبار من المشهد السوري، فتولى الشرعيون الأدوار التي كانت منوطـةً بأئمة المساجد والمشايخ في المجتمع السوري من قبل، وأضافوا لها أدواراً لم يعرفها المشهد الديني في سوريا ولا المنطقة من قبل.

يكتف الغموض شخصـاً العديـد من الشرعيـن عند إخـضاعـهم للدراسة والتحليل، وخاصةً الأجانب منهم، فـهم مـعروفـون بـكنـاهـم لا بـأسـمـاهـمـ الحـقـيقـيـةـ، والـكـثـيرـ مـنـهـمـ لا صـورـلـهـمـ ولا مـعـرـفـاتـ (أـيـ مجـهـولـونـ)، وربـماـ يكونـ بعضـهـمـ مـعـرـوفـاًـ فيـ بلـدـهـ الأـصـلـيـ، لـكـنـ المـجـتمـعـ المـحـلـيـ لـمـ يـعـرـفـ عـنـهـمـ إـلـاـ كـنـيـتـهـمـ ولـقـيـهـمـ (وـهـذـاـ مـنـ التـحـديـاتـ الـتـيـ وـاجـهـتـ الثـورـةـ فـيـمـاـ بـعـدـ).

بداية ظاهرة الشرعيـينـ ونمـوـهـاـ:

ظهرت فكرةُ الشرعيـينـ بشـكـلـهـاـ المـبـسـطـ الأولـ معـ ظـهـورـ الجـيـشـ الـحرـ بـعـدـ انـطـلاـقـةـ الثـورـةـ بـأشـهـرـ قـلـيلـةـ مـتـزـامـنـاًـ معـ ظـهـورـ مـسـائـلـ وـقـضاـيـاـ منـ الـوـاقـعـ الـجـدـيدـ لـمـ يـعـلـمـواـ أـحـكـامـهـاـ، وـهـذـاـ مـاـ دـفـعـهـمـ إـلـىـ أـئـمـةـ الـمـسـاجـدـ الـمـعـرـوفـينـ فـيـ مـنـاطـقـهـمـ لـمـعـرـفـةـ الـحـكـمـ الـشـرـعـيـ، وـهـوـ أـمـرـ مـتـعـارـفـ عـلـيـهـ فـيـ الـمـجـتمـعـ الـسـوـرـيـ.



لكنّ أئمّة المساجد والمشايخ المحليّين واجهوا مشكلةً بدورهم في التعامل مع القضايا التي تطرح أمامهم لأول مرّة، نظراً لغياب الخبرة وضعف المعرفة المسبقة في كيفية التعامل مع قضايا جديدةٍ مثل التعامل مع الأسرى والمخربين، والتصرّف في الأموال والأملاك التي يتم الاستحوذ علىها (فيما أصبح يُعرف لاحقاً باسم الغنائم)، إلى غير ذلك من القضايا الملحة والتي أدّت بدورها إلى ظهور أول أشكال الهيئات الشرعية، حيث سعى طلابُ العلم آنذاك إلى تجنب المسؤولية الفردية عبر تشكيل لجانٍ مشيخيّةٍ لإصدار فتاوى في قضيّة أو قضيّاً بعينها، ثم تحولت هذه اللجان المؤقتة إلى أشكالٍ شبه دائمة؛ مع تصاعد وتيرة الأحداث وكثرة القضايا التي تُعرض عليها.

ومن الواضح تماماً أنّ المشايخ السوريّين الذين عملوا بمجال الفتوى في تلك المرحلة اتّسموا عموماً بالتورّع في الدماء والأموال، على خلاف الشرعيّين الذين قدموا من خارج سوريا أو الذين تخرّجوا على أيديهم ودرسوا في مدارسهم، وترافق هذا التورّع من قبل المشايخ السوريّين مع تورّعٍ نسبيٍّ من قبل فصائل الجيش الحرّ، وخاصةً في مسألة الدماء.

لكنّ الشرعيّين في تلك الفترة، أفراداً أو مجموعات، لم يدخلوا في صلب الهيأكل التنظيمية لمجموعات الجيش الحرّ، وبقوا عمليّاً بصفاتٍ استشاريّةٍ مستقلة. ومع بدء ظهور «الفصائل الإسلاميّة» في نهاية عام ٢٠١١م، ظهر منصبُ الشرعيِّ كجزءٍ من هيكلية الفصيل، وهو المنهج الذي اتبّعه فيما بعد كلُّ هذه الفصائل بما فيها فصائل الجيش الحرّ.

الشريعيون والفصائل العسكريّة

تدرّجت وظائفُ الشرعيّين من بسيطةٍ ومحدودةٍ إلى معالجة إشكالياتٍ على مستوى الأحياء والبلدات، ليتحول الشرعيون إلى مكاتبٍ وهيئاتٍ فاعلةٍ تُعني بتقديم الفتوى في الواقع والنوازل وتدخل في القضاء وتشرف على تنفيذ الحدود والعقوبات.

بل وأكثر من ذلك أخذت ترُوح للفصائل وتعصّب لها وتبرّر تصرفاتها وقد تشرعن لها أفعالها كما كان في الاقتتال الداخلي بين الفصائل في فترةٍ ماضيةٍ من عام ٢٠١٨م، إلى غيرها من المهام، ومع ظهور الفصائلية، وما تبعها من انقسامات، واندماجات، وصداماتٍ عسكريّة، تحول الشرعيون إلى جزءٍ من الهياكل التنظيمية للفصائل، وأصبح بعضهم أدواتٍ بيد القادات، وبالمقابل فإنّنا نجد في كثيرٍ من الأحيان شرعيين لم يكونوا مرتاحين لتصرفات القيادة العسكريين لدى فصيلهم الذي ينتمون إليه لكن لم يسمع لنصائحهم وتجاهلها مما حدا ببعضهم إلى ترك فصيله والتحول إلى فصيل آخر أو الاعتزال والجلوس في البيت.

إلى جانب شرعيي الفصائل، ظهرت مجموعةٌ من الشرعيين المستقلين، لم ينتسبوا إلى أيٍّ فصيل، ومنهم الذين خرجوا أو أخرجوا من فصائلهم التي كانوا يعملون ضمن صفوفها، ولكنهم في مجموعهم لا يشكّلون نسبةً تُذكر من عدد الشرعيين الكلي، وإن كان بعضهم من ضمن أكثر الشرعيين تأثيراً في سوريا.

المهام الرئيسية للشريعيين وتأثيرهم في الساحة السورية

أ- شرعيو الفصائل

يقوم الشرعيون بعددٍ من الوظائف والمهام داخل الفصيل العسكري، كالتوجيه والترشيد والفتوى والاستشارات الشرعية والإدارية بشكلٍ عامٍ وقد يشاركون في صنع القرار ورسم سياسة الفصيل بحسب قوّة شخصيّته ومدى استجابة قائد الفصيل ومرؤوته. ويمكن حصر عملهم بشكلٍ عامٍ ضمن عدّة محاور:



١. العمل على تعليم المجاهد أبسط أمور دينه لضمان صحة صلاته وعباداته (الطهارة وشروطها الصلاة وشروط صحتها حفظ سورة الفاتحة وبعض قصار السور)، نظراً لتدني المستوى الثقافي الديني عند أكثر شباب الثورة الذين ولدوا وترعرعوا في زمن حزب البعث المجرم.
٢. التوجيه والإرشاد والتربية الأخلاقية والجهادية من خلال دروس في التزكية والأخلاق والثقة بالله سبحانه، مع التربية القتالية والتعبئة الجهادية من خلال رفع معنويات المقاتلين قبل بدء المعارك، والقيام بجولاتٍ دوريةٍ على المعسكرات والمغارِ والجهات ونقاط الرباط وتعليمهم ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه ثورتهم وأهلهم وإخوانهم ولدهم وقادتهم وما إلى ذلك مما يتعلّق بالمعارك ومستلزماتها وملحقاتها.
٣. العمل على التربية الفكرية والرقي بهم إلى المستوى الذي يدرك فيه القائد والجنديُّ أين موقعهم في الخريطة السياسية وما يتربّع عليهم حيال المؤامرات التي تحاك عليهم وعلى أمّتهم مع ضرورة الحث والحض على القراءة والاطلاع على الأحداث المحلية والدولية ليأخذ الجميع دوره الذي ينبغي له ولا يكون هامشياً في المجتمع ولا أدأهً لمشاريع غيره.
٤. العمل الإصلاحي وحل المشكلات التي من شأنها تعكير صفو المجتمع وزرع الفرقه والشقاق في المجتمع والدخول بين الفصائل المختلفة والجماعات العاملة في الساحة لتقريب وجهات النظر بينهم ورأب الصدع وإنهاء جذور الخلاف من أصله، وغالباً ما يقوم بهذا الدور الدعاة المستقلون الذين تشهد لهم الساحة بالحضور والقبول.



تغيير البوصلة والمسار الشرعي:

لو التزم الشرعيون بما هو مطلوبٌ منهم وواجبٌ عليهم لصنعوا رجالاً أقلّ مثيلهم في التاريخ، فساحة الشام ولادة وفيها من الطاقات الكامنة ما يُدهش العقول، ولكنّها كانت تحتاج للنُّخبِ والمرجعياتِ التي توجّهها عند الحاجة والسؤال، وتسدّدها عند التيه والضياع، وتصوّبها عند الخطأ والانحراف.

ولكنّ هذه الطبقةَ من النُّخبِ والمرجعياتِ توسيّعَت في أعمالها الأخرى على حساب العمل الدعوي والتوجيهي والتربوي حيث أقحمَ بعضُ الشرعيين أنفسهم فشاركوا بصناعة السياسة الداخلية والإدارية للفصيل، وأصبحوا من أصحاب القرارات الملزمة في بعض الأحيان، فأصابوا في أمورٍ، وأخفقوا في أخرى، وهذا ما أفقدتهم شيئاً من مكانتهم الاجتماعية وصفتهم الرمزية التي كانوا يتمتعون بها.

وكذلك فقد توّلّ بعضهم أعمالَ القضاء وشارك في التحقيق وإصدار الأحكام والإشراف على تنفيذها في كثيرٍ من الأحيان معتمدين على أفهامهم واجتهاداتهم القضائية والشرعية التي اكتسبوها من خلال دوراتٍ قضائيةٍ مضغوطةٍ بعيداً عن الانضباط العلمي المطلوب والقوانين القضائية والمهنية،

وهو ما كان له من آثارٍ سلبيةٍ تمثّل بعضها بقطعٍ رؤوسٍ وجليدٍ ظهورٍ وسلب أموال والسجن والإبعاد، ثم تراجعوا عن الكثير من تلك الأحكام والاجتهادات ولكن بعد أن سبق السيفُ العدل.

ومن الأمور المحزنة أن يتحول الشرعي لمثيرٍ إعلاميٍّ يتعصّب لفصيله ويرّوح له، ويبرّر له أخطاءه، ويشرعن له مخالفاته مهما كانت من خلال فتاوى وبياناتٍ مكتوبةٍ أو حساباتٍ منشورةٍ أو مناظراتٍ ومناكراتٍ تنتج الحقد والكره والضغينة بين أفراد المجتمع فضلاً عن عناصر الفصائل وقاداتها.



بـ- الشرعيّون الأجانب

دخل معظم الشرعيّين الأجانب إلى سوريا خلال عامي ٢٠١٢ م و ٢٠١٣ م، وانضمّ أغلبهم إلى الفصائل الإسلاميّة ثمّ التحق كثيُّر منهم بما يسمّى تنظيم الدولة الإسلاميّة في العراق والشام (داعش) عند تأسيسها عام ٢٠١٣ م، ولم يُعرفوا بأسمائهم الحقيقيّة لدى أفراد فصائلهم، بل بالكُفَن والألقاب، وهو ما أوقع الساحة في القلق والفوبي والاضطراب.

وقد تميّزوا بعدّة ميزاتٍ لم تتوفر في بقية الشرعيّين السوريين منها:

١. الحضور القويُّ في الفصيل والتفرّغ الكامل له مع التأثير الواضح في القادات والعناصر.
٢. امتلاكُ الكاريزما الجذّابة في استجلاب الشباب وإقناعهم بالجنديّة والتبعيّة وخاصةً بما عندهم من علاقاتٍ ماليّة تستجلب الدعم الخارجي.

ثم إضافًةً إلى الشرعيّين الأجانب الموجودين في سوريا، ينبغي التنويه إلى الدور الذي قام به عددٌ من المنظّرين الموجودين خارج سوريا، وبشكلٍ أساسيٍ في السعودية والأردن، حيث قدّم هؤلاء المشورة والفتوى لبعض السلفيّة الجهاديّة عبر وسائل التواصل المختلفة، وكما قام بعضهم بأداء أدوار التحرير والتعبئة لدعم بعض المجموعات، ودخلوا كأطرافيٍّ مباشرةً في الصراعات بين الفصائل، وهذا ما كان له الأثرُ السيئ في تفتيت صفّ المجاهدين والتحريض المباشر على فصائل الجيش الحر (أمثال عاصم البرقاوي الملقب بـالمقدسي) ويقيم بالأردن.



ج- الشرعيون المستقلون

يمثلُ الشرعيون المستقلون، أو غير المنضمين للفصائل، ظاهرةً حاضرةً المشهد الدعوي والتوجيهي في الساحة السورية، ويتوزّعون في إقامتهم داخلَ سوريا وخارجها.

إلا أنّهم يفتقرُون للقوّة التنفيذية التي يمتلكها شرعيو الفصائل، لكنّهم لعبوا دوراً مهمّاً في الدعوة المدنية والوعظِ والإرشاد والإصلاح بين الناس وبين الفصائل عند الاختلاف أو الاقتتال.

المدارسُ الفكريةُ للشريعيين في الداخل المحرّر

لم يكنُ الشرعيون العاملون في الساحة السورية نتاجَ مدرسةٍ فكريّةٍ واحدةٍ أو مشربٍ مذهبيٍ واحدٍ، وإنما تعددت مدارسهم، وتنوعت مشارفهم حسب انتسابهم وجنسياتهم وطبيعة مدارسهم التي درسوا فيها وتخرجوا فيها. وقد تعددت الاتجاهاتُ الفكريةُ بين الدعاة وأصحاب الفكر إلى عدّة اتجاهات هي:

١. السلفيّة الحركية: والتي كانت تحاول إيجاد الحلول المناسبة لمشكلات الساحة السورية بطريقهٍ موضوعيّةٍ منبثقهٍ من الكتاب والسنة وهو أقرب لمنهج الاعتدال الشامي بعيداً عن الإفراط والتفريط.

٢. السلفيّة العلمية: أو الدعوة السلفيّة حيث يعتمد أصحابها على الدعوة العلميّة والوعظيّة في تعليم الناس أمور دينهم، وهم في ذلك كدعاةٍ وعلماءٍ تتركز جهودهم على زرع عقيدة التوحيد والولاء والبراء والتبرؤ من الشرك والبدع وضرورة تعلّم ومعرفة الأحكام الشرعية الخمسة من حلالٍ وحرامٍ وواجبٍ ومستحبٍ ومكروهٍ، معتمدين على فهم السلف الصالح لكتاب والسنة بعيداً عن التعصّب والتطرف والتأويل.



٣. السلفيّة الجهادية: وهو مصطلحُ جديدٌ ظهر في ثمانينيات القرن الماضي وقد أطلق على الجماعات الإسلامية التي اتخذت من الجهاد طريقاً ومنهجاً للتغيير السياسي ضدّ الحاكم الظالم الذي لم يحكم بشرعية الله، ورجال هذا التيار يعتمدون أيضاً على فهم السلف الصالح لنصوص القرآن والسنة إلا أنهم يختلفون عن السلفية العلمية في أنهם يرون الجهاد هو طريق الحل المناسب لإزالة الحكام والطغاة بينما يرى السلفيون العلميون أن التربية الدعوية هي أساس التغيير والإصلاح.

كما من المفيد هنا التنويه لذكر عددٍ من الهيئات الشرعية التي جمعت الدعاة والعلماء والمفكرين وغيرهم لصالح الساحة السورية.

والتي كان لها بصماتٌ دعويةٌ وهي على سبيل المثال لا الحصر مثل: (مجلس شوريٰ أهل العلم، تجمعٌ أهل العلم، رابطةٌ أهل العلم في الشام، رابطةٌ علماء إدلب رابطة دعاة إدلب، المجلس الشرعي لمدينة حلب وريفها، المجلس الشرعي لمحافظة حماة، هيئة علماء حمص).

وغيرهم من المكاتب والمجالس والهيئات الشرعية والدعوية التي تتبع للفصائل ومنها الهيئة الشرعية في فصيل فيلق الشام وتضم العشرات من الدعاة والعلماء الذين يعملون ضمن برامج دعوية في المقارِّ والمعسكرات والجيمات وأماكن الرباط إضافة إلى إقامة بعضِ الملتقىّات الفكرية والندوات الحوارية في المجتمع. وغيرهم من المكاتب والمجالس والهيئات الشرعية والدعوية.



الهيئات الشرعية خارج الساحة السورية

بعد انطلاق الثورة السورية بمدةٍ قصيرة ظهرت حاجة الساحة وفصائلها للدعاة والمفكرين، فتشكلَّ عددٌ كبيرٌ من هيئاتِ العلماء والدعاة والمجالسِ والروابطِ الشرعية داخل سوريا وخارجها.

ومن أبرز المجموعات التي تشكّلت خلال السنوات السابقة خارج الساحة السورية، ولكنها كانت تعمل لصالح الثورة بما تستطيع وبما تمتلك من وسائل وأمكانيات:

(رابطة العلماء السوريين تأسست عام ٢٠٠٦ م قبل بدء الثورة السورية المباركة، وهيئة الشام الإسلامية، والهيئة العامة للعلماء المسلمين في سوريا، وجمعية علماء الكرد، وهيئة العلماء والخطباء والدعاة الأحرار في سوريا، ورابطة علماء الشام، والملتقى الإسلامي السوري، ورابطة خطباء الشام، وجبهة علماء حلب).

المجلس الإسلامي السوري



ولعله من أهمّ تلك الهيئات والروابط الجامعة الذي تأسّس في استنبول برئاسة الشيخ أسامة الرفاعي بتاريخ ٤/١٤/٢٠١٤ م، كمرجعية إسلامية للشعب السوري مستقاةٌ من الكتاب والسنة، للنظر في قضياتها العامة ولتسديد مسيرته نحو الحرية والكرامة والتخلص من نظام الطاغية المجرم.

وقد ضمّ المجلس نحو أربعين هيئةً ورابطةً إسلاميةً من أهل السنة والجماعة في الداخل والخارج، كما ضمّ هيئاتٍ شرعيةً لأكثر الفصائل المقاتلة.



لم يكن المجلس الإسلامي تشكيلاً سياسياً، كما لم يكن منافساً لأحدٍ، فقد ولد من خلال مبادراتٍ للعلماء الذين شعروا بمسؤولياتهم تجاه الشعب السوري بمهماً علمية وتربيوية وتثقيفية وتوعوية وبما يحافظ على وحدة البلاد، وتوحيد الفصائل العاملة في الساحة السورية، وإصدار الفتاوى التي يحتاجونها فيما يعترضهم من قضايا ومسائل تحتاج للفتاوى، وقد لعب المجلس دوراً كبيراً في الربط بين الداخل من خلال مكاتبه وروابطه العلمية والخارج من خلال التنسيق وإقامة العلاقات التي من شأنها دعم القضية السورية في دول الجوار وخصوصاً تركيا.

وقد جمع المجلس الإسلامي السوري الكثير من العلماء والمفكرين ذوي الاباع الطويل في العلوم الشرعية، كما تطور وتوسّع ليضمّ ضمّنةً كثيرةً من الهيئات والروابط العلمية والدعوية.

وقد تفاوتت هذه الهيئات والروابط في تأثيرها في الساحة السورية بشكلٍ كبيرٍ لعدة أسبابٍ أهمّها:

١. مدى النفوذ الذي تملكه الهيئة الدعوية على فصيلٍ أو فصائل بعينها، أو الجمهور العادي في منطقةٍ معينة.
٢. حجم التمويل الذي تستطيع الحصول عليه، والنفوذ الإقليمي الذي تملكه لجمع فعاليات دعوية متفرّغةٍ لذلك.
٣. عدم الوجود والحضور لأفراد تلك الروابط مع الفصائل والطبقات المستهدفة والبعد عن معاناتهم ومعايشة أحوالهم، وهو ما أفقدهم قوة التأثير الحقيقية في الساحة.

بالمقابل فقد كان لهم دوراً جيداً ومهمّاً في تقديم الفتاوى والأراء الشرعية في القضايا الآنية التي تواجه المجتمع السوري بشكلٍ عام من خلال بياناتٍ مكتوبةٍ أو مرئيةٍ أحياناً.

كما نظمت الكثير من الندوات والملتقيات الفكرية والثقافية، وأقامت الكثير من البرامج والمشاريع الدعوية والتثقيفية والتعليمية في بعض الأماكن المتاحة في الداخل السوري المحرر.

وكذلك فقد امتلك بعضهم من الوعي الفكري والسياسي ما أهله للعمل السياسي في تمثيل الثورة والثوار من خلال المجلس الوطني السوري وغيره من الأجسام السياسية، فأجاد بعضهم في ذلك، وأخفق آخرون.

ولعلّ من أهمّ ما صدر عن المجلس الإسلامي السوري وكان من منارات الطريق للثورة والثوار ما عرف بوثيقة المبادئ الخمسة، ووثيقة الهوية السورية، والتي تجلّى بنود كُلِّ منها بما يأتي:

١- وثيقة المبادئ الخمسة للثورة السورية

حيث انطلقت فعاليات المؤتمر الصحفي برعاية المجلس الإسلامي السوري يوم الجمعة ٢٠١٥/٩/١٨ م، في مدينة اسطنبول لإعلان «وثيقة المبادئ الخمسة للثورة السورية»، بمشاركة معظم الفصائل العسكرية والثورية والسياسية والهيئات الشرعية والقضائية ومنظمات المجتمع المدني بالإضافة إلى رموز وشخصيات وطنية عدّة.

وتنص المبادئ الخمسة التي دعا المجلس الإسلامي السوري للتوقّيع عليها على ما يأتي:

- ١- إسقاط بشار الأسد وكافة أركان نظامه، وتقديمه للمحاكمة العادلة.
- ٢- تفكيك أجهزة القمع الاستخباراتية والعسكرية، وبناء أجهزة أمنية وعسكرية على أسسٍ وطنيةٍ نزيهة، مع المحافظة على مؤسسات الدولة الأخرى.
- ٣- خروج كافة القوى الأجنبية والطائفية والإرهابية من سوريا، ممثلة بالحرس الثوري الإيراني، وحزب الله، وميليشيا أبي الفضل العباس، وتنظيم الدولة.
- ٤- الحفاظ على وحدة سوريا أرضاً وشعباً واستقلالها وسيادتها وهويتها شعبها.
- ٥- رفض المحاسبة السياسية والطائفية.



وأعلن المجلس خلال المؤتمر عن تبني المبادئ الخمسة السابقة في الوثيقة كأحد الشروط الأساسية لأي حل سياسي أو مبادرة دولية. كما تناولت الوثيقة إخفاق مجلس الأمن الدولي في الدفاع عن الشعب السوري، لافتةً إلى محاولات «إعادة تأهيل النظام» وجعله جزءاً من مستقبل سوريا، بشكلٍ يتغافل عن «المجازر المرهوبة» التي ارتكبها الأسد ونظامه. وقد وقَّع على البيان أكثر من ١٤ جهةً ثورية، وهيئاتٌ شرعية، ومنظمةً أهلية، وشخصيةً وطنية.

٢- وثيقة الهوية السورية

حيث أصدر المجلس الإسلامي السوري، وبالتزامن مع اقتراب الذكرى العاشرة لانطلاق الثورة السورية على نظام الأسد، بياناً تحت مسمى «وثيقة الهوية السورية» أكد من خلاله على ضرورة الحفاظ على الهوية السورية. وجاء في الوثيقة التي نشرها المجلس على معرفاته أنه أعلن عنها بمناسبة اكتمال عشرية الثورة السورية على النظام الطائفي المستبد ومع استمرار محاولاته في طمس هوية الشعب السوري الأصيلة، واغتيال حريته وكرامته، وأكَّد المجلس أنَّ هناك جملة أمورٍ متعلقةٍ بالهوية السورية يجب التأكيدُ عليها وهي:

١. «سوريا جزء لا يتجزأ من العالمين العربي والإسلامي».
٢. «الإسلام دين غالبية الشعب السوري وهو ثقافةٌ وحضارةٌ لجميع أبناء سوريا».
٣. «اللغة العربية هي اللغةُ السائدة والرسمية في البلاد».
٤. «الثقافةُ والقيمُ الحضاريةُ المعهودةُ في التاريخ السوري المتدرج لقرونٍ معرفاتٌ أساسيةٌ من معرفات الهوية السورية، وكذلك الطابع العمراني والاجتماعي».



٥. «المكوناتُ التاريِّخيةُ العديدةُ الموجودةُ في سوريَّة والمُتَنوِّعةُ من ثقافاتها ولغاتها وأديانها وانتماءاتها هي مكوناتٌ أصلية، وحقوقها مصونةٌ مضمونةٌ وحريات الجميع مكفولةٌ متَناغمةٌ مع الهويَّة السوريَّة الأصيلة، ولا تعود عليها بالنقض».

تيارات الفكر الإسلامي في الثورة السورية

إنَّ المتأمل لحال الساحة السوريَّة وما آلتُ إليه بعد سنواتٍ من الثورة يرى تياراتٍ فكريَّةً متعددةً لعبت دوراً كبيراً فيها، وكان لها الكثير من الإيجابيات من جهةٍ، كما لم تخلُ من السلبيات من جهةٍ أخرى. نذكر بشكلٍ موجزٍ أهم هذه التيارات:

التيار الأول: الإخوان المسلمين.

التيار الثاني: السلفيون.

التيار الثالث: الصوفيون.

التيار الرابع: المستقلون.



أولاً: الإخوان المسلمين

أصبحت جماعة الإخوان محظوظةً بعد انقلاب الثامن من آذار عام ١٩٦٣ م، وقد كانت الجماعة قبل ذلك تحظى بحضور اجتماعي دعويٍّ سياسيٍّ على ملحوظٍ في العقود السابقة، وفي ثمانينيات القرن الماضي ضيقَ عليها نظام المقبور حافظ الأسد والذي ضيق عليهم بشكلٍ كبير، وأصدر قانونه في التطهير العرقي (قانون ٤٩) الذي أقره مجلس الشعب السوري في جلسة ٧/ تموز ١٩٨٠ م ويقضي بإعدام كل من تسب لجماعة الإخوان المسلمين واعتباره مجرماً، فكان ما كان من تصفياتٍ كبيرة في صفوفهم وتهجير الباقى خارج البلاد، لتعود الجماعة اليوم مع الثورة السورية، بوصفها فاعلاً سياسياً مهماً.

لقد عملت الجماعة في سوريا أثناء الثورة على ثلاثة محاور:

المحور الأول: العمل الدعوي

والذى تمثل في المخيمات السورية في تركيا من خلال زياراتٍ دوريةٍ، ثم انتقلت للعمل في الداخل إلا أن هذا العمل بقي عملاً خجولاً لا يرقى لأمال الشعب ولتاريخ الجماعة الكبير في معارضته آل الأسد وحكمهم، ثم توسيع النشاطات الدعوية شيئاً فشيئاً في الداخل والخارج باسم منظماتٍ وهيئاتٍ ومعاهدٍ وروابطٍ ضمن الاستطاعة والإمكانيات.

المحور الثاني: العمل العسكري

إن من يقرأ تاريخ الجماعة يرى أنها عانت من انقساماتٍ داخليةٍ وترهلٍ حقيقيٍ في ثمانينيات القرن الماضي لأسبابٍ كثيرةٍ لعل من أبرزها الغربة الطويلة والتهجير القسري الذي مورس عليهم وعدم معرفتهم بالواقع الحقيقي بعد أربعين سنة من تهجيرهم، فقدمن الدعم العسكري لبعض الفصائل (الدروع) إلا أن هذه التجربة لم يكتب لها النجاح بشكل المطلوب، وكانت لها موقفٍ معتدلة في الساحة بشكل عام.



المحور الثالث: العمل السياسي

من المعروف لدى الجميع أن جماعة الإخوان المسلمين فيها من القامات العلمية والشخصيات السياسية ما يؤهلها لتكون من أنجح من يدير العمل السياسي إذا ما أتيح لها ذلك حيث أسهمت مع غيرها بتأسيس المجلس الوطني السوري ثم الائتلاف الوطني السوري دون أن تظهر باسمها الحقيقي ليبقى الجسم الثوري بعيداً عن الأسلامة والأخونة حيث سعى بعض خصومها لاتهامها بذلك أمام العالم الغربي.

كانت الأهداف الأساسية لجماعة الإخوان المسلمين تمثل في العمل على إسقاط النظام المجرم والعودة إلى سوريا حرّةً أبيّةً لإعادة بناء المؤسسات الدعوية لهم وتعزيز دورها السياسي وإعادة الحرية والكرامة لأبناء هذا البلد الكريم.

وأسهمت الجماعة كذلك في المجال الإغاثي في بناء المستشفيات والمدارس والمعاهد والجمعيات التي مدت يد العون للشعب السوري بحسب الوسع والطاقة.



ثانياً: السلفيون

تتميز بلاد الشام وخاصة سوريا بفكرها الشامي المعتمد، فلم تعرف سلفية في عهد المقبور حافظ الأسد، ولم تنتشر السلفية إلا بعد المجرم بشار الأسد في بداية ٢٠٠٣م، عندما ظهر العميل محمود قول أغاسي أبو القعاع في حلب، فأوقع المئات والألاف في شراك القاعدة والسلفية الجهادية التي ادعاهما، ودعا من خلالها للقتال في العراق ضد الأميركيان آنذاك، ثم ازداد ذلك بشكل كبير في الثورة السورية من خلال دخول المشايخ الغرباء، وازدادت أكثر وأكثر من خلال الدورات الشرعية في معسكرات الفصائل الراديكالية، وزاد من انتشارها أكثر ما أ功德 عليها من الدعم المالي الهائل بالتزامن مع الضغط الإعلامي من بعض المنظرين في الخارج.

وقد انخرط الكثير من أبناء الشام، وتبنوا هذا الفكر، ودافعوا عنه وقاتلوا من يعارضه بفترات، ولكن سرعان ما عاد أصحابه إلى فكرهم الأساسي، ولم يبق من آثاره إلا القليل فيهم.

إلا أن تداعيات هذا الفكر على الساحة كانت خطيرةً حيث استغله النظام المجرم وعمل على إظهار المعارضين له على أنهم عصابات مسلحة من تنظيم القاعدة المصنفة على قوائم الإرهاب الدولية.

وهذا ما أخاف الدول الأوروبية وغيرها، فامتنعت عن قرار إمدادهم بالسلاح والذخيرة مع وضع جميع الفصائل في سلة القاعدة.

وكذلك بدا التخوف من فصائل الجيش الحر في التعامل مع إخوانهم المقاتلين الذين انضموا إلى تلك الفصائل بعدما أدرکوا أنّ الثورة السورية باتت تحت المجهر الدولي ولكن كاد الأمر أن ينفذ.



ثالثاً: الصوفيون

صحيح أن المجتمع السوري يتميز بفكرة المعتدل ولكنه ميال إلى التصوف الذي يعني بتربية النفس وتزكيتها بعيداً عن السلطان والانحرافات العقدية. فكثير من العلماء الذين يحسبون على التيار الصوفي كان لهم نشاط دعوي رائع، وأخرون اجتهدوا في الاتجاه السياسي، وبعضهم انخرط في الثورة مع إخوانه وارتقا شهداء في سوح الجهاد والفتداء.

وهناك قسم تربى في بعض المدارس الصوفية الخاصة، فنشأ على الخنوع والخضوع للسلطان وعدم الخروج عليه وإن ظهر كفره الصداح البوح، واستعمل للتمكين له المال والسلاح والإعلام، وادعى بأن الخروج على الحاكم الكافر فتنٌ كبيرة لا تجوز بأي حال.

وقد كان أكثر اهتمام التيار الصوفي في الجانب التربوي وتزكية النفس والخلوات مع الله سبحانه أكثر من اهتمامها بالجوانب الأخرى وخاصة السياسية منها والتي قد تكون معدومة عندهم وهذا خلل كبير جرا على الأمة الشر المستطير والبلاء الكبير.

رابعاً: المستقلون

وهم قلة في الساحة لا يمكن تصنيفهم على تيار معين، وقد اقتصر عملهم في كثير من الأحيان على الدعوة في المجتمع بعيداً عن الثورة والمشكلات التي ترتب عليها.

وأخيراً فالهيئات والروابط الشرعية هي البوصلة لمعرفة الاتجاه الصحيح للطريق، وهي مرجمة الجميع قادةً وعناصر، فلا بد من دعمها بكل ما تحتاج إليه وإعطائهما مكانها الرئيسي، وتفعيل أحکامها وقراراتها فيما تستشار فيه ضمن مجالها.



مع ضرورة العمل والتركيز على رفع المستوى الثقافي والفكري والسياسي والإداري والإعلامي للشريعين حتى يتمكنوا من الارتقاء بفكر المقاتل وتوجهه بما يتوافق مع أخلاق الثورة ومبادئها إضافة للدروس الفقهية والتوجيهية.

صحيح أنّ الشرعيين لم يكونوا على قدر المسؤولية في الثورة كما كان ينتظره الناس منهم إذ لم يستطيعوا توحيد العمل الشريعي تحت سقف واحد، بل كان بعضهم يدعوا لنفسه وفكرة وهواد بعيداً عن الحق والصواب، الأمر الذي جلب للثورة الولايات في مختلف مراحلها.

ولكن بالمقابل لا نستطيع أن نحمل فساد المجتمع للشريعين وحدهم فقط، فهذا هو المجتمع الذي أريد له أن يعيش في الغواية والضلالة ويتربي على الفساد والانحلال لعقود حتى يُسلّخ عن هويته الإسلامية الأصيلة في ظل سياسة آل الأسد والبعث.

ومن هنا كانت الحاجة الماسة للعلماء والدعاة للرقى بالمجتمع تربوياً وأخلاقياً وفكرياً، وأن يسود مبدأ الأخوة والمحبة والترابط والتعاون وأداء الموعظ والتجويم بالأسلوب الرافي الذي يخرج من قلب الداعية ويدخل إلى قلوب الناس، كما من الجميل إبداء النصح بالحكمة عند رؤية الخلل والتقصير في أداء الدعاة والعلماء، فذلك أدعى للقبول والاستجابة مع بقاء الود والمحبة فيما بينهم.



المبحث الخامس

الثورة السورية وتداعياتها العامة

لم تقتصر آثارُ وتداعياتُ الثورة السورية علىٰها فحسب، بل تجاوزتها إلىٰ معظم دول العالم، وقد تجلّى ذلك بشكلٍ واضحٍ من خلال موجات اللجوء التي غزت العالم بطرقٍ شرعيةٍ وغير شرعية، ويمكن أن أحصر تلك التداعيات والآثار بأربعة أنواعٍ أساسيةٍ هي:

١. التداعياتُ السياسية

تجلى ذلك من خلال الانقسام الدولي تجاه الأزمة السورية ومدى جديتهم في حلّها وخاصةً أنها تحولت إلى حربٍ بالوكالة بين الدول الكبرى والإقليمية وتصفية حساباتهم على الأرض السورية، كما زادت من الشرخ الاجتماعي في المجتمعات العربية فضلاً عن المجتمعات السورية التي تحولت من مسيرة الإصلاح والنمو إلى الندب والتناحر وردود الأفعال وكسب المواقف.

في الوقت الذي لم تُرد فيه الدولُ الكبرى أيَّ تقدِّمٍ في المجال الإصلاحي أو في إخراج الأزمة من عنق الزجاجة، وذلك من خلال مساعدتها في صناعة هيئاتٍ سياسيةٍ صوريةٍ هزيلةٍ متزوّعةٍ القرار بأسماء مختلفة (كالمجلس الوطني والائتلاف وهيئات التفاوض وغيرها) لتسكمل خطّتها وتضمن حصّتها من الكعكة السورية مع ترتيب إدارة الحكم المستقبلية وصياغة الدستور بما يحقق أمنها ويحفظ لها مصالحها.



٢. التداعيات العسكرية

حيث تحولت سوريا في أغلب محافظاتها إلى ركام متهدم في أبنيتها، وخرابٌ مخيفٌ في أزقّتها وشوارعها، فقد مزقتها المعارك والحروب، وباتت مسرحاً ل الكلاب المجروس وميليشيات الرافضة بعدما أنهكت قواتُ النظام وأوشكت على السقوط والانتهاء، فلا تزال الجولاتُ القتالية بين كَرِّ وفَرِّ دون انتصار أحد الطرفين على خصميه مع الرغبة الدولية في إطالة أمد الصراع وعدم حلّ الأزمة، وذلك من خلال العمل على توازن القوى العسكرية وتحريكها لصالح النظام في أغلب الأحيان مع عدم سقوط المعارضة وانهاء ثورتها

٣. التداعيات الاقتصادية

لا شك أنّ الحروب والصراعات الداخليّة في أيّ بلِد أو مكان تؤثّر سلباً على حركة الاقتصاد لذاك البلد بالدرجة الأولى، فكيف إذا تحولت الساحة إلى حلبة صراعٍ دوليٍّ وحربٍ طاحنةٍ تحرق الأخضر واليابس والتي أدّت فعلاً إلى النزيف المستمر للموارد الاقتصادية، تجلّى ذلك في تشتّت الثروة النفطية التي هي عصب الموارد الطبيعية في هذه المرحلة مع توقيف الموسم السياحيّة وضعف الصناعات المحليّة المختلفة وانعدام مصادر تصريفها، وهو ما تسبّب في ضعف القدرة الشرائية عند الناس بالتزامن مع التدهور السريع للعملة المحليّة وفقدان قيمتها والذي أثار الخوف عند أصحاب رؤوس الأموال، وهو ما دفعهم لتهريبها خارج البلد لتشغيلها وضمان الحفاظ عليها.

٤. التداعيات الاجتماعية

لا شك أنّ المتأمّل في الشأن السوري من أول نظرة له سيشاهد عِظَم الكارثة التي حلّت بالبلد جراء إجرام النظام الأسدِي وحلفائه الغزاة من قصفِ للممتلكات وتدمير للمشافي والمدارس والجامعات والبني التحتية والمرافق العامة ودور العبادات.



والعمل على تهجير المواطنين من قراهم وبلداتهم بالتشبيح والتسلیح والتهديد حتى بات أكثر من نصف سكان البلد بين لاجئ يستعطف العالم ونازح يحتاج لأدنى مقومات الحياة، فضلاً عن أكثر من مليوني ثائرٍ بين شهيدٍ وجريحٍ ومعاقٍ وسجينٍ ومفقودٍ، وما يتبع لهم من نساء وأطفالٍ وشيوخ يعيشون حالة الحاجة والعوز تحت خط الفقر مع انتشار البطالة وقد انعدام فرص العمل.



سيناريوهات الحل في الأزمات

ما من صراعٍ داخليٍّ أو خارجيٍّ طال أمده أو قصر إلا وسينتهي بحلولٍ مناسبةٍ لحالة الصراع والتي تختلف في طبيعتها لأكثر من سيناريو، ولعلَّي أذكر بعض السيناريوهات المحتملة لنهاية الصراعات ثم نعرِّج على الوضع الميداني في الساحة السورية ونرجح السيناريو المحتمل للخروج من الأزمة:

١. **الصراعُ الصُّفْرِي:** ويعني انتصارُ أحد الطرفين على الآخر بالجسم العسكري وفرض شروطه وتحقيق النتائج التي عمل من أجلها مع إقراره واعتراف الخصم بالهزيمة.

وفي الثورة السورية لم يتمكَّن أحد الطرفين من تحقيق النصر على الآخر (ما يعني أنَّ الصراع في سوريا ليس صُفْرِيًّا).

٢. **الصراعُ التَّنافِسي:** ويعني فشل أيٍّ من الأطراف في حسم الصراع وتحقيق الانتصار لصالحه، وهنا يمكن للجهود السياسية أن تلعب دوراً في إيجاد حلٍّ سياسيٍّ تتوافق عليه أطراف الصراع، على سبيل التعايش السلمي، وغالباً ما يكون ذاك الحل في حال حدوثه هشاً في بنيته ولا يستمر طويلاً لتعود حالة الفوضى والصراع من جديد وإلى مزيدٍ من الدماء والأشلاء والاستنزاف العام الذي قد يدفع إلى السيناريو الثالث.

وفي الثورة السورية لم يتمكَّن السياسيون من التوافق على حلٍّ يرضي جميع الأطراف (ما يعني أنَّ الصراع في سوريا ليس تنافسيًّا).

٣. **التَّقْسِيم:** عند العجز العسكري والتَّعَثُّر السياسي في حلِّ الأزمات ووصولها للطريق المسدود، مع الاستنزاف المستمر للموارد والطاقة والكافئات والفعاليات من جميع الأطراف، ومع ضرورة إيجاد الحلول، فقد يكون التقسيم الداخلي (فيدرالي حكم ذاتي أو مؤقت) للبلد هو أنساب الحلول الذي يخرجهم من ساحة الدماء على مبدأ: (لا غالب ولا مغلوب).



مع توافق الدول الكبرى المؤثرة في أطراف الصراع وتأييدها لذلك، علمًاً أنّ التبعات التي تترتب على هذا الحل صعبةٌ من حيث تمزيق البلد وتشتّته وسهولة ابتزازه والسيطرة عليه والتحكم به، وسهولة إثارة النزاعات فيه، لكنَّه الأمر الذي يفرضه الواقع المؤلم في حال التوافق عليه.

٤. الصراع المفتوح أو طويُل الأمد: وذلك عند فشل كلِّ الحلول السابقة التي من شأنها أن تنهي الأزمة أو تخفّف منها، وغالبًاً ما يكون عند تدخل الدول الكبرى صاحبة الأجندة والمصالح الخاصة، حيث يختفي دور الأطراف الأساسية في الصراع وتخرج الأمور من أيديها وتصبح بأيدي الأطراف الإقليمية أو الدولية، فتصبح القرارات رهينة تلك الدول، والذي من شأنه أن يطيل أمد الثورة لسنواتٍ وسنواتٍ مع وضع آلياتٍ للحل قد تكون شاملة: ضمن اتفاقاتٍ محلية بمراقبة دولية.

جزئية: تعالج أماكن التوتر أولاً بأولٍ وتلزمها باتفاقياتٍ تفاهمٍ بعد أن تضمن مصالحها المرجوة (كبيع السلاح، وإهلاك البلد، والقضاء على الجيل، والتخلف والتجهيز، وسهولة السيطرة والتحكم)، وضمان دفع المخاطر المحتملة التي قد تترتب من ذلك.

ولعلَّ من الأسباب الرئيسية لإطالة عمر الثورة والتأخر في حلّها ما كان من التآمر الدولي البغيض لتحقيق مشاريعها ومصالحها كما ذكرنا آنفًا من خلال التمكّن والتحكم بخيرات البلاد ونهبها وضمان السيطرة عليها من خلال التمويُع المرحلي فيها بحجَّة محاربة التطرف والإرهاب الديني.

وكذلك ما كان من انعدام الحكم وغياب الحنكة في تعامل نُخبِ الثورة وقادتها وفشلهم في إدارتها مع استغلال بعضهم لتحويل الثورة لمشاريع فرديةٍ وحزبيةٍ بحتةٍ بعيدًاً عن مصالح الثورة وأهدافها.



الثورة السورية واحتمالات سبل الخروج منها

بعد التعرّف على طبيعة الصراع في الساحة الشامية؛ ومعرفة منشأ الأزمات ومنبعها؛ والاطلاع على حقيقة الموارد المتنوعة في سوريا؛ و مشاهدة اللهمث الدولي والسعى للحصول عليها ؛ تظهر الدوافع الحقيقية للتقاءس الدولي تجاه الأزمة السورية والتباطؤ في حلها، ويبدو واضحاً أنَّ الحلول التي تُسَيِّرُ إلَيْها الثورة السورية هي الحلول الطويلة الأمد والتي قد تأخذ المنحى الجزئي والتدرج في حلّها ابتداءً من المناطق الشديدة التوتّر حتى تنتهي بالبلد كلهما مع تغييرٍ في الأنظمة والدساتير التي من شأنها أن تقرب المسافات بين الأطراف وتخرج بحكومةٍ توافقيةٍ ليس للأسد ولا لزمرته نصيبٍ منها، بضمانتِ وإشرافٍ دوليٍّ، وهذا لن يكون كما ذكرنا في مدةٍ قصيرةٍ كما نأمل، وبذلك يكون قد تحقق الاستنزافُ البشريُّ والماليُّ مع المكاسب الخاصة لكلِّ الأطراف الدولية ذات العلاقة، وتبقى سوريا ضعيفةً منهكةً لا تستطيع اللحاق بركب الحضارة لعشرات السنين بعد أن تدخل في مستنقع إعادة الإعمار وغيرها مما لحق بالثورة.

كان هذا الترجيح عند استبعاد الجسم العسكري لأيِّ طرفٍ على الآخر، ولوجود التباين الكبير بين الأطراف الدولية في بعض النقاط الجوهرية: (بشار الأسد ونظامه إيران وميليشياتها المعتقلين والمفقودين اللاجئين والمهجرين إعادة الإعمار) والتي كانت وما زالت مثار خلافٍ وجدلٍ في الأروقة الدولية، وكذلك استبعاد التقسيم الجغرافي بشكله الحقيقي للبلد في المرحلة الحالية على الأقل، ما يرجح الحلَّ الجزئيَّ والمرحلِيَّ المتدرج والاستقرار المدني والذي تتحكم بآليات تطبيقه الدولُ الكبرى ذاتُ المصالح والمطامع.





الفصل الخامس

الثورة السورية فضاءٌ واسعٌ وغيمٌ متلبدةٌ

الفصل الخامس بعنوان:

« الواقع السوري فضاءٌ واسعٌ وغيمٌ متلبدةٌ »

حيث إنَّ الثورة السورية وهي جزءٌ من الجانب العسكري والسياسي والميداني للواقع السوري الكامل الذي لا يمكن تجاهله، فكان لا بدَّ من التَّكلُّم عن بقية الملفَّات المهمَّة في الواقع السوري العام كالتعليم، والقضاء، والصَّحة، والدفاع المدني، وشؤون المرأة، والمنظَّمات العاملة في الساحة .

وفي هذا الفصل ستَّة مباحث، هي:

تمهيد

الواقع السوري فضاءٌ واسعٌ وغيمٌ متلبدةٌ

المبحث الأول

التعليم في المناطق المحررة (آلامٌ وأمال)



المبحث الثاني

القضاء في المناطق المحرّرة

المبحث الثالث

الملف الصحي في المناطق المحرّرة

المبحث الرابع

الدفاع المدني والتكافل الاجتماعي في الثورة السورية

المبحث الخامس

دور المرأة في الثورة السورية

المبحث السادس

المنظمات العاملة في الساحة السورية وأدوارها المتباعدة



تمهيد

الواقع السوريُّ فضاءً واسعًّا وغِيُومًّا متلبدة

استعرضتُ في الأبحاث السابقة من هذا الكتاب المجال العسكريَّ في الساحة السورية بشكلٍ خاصٍ وما اعترضها من منغصاتٍ ومعوقاتٍ كثيرةً ومختلفة. ووُجِدَتْ من الضروري والمفید أن أتعرّض للكتابة في بعض المجالات الأخرى المهمة أيضًا (ولو بشكلٍ مختصرٍ)، والتي لا تقل أهميّةً عن غيرها مما تعرّض له هذا الشعب الحرّ الأبي من العقبات والنكبات الحياتية التي تهدّد سلامته صحته وعافيته، واستمرارَ معيشته وحياته، ورفعَة منزلته ومكانته في المجتمع وبين الأمم، لنرى كيف تعامل معها وتحمّل نكباتها وتغلب على عقباتها، فتجاوزها بنجاحٍ كما استطاع أن يواجه المدافع والصواريخ والطيران والأسلحة بكلّ أصنافها وألوانها وأشكالها ويتحمّلها ويُتغلب عليها أيضًا.

ولعلَّ من أهمِ تلك المجالات التعليميَّ الذي به ترقى الأمم إلى الذرا والقمم وتزداد ازدهاراً، وال المجال القضائيَّ الذي به يسود العدل ويعمَّ الأمن والخير، والمجال الصحيَّ الذي به تُحصَنُ الأجسامُ ويُقضى على الأوجاع والآلام والأسقام. كما لا بدَّ من كشف اللثام عن الأعمال العظيمة للجنود المجهولين وللأبطال الميمين الذي قدموا أرواحهم ليعيش غيرهم من رجال الدفاع المدني الذين ضربوا أروع الأمثلة، وقدّموا أفضل صور التعاون والتكافل الاجتماعي في وقت الأزمات الخانقة والظروف الصعبة القاسية.

وكذلك دور المرأة السورية في الثورة التي كانت وما تزال العصب الرئيس الذي يحرّك رجال الثورة ويدفعها إلى الأمام بكل ثباتٍ وثقةٍ ويقين لسمو أهدافهم ونبُل ثوابتهم ورفعَة غايتها في الدنيا والآخرة.



كما لا بدّ من الإضاءة على عمل المنظمات الإنسانية وغيرها التي تزاحمت في الساحة السورية لتقديم ما تستطيع لهذا الشعب المنكوب ولتخفّف عنه بعض مصائبها وألامه.

مجالاتٌ مهمّة كثيرة ومتنوّعة يجب العلم بها والاطلاع عليها والعمل لأجلها، لتكون رسالةً للأولاد والأحفاد ونبيساً للأجيال وللأمم بأنّ الأمة التي تحمل همّاً وأمانةً ومسؤوليةً، وتملك العزيمة والإرادة والإيمان ستصل إلى أهدافها المرجوة وستنال غايتها النبيلة، وترتقي ببنائها في فضاء العلم والمعرفة والازدهار، ولتضع بصماتها الطيبة في ربوع الأمم وسيادة الشعوب.

ولعلي أبدأ الكلام في المجال التعليمي وما انتابه من تحدياتٍ قاهرةٍ، وكيف كان التعامل في التخفيف من المعاناة التعليمية وأعباءها بما يبعث الأمل في النفوس ويعيد المجد لأهله بعد أن اختطفته يد الغدر من أمم الكفر والضلال.



المبحث الأول

التعليم في المناطق المحررة (آلامُ وأمالُ)

مما لا شكَّ فيه ولا ريب أنَّ رقَّ الأمم ونهضتها وتقدُّمها يتمثَّل فيما تصل إليه من علمٍ وثقافةٍ ومعرفةٍ وحضارةٍ تحقِّق الأهدافَ المرجوةَ وتلبِّي الاحتياجاتِ والآمالَ والطموحات النبيلةَ.

فبالعلم ترتقي الأمم، وبه تنموا الحضارات، وتنبت النهضات وبنوره تهتدي الأجيال، وتقتحم ميادين التقدُّم والازدهار. وما من أمةٍ ذات صيتها وعمرت لقرونٍ إلَّا تركت آثاراً مشرقةً في العلم والحضارة. وما من أمةٍ طغى فيها الجهل إلَّا ساد فيها الفساد والفووضى والانحراف، وصدق من قال:

العلم يبني بيوتاً لا يهدم بيت العز والكرم

وبنظرةٍ بسيطةٍ إلى الساحة السورية وما مورس عليها من إجرامٍ همجيٍّ بكلِّ ما تعنيه الكلمةُ من معانٍ لقتل روح الحياة عند أهلها وإخضاعهم لحياة الذل والقهر والتشرد بعيداً عن العلم والمعرفة بشكٍّ مباشرٍ وغير مباشر لينشاً الجيل الذي تربَّى بين أنانيَّ الفقرِ وال الحاجةِ والجهلِ والفسادِ والانحرافِ، فيسهل التحكُّم به والسيطرة عليه.

ومن أهم التحديات التي أصابت الساحة السورية في المجال التعليمي وكانت من أسباب ترديه من جميع جوانبه ما يلي:

1. الاعتقالاتُ التعسفيةُ التي طالت النُّخبَ السورية والكفاءاتُ الفاعلةُ وخاصةً المدرسين منهم من قِبَلِ النظام الأسدِيِّ المجرم الذي يعتبرهم وراء المظاهرات الرافضة لحكمه والموجهين للطلاب فضلاً عن الحاضنة الشعبية التي تأتمر بأمرهم و تستجيب لذرائعهم.



حيث تم اعتقال الآلاف من المدرسين والكتفاءات والفاعليات التي كانت تملأ الفراغ التعليمي في المدن والقرى السورية الرافضة لحكم الأسد ونظامه المجرم.

٢. حالات النزوح التي تمثلت بتشريد آلاف القرى والبلدات في مناطق الشمال إلى مناطق وبلدات أخرى في الشمال نفسه بسبب القصف الهمجي من المحتل الروسي والنظام الأسدية المجرم ... والتهجير القسري الذي تمثل في إجبار أهالي الجنوب السوري (حمص دمشق الغوطة درعا ..) والذي أُجبر إليه الناس قسراً وقهراً وعنوة ولم يترك لهم مجالاً لشيء، فأصبح الناس يسعون لتأمين مكانٍ يؤمنهم ويعوّلهم بالمقام الأول.

٣. قلة الكفاءات والطاقات العلمية المختصة في المناطق المحررة نظراً لانخراط بعضهم في العسكرية مع إخوانهم على جهات القتال وارتباط بعضهم بالعمل في المنظمات والهيئات المتنوعة وهجرة بعضهم إلى الخارج لإكمال تعليمه وإقصاء بعضهم عن سلك التعليم لأسبابٍ فكريةٍ ومنهجيةٍ أحياناً أو لأسبابٍ أخرى.

٤. عدم وجود الرواتب الشهرية أو المنح الكافية للمدرسين المتفرّجين في ظلّ انعدام مصادر دخلٍ تكفي أسرهم وعيالهم ذلّ الحاجة والسؤال، وهو ما أدى لسعى الكثير منهم للبحث عن عملٍ يسدّ حاجته ويكيّفي أسرته.

٥. القصفُ الممنهج الذي استهدف المدارس والمؤسسات التعليمية والطلاب لمنعهم من الذهاب إلى مدارسهم، حيث نتج عنه عدم توفر الأمكنة الآمنة واللائقة والمناسبة للتعليم في ظلّ القصف الهمجي المتواصل الذي دمر أكثر من (٢٤٠٠) مدرسة، وخاصةً مع ازدياد أعداد الطلاب الذين تهّجروا وتجمّعوا في مكانٍ واحدٍ يعجز عن استيعابهم، فضلاً عن استهداف المشافي والمنشآت والمراافق العامة وتدميرها كلياً أو جزئياً.



٦. فقدانُ الأمان عند الأهالي وشعورهم بالخوف على أبنائهم الذين قد يموتون بالقصف الهمجي الذي يستهدف الحجر والشجر والبشر كما حصل لمائات الطلاب في عشرات المدارس التي تهدمت على رؤوس طلابها، وهذا ما كان سبباً في عدم إرسالهم إلى أي مكان.
٧. حالة العوز التي وصل إليها الناس والحاجة الماسة للمال عند معظم الناس وهو ما اضطرهم لإرسال أولادهم للعمل وكسب المال ومساعدتهم في الإنفاق على الأسرة، وكل ذلك على حساب العلم والتعليم.
٨. سوء الحالة الاقتصادية في المناطق المحررة الذي انعكس سلباً على الناس، فلا موارد تكفي المستلزمات، ولا فرص عملٍ تسد الحاجات، وهذا يعني العجز عن تأمين الكتب المدرسية ومستلزمات التعليم في ظل تلك الظروف القاسية.
٩. ازدياد عدد الطلاب المتسرّبين عن المدارس والمنقطعين عن الدراسة لسنوات، وهي نسبة كبيرةٌ تزداد نسبتها بازدياد المرحلة الدراسية لتصل لأكثر من ٧٠٪ وخاصةً في المناطق التي سيطرت عليها داعش ومنعت التعليم بعد مرحلة التعليم الأساسي، وهذا ما يستدعي إيجاد مناهج خاصةً لتلك الفئة مع مدرسين مختصين يستطيعون تعويض ما فاتهم من علمٍ ومعرفةٍ في سنوات انقطاعهم.
١٠. رفض المنظمات العاملة في الساحة السورية لدعم المدارس وترميمها وتوجهها إلى المجال الإغاثي والإنساني واستقطاب الكفاءات العلمية المختصة وتحويلهم إلى موظفين بعيداً عن العلم والتعليم.
١١. عدم توفر البديل التعليمي لجميع الفئات التعليمية في ظل مرض كورونا الذي أصاب الساحة في هذه المرحلة كلّها بالرغم من انتشار بعض المنصات التعليمية التي قد تخفّف شيئاً يسيراً لكنّها غير كافيةٌ لعجز الكثير من الطلاب عن تأمين النت وتكليفه على الدوام.



ومع كلّ هذه الظروفِ القاهرةِ والتحدياتِ القاسيةِ التي أحاطت بالمناطقِ المحرّرة وأهلها لِتُصْبِّيْقَ علَمَها أبوابَ العلمِ والمعرفةِ.

ففي العامِ الأولِ من الثورةِ /٢٠١١ - ٢٠١٢م / انقطع التعليم بمدارسنا بنسبةٍ تزيدُ على ٩٠٪ بسبب اعتقالاتِ النظامِ الأسدِيِّ المجرمِ العشوائيةِ والتعسفيةِ للمدرسينِ والنشطاءِ والإداريينِ وملاحقتهم، ثم سرعانَ ما تداعى العقلاءُ واستدركوا خطورةَ الأمرِ من خلالِ الثقةِ بالنفسِ واليقينِ بضرورةِ العلمِ وحاجةِ المجتمعِ إليهِ مع الإرادةِ والتصميمِ الذي امتلكهُ هذا الشعبُ الأبيُّ الذي أبى إلّا أن يبقى ساماً شامخاً في فضاءِ العلمِ والحضارةِ ويتحدى كلَّ العقباتِ والصعوباتِ، فعادوا إلى متابعةِ التعلمِ والدراسةِ بعدَ هذا الانقطاعِ بشكلٍ تدريجيٍ ابتداءً من المدارسِ المتواضعةِ في المخيماتِ وأقبيةِ المبنيِ وانتهاءً بصناعةِ العقولِ والمفكرينِ في الأكاديمياتِ والجامعاتِ.

كلَ ذلكَ من خلالِ مبادراتٍ لأصحابِ الهمِ والهمةِ والمسؤوليةِ الذينَ بادروا بخطواتٍ تمثّلُ بما يلي:

١. بناءُ الخيمِ المتواضعةِ التي تؤوي بعضَ الأطفالِ لتعليمِهم أبسطِ الأمور التعليميةِ بدايةً رغمِ فقدانِ المقاعدِ الدراسيةِ ومعظمِ المستلزماتِ الدراسيةِ.
٢. ترميمِ ما يمكن ترميمهِ مما بقيَ من مدارسٍ لم تهدمْ بكلّيتها لتستوعبَ مزيداً منَ الأطفالِ.
٣. الحملاتِ الشعبيةِ الكثيرةِ التي ساعدتَ في دعمِ التعليمِ بحدّهِ الأدنى من أهلِ الخيرِ منِ السوريينِ المغتربينِ.
٤. المبادرةِ من قِبَلِ الجمعياتِ والهيئاتِ والمجالسِ المحليةِ في القرى والمخيماتِ وإنشاءِ مراكزِ تعليمٍ أساسِيٍّ ضمنِ الإمكانياتِ المتواضعةِ والمتوفرةِ بالتعاونِ المشتركِ مع بعضِ المتطوّعينِ لإنقاذِ أطفالنا منِ براثنِ الجهلِ والضياعِ.



٥. الحرص الشديد من قبل أهالي الطلاب على المتابعة الحثيثة لأبنائهم لمتابعة العلم والدورات العلمية التي يقوم بها بعض المدرسين حسبهً لله تعالى.
 ٦. الاهتمام بتعليم ذوي الحاجات الخاصة وإقامة دوراتٍ علميةٍ تتناسب مع وضعهم.
 ٧. السعي لتأمين البديل العلمي للطلاب في ظل انتشار مرض كورونا من خلال الدراسة عن بُعد والذي أتاح مجالاً كبيراً لفئةٍ ليست بالقليلة ممّن يريدون متابعة الدراسة العلمية الأكاديمية عبر منصات فتحت أمامهم أبواباً عريضةً للدخول في عالم الإنترن特 ووسيّع من الآفاق العلمية لدى الأطفال فضلاً عن الكبار.
 ٨. صحيحٌ أنَّ نسبة التسرب المدرسي كانت كبيرةً في سنوات الثورة الأولى للأسباب التي ذكرت آنفًا إِلَّا أنَّ أعداد الطلاب الملتحقين بالمدارس ازدادت، بشكلٍ ملحوظ وباهتمام أكبر وخاصة في السنوات الخمس الأخيرة من الثورة والتي شهدت تفاعلاً كبيراً من الطلاب والأهالي وتعاون بعض المنظمات الخاصة التي لم تألُ جهداً في تقديم ما تستطيع من لوازم وحاجيات ورواتب للمدرسين.
- ومن خلال تلك الجهود الداعمة وهذه الهمم العالية عند أبنائنا فقد شهدت الساحة السورية تخرجآلاف الطلاب من الجامعات بجميع فروعها واحتياجاتها فضلاً عن عشرات الآلاف من حملة الشهادة الثانوية وأكثر منهم من حملة الشهادة الإعدادية.



ومن فضل الله تعالى وكرمه فقد أنشئت أكثر من عشر جامعاتٍ بكل الاختصاصات العلمية العامة منها والخاصة، وكانت جامعة حلب الحرة أم تلك الجامعات وأسasها والتي أعيد تأسيسها والعمل بها عام ٢٠١٥م، وكانت الدفعة الأولى لطلابها الخريجين عام ٢٠٢٠م، في جميع الفروع والاختصاصات العلمية الذين نزلوا لميدان العمل ورفدوا المناطق المحررة بالكفاءات العلمية مع إخوانهم العاملين.

وكذلك فقد أنشئت عشرات المعاهد التعليمية والمهنية، لتخرج الطاقات والمدرسين وأصحاب المهن والخبرة والمعرفة.

التعليم العالي (أشواكٌ وورودٌ)

لم يكن التعليم العالي بمنأى عن العقبات والتحديات أمام الخريجين الذين اجتازوا المرحلة الجامعية بكل تبعاتها الثقيلة لتعترضهم نفس التحديات السابقة بل قد تزيد عليها والتي يمكن أن نلخصها ببعض النقاط:

١. التكاليف المالية الكبيرة التي قد لا تتوفر للجميع في ظروف الحرب التي يعيشها الطلاب وخاصة العوائل التي تضم أكثر من طالبٍ في البيت الواحد.

٢. عدم توفر فرص العمل الكافية والتي من شأنها تخفيف العبء المادي اللازم للأسرة، في الوقت الذي تشكل الأعباء المالية أكبر عائقٍ في الجامعات أمام طلاب العلم.

٣. نقص الكفاءات من الدكتورة وأهل الاختصاص وهجرة الكثير منهم للعمل خارجاً لعدم كفاية أسرهم مع ضعف الموارد وانعدامها أحياناً.

٤. عدم كمالية المناهج الجامعية الاختصاصية لكل الفروع واعتمادها ضمن



المعايير الدولية التي من شأنها رفع مستوى الكفاءات العلمية والذخيرة المستقبلية التي تنهض بالأمة في مجالات العلم والتقدم والازدهار.

٥. من الأمور التي تعتبر تحدياً كبيراً أمام الطلاب الخريجين من الجامعات هو عدم الاعتراف الدولي بالشهادة الجامعية وهو ما يشكل عائقاً أمام البعض الذي لا يرى تحقق حلمه الذي كان يصبو إليه علمًا أنه يمكن له أن يعمل ضمن بلده في اختصاصه الذي تخرج منه، لكنه طموح الطالب الذي يسعى للمزيد.

لابد من لفت الانتباه إلى أن الجامعات ليست بمستوى واحدٍ من التعامل والزّاهة والأهداف التي أُنشئت من أجلها، وهو أمرٌ طبيعيٌ في ميادين العلوم وغيرها مما يحمل روح التنافس في مسيرة الحياة، ويمكن لي أن أقسام الجامعات في المناطق المحررة إلى قسمين:

أ- قسمٌ خدمي

ويتمثل بالجامعات الحكومية وبعض الجامعات الخيرية التطوعية حيث تعمل من أجل خدمة المجتمع ورفع مستويات أبنائه العلمية والثقافية والمهنية، وتقوم على متابعتها شخصياتٌ عامةٌ من أهل الخير والعلم والأمانة في البلد.

ب- قسمٌ نفعي

ويتمثل بالجامعات الخاصة التي تعمل لكسب المال بالدرجة الأولى من خلال رسومها الكبيرة التي تفرضها على الطلاب، ويقوم على متابعتها أنسٌ نفعيون لا يهمّهم مصلحةُ الطالب، وأكثرُ ما يهمّهم كسب المال.

ومن جميل ما يُذكر في المجال التعليمي أنَّ أهل الخير والأمانة والمسؤولية



لم ينسوا أبناء الشهداء الذين قد لا يتمكنون من متابعة الدراسة وتحمل تبعاتها المادية بعد استشهاد آبائهم فسارعوا لإقامة مدارس خاصة ضمتآلافاً من الطلاب والطالبات تُعنى ببناء الشهداء وتتكلّلوا بكلّ ما يحتاجونه في كلّ مراحل دراستهم الثانوية والجامعة، فملؤوا لهم فراغ الأبوة إلى حدٍ كبيرٍ، وكفوفهم ذلَّ الحاجة لنيل مرادهم وتحصيلهم العلمي حتى بتنا نرى المئات منهم وقد تقلّدوا أوسمة الفوز والنجاح، وتسليموا الإجازات الجامعية، وما زالوا سائرين ثابتين في طرق العلم والمعرفة ليكونوا من الكفاءات الفاعلة في بناء هذه الأمة.

وأمّا على مستوى المعاهد الشرعية فقد شهدت المناطقُ المحررة قفزاتٍ كبيرةً في مجال تحفيظ القرآن الكريم، واستُخدمت البيوتُ والخيمُ والأقبيةُ والمساجدُ وامتلأت بحلقات القرآن حسبةً لله سبحانه ثم تطوّرت شيئاً فشيئاً، وتتكلّل أهل السّعة والفضل في دعمها فضلاً عن المنظمات الخيريّة، فانتشرت المعاهدُ الشرعيةُ بجميع علومها وكلّ فروعها واحتصاصاتها حتى أصبحت المناطقُ المحررة كأنّها خلايا النّحل العاملة على الدّوام المصنّعة للشّراب النافع الشافي بما تخرّجه من أطفالٍ وفتياً تربّوا في المساجد وترعرعوا على حبِّ القرآن وحفظه.

وما زالت مواكب الحفاظ تمضي في طرق العلوم الشرعية لتخّرج عشرات الآلاف من الرجال، وتصنّع منهم الأبطال الذين سيحملون على أكتافهم أمانة هذه الأمة، وسيكونون الرواحل التي ستسيّر بها إلى حيث العزة والكرامة.

وأخيراً بالرغم من كلّ ما سبق من تحدياتٍ وصعوباتٍ مختلفةٍ ومتعددةٍ فقد



كانت النتائج والثمرات رائعةً بما أفرزت من كفاءاتٍ علميةٍ رفدت المؤسساتِ العاملة والمدارس المحتاجة والمجالس الناظمة لشؤون الناس فضلاً عن تصدر الساحاتِ السياسية والقنواتِ الفضائية من إبداعاتهم وثمرات جهودهم على المستوى المحلي والدولي.

وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على قوّة الإرادة والعزمية عند هذا الشعب الحرّ الأبيّ ووضوح الهدف ونبله عندهم مع امتلاك الهمّة والثبات والإصرار على العلم والمعرفة والإبداع.

وهكذا فإنّ شعراً خرج ضدّ أقدر نظام مجرّم وحكم مستبدّ عرفته البشرية، فصبر على آلامه، وثبت على مبادئه وأهدافه، وتجاوز كلّ التحدّيات قادرٌ على أن يتكيّف مع الظروف الصعبة المختلفة، ويبني أمجاده، ويصنع حضارته، ويحقق آماله من خلال العلم في كلّ مجالاته واحتصاصاته وكلّ أبوابه.



المبحث الثاني

القضاء في المناطق المحررة

لم يكن مجال العمل القضائي وما يلحق به بمعزل عن غيره من مجالات الحياة ومستلزماتها منذ بداية الثورة السورية المباركة، فما إن انطلقت الثورة بداية عام ٢٠١١ م حتى ظهرت الحاجة الماسّة لوجود كيان أو سلطة تعنى برد المظالم وإعادة الحقوق لأصحابها والضرب على أيدي الظلمة وردع الخارجين على القانون والدين والأخلاق وإعادتهم لجادة الصواب والطريق السوي القويم، وخصوصاً في المناطق التي تحررت من رحمة النظام الأسدية المجرم.

بعد الانتفاضات الشعبية والظاهرات السلمية الرافضة له ولفساده، بعد تحرر تلك المناطق برزت الحاجة لسد الفراغ في المجال القضائي وما يلحق به من أدوات ووسائل لضبط الفوضى وزرع الأمن في المجتمع، وحتى لا يفسح المجال لأصحاب النفوس الضعيفة ممن امتطوا الثورة وساروا في ركابها، واستخدموها مطيّة للتفلت الأخلاقي وأداة لاغتصاب الممتلكات والتسلّط على الأرزاق والاعتداء على حقوق الناس وأملاكهم في ظل غياب رادع يردعهم، فكان لا بد من تسليط سيف القضاء على رقاب تلك الفئة والعمل على رفع الظلم وتحقيق العدل الذي هو مطلب الجميع وأساس رئيس من أسس ديننا الحنيف.



المحاكمُ ومقدارُها وضرورَةُ وجودِها

لا شكّ أنّ القضاء في المناطق المحرّرة يعتبر قضاءً استثنائياً، للضرورة التي يفرضها الواقع، وهذا يستوجب عدم الاستهانة به وعدم التغافل عنه وعن مستلزماته، فالمجتمع الذي تغيب عنه العدالة مهدّد بالعواقب الوخيمة التي قد تنزل به فتهلكه وتقضي عليه، ولهذا فقد حضّ عليه ديننا الحنيف، فجاءت الشريعة الغراء بمقاصدها العظيمة لتضمن للأمة المسلمة حياةً آمنةً حرّةً كريمةً ملؤها السعادة والأمان.

وإذا كان هذا في المجتمعات المستقرّة فإنّه في غيرها من بابٍ أولى وخصوصاً المجتمعات التي أكّرمت بمنهجٍ ربانيٍ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولعلَّ من أهمِ الدوافع التي تستوجب قيام المؤسسات القضائية والحقوقية لتحكيم شرع الله ما يأتي:

١. رفع الظلم وردع الظلّمة عن ظلمهم وقطع الطرق أمامهم من استغلال المستضعفين من الناس بعدما حمل بعضهم السلاح واستخدمه بغير حقّه فتحوّل مجرمٍ وقاطع طريق.
٢. رد الحقوق والأموال المنهوبة والممتلكات المغتصبة والماخوذة بأساليب منحرفةٍ إلى أهلها وأصحابها الحقيقيين.
٣. زرع الأمان والأمان في نفوس الناس الذين لا يتجرّون على رفع دعاوى أو تقديم شكاوى ضد رؤوس الفساد.
٤. إقامة العدل بين الناس؛ لأنّه بوابةً لأمن المجتمع واستقراره وطمأنينةً لأفراده ورفعهُ لمكانة الدولة بين الأمم؛ فإنَّ الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرةً ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة.
٥. ضرورة الفصل في النزاعات والبتّ في الخصومات المجتمعية التي لا تتوافر غالباً بشكلٍ متكاملٍ إلا في المحاكم القضائية.



٦. حاجة الناس في تسيير أمورهم ومصالحهم الحياتية من معاملات البيوع المختلفة وعقود الزواج والطلاق وغيرها من المعاملات المستعجلة التي لا تحتمل المماطلة ولا التأخير، إضافةً إلى دوائر «الكاتب بالعدل» لتنظيم الوكالات وتوثيق الحقوق وترتيب المواريث.

كل ذلك يجعل من إقامة القضاء ضرورةً مهمةً وركيناً أساسياً في بناء مجتمعٍ آمنٍ سليمٍ يحفظ له حريته وكرامته ويؤمن له استقراره وأمنه.

ومن هنا إن حرر الثوار موقعَ جغرافيّةً من عصابات الأسد حتى بدؤوا بتنظيم الحياة المدنيّة، وذلك في نهاية ٢٠١١م ومطلع العام ٢٠١٢م، فاعتبروا بالتعليم وإقامة المؤسسات الخدميّة وإدارة المنظمات المجتمعية العاملة، ومن أهمها الفصل في الخصومات بين الناس، حيث كان قائدُ المجموعة الثورية هو من يحلُّ الخلافات ويفصل فيها، ثم بدأت بعض الفصائل الاستعانت بشريعيّين ليحكموا بين الناس في خلافاتهم وشأنون حياتهم، ثم تطور ذلك ليصبح مكتباً قضائياً يأخذ شكل المحكمة في أماكن وجود الفصائل.

أدى تعدد المكاتب القضائية إلى التباين والاختلاف في الفتوى والأحكام التي تصدر ويتم تنفيذها من قبل الفصائل العسكريّة (لكونها القوة التنفيذية للمحكمة) حيث كان لذاك الأمر آثاراً سلبيّةً بما خلّفه من الأحقاد والأضغان في النفوس التي لن تنتهي بسنوات.

تأسّس مجلس القضاء الموحد في حلب عام ٢٠١٢م بعد تحرير بعض مناطقها، واعتمد القانون العربي الموحد كمرجع قضائيٍّ له، وكان من بين أعضائه الدكتور إبراهيم شاشو إلا أن ذلك المجلس لم يكن قادرًا على تسيير الأمور لعدم وجود قوّة عسكريّة تدعمه، مما أدى لظهور بعض المحاكم التي تعتمد على الفصائل.



فكان أن نشأت أولٌ محاكمٌ في منطقة السكري بمدينة حلب في منتصف عام ٢٠١٢ م، تعتمد في قوتها على حركة أحرار الشام الإسلامية، وكان على رأسها الشيخ مجد السعيد أبو عابد – تقبله الله ثم تداعت الفصائل الكبرى في حلب بعد ذلك - (جبهة النصرة وأحرار الشام وصقور الشام ولواء التوحيد) وتوافقت على تشكيل هيئةٍ شرعيةٍ موحدٍ منعاً للتعارض في الأحكام وضرورة تنفيذها في كلّ مدينة حلب، واتفقت على تناوب الفصائل في رئاستها وتسيير شؤونها، (كُلُّ فصيلٍ ستة أشهر)، وتبعـت لهـذه الـهـيـئة مـحاـكـم فـرعـيـة في عـدـدـ منـ المـنـاطـقـ المـحـرـرـةـ التـابـعـةـ لمـديـنـةـ حـلـبـ كالـحـاضـرـ إـعـزـازـ،ـ وـصـورـانـ إـعـزـازـ،ـ وـحـريـتانـ،ـ وـغـيرـهـاـ.

الجدير بالذكر أنَّ تلك المحكمة اعتمدت الشريعة الإسلامية في قضاها دون تقنين، حيث لم تعتمد على مرجعيةٍ قانونيةٍ (مكتوبة)، فكان القاضي الشرعي هو القاضي المجتهد في القضايا حسب تحصيله للعلم الشرعي، وفهم أصوله وقواعده، وتميزت المحكمة حينها بوجود درجاتٍ للتقاضي (محكمة البداية والاستئناف والتمييز)، وقويت تلك المحكمة المشكّلة في مشفى العيون بحلب بسبب دعم الفصائل القوية لها مما أضعف مجلس القضاء الموحد. واتساع أداء هيئة العيون ليشمل الأمور الخدمية، بالإضافة إلى القضاء، واكتسبت حاضنةً شعبيةً كبيرة، ثم حدثت بعض الإشكالات أدت إلى تعليق عمل مندوبى صقور الشام حتى منتصف ٢٠١٤ م، حيث انسحبـت جـبـهـةـ الـنـصـرـةـ منهاـ لـتـشـكـلـ قـضـاءـ خـاصـاـ بـهـاـ.

انسحبـت جـبـهـةـ الـنـصـرـةـ منهاـ،ـ وـخـلـفـتـ فـرـاغـاـ قـضـائـاـ وـإـدارـيـاـ كـبـيرـاـ،ـ فـسـارـعـتـ الـهـيـئةـ الـرـبـاعـيـةـ لـسـدـ ذـلـكـ الفـرـاغـ بـتـعـيـنـ الدـكـتـورـ إـبرـاهـيمـ شـاشـوـ،ـ وـالـذـيـ كـانـ يـعـملـ فيـ مـجـلـسـ القـضـاءـ الـموـحدـيـسـاـ لـمـجـلـسـ القـضـاءـ فيـ هـيـئـةـ الـعـيـونـ لـإـعـادـةـ هـيـكلـةـ المـجـلـسـ كـامـلاـ.



بقيت هيئة العيون قائمةً على دعم الأحرار ولواء التوحيد لها، ولقد عمل مندوبو الفصائل جاهدين على ضم باقي الفصائل إليها، وأهمّها الزنكي، والذي اشترط على الهيئة الشرعية للدخول فيها أن تتحول الهيئة إلى محكمةٍ فقط، وتتجزّر من باقي الأعمال الخدمية مما حدا بالهيئة لقبول ذلك لتنقية المرجعية القضائية، فأعلنت عن حل جميع مكاتب الهيئة الشرعية، والإبقاء على المكتب القضائي بتاريخ ٢٣/٩/٢٠١٤م، وأطلق على المكون الجديد اسم «المحكمة الشرعية بحلب وريفها».

تداعى مندوبو الفصائل الكبرى الثلاثة: (الأحرار-التوحيد-الزنكي) إلى عقد عدّة لقاءاتٍ لاعتماد مرجعيةٍ شرعيةٍ مقتننةٍ للقضاء في محكمة حلب نتج عنها تشكيلٌ لجنةٍ سباعيةٍ للنظر في القانون العربي الموحد لاعتماده، ونبذ المواد المخالفة فيه للشريعة الإسلامية.

استشهد قادة أحرار الشام بتاريخ ٩/٩/٢٠١٤م، تقبلهم الله فَسَلَّمَ مندوبُ الحركة في حلب رئيسة المحكمة لمندوبٍ ولواء التوحيد لتسير أعمالها بسبب تلك الفاجعة العظيمة، وبذلك تكون الحركة قد ضعف أداؤها في المحكمة، وإن كانت لا تزال تشارك في القوّة التنفيذية مما أدى إلى استئثار مندوبٍ ولواء التوحيد بالمحكمة وقراراتها فعلياً، فعمدت المحكمة إلى استقطاب عددٍ من المشايخ، فبدؤوا بتعيين قضاةٍ وأضعين ضوابطٍ لهم لضمان المهنيّة في العمل، وأقيم معهدٌ للقضاء العالي لتدريب القضاة العاملين، واتخذوا مدينة عينتاب التركية مقراً له، وكانت تقام دوراتٌ قضائيةٌ للعاملين بال المجال القضائي، يشرف عليها مختصون ذوو كفاءةٍ عاليةٍ بالقانون والقضاء، كما تم إيفاد بعض العاملين في القضاء إلى دولة قطر الشقيقة للمشاركة بدوراتٍ قضائيةٍ تحت إشراف وزارة العدل القطرية، وأطلقوا على هذه المحكمة اسم القضاء الموحد.



ورغم ذلك كله كانت المحاكم المختلفة في ريف حلب وإدلب وريفها تعمل بكفاءة عالية كمحكمة بلدة مارع، وإعزاز، والباب، ومنبج وبلدة بنش وبلدة الحاضر جنوب حلب وسرمدا وغيرها من البلدات.

بدأ مجلس القضاء الأعلى بحلب يعمل بالتواصل والإشراف مع المحاكم الفرعية له في القرى والبلدات، (القاسمية، وكفرناها، وإعزاز، وقبتان الجبل ...) بعد أن أعاد ترتيب وتوسّع عمله إلى أماكن وجود فصائله: (لواء التوحيد وتجمّع فاستقم وجيش المجاهدين والزنكي)، واتخذوا من الريف الغربي لمدينة حلب مقراً رئيساً لأعضائها.

أمّا بالنسبة لداعش ففي عام ٢٠١٣ م ومع بداية ظهور ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) أنشأت محاكِم خاصةً لها، حيث تم استخدامها ضدّ معارضيها من الفصائل المقاتلة أكثر من مهمتها الأساسية من تحقيق العدالة بين الناس، إذ استخدمت من اسمها مطيةً وأداةً للوصول إلى الغاية الأساسية، فكان من أهمّ محاكمها المحكمة المركزية في مدينة الدانا التي تعتبر عاصمتها آنذاك.

كان هذا في مدينة حلب وريفها، وأمّا في مدينة إدلب فقد اجتمعت كبرى الفصائل العسكرية: (أحرار الشام والنصرة وصقور الشام وجيشه الإسلام - فيلق الشام، وفصائل أخرى كثيرة) على تأسيس محكمة كبيرة في بلدة بنش أسمتها الهيئة الإسلامية لإدارة المناطق المحررة تتبعها محاكِم فرعية كثيرة في مختلف أنحاء إدلب منها: محكمة سراقب، والدانا، ومعرة النعمان، وأريحا، وغيرها كثيرة.

استمرَّ العمل على هذا المنوال أشهرًا قليلةً ثمّ ما لبثت جبهة النصرة أن انسحب منها كما فعلت في حلب، وأنشأت محاكِم خاصةً لها، فاستقرَّ حال المحاكم في المحرر ضمن ثلاث مرجعيات:



الأولى: الهيئة الإسلامية ومقرّها الرئيس في بلدة بنش.

الثانية: مجلس القضاء الأعلى ومقرّه ريف حلب الغربي.

الثالثة: جهة النصرة ومركزها الرئيس في بلدة سرمندا.

استمرَّ الوضع على ما هو عليه حتَّى أواخر عام ٢٠١٧ م، حيث قامَت جهة النصرة بفرض سيطرتها على المنطقة برمتها وتوحيد العمل الإداري والقضائي بقيادتها، فألغت المحاكم التابعة لحركة أحرار الشام (الهيئة الإسلامية)، واستبدلتها بمحاكم تتبع لها، فأصبحت محاكم المحرر كلَّها بذلك تتبع لجهة النصرة ومجلس القضاء الأعلى في حلب.

في عام ٢٠١٨ م، كانت جهة النصرة والتي أصبح اسمها (هيئة تحرير الشام) تخطَّط للسيطرة على المحرر كله إدارياً وعسكرياً وأمنياً وتعليمياً، إذ لم يبقَ أمامها سوى فصيل الزنكي الذي يمكن أن ينافسها في إدارة المناطق المحررة، فقامت بإنهائه، والسيطرة على أماكن نفوذه، فأصبح المحرر كله تحت سيطرة هيئة تحرير الشام بإداراته المختلفة ومؤسساته الكاملة وبمحاكمه القضائية المتنوّعة.

كان هذا حال القضاء في الشمال المحرر من سوريا، وأمّا في الجنوب فلم يكن القضاء مختلفاً عنه في الشمال كما في مدينة حلب وإدلب وأريافهما، حيث سارع بعض أهل الخير والأمانة والمعرفة وأصحاب الرأي والمشورة لتشكيل مؤسسة قضائية مؤلفة من عدة محاكم لفض النزاعات وفصل الخصومات ورد المظالم وإعادة الحقوق إلى أصحابها ونشر العدل بين الناس بما يتوافق مع روح الشريعة الإسلامية الغراء، بعيداً عن المحسوبيات الشخصية والأجندة الدولية والضغوطات الحزبية والفصائلية.



فكانت دار العدل في حوران التي تشكلت بشكلٍ رسميٍ بتاريخ ٢٠١٤/١١/١، كمؤسسة قضائية مستقلة تعامل بمهنيةٍ ومصداقيةٍ لتزرع الثقة والاطمئنان، وتبعث الأمان والأمل في نفوس الناس من خلال سد الفراغ الذي أحدثه النظام المجرم، وال الحاجة الملحة لعملٍ قضائيٍ مستقلٍ في إطارٍ جامعٍ لكل الكيانات القضائية التي تسعى لذات الهدف، وقد تطور الأمر وتم التنسيق مع القضاء الموحد في الغوطة من دمشق باعتماد الكفاءات القضائية وتشكيل لجنة التطوير القضائي في الشهر التاسع من عام ٢٠١٥م، الذي كان له الأثر الطيب في رفع مستوى العمل القضائي ب مجالاته كافةً و اكماله من كل جوانبه القضائية، بالرغم من كل التحديات والعقبات التي اعترضت المؤسسة وهددت بقاءها واستمراريتها.

كان هذا العرض السريع لمسار العمل القضائي مختصراً في سياق توضيجه خلال فترة الثورة المباركة رغم وجود الكثير من المعوقات والعقبات التي اعترضتها في كل مساراتها والتي كان لها النصيب الأكبر في إعاقة نجاح تلك المؤسسة والتي تتجلى فيما يلي:

١. ضعف الإمكانيات المادية التي واجهت المؤسسة القضائية بكل مجالاتها من نفقاتٍ ومستحقاتٍ وو....
٢. ضعف الكفاءات العاملة في المجال القضائي ممّن لا يملكون المؤهلات والخبرات المطلوبة، وقلة الكفاءات المتخصصة التي تلبّي حاجات المحاكم المختلفة.
٣. عدم اعتماد قانونٍ خاصٍ ومرجعٍ قضائيٍ ثابتٍ يعود إليه القضاة عند إصدار أحكامهم بما يساعد المتدعين بالاستناد إليه عند مراجعتهم أمام المحاكم بقانونٍ ناظمٍ لإجراءات الدعاوى يضمن حسنَ سيرِ العملية القضائية.



٤. تعدد المرجعيات القضائية التابعة للفصائل (الراديكالية والجيش الحر) حيث إن بعض المحاكم تعتمد على اجتهد القاضي الذي يستعين بالقانون العربي الموحد تارةً والقانون السوري إضافة إلى الفقه والشريعة الإسلامية حسب توجّه الفصيل الذي تتبع له المحكمة. وهذا ما أدى إلى عدم الاطمئنان لقرارات بعض المحاكم وهروب بعض المحاكمين إلى محاكم أخرى.
٥. تصدر بعض طلاب العلم الشرعي ممّن لا يملكون المؤهلات القانونية والحقوقية لمنصب القضاة المتخصصين.
٦. صعوبة تبليغ المدعى عليهم وخاصةً الذين هم خارج سيطرة المحاكم المختصة، واستحالة تنفيذ الأحكام بهم عند صدورها بحقّهم.
٧. عدم القدرة على محاكمة من هم فوق القانون والمتناقضين من قادات الفصائل أو حتى طلبهم للمحاكمة عند الحاجة لذلك، وعدم انصياعهم للقرارات الصادرة بحقّهم عنها.
٨. عدم رقابة القضاء على السجون بحجّة الملفات الأمنية وظهور بعض حالات الاختفاء القسري أحياناً وعدم علم القضاة بها.
٩. فقدان استقلالية القضاء بشكلٍ تامٍ بسبب النفوذ الفصائلي الذي يسيطر على المحاكم ويتحكم بقراراتها إلى حدّ كبير.
- كثيرة هي العقبات التي تعيق العملية القضائية وتقاد تودي بالساحة إلى الفوضى والهلاك، وهذا ما يريده أعداؤنا المجرمون، ولذلك أمام هذا الوضع تداعى الكثير من أصحاب الهم والأمانة والمسؤولية من أصحاب الاختصاص فكانت المبادرات التي بدأت بشكلٍ متواضعٍ نظراً للظروف الصعبة التي تعيشها المناطق المحررة ثم تدرجت شيئاً فشيئاً حتى أخذت شكلها الرسمي.



ولعلّ من أهمِ المؤسسات الفاعلة في هذا الشأن (معاهد إعداد القضاة) في بلدة كفردريان من محافظة إدلب وما قدّمه من الجهود الكبيرة من خلال الدورات القضائية المكثفة والمستمرة لرفع مستوى المحامين والقضاة في الداخل السوري وفي تركيا الشقيقة، وهو ما زاد من المؤهلات والكفاءات القضائية وتحمّل الأمانة والمسؤولية وما رفدت به المحاكم بأعدادٍ كبيرةٍ في كلّ مجالات و اختصاصات العمل القضائي الذي أخذ خطأً بيانيًّا متصاعدًا للأفضل حتى فاقت تلك المحاكمُ محاكمَ النظام المجرم بكلِ المقاييس.

ولعليّ أوضح المراحل التي مرّ بها العمل القضائي خلال فترة الثورة المباركة ابتداءً من انطلاقتها:

١. منذ بداية الثورة وتحرير المناطق من النظام المجرم، تم تشكيل المخافر الثورية فيها وإدارتها من خلال بعض الضباط المنشقين عن النظام الأسدية المجرم من أصحاب الخبرة والاختصاص للحفاظ على الأمن والاستقرار وضبط الأمور ورد الحقوق والتي لاقت قبولاً كبيراً وترحيباً من قبل الأهالي سدّت بذلك الكثير من حواجز الناس وحقّقت مصالحهم، فكانت بمثابة الخطوة الأولى في الدخول إلى المؤسسة القضائية بشكلها ومضمونها.
٢. ثم تطور الأمر فتم إنشاء محاكم صغيرة باماكنيات متواضعة و اختصاصات محددة للنظر في بعض الأمور المهمة الضرورية في أماكن بعض الفصائل الفاعلة ذات القوة والشوكة التي تحميها بغض النظر عن توجهاتها الفكرية.
٣. تعددت المحاكم الثورية وانتشرت في أغلب المناطق المحررة وأصبح لكل فصيلٍ محكمته الخاصة التي تقضي بمشكلات عناصره وقضائيه في المنطقة التي يسيطر عليها، وقد سبب هذا التعدد عائقاً كبيراً في تحصيل الحقوق من بعض القادة المتنفذين الذين سيطروا على قرارات محاكمهم وكانوا سبباً في الفساد الذي استشرى في المجتمع.



٤. تم إنشاء الهيئة الإسلامية لإدارة المناطق المحررة واعتماد محاكمها بدأة عام ٢٠١٤م، وقد عملت على جمع المحاكم العاملة بنظام قضائي واحد يوحد العمل القضائي بكل المناطق المحررة ضمن إطار التقاضي القانونية التي تضمن حقوق المتلاصين وإجراءات القضاء.

٥. ثم بعد ذلك تم اعتماد المحاكم المدنية والعسكرية بكل اختصاصاتها في كامل المناطق المحررة ضمن إدارة وترتيبات الحكومات التي تدير تلك المناطق ليأخذ القضاء هيكله القضائي الرسمي ويعمل بالطرق القضائية والقانونية المتبعة في كل المحاكم المحترمة.

ختاماً:

على الرغم من كل تلك التحديات والعقبات التي أعادت العملية القضائية والتي عمل على إفشالها أو التخلص منها، وبالرغم من أنها لم تحقق عدالة عمر رضي الله عنه، ولم تكن على المستوى المأمول، إلا أنها كانت صاحبة دور كبير وأثر فاعل في استقرار الوضع الأمني والحياتي بما حققته وقدّمت، وكانت ظاهرة سابقة ونقطة مضيئة في تاريخ الثورة السورية المباركة.



المبحث الثالث

الملف الصحي في المناطق المحرّرة

يعتبر الملفُ الصحيُّ من أهمِ الملفات الداعمة للثورة السورية وأهلها لأنّها صمامُ الأمان ضدَّ الضعف والأسقام، ومنبع القوّة والعزمية بتأمين الاحتياجات اللازمَة لاستمراريّة الثورة وضمان بقائِها حيّةً قويّةً في كلِّ المجالات الحياديّة وعلى جميع الأصعدة الثوريّة.

وهذا ما أدركه النّظامُ المجرُّ فعلَ جاهداً على هدمِ أركانِه الحيويّة من خلال تدمير المشافي والمستوصفات والنقاط الطبيّة التي من شأنها تقديم أيٍّ مساعدةً بهذا الخصوص، فبادر باعتقالِ أغلب الطاقات والأطباء والشخصيات الفاعلة وملاحقةِ دماغِهم ومصادرةِ أموالِهم.

وما إن انطلقت الثورةُ السوريّة المباركةُ حتّى جفت مصادرُ الدّعم الطبيّ في كلِّ الأماكن التي تحرّرت من رجسِ النّظامِ المجرم، وباتت تلك الأماكن تئنُ تحت وطأةِ الوباء والبلاءِ الصحي، واقتصرت الأمراضُ بكلِّ أصنافها لتغزو المحرّر وأهله، وتربّعت في مصارِبِهم دون أن تقدر لهم صغيراً أو تحترم منهم كبيراً، ساعدتها في غزوها هذا أسبابٌ كثيرةٌ نزلت بالنّاس وفاقت الأوضاع العامة وخصوصاً الصحيّة منها، وهي ما يمكن إجمالها بالآتي:

١. القصفُ الهمجي للطيران الروسي والسوري الذي دمّر الحجر وقتل البشر وأحرق الشجر، وكانت المشافي والمستوصفات والنقاط الطبيّة لها نصيب الأسد من التدمير والتدمير لما تقدّمه من الرعاية الطبيّة والعناية الصحيّة للناس فتوقفت أعمالها كلياً أو جزئياً حتّى اضطر الناس لاستخدام الأقبية وحفر الأنفاق واتخاذها (مشافي ميدانيةً) يؤذون الخدمات ويقدّمون الدّعم والمساعدات.



٢. الاستهداف المباشر من قبل طائرات الإجرام لسيارات النقل بشكل عام وسيارات الإسعاف بشكل خاص حتى أصبح أصحاب السيارات يحسبون كل حساب للحفاظ على أنفسهم وأهليهم من القتل والاستهداف.
٣. اعتقال النظام لمئات الأطباء والمسعفين والكفاءات الطبية وقتل الكثير منهم جراء تدمير المشافي عليهم، وهذا ما كان سبباً كبيراً في هجرة بعضهم إلى خارج البلد ليأمن على حياته من العدوان الإجرامي.
٤. قلة الموارد المالية التي تسدّ حاجات المشافي الميدانية والبديلة (شراء معدات تأمين أدوية إسعافات...) إضافةً إلى رواتب للأطباء وخصوصاً الأخصائيين منهم بما يكفيهم وأسرهم، وهو ما كان سبباً في هجرة الكثير منهم خارج البلد وترك العمل في الداخل.
٥. فقدان الكثير من الأنواع الدوائية العلاجية التي تحتاجها المناطق المحررة لأسباب كثيرة، مع صعوبة إدخالها من البلدان الأخرى بشكل رسمي بعيداً عن خطر إدخالها غير الشرعي والمساءلة القانونية بخصوصها.
٦. فقدان التيار الكهربائي في المناطق المحررة بسبب استهدافها من الطيران الإجرامي وتدمير مؤسساتها بالكامل، وهو ما أرخى بأثقاله وأعبائه الكثيرة على الناس تجلّى ذلك من خلال:
 - أ- استحالة تخزين الدم الذي يقدّمه المتبرّعون لإخوانهم المصابين عند الحاجة والضرورة، وهو ما جعل المسؤولين يعتمدون على متبرّعي الدم حسب الزمرة الازمة في وقت الاستهداف والإصابة فقط، والذي قد لا يتوافر أحياناً.
 - ب- عدم توافر الأدوية الازمة لعلاج الحالات الخاصة لعدم وجود الحافظات وألات التبريد في ظل فقدان التيار الكهربائي وعدم وجود البديل المكافئ.



٧. معظم الأجهزة والمعدات الطبية إما قديمٌ متهالكٌ يحتاج للصيانة، وإما مُعَطَّلٌ بسبب القصف الذي أصاب المشافي فدُمِرَت كليًّا أو جزئيًّا، وهذا تحدٍّ كبيرٌ أمام الأطباء في إحراز النجاحات الطبية والمقدمة للمحتاجين.
٨. غياب حملات التلقيح الدورية : (شهرية نصف سنوية سنوية ...) التي من شأنها الوقاية من بعض الأمراض التي قد تصيب الأطفال خاصة، والتخفيف من الأوبئة التي تكثر في الظروف الاستثنائية كالحروب وغيرها.
٩. سوء التغذية الذي سيطر على الحالة العامة للناس بسبب ظروف الحرب الإجرامية، فكانت سبباً في نقص المواد الحياتية الازمة، إضافةً إلى غلاء الأسعار التي فرضت عليهم، نظراً لقلة المواد من جهةٍ، واحتكار التجار من جهةٍ أخرى، مع غياب الرقابة والمتابعة والمحاسبة.
١٠. الأزمة السكانية الخانقة نتيجة حملات التهجير القسري التي تعرض لها الشعب السوري في المناطق المحررة والتي تفتقد لأدنى شروط الوقاية الصحية، وهو ما كان سبباً في تردّي الأوضاع الصحية وازدياد الأمراض بكل أنواعها.
١١. انتشار الأوبئة والأمراض الخطيرة التي تحتاج إلى مزيدٍ من المتابعة والعناية: (اللشمانيا أو حبة حلب السل الكبد التيفوئيد الكلي السكري القلب أمراض الأطفال الرضع والحواضن)، وكذلك حالات الإجهاض والولادات المبكرة جراء حالات الخوف والهلع والاضطراب في ظلِّ غياب الموارد الكافية وقلة الكفاءات الطبية الفاعلة الذي يجعلها عاجزةً عن تقديم ما يسدُ الحاجات ولو بالحد الأدنى.
١٢. ضعف أداء المنظمات الطبية الدولية (وخاصةً في السنوات الثلاث الأولى من الثورة) التي يمكن أن تعوض النقص العاصل في الحاجيات الطبية وتسدِّد الفراغ الذي خلفه النظام المجرم وحليفه الروسي الخبيث.



وكذلك تحكم بعض المنظمات الأخرى بطريقة الأداء والعمل الطبي بما يخدم المنظمة وأهدافها وليس بالشكل الذي يعطي الحرية للأطباء في عملهم بمهنيّة ومصداقية.

١٣. ضعف دور الائتلاف الوطني السوري الذي يعتبر الواجهة السياسية للمناطق المحررة وعجزه عنأخذ دوره في بناء مستشفياتٍ كافيةٍ ودورٍ للعلاج فضلاً عن تأمين المستلزمات الطبية الكافية بما يخدم المناطق المحررة بكاملها.

١٤. التقاعس الدولي والتخاذل الأممي تجاه الشعب السوري في المناطق المحررة الذي تجلّى بعدم السماح لدخول المساعدات الطبية في السنوات الأولى من الثورة إلا بموافقة النظام الأسدية المجرم، وهو مالم يوفق على ذلك.

كل ما سبق من تحدياتٍ وصعوباتٍ وعقباتٍ اعترضت العمل في المجال الصحي ببداية الثورة لم تُثْنِ أصحاب الأمانة والخير والمسؤولية من السوريين وخصوصاً المغتربين منهم عن المبادرة والمسارعة في تقديم ما يستطيعون من تنظيم العمل الطبي وبناء نظام صحيٍّ متناسبٍ مع الحالة الميدانية التي تعيشها المنطقة، فكانت الخطوات سريعةً وجديدةً تجلّت في ما يلي:

١. التواصل مع المنظمات الدولية الداعمة ووضعهم أمام مسؤولياتهم وتسهيل إدخالهم إلى الأراضي السورية المحررة للاطلاع على الواقع الصحي المرير لأخذ دورهم الإنساني في تأمين الأدوية والعلاجات الازمة، ومن أهم تلك المنظمات: (سامز سيماء أوسم أطباء بلا حدود منظمة أطباء العالم...).
٢. تأمين الطاقة البديلة عن التيار الكهربائي الذي هو عصب العمل الطبي لضمان تخزين الدم والأدوية ونجاح سلامة حياة الحواضن وحديثي الولادة.



٣. بناء المستوصفات الصغيرة وتجهيزها بما يلزم من المعدّات والأجهزة لتقديم الإسعافات الأولية في البلدات والقرى.
٤. تأمين سيارات الإسعاف الجاهزة وإدخالها للعمل في الخدمات الطبية في ظلّ النقص الكبير فيها نظراً لاستهدافها من قبل الطيران الإجرامي.
٥. تأمين المستشفيات المتنقلة بين القرى والبلدات لعلاج المرضى والمعاقين والحالات المزمنة والخطيرة.
٦. تطوير العمل الطبيّ من خلال بناء المستشفيات الحديثة بكل التخصصات الطبية في أغلب المدن الرئيسية التي تشتمل نواةً مجتمعيةً كبيرة.
٧. الدورات الطبية المكثفة في الداخل والخارج لرفع مستوى الأطباء العاملين وما يلحق به، لرفد المستشفيات والمستوصفات والنقاط الطبية بالكفاءات اللازمة.
٨. الجامعات السورية وما بذلته من جهودٍ جبارٍ في إعداد أطباءٍ يُعَوِّضون النقص الذي تركه إخوانهم ممّن تركوا الساحة إلى خارج البلاد.



بعض المنظمات الطبية الفاعلة

كثيرة هي المنظمات الطبية العاملة في تقديم الخدمات والمساعدات الصحية منذ بداية الثورة وحاجة الناس لذلك، وأرى من المفيد أن نذكر ببعض المنظمات الفاعلة وإنجازاتها على سبيل المثال لا الحصر مثل:

١- الجمعية الطبية السورية الأمريكية (منظمة سامر)



وهي منظمة إغاثة طبية عالمية غير حكومية وغير ربحية، تأسست عام ١٩٩٨م، كمجتمع مهني، حيث عملت على توفير أطباء من أصل سوري من خلال الشبكات والخدمات التعليمية والثقافية والمهنية.

تعمل في الخطوط الأمامية للإغاثة خلال الأزمات، كان لها حضورها المتميز في الداخل السوري حيث دعمت الرعاية الصحية، فاعتنى بالمستشفيات الميدانية، وقدّمت سيارات الإسعاف والأجهزة والمعدات الطبية الالزمة، وأقامت دورات التدريب الطبي، ودافعت الكثير من رواتب العاملين في المجال الطبي.

وتعتبر منظمة سامر من أنشط المنظمات العاملة في الداخل السوري. ومن أهم إنجازاتها:

١. المشفى العام في مدينة المعرة الذي يغطي المدينة والقرى والبلدات المحيطة بها كافة.
٢. مشفى باب الهوى.
٣. مشفى إدلب المركزي ويتضمن مركز الأورام وبنك الدم.
٤. مشفى ابن سينا في مدينة إدلب.
٥. مشفى الأمومة التخصصي في مدينة إدلب.
٦. مشفى الإخلاص في ريف جسر الشغور.
٧. مشفى الأمومة والطفولة في مدينة الدانا.



٨. مشفى الأمومة في بلدة قاح.
٩. مشفى معربة مصرین الجراحي.
١٠. مشفى الزراعة في بلدة سلقين (كورونا).
١١. مشفى الأمل في بلدة دارة عزة (كورونا).
١٢. مشفى الشفاء في مدينة عفرين.
١٣. معهد القبالة في مدينة الباب.



**Hand in Hand
for Syria**

تأسست في شهر أيار من عام ٢٠١١م، في مدينة لندن من المملكة المتحدة كمنظمة إنسانية خيرية، ومن خلال المساهمات التي يقدمها المانحون والشركاء تقوم بتنفيذ العديد من المشاريع في مجالات الصحة والصرف الصحي والمأوى والأمن الغذائي والتعليم والمواد غير الغذائية.

كان لها فرع في مدینيتي الريحانية وغازي عينتاب بتركيا ولها في الداخل السوري أكثر من ٣٥٠ موظفاً يعملون في مجالات الإغاثة المتنوعة. أهم إنجازاتها في الداخل السوري إقامة وبناء مشفى أطمة (النسائية وأطفال).

٣- منظمة (أطباء بلا حدود)



وهي منظمة طبية دولية غير حكومية، تأسست في عام ١٩٧١م على يد مجموعة من الأطباء والممرضين والصحفيين في مدينة باريس بفرنسا، على مبدأ حق جميع الناس في الحصول على الرعاية الصحية بغض النظر عن الجنس أو العرق أو الدين أو العقيدة أو الانتقام السياسي، ولأن الاحتياجات الطبية للأفراد تتجاوز حدود الدول فقد وسعت نشاطها لتضمّ موظفين من أكثر من ١٥٠ بلدٍ في العالم.



وتعمل المنظمة ضمن ميثاق ومبادئ إنسانية تعتبر مرجعًا وإطارًا لجميع أنشطتها يتمثل بما يلي:

١. تقدم منظمة أطباء بلا حدود المساعدات إلى السكان المنكوبين وإلى ضحايا الكوارث الطبيعية أو البشرية وإلى ضحايا النزاعات المسلحة، بغض النظر عن العرق أو الدين أو العقيدة أو الانتقام السياسي.
٢. تلتزم منظمة أطباء بلا حدود بمبدأ الحياد وعدم التحييز تطبيقًا للأخلاقيات الطبية العالمية ومراعاةً للحق في الحصول على المساعدة الإنسانية، وتطالب المنظمة بالحرية المطلقة ومن دون عوائق في معرض ممارستها لمهامها.
٣. يلتزم أعضاء المنظمة باحترام المبادئ الأخلاقية لهمتهم والحفاظ على الاستقلالية التامة عن جميع السلطات السياسية والاقتصادية أو الدينية.
٤. يدرك الأعضاء بصفتهم متطلعين للمخاطر والمجازفات المترافقة مع المهام التي يضططعون بها ولا يطالبون لأنفسهم أو لذويهم بأي تعويض غير الذي تحدّده المنظمة في حدود إمكانياتها، من أهم إنجازاتها كان مشفى الحروق في بلدة أطمة السورية الحدودية.

٤- منظمة (أوسم)



وهي مختصر لـ اتحاد المنظمات الطبية والإغاثية السورية. والاتحاد هو مجموعة من المنظمات الطبية والإغاثية والإنسانية المستقلة غير الحكومية، أسسها مئات الأطباء السوريين الذين يعملون في الخارج، بعد أحداث العنف في سوريا، تعمل على توفير الرعاية الطبية والمساعدات الإنسانية لكل المصابين والمحاجين في هذا البلد.



يعمل الاتحاد بكل مؤسساته وأفراده تحت شعار: (ضمان حرية وصول الخدمات الصحية للجميع بغض النظر عن العرق أو الدين أو الرأي السياسي).

ويعتمد الاتحاد على الفرق المحترفة التي توفر الإغاثة وفقاً لمبادئ العمل الإنساني والأخلاقي في مهنة الطب.

٥- منظمة سيمما (SEMA) الرابطة الطبية للمغتربين



حيث كانت انطلاقة سيمما كاستجابة للتزايد أعداد الجرحي بشكل كبير مما كان ينذر بمستقبل خطير، حيث تداعى مجموعة من أبناء سوريا المخلصين من الأطباء والمتخصصين في المجال الصحي، والمغتربين في شتى بلاد المهاجر حول العالم، استجابة لقسامهم لرفع المعاناة عن الجرحي، وقرروا إنشاء هذه الهيئة الإغاثية الإنسانية (الرابطة الطبية للمغتربين السوريين - سيمما)، وكانت انطلاقتها في أواسط عام ٢٠١١م، ومن ثم حصلت على الاعتراف الرسمي والترخيص والتسجيل في العديد من دول الاتحاد الأوروبي، كفرنسا وبريطانيا وإيطاليا، وكذلك في تركيا، وهي مازالت تشهد الاعتراف والاعتماد في الكثير من دول العالم.

ومن أهم إنجازاتها على سبيل المثال لا الحصر:

- ١- مشفى الفارابي بمدينة الباب شمال حلب.
- ٢- مشفى الطفولة والأمومة بمدينة الباب شمال حلب.

٦- منظمة ميديكل ريليف (Medical Relief For Syria)

منظمة الإغاثة الطبية لسوريا (MRFS) هي منظمة إنسانية غير ربحية تمثل مهمتها في تقديم الدعم والمساعدة الطبية الحيوية إلى المحجاجين في سوريا منذ شباط من عام ٢٠١٢م.



تسعى منظمة الإغاثة الطبية لسوريا (MRFS) إلى دعم الأفراد والمجموعات الذين يقدمون الدعم الطبي للجرحى والمرضى في سوريا من خلال توفير الكفاءات الطبية والمهارات الطبية الالزمة لتدريب الموظفين، كما تستمر المنظمة في توفير الإمدادات والمعدات الطبية والدعم اللوجستي.

تهدف المنظمة بهذا الدعم إلى زيادة قدرات الأفراد والمجموعات الطبية على تلبية الاحتياجات الكبيرة والمترامية على الخدمات الطبية. وأهم إنجازاتها على

سبيل المثال لا الحصر:

- ١- مركز النقطة العمالية في إدلب.
- ٢- مشفى السلام (نسائية)، في إدلب.

٧- منظمة الإغاثة الإسلامية (Islamic Relife)

منظمة دولية خيرية تعمل في مجال الإغاثة العاجلة والطوارئ والتنمية في أكثر من ٣٠ دولة حول العالم منذ نشأتها، تسعى الإغاثة الإسلامية لمحاربة الفقر وخدمة الفئات المهمشة والفقيرة بغض النظر عن العرق والانتماء السياسي والنوع الاجتماعي والدين. تأسست في العام ١٩٨٤ م في بريطانيا، وتعتبر أكبر منظمة دولية خيرية مستقلة مرجعيتها مستوحاة من القيم الإنسانية الإسلامية.

تعمل المنظمة بشكل أساسي في مجال الإغاثة العاجلة والطوارئ والجهوزية للطوارئ وتنمية الشعوب الفقيرة لتحسين وصولها لسبل عيش مستدامة، وفي الرعاية الصحية والتعليم والمياه والصرف الصحي وتمكين الفقراء والمهمشين.

من أهم إنجازاتها في سوريا:

- ١- المجتمع الطبي الإسلامي في مدينة بنش.
- ٢- مشفى تفتناز.



آلامٌ لا تندمل

الحقيقة المؤلمة التي لا تخفي على ذي لِبٍ، والتي ستبقى في ذاكرة الأجيال لعقود وعقود، هي تلك الحالات المؤلمة من الإصابات الخطيرة المتنوعة، والأعداد العظيمة من المعاقين الذين فقدوا أطرافهم، والماسي التي لا تُعدُّ ولا تحصى التي نزلت بكلٍّ مدينةً، وألمَّت بكلٍّ قريةً، وسكنَت كلَّ بيت، فلا تسير في طريقٍ ولا تتجوَّل في سوقٍ ولا تمشي في أرضٍ إلَّا وتلك المناظر تحوطك من كلٍّ جانب وكأنَّك في بلد المعاقين ومزرعة الجرحى والمصابين.

والجميل ما تسمعه منهم من عباراتٍ ملؤها الرضا والتسليم وما تراه منهم من قبولٍ واطمئنان، ثقةً منهم بقضاء الله وقدره عليهم، ويقيناً منهم بأجرٍ ومثوبةٍ من الله ورضوان.



المبحث الرابع

الدفَاعُ المدنِيُّ والتَّكافُلُ الاجتماعي

في الثورة السورية



إنّ من أهمّ مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء الحفاظ على النفس البشرية وتأمين مقومات السعادة والنجاح في الحياة، وحمايتها من كلّ ما يؤذّها أو يسبّ لها الأذى أو يجلب لها الضّرر أياً كان، وهذا في الحالة الاعتيادية التي يعيشها الناس، وهي الأولى والأهمُ في الشدائـد والمأسـيـاتـ الـتي قد تمرـ علىـ النـاسـ فـيـ مـراـحـلـ ضـعـفـهـمـ حـيـثـ يـكـوـنـونـ بـأـمـسـ الحاجـةـ لـمـنـ يـقـفـ مـعـهـ فـيـ مـخـيـرـهـ وـيـمـدـ إـلـيـهـ يـدـ العـونـ وـالـمسـاعـدـ لـيـخـفـ عـنـهـ مـصـابـهـمـ إـنـ لـمـ يـسـطـعـ تـخـلـيـصـهـمـ مـنـهـ بـشـكـلـ كـامـلـ.

ومن فضل الله سبحانه ورحمةه بعباده أن جعل الأعمال الخيرية بكلّ أصنافها وأنواعها التي يتعدّى خيرها للآخرين من أفضل الطاعات التي تقرب العبد من ربّه وترفعه الدرجات العالية الرفيعة في الدنيا والآخرة، لأنّها من المعالم الحضارية والقيم السامية لهذا الدين، فيبدو أفراد المجتمع كالعائلة الواحدة في وحدة كلمتهم وقوّة إرادتهم وجمال تعاوّنهم وتكافلهم كأنّهم الجسد الواحد الذي أشار إليه الحبيب المصطفى صلّى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحِمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضُُوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى).



لم يقتصر أمر التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع على أمر دون آخر، كما يفهمه البعض في الأمور المالية والمادية فقط، وإنما التكافل في الشريعة الإسلامية كان كاملاً في معاناته شاملًا في مجالاته ليشمل الأمور الحياتية كلها. ولعلّي في هذا البحث المتواضع أقي نظرةً على الواقع السوري من زاويتين مختلفتين جديرتين بالنظر والتأمل وهما:

الزاوية الأولى:

النظرة إلى الواقع العام المؤلم الذي يعيشه الشعب السوري الحر وقد انصبّت عليه المأساة والمصائب وأحاطت به البلايا والمحن، وتربيعت في مضاربه الشدائدة



والكُرَبُ بكل أنواعها وجميع أصنافها وجوانبها وأشكالها كافةً بسبب العدوان الأسدِي والإجرام الروسي والإيراني والتحالف الدولي والتخاذل الأممي والتقاعس العربي عن نصرة هذا الشعب المكلوم المظلوم.

الزاوية الثانية:

النظرة إلى أهل النخوة والشجاعة والمرءة، أهل البذل والعطاء والفداء، الذين اقتحموا ساحاتِ الموت ليعيشَ غيرهم، وتحدّوا القصفَ الهمجي والعدوان التدميري فدخلوا البيوت المتهيّمة لينقذوا أهلها من الموت، بل ليموتو ما كانوا بهم بعد أن ينقذوهم، هم الذين إن سألت عنهم فستجدهم في أماكن التدمير والتهديم ومستنقعات الموت.

كانوا المنارات التي يحتاجها الناس على الدوام، والدواء الذي لا يستغنى عنه المريض من السقام.

كانوا الجرعات التي تعيد الروح للجسد بعد أن كاد يموت وينفد.



إنهم مؤسسة الدفاع المدني أو ما يسمونها (أصحاب الخوذ البيضاء)، بينما الله وجوههم في الدنيا والآخرة.
فما هي مؤسسة الدفاع المدني ؟؟
ما هي مهامها وميادين أعمالها ؟؟
ما دورها في الثورة السورية ؟؟

ماذا قدمت من خدماتٍ جليلةٍ للشعب السوري الحر ؟؟

كل ذلك سأعرضه عن تلك المؤسسة العظيمة من خلال صفحاتهم الخاصة المشرقة المقرونة بالواقع والميدانية التي لم تخف ولن تخفي على ذي بصر أو بصيرة.

ولعل من الأفضل أن أنقل للقارئ الكريم ما جاء في تقرير مؤسسة الدفاع المدني في الذكرى السنوية السادسة لتأسيسها التي توضح جزءاً بسيطاً من أعمالهم الميدانية حيث جاء فيه:

في ٢٥ تشرين الأول عام ٢٠١٤م، انطلق الدفاع المدني السوري لمساعدة جميع السوريين بكل أطيافهم بحياديةٍ وشفافيةٍ ودون أي تحيز.

فرضت الظروف التي مرّ بها السوريون مع بدء الحراك السلمي في عام ٢٠١١م، تغييراً كبيراً في جميع مناحي الحياة، وكانت السممة الأبرز لتلك المرحلة هي الفراغ الحاصل بعدة مَناح مهمٌّ من حياة المدنيين نتيجة انسحاب الأجسام الحكومية الخدمية وغيرها بعمليّةٍ منهجيّةٍ من قبل النظام السوري، وفي أواخر عام ٢٠١٢م، بدأ النظام باستخدام القصف شكلاً من أشكال العقاب على الأحياء والمناطق التي انسحب منها، واقتربن القصف الجوي والبري بسحب الخدمات التي تقدّمها الدولة مثل الإطفاء والإسعاف في حالات الطوارئ وصيانة شبكات المياه والكهرباء، لتصبح حياة السوريين أشبه بالجحيم الحقيقي.



قصفٌ لا يتوقف وبنيةٌ تحتيةٌ مدمرة، وغيابُ أيّ جهةٍ تساعد المدنيين أو تقدم لهم الخدمات الأساسية التي تساعدهم بمصاعب الحياة في ظروف الحرب وتبقيهم على قيد الحياة، وكانت الحاجة المتزايدة لسد الفراغ الحاصل، دافعاً للمجتمع المدني السوري للاصطدام من جديدٍ، وتنظيم جهوده من أجل المدنيين، ومساعدتهم في جميع الظروف دون تمييز.

كيف كانت البداية؟

نشأت عدّة مبادراتٍ مدنيةٍ مدفوعةٍ بشغفٍ لإنجاح حلم التغيير الجذري الذي دعت إليه شعاراتُ الحراك الإسلامي في سوريا، ولم يبدأ الدفاع المدني السوري بالصورة المنظمة التي هو عليها اليوم، إنّما جاء نتاجاً طبيعياً لجتماع العشرات من المبادرات التطوعية في مناطقٍ مختلفةٍ في جميع سوريا، وتجمّع المئات من المتطوعين معاً، الذين كانوا من مختلف المشارب والاتجاهات والاختصاصات، بينهم المعلمون والمهندسوون والنجارون والخياطون والتجار وأصحاب المهن الحرة، فعل هؤلاء المتطوعون ما بوسعيهم لمساعدة مجتمعاتهم في الاستجابة لعمليات القصف وحالات الطوارئ الأخرى بدءاً من أحياهم وجيرانهم، ولم يربط تلك الفرق أو المتطوعين أيّ رابطٍ مؤسسيٍّ بالصورة التي نراها اليوم، بل عمل الجميع في الحيز الجغرافي الموجود فيه دون أن يعرف المجموعات التطوعية الأخرى التي كانت تعمل بالأحياء المجاورة، مدفوعاً بهدفٍ إنسانيٍّ بحت، لاسيما أنَّ تلك المرحلة كانت بدأت تظهر فيها ملامحُ الحصار كسلاحٍ عقابٍ موجّهٍ ضد المدنيين، لم تقلْ بشاعةً عن القصف وسحب الخدمات.

أخذت نواة العمل في محافظة حلب منحىً تنسيقياً أكبرَ نظمَ عملَ الفرق المستجيبة الأولى.



وكانت حادثة منع قوات النظام عام ٢٠١٢م، لأحد فرق الإطفاء في مدينة حلب من الاستجابة لحريق في حي سكني بحجّة أنه خارج عن سيطرتها، البذرّة الأولى للظهور بشكلٍ على لأول فريق مختص تحدّوا قرار قيادتهم وذهبوا وأطّلّوا الحريق، لقد كانت تلك نقطة تحولٍ بالنسبة للسيد منير المصطفى، الذي أصبح لاحقاً نائب مدير الدفاع المدني وأعضاء فريقه الآخرين، فقد كانوا يعلمون أنهم بفرضهم لأوامر رؤسائهم قد صاروا أعداءً للنظام المجرم، وأن حياتهم أصبحت في خطر، وفي اليوم نفسه، أنشأوا مركزاً للاستجابة لحالات الطوارئ لخدمة جميع السوريين، بالرغم من قلة معداتهم، إلا أن خبرتهم ومهاراتهم مكّنتهم من الشروع في الاستجابة لعمليات القصف وإنقاذ حياة الناس العالقين تحت الأنقاض، وهكذا كانت بذرة إنشاء أحد مراكز الدفاع المدني الأولى في محافظة حلب.

وأمّا في المناطق السورية الأخرى فلم يختلف الوضع كثيراً، فالقصص والنزوح كان على أشدّه، وحاجة السكان لفرقٍ تساعدُهم بات أمراً ملحّاً، وهذا ما دفع السيد رائد الصالح، والذي أصبح لاحقاً مدير الدفاع المدني للمساعدة في تأمين مأوىً للنازحين داخلياً، ونقل المدنين المصابين لتلقي العلاج في تركيا، وسمع رائد عن التدريب الذي قُدم في مجال الدفاع المدني وحضر إحدى الدورات التدريبية الأولى المقدمة في تركيا في عام ٢٠١٣م، وأنشأ رائد أول مركزٍ للدفاع المدني في محافظة إدلب في بلدة اليعقوبية غربي المحافظة.

وفي دمشق وريفها ودرعاً وحمص كانت تسير على نفس الطريق مجموعةٌ من المتطوعين الشباب يجتمعون وينشئون مراكز للدفاع المدني لمساعدة السكان وإنقاذهم من تحت القصف بما يتوفّر لديهم من معدّاتٍ بسيطةٍ، ولكن كان أثراً لهم كبيراً وما قدّموه كان جباراً في ظلّ الظروف على الأرض.



الانتقال للعمل كمؤسسة واحدة في ٢٥ تشرين الأول ٢٠١٤ م

بحلول عام ٢٠١٣ م، بدأت أخبار أعمال الفرق المتطوعة بالانتشار، وسمعت بعض هذه المجموعات ببعض لأول مرة، ونتج عنها إنشاء قنوات اتصالٍ للتنسيق بين الفرق وتبادل الموارد المحدودة، كما بدأت بعض الفرق في تلقي دوراتٍ تدريبيةٍ في أساليب البحث والإنقاذ من خبراء، وبهذه المرحلة داعَ صيٌّت هذه المجموعات المتطوعة البطلة وعمل على دعمها العديد من المنظمات الدولية والمانحين الدوليين من خلال تقديم معدات الإنقاذ والإسعاف.

وفي عام ٢٠١٤ م، بدأت مناقشة موضوع توحيد هذه الجهود بطريقةٍ رسميةٍ أكثر لتصير المنظمة منظمةً واحدةً تكرس عملها في إنقاذ حياة الناس في سوريا، وأثناء السعي للتنظيم والتنسيق بصورةٍ أفضل، حاصرت قوات



النظام عدّة مناطق في سوريا وباتت معزولةً عن بعضها بسبب تغيير خطوط السيطرة، ولم تتمكن الفرق الموجودة في الشمال من الوصول إلى تلك الموجودة في دمشق وريف دمشق وحمص ودرعا والقنيطرة.

وفي ٢٥ تشرين الأول عام ٢٠١٤ م، كان الاجتماع التأسيسيُّ الأول في مدينة أضنة التركية، وحضره نحو ٧٠ من قادة الفرق في سوريا، ووضع المجتمعون ميثاقاً للمبادئ الخاصة بالمنظمة لتعمل تحت القانون الإنساني الدولي، وتم الاتفاق على تأسيس مخلةٍ وطنيةٍ لخدمة السوريين، وإطلاق اسم «الدفاع المدني السوري» عليها، وشعاره من الآية في القرآن الكريم، وهي: ﴿وَمِنْ أَحْيَاهَا فَكَانَ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، لمساعدة جميع السوريين بكل أطيافهم بحيادٍ وشفافيةٍ دون أي تحيز.



ومع بداية عام ٢٠١٥م، أطلق اسم «الخوذ البيضاء» على الدفاع المدني السوري، بعد اشتهر الخوذ التي يرتديها المتطوعون في أثناء عمليات البحث والإنقاذ، ووصل عدد المتطوعين عام ٢٠١٧م، إلى (٤٣٠٠) متطوع من بينهم (٤٥٠) متطوعة.

مصادر التمويل في الدفاع الوطني

يحصل الدفاع المدني السوري على التمويل عبر عدّة مصادر أهمها:

١. الحملات الشعبية والتمويل القادم من الدول والمؤسسات الإغاثية والإنسانية والأشخاص.
٢. إضافةً للحملات الشعبية التي يتمّ من خلالها جمع تبرّعاتٍ عبر الإنترن特، وهذا الجانب من التبرّعات كان له دورٌ مهمٌ في تطوير عمل المنظمة، وفي حالات الطوارئ.
٣. تلقت منظمة الخوذ البيضاء تمويلاً من مؤسساتٍ إنسانيةٍ وإغاثيةٍ مختلفة، منها الهلال الأحمر التركي، وهيئة الإغاثة الإنسانية التركية (IHH)، ومن مؤسسة قطر الخيرية، ومن عدّة مؤسساتٍ خيريةٍ تعمل في كندا وأوروبا.
٤. وعلى صعيد التمويل من الدول لا يمانع الدفاع المدني السوري تلقّي التمويل من أيّ دولةٍ أو جهة، لكن دون أيّ إملاءاتٍ أو شروطٍ سياسية، ومن بين الدول التي تمول الدفاع المدني السوري، كندا والدنمارك وبريطانيا والولايات المتحدة وهولندا وقطر وألمانيا، وفرنسا.
٥. وفيما يخصّ التمويل الشخصي يتلقّى الدفاع المدني السوري التمويل من أيّ شخصٍ يريد أن يساعد السوريين، دون قيدٍ أو شرطٍ.



مناطق عمل الدفاع المدني

يسعى الدفاع المدني السوري لتقديم خدماته للمدنيين كافةً وفي المناطق السورية كافةً حيث يستطيع المتطوعون الوصول إليها دون وجود تهديدٍ أو خطيرٍ على حياتهم، ومنذ التأسيس حتى عام ٢٠١٨ م، قدم المتطوعون خدماتهم لأغلب المحافظات، ولكن بعد سيطرة النظام السوري على مناطق واسعة انحصر العمل في شمال غربي سوريا، ذلك بسبب التهديد المباشر للمتطوعين وسلامتهم الشخصية على المستويات كافةً، ويقوم الان نحو ثلاثة آلاف متطوع بينهم ٢٣٠ متطوعة، بمساعدة المدنيين في شمال غرب سوريا ويقدّمون لهم ما يستطيعون من خدماتٍ تساعدهم على الاستقرار.

أعمال الدفاع المدني السوري



1. يقوم الدفاع المدني السوري بعمليات البحث والإنقاذ، ويتجاوز عدد المدنيين الذين تم إنقاذهما بسبب قصف النظام وروسيا /١٢٢/ ألف مدني.

2. ويستجيب أيضاً للحوادث بأنواعها ويسعف المصابين، والتعامل مع الهجمات الكيماوية لحماية المدنيين.

3. إضافةً لخدمة الراصد والتي تحذر المدنيين من الهجمات الجوية وتسمم بإيقاف أرواحهم.





٤. لم تكن مهمة متطوعي الدفاع المدني فقط إنقاذ المدنيين من بين ركام قصف النظام وروسيا، فخلف خطوط الموت أو حتى بينها، يحتاج المدنيون لخدماتٍ تبقيمهم على قيد الحياة في ظلّ البنية التحتية التي باتت شبه مدمرة.

٥. ويُسعي الدفاع المدني بما يتوفّر لديه من إمكاناتٍ للإسهام بتأهيلها وصيانتها، والمشاركة في تقديم الخدمات، مثل إعادة الكهرباء والمياه والصرف الصحي، وإزالة جبال من ركام المنازل التي انهارت بسبب قصف النظام المجرم وحليفه الروسي القاتل.

٦. كما يقدم الدفاع المدني الخدمات للمدنيين المهجّرين والنازحين عبر تجهيز المخيمات وفتح طرقاً لها وفرش أرضياتها ومساعدة بتحسين بنيةتها التحتية.

٧. وعندما تنتشر الأمراض والأوبئة يهرب المتطوعون بكلّ إمكاناتهم لمواجهةها والحد من انتشارها، عبر الإمكانيات المتاحة والتوعية وتأمين التجهيزات الطبية والوقائية.

٨. إزالة الذخائر غير المتفجرة، حيث تقوم فرق مختصةٌ بإزالة مخلفات الحرب والتخلّص من الذخائر غير المنفجرة وتحديد أماكن وجودها، وهو أحد أخطر الخدمات وأصعبها التي يقدمها الدفاع المدني السوري، وتضم عدّة نشاطاتٍ مختلفة، منها : المسح لتحديد المناطق الموبوءة وعمليات التوعية، وعمليات التخلّص بشكلٍ نهائٍ من أخطارها.



وقد بدأت فرقُ الذخائر غير المنفجرة العملَ على إزالة مخلفات الحرب في الدفاع المدني السوري بدايةً عام ٢٠١٦م، لمواجهة هذا التحدي الذي يهدّد حياة آلاف المدنيين يومياً في ظل عدم وجود أيّ جهةٍ تعمل في هذا المجال، وخلف قصف النظام وحليفه الروسي آلاف الذخائر غير المنفجرة، وتواصل الفرقُ المختصة بالدفاع المدني عملها لمسح أكبر عددٍ ممكِّن من الواقع وإزالتها وحماية المدنيين من المخاطر.

المراكم النسائية في الدفاع المدني

تشغل المراكز النسائية في الدفاع المدني السوري ركيزةً أساسيةً من عمل المنظمة الإنساني، وكانت الانطلاقـة الأولى للمرـاكـز النـسـائـيـة في الشـهـرـ الـأـوـلـ من عـامـ ٢٠١٧ـ مـ، ووصلـ عددـ المـراكـزـ إلىـ (٣٣ـ مـركـزاًـ نـسـائـيـاًـ)، موزـعةـ علىـ منـاطـقـ العـملـ فيـ إـدـلـبـ وـأـرـيـافـ حـمـاءـ وـحلـبـ وـالـلاـذـقـيـةـ، وـتـعـمـلـ بـهـاـ (٢٣ـ .ـ)ـ مـتـطـوـعـةـ)، تـقـدـمـ مـسـاعـدـاتـهـاـ لـأـهـالـيـ تـلـكـ المـنـطـقـةـ، وـيـسـعـيـ حـالـيـاًـ الدـفـاعـ المـدـنيـ لـرـفـدـ الـكـفـاءـاتـ النـسـائـيـةـ بـأـعـدـادـ إـضـافـيـةـ مـنـ الـمـطـوـعـاتـ.

وتقدم المراكز مجموعةً من الخدمات الأساسية، وهي الخدمات الطبية، وحملات التوعية عن الأمان والسلامة للمدنيين في المناطق التي تتعرض للقصف، ودورات التمريض، والتوعية الصحية للأهالي، وقد شاركت المتطوعـاتـ في استقبالـ المهـجـرـينـ منـ منـاطـقـ سـورـيـاـ الـمـخـلـفـةـ، حيثـ عملـنـ علىـ مـسـاعـدـتـهـمـ فيـ الاستقرارـ وـتقـديـمـ الخـدـمـاتـ الـمـخـلـفـةـ الـتـيـ يـحـتـاجـونـهـاـ بـشـكـلـ عـاجـلـ.



التضحيات

كان عمل الدفاع المدني في إنقاذ الأرواح ومساعدة المدنيين الذين يتعرضون لقصف النظام وحليفة الروسي وتوثيقهم للهجمات، أهم الأسباب التي جعلتهم هدفاً للنظام وروسيا، عبر استهداف المراكز أو استهداف المتطوعين بغاراتٍ مزدوجةٍ في أثناء إنقاذهما الأرواح، ويبلغ عدد المتطوعين الذين فقدتهم الدفاع المدني منذ عام ٢٠١٣م، حتى الآن ٢٨٧ متطوعاً في عام ٢٠٢٠م، أغلبهم قتلوا بالاستهداف المباشر أو الغارات المزدوجة في أثناء عملهم الإنساني.

ولم يقتصر هجوم النظام وروسيا على الجانب المادي بل تعداد بشّر هجماتٍ إعلاميةٍ منهجيةٍ وحملات تضليلٍ إعلاميٍّ مهندسةٍ من روسيا لاستهداف سمعة الدفاع المدني وتصوير متظوّعيه كـ«إرهابيين» أو «عملاء للغرب» والهدف من هذه الهجمات الإعلامية هو تقويض مصداقية الأدلة التي جمعها عن بعض أبشع جرائم الحرب في القرن الحالي مثل الهجمات بالأسلحة الكيميائية على المدنيين أو قصف قافلة مساعداتٍ تابعةٍ للأمم المتحدة.

وقدّمت روسيا هذه المزاعم مراراً وتكراراً، حتى إنها قدّمتها في الأمم المتحدة، حيث رفضتها الحكومات الأوروبيّة والولايات المتحدة رفضاً قاطعاً، ومع ذلك فإنّ معظم هذه الجهود ترکّز على الإنترنيت حيث ثبت أنّ هنالك جيشاً من الذباب الإلكتروني البرمجي والبشري ينشر عمداً أدلة زائفةً عن عمل الدفاع المدني، وتتناسب هذه الهجمات مع الاستراتيجية الروسيّة الشاملة التي تسعى لتقويض الثقة في المؤسسات الديمocratية في جميع أنحاء العالم.

وعلى الرغم من هذه الهجمات العسكريّة المباشرة أو الإعلامية إلا أنها لم تثبّط من معنويات المتطوعين، ولم تمنعهم من مواصلة عملهم الإنساني وإنقاذ الأرواح وكشف الحقيقة والمطالبة بمحاسبة كلّ من ارتكب جرائم بحقّ السوريين وسيواصلون تقديم التضحيات دون أي تردد.



الجوائز والتكريم

كانت الخدمات والروح البطولية للدفاع المدني السوري محطةً إعجابٍ وتقديرٍ في المحافل الدولية، وهو ما مكّن الدفاع المدني السوري من إيصال صوت السوريين للعالم أجمع، ورشح الدفاع المدني السوري منذ تأسيسه للعديد من الجوائز الدولية، وحصل على أكثر من (٢٠) جائزة، قدمت من قبل العديد من المنظمات والمؤسسات الإنسانية الدولية حول العالم، وأهم تلك الترشيحات كان لجائزة نوبل لثلاثة أعوام متتالية، في عام ٢٠١٥م، ٢٠١٦م، ٢٠١٧م، ومن بين الجوائز التي حصل عليها جائزة الأوسكار عن فيلم «الخوذ البيضاء» على منصة نتفلكس، وجائزة نوبل البديلة عام ٢٠١٧م، وجائزة السلام العالمي عام ٢٠١٦م، وغيرها من الجوائز.

الحلم والأمل

يحلم متطوعو الدفاع المدني السوري باليوم الذي ينتهي فيه عملهم في سحب الجثث من تحت ركام القصف وألا يروا الدماء والأشلاء للأبد، وأن يتحولوا لزراعة الأمل وتخصيص جهودهم كلّها لإعادة بناء سوريا، الوطن والمجتمع، والتي لا يمكن أن تنعم بسلامٍ دائمٍ إلا عندما يُقدّم جميع مرتكبي المجمّمات ضدّ المدنيين إلى العدالة.

لن يتخلّى الدفاع المدني عن التزامه تجاه المدنيين وتأمين الاستقرار لهم، ومواصلة العمل على تقديم الأدلة والشهادات حول جرائم الحرب إلى أن تصل كلُّ أسرةٍ سوريةٍ عانت من الظلم إلى العدالة، وعندما فقظ سيكون بابُ الأمل مفتوحاً للتغلب على جروح الحرب والانتقال للعيش بسلام.



المبحث الخامس

المرأةُ ودورُها في الثورةُ السورية

إنَّ المتأمِلُ في حال المرأة المسلمة ليُرى أنَّها مُكَرَّمةٌ أَيْمًا تكريم، وذلك من خلال ما فرض الله لها من حقوقٍ واجبة، ورفع لها من مكانةٍ عالية، ودرجاتٍ رفيعة، فجعلها شقيقةً للرجال في الأعمال والأحوال، مساويةً لهم في القدر والمكانة، كما أوجب عليها من الواجبات ما يرفع من قيمتها ويُعلي من مكانتها في المجتمع، وما يُشعرُها بأنَّها جزءٌ مهمٌ في نجاحه وتفوق أبنائه، فهي الأمُّ التي وصَّى بها الخالقُ العظيمُ وجعل طاعتها بوابةً لدخول الجنة، ففي طاعتها ملءٌ لشغور الجبهة الجهادية التي أكرمت بها المرأة في هذه الأمة، كما جاء في الحديث النبوِي الشريف الذي رواه عبدُ اللهِ بْنُ عَمْرُو حيثُ قال: (جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ أَحَيْ وَالدَّالَّ كَقَالَ نَعَمْ قَالَ فَمِمَّا فَجَاهَهُ).^١

كلُّ ذلك لأنَّها المدرسةُ الحقيقيةُ التي تهذِّب الرجال، والحاضنةُ الرئيسيةُ التي تربِّي الأجيال، والآلةُ الحيوانيةُ التي تصنعُ الأبطال.

وصدقَ شاعرُ النيل حافظ إبراهيم عندما قال في حقِّها:

الأُمُّ مدرسةٌ إذا أعدَّتْها أعددَتْ شعباً طيبَ الأعراق

وما أجمل قول القائل: (أنت تربى ولداً فأنت تُربى فرداً، ولكن أن تُربى فتاة فأنت تُربى أمة). هذا حال المرأة في المجتمع المسلم بشكلٍ عامٍ، وهو واقعٌ عمليٌّ عاشته الثورةُ السوريةُ وأهلها بشكلٍ خاصٍ، من خلال ما قدّمه المرأة من بذلٍ وعطاءٍ وتضحياتٍ فاقت كلَّ التصورات في جميعِ الأصعدة وكافةِ المجالات.

صحيح البخاري: باب الجهاد بإذن الأئوبين، (٤-٣٠٠) .٥٩/٤

١



كم قرأنا عن المرأة المسلمةِ ودورها الكبير في مقارعة الظلم والطغيان، وكم سمعنا عن دورهن في مجال الريادة والقيادة وإتقان العمل وحسن التدبير، وكم كان لهنَّ البصماتُ المضيئةُ في نهضة الأمة وتربيَة الأجيال وتوسيعية الشعوب، بل كم قدَّمنَ من أبناءهنَّ وفلذاتِ أكبادهنَّ ليضرِّبنَ أروع أمثلةً الفداء والتضحية والبذل والعطاء في تاريخ البشرية.

كنا نسمعُ ونقرأ عن الخنساءِ رضي الله عنها التي قدَّمت أبناءها الأربعَةَ في سبيل الله ليُخلَّدَ التاريخُ ذكرها الناصعةُ المشرقةُ، إلَّا أنَّنا في الثورة السورية المباركة وجدنا أنفسنا بين مئاتِ الخنساوَاتِ الالاتي قدَّمنَ أبناءهنَّ وأزواجهنَّ وأغلى ما يملكونَ من متع الدنيا، إيماناً بالله، وثقةً به وحباً له، وتقرِّباً منه، وطمعاً في الرفعة والأجر والمثوبة عندَه سبحانه.

نعم وجدنا الخنساوَاتِ الالاتي رفعنَ رؤوسهنَّ عزَّةً وكرامَةً وشجاعَةً ليبقينَ قدوةً ومنارةً تزاحمُ الفرسان في ميادين الشرف والإباء وليكتبُنَ تاريخاً ستذكره الأجيالُ بما قدَّمنَ من صورٍ مشرقةٍ في التضحية والبذل والفاء.

لن ننسى آلاف السيدات الالاتي فقدنَ سندهنَّ وشريكَ حياتهنَّ، لتصبحَ كلُّ واحدةٍ منهاً الرجلَ المعيلَ لأطفالها تکابد آلامَ المعيشة ومصاعبَ الكسب بعد أن كانت سيدةً مطاعةً في بيتها.

لن ننسى آلاف السيدات الالاتي فقدنَ أزواجهنَّ وما زلنَ في مقتبلِ العمر لتعيشُ إحداهنَّ حياة الأرامل الالاتي لم يذقنَ طعمَ الحياة الزوجية بعد.

لن ننسى مئاتِ العائلاتِ الالاتي فقدنَ جميعَ أبناءهنَّ في السجون والمعتقلات، وفي المعارك تحت الركام، وما زلنَ بنفسِ الهمَّةِ والحماسةِ والإيمان تسير إحداهنَ على ما سار عليه أبناؤها إلى النصر أو الشهادة.

ولن ننسى تلكَ المرأةَ ومثلها العشراتُ التي عانتَ كلُّ واحدةٍ منهاً ما عانت بحمل طفلها في بطئها قبل ولادته، ثم حملته بيدها مرهَّةً أخرى وقد مزقتَه طائراتُ الحقد والإجرام بعدما انتشلتَه من بين الركام والحطام والدمار.



لقد أثبتت المرأة السورية قدرتها على الصمود وتجاوز المحن والآسي، وتحمّل الصدمات وعودتها أقوى من ذي قبل، فاقتحمت ميادين العمل الدعوي والتعليمي والتربوي السياسي والعسكري بكل عزيمة وصدق وثبات، فلم يقتصر عملها في الثورة في مجال محدّ أو ضمن عمل معين، إنما تعدّى ذلك إلى مجالاتٍ شتّى وميادينٍ واسعة سطّرت فيها أروع الأمثلة في التفوق والنجاح، ورسمت أجمل الصور وأبهتها في ميادين التضحية والبذل والكفاح.

في مجال المظاهرات الثورية

حيث كان للمرأة السورية دور رائدٌ فيها منذ اللحظات الأولى لانطلاقتها، وما زالت تواكبُ الثورة خطوةً بخطوةٍ بكل عزةٍ وشجاعةٍ وإباء، فكانت مشاركةً في المظاهرات والاحتجاجات، والاعتصامات وتوزيع المنشورات في كثير من الأحيان، وتحولت النسوة إلى قائداتٍ للمظاهرات النسائية في أحياء المدن الثائرة، وكتاباتٍ للافتاتِ الثورية، ومشجّعاتٍ للشباب على متابعة المسير، ومبادراتٍ في كل ميادين الثورية دون أن يتنازلن عن شيءٍ من أهدافِ الثورة وثوابتها.

لم تُثنِنَ المحنُ والآسي عن متابعة مسيرتهن المباركة، ولم يمنعهنَ التحذيرُ والتهديدُ والوعيدُ عن حمل رسالتهن الخالدة، فدفعن الأثمان الباهظة في سجونِ النظامِ المجرم بما تعرّضن له من تعذيبٍ جسديٍّ ونفسيٍّ لا يمكن أن يتخيّله عقلٌ بشريٌّ، فالآلاف منهن مازلن رهن الاعتقال يعانيون ال威يلات في كل يومٍ من قبلِ ذئابٍ بشريةٍ لا يعرفون رحمةً ولا يحملون قيمةً ولا إنسانيةً.



في المجال العسكري

فقد كانت المرأة السورية الداعمة للمرابطين في أماكن القتال، والملهمة للمجاهدين في ميادين النزال، تبّث فيهم روحَ الجهاد والشهادة والنصر، وتدفعهم للتضحية والفداء بالنفسِ والمالي والماتع.

كما قد حملت السلاح، وشاركت الرجال في تلك المهمة العظيمة علماً أنها معذورةٌ من فوق سبع سماوات، لكنّها أرادت أن ترسل رسالَةً للعالم بقوّة المرأة المسلمة وإيمانها المتين الداعي لحياةٍ حرّةٍ كريمةٍ مصوّنةٍ محميّةٍ من الضباع المفترسة والذئاب البشرية.

لم تنقطع الأكلاتُ الشعبيةُ التي كانت تعدّها أمهاتُ الثوارِ للشبابِ المرابطين على التغور، فضلاً عن المطابخِ الميدانيةِ التي كانت تشاركُ فيه العملَ مع الرجال، ولم ينسَ المجاهدون أنواعَ الحلوى التي كانت تتزاحمُ عليهم في معاركِهم وانتصارِهم مقدمةً من أمهاتهم وأخواتِهم وجيرانِهم مشاركيْن معهم زهوةَ الفتح والانتصار.

بل أكثرُ من ذلك فلقد قامت بعضُ النساءِ بعد انطلاقِ المعارك العسكرية بتشكيلِ كتائبِ عسكريّةٍ نسائيّةٍ لمشاركةِ المجاهدين في علاجِ جرحىِ المعارك ونقلِ الذخيرة وتقديمِ الطعامِ والمياهِ وغيرهاِ مما يحتاجهِ المجاهدون، مثل كتيبةِ (سمية بنت خياط) في مدينةِ «النبك» في ريفِ دمشق، وكتيبةِ (السيدة عائشة) في مدينةِ حلب، وكتيبةِ (بنات الوليد) في مدينةِ حمص، وغيرهاِ مما لا يسع ذكره هنا.

وأمّا في مجال التعليم: فصحيحُ أنَّ الثورةَ السوريةَ فُجّعتَ بمئاتِ الآلافِ من أبنائِها الذين قُتِلُوا وغُبِّيوا في سجونِ العصابةِ الأسديةِ المجرمة، ومئاتِ الآلافِ الذين قتلتهم آلُّةِ الحربِ الهمجيّةِ التابعةِ للاحتلالِ الروسيِّ وعميلِهِ النظامِ الأسدِيِّ المجرم.



إلا أن أبناءهم وأحفادهم كانوا خير خلفٍ لهم، حيث عادت المدارسُ لتخريج أجيالَ الصحوة وتربيّ شبابَ وشاباتِ الأمة، ولك أن تدخلَ المدارسَ والمعاهد والجامعات، لترى المئاتِ من المدرّساتِ اللاتي لم يتأخرنَ عن تقديمِ العلم والمعرفةِ رغمِ الفاقةِ وال الحاجةِ والعوزِ، ولم يُقصِّرنَ في تربيةِ الأجيالِ الناشئةِ رغمِ الصعوباتِ والعقباتِ، لترىآلافَ الطالباتِ الآتي تحدّينَ صعوباتِ التهجيرِ والألمِ التّشّرّدِ في مشهدٍ تُسرُّ له النفوسُ وتطمئنُ إليه القلوبُ يقيناً ممنهُنَّ بمستقبلٍ رائعٍ ماتعٍ جميلٍ يعيدُ لهذهِ الأمةِ عزّها وكرامتها من جديد.

لقد نجحت المرأةُ السوريةُ في قيادةِ مهمةِ التربيةِ والتعليمِ في البيتِ والمجتمعِ متّحديةً كلَّ المأسى والمحنِ لتصنّعَ الجيلَ الوعادَ الواعيَ لقضاياً أمّتهِ وتغرسَ فيهِ العقيدةَ الصحيحةَ والقيمَ الساميةَ والأخلاقَ الحميدةَ الراقيةَ، وسلَّمَ الجامعاتِ إن شئتَ، ولا تنسَ المدارسَ المتواضعةَ في مظاهرها فسترى آلافَ الأطباءِ والطبيباتِ الذين دخلوا ميادينَ الخدمةِ والبذلِ والعطاءِ، وآلافَ المهندسينَ والمدرسيّنَ الذين نزلوا إلى ميدانِ العملِ والجهادِ، وآلافَ الدعاةَ من حفظةِ القرآنِ الذين يحاكونَ الملائكةَ في سلوكِهم وعلاقاتهمِ، وآلافَ المجاهدينَ الذين حملوا أرواحهم على أكفِّهم في ساحاتِ القتالِ وأماكنِ النزالِ، وآلافَ الأطفالِ الذين تحملوا عبءَ الحياةِ بعد استشهادِ آباءِهم بكلِّ همةٍ ونشاطٍ، وآلافَ الفتياتِ اللاتي تسابقنَ في حملِ الرسالةِ والدعوةِ ونشرِ الخيرِ والهدايةِ في المدارسِ والمعاهدِ والمنتدياتِ.



في مجال الصّحة والطّبابة والإسعاف

فما إن بدأت الثورة السورية واستُخدم العنف فيها من قِبَل النظام المُجْرم حتى بدأت النساء بتعلّم الإسعافات الأولية التي يحتاجها المصابون في المظاهرات أو من خلال القصف والاشتباك، وسعين لإنشاء النقاط الطبية والمستشفيات الميدانية بما يتوفّر لهنّ من مواد إسعافية متواضعة.

فلقد كانت المرأة سباقةً في مجال الطّبابة والتّمريض والإسعافات الأولية وخدمتها للأهـل والمجتمع والبلـد، حيث شهدـت لهـنـ المستشـفيـاتـ والـمـسـتوـصـفاتـ بالـعـلـمـ الدـؤـوبـ والنـشـاطـ المـسـتـمرـ، فـكـانـ مـنـهـنـ الطـبـيـبـاتـ الـمـاهـرـاتـ، وـكـانـ مـنـهـنـ المـدـرـيـاتـ وـكـانـ مـنـهـنـ المـرـضـاـتـ الـمـخـلـصـاتـ وـالـمـسـعـفـاتـ النـشـيـطـاتـ، وـكـانـ مـنـهـنـ المـدـرـيـاتـ وـالـمـتـدـرـيـاتـ صـاحـبـاتـ الـهـمـةـ وـالـعـزـيمـةـ، وـمـاـذـلتـ الـجـامـعـاتـ وـالـمـعـاهـدـ تـخـرـجـ هـنـهـ لـتـرـفـدـ الـعـلـمـ الـمـيـدـانـيـ حـتـىـ وـصـلـ أـعـدـادـهـ إـلـىـ الـمـئـاتـ وـالـأـلـافـ، وـقـدـ تـجـلـىـ ذـلـكـ بـوـضـوحـ بـعـدـمـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـطـبـاءـ وـالـمـرـضـيـنـ وـالـمـسـعـفـيـنـ إـلـىـ خـارـجـ الـبـلـدـ خـوـفـاـ عـلـىـ حـيـاتـهـمـ مـنـ قـصـفـ الـنـظـامـ الـمـجـرمـ وـحـرـصـاـ عـلـىـ سـلـامـةـ عـائـلـاتـهـمـ.

في مجال الإعلام

فلقد لعبت المرأة السورية دوراً مميّزاً وجريئاً نظراً للواقع الذي كانت تعيشـه قبل الثورة من محدودية دورها واقتصرـه على صناعة الطعام والشراب وترتيب المـنـزـلـ، فـفـيـ الثـورـةـ السـوـرـيـةـ وـجـدـتـ فـرـصـتـهاـ التـرـفـعـ صـوـتـهاـ بـالـحـقـ وـتـوـصـلـ أـصـوـاتـ أـهـلـهـاـ وـأـبـنـاءـ بـلـدـهـاـ مـنـ الـمـظـلـومـيـنـ وـالـمـسـتـضـعـفـيـنـ، وـتـرـسـمـ صـورـةـ مجـتمـعـهاـ وـحـالـهـ أـهـلـهـاـ بـحـيـاةـ النـزـوحـ وـالـتـشـرـدـ وـالـقـهـرـ وـقـسـوـةـ الـمـخـيـمـاتـ، كـمـ نـزـلتـ إـلـىـ السـاحـةـ الـمـيـدـانـيـةـ وـعـمـلـتـ بـالـتـوـثـيقـ وـنـقـلـ أـخـبـارـ الـمـعـارـكـ وـشارـكـتـ بـالـمـنـتـديـاتـ الـفـكـرـيـةـ وـالـثـقـافـيـةـ وـحـضـرـتـ الدـورـاتـ الـإـعـلـامـيـةـ وـدـخـلـتـ الـأـكـادـيـمـيـاتـ الـمـتـنـوـعـةـ حتـىـ تـصـدـرـتـ شـاشـاتـ الـفـضـائـيـاتـ وـمـلـأـتـ كـتـابـتـهاـ الصـحـفـ وـالـمـجـلـاتـ، وـزـاحـمـتـ الرـجـالـ فـيـ الـإـعـلـامـ فـيـ الـمـعـاهـدـ وـالـجـامـعـاتـ، مـتـحـديـةـ كـلـ حـوـاجـزـ الـخـوـفـ وـالـتـهـديـدـ، مـحـافظـةـ عـلـىـ قـيـمـهـاـ الـرـاقـيـةـ وـمـبـادـئـهـاـ السـامـيـةـ.



في مجال الدفاع المدني

فلقد كانت من السابقين في هذا المجال التكافلي الرائع، اقتحمت ساحات الموتِ لانتشال الجرحى والمصابين وإنقاذ الأطفال والشيوخ والمعاقين، في واقعِ الْأَيَّمِ أَظْهَرَتْ فِيهِ الْمَرْأَةُ السُّورِيَّةُ الْقُوَّةَ الرُّوحِيَّةَ وَأَبْدَتْ الشُّجَاعَةَ وَالْهَمَّةَ الْقُوَّةَ الَّتِي لَمْ يَمْتَلِكْهَا الكثيرون من الرجال.

تشكّلُ المراكز النسائيةُ في الدفاع المدنيِّ السُّورِيِّ ركيزةً أساسيةً من عمل المؤسسة الإنساني، وكانت الانطلاقـة الأولى للمراكز النسائية في الشهر الأول من عام ٢٠١٧ م، وصل عدد المراكز إلى (٣٣ مركزاً نسائياً)، موزّعةً على مناطق العمل في إدلب وأرياف حماة وحلب واللاذقية، وتعمل بها (٢٣٠ متطوعة)، تقدّم مساعداتها لأهالي تلك المنطقة، في سعيٍ دائمٍ لرفد الكفاءات النسائية بآعدادٍ إضافيةٍ من المتطوعات.

وتقدّم المراكز مجموعةً من الخدمات الأساسية، وهي الخدمات الطبية، وحملات التوعية عن الأمان والسلامة للمدنيين في المناطق التي تتعرّض للقصف، ودورات التمريض، والتوعية الصحية للأهالي، وقد شاركت المتطوعات في استقبال المهجرين من مناطق سوريا المختلفة، حيث عملن على مساعدتهم في الاستقرار وتقديم الخدمات المختلفة التي يحتاجونها بشكلٍ عاجل.



في المجال الخيري والإنساني

فلقد كان دور المرأة فيه دوراً متميّزاً عن غيره في قيادة العمل المجتمعي والخدماتي وفي المجالات التنموية العامة لمواجهة صعوبات الحياة، فقد وضعت بصمتها الرائعة بما تميّزت به من سماتٍ شخصيةٍ وصفاتٍ عاطفية، وبما حملت في قلبه من حنانٍ ورحمةٍ وعطفٍ وإحسانٍ تفوق الرجال في تعاطفها مع الأرامل والأيتام وخدمة الشيوخ والمصابين والمعاقين، وتزاحمهم في أعمالهم من خلال منظماتٍ خيريةٍ وهيئاتٍ نسائيةٍ ولجانٍ تطوعيةٍ في مجالاتِ الخدماتِ والأعمالِ الإنسانيةِ كافةً، فكانت المرأة تعمل في خدمة الأسر الفقيرة والمنكوبة، ورعاية الأرامل والأيتام، وجمع التبرعات والأموال، وإقامة الندواتِ الفكريةِ والملتقياتِ التوعويةِ، والعمل على تنمية القدرات والمواهب.

ولم تخلّف المرأةُ السوريةُ عن العمل فيما يتّناسب مع طبيعتها الأنثوية، فعملت في الخياطةِ والحياكةِ والأشغالِ اليدويةِ والتطريز، وأقامت معارض رائعةً في مجال أعمالها وإبداعاتها، وعملت في التعليمِ والتربيةِ وتنشئةِ الأجيالِ ورعايةِ الأراملِ والأيتام، كما عملت في بعضِ المراكزِ التجاريةِ والزراعيةِ والطبيةِ وصناعةِ الأدويةِ والمنظفاتِ والمعطراتِ لتكتفيُّ أبناءها وتسترَّ حال أسرتها وتقدّمُ أفضلاً ما عندها من مهاراتٍ وخدماتٍ منطلقةً من شعورها الإيماني الذي يدفعها للأعمالِ الخيريةِ ويشجّعها عليها، ومن خلال شعورها بإنسانيتها ومشاركتها لأهليها وأبنائها وأهل بلدها في التحمل معهم والتحفيظ عنهم.



في المجال السياسي

فقد كانت المرأة السورية قبل الثورة المباركة محرومةً من العمل السياسي كحال الرجال في عهد حزب البعث اللعين الذي حظره إلا على أتباعه الأرذل أو من يوالونه ويسبّحون بحمده.

وما إن بدأت الثورة السورية حتى فتحت أبواب السياسة المحظورة وكانت النساء ممن دخلن فيها وإن كن حديثاتٍ عهديْن بذلك، لكن ومع كل ذلك فقد خاضت تجربةً جيدةً في هذا المجال مع تمسّكها بمبادئها وثوابت دينها. كما خاضت المرأة السورية معاركَ ضاربةً في مقارعة النظام الفاجر وملحقاته ورموزه في المحافل الدوليّة لمحاسبته واستجلابه للعدالة بما ملكت من إمكانيات العمل القضائي لتکبيله بالأدلة القاطعة على إجرامه دون كللٍ ولا ملل.

أثمانُ الحرية والكرامة

لقد أثبتت المرأة السورية قدرتها على الصمود وتجاوز المحن والآسي وتحمل الصدمات، وعادت أقوى من ذي قبل فاقتحمت ميادين العمل الدعوي والتعليمي والتربوي والسياسي والعسكري بكل عزمٍ وثبات، وقدّمت أبهى الصور وأسمها لنيل الحرية والكرامة لها ولأبناء بلدها مهما كانت الأثمان ومهما بلغت التضحيات، بما فيها حياة التهجير والتشريد في المخيمات وحياة اللجوء الصعبة، بما فيها حياة الفقر وال الحاجة والحرمان والوعوز فقدان أدنى مقومات الحياة، وبما فيها الاعتقال والتغييب القسري في السجون الذي مارسه النظامُ المجرمُ لما يعلم من حساسية ذلك الموضوع في المجتمع السوري وما قد يلحق بالمعتقلات من تبعاتٍ قاسيةٍ لهنَّ ولأهليهنَّ بما يتعرضن له من تهديدٍ وتعذيبٍ واغتصابٍ أمام أزواجهنَّ أحياناً لانتزاع اعترافاتٍ وتسجيل فيديوهاتٍ وعمليات ابتزازٍ مهينةٍ من نظامٍ قذرٍ لا يعرف للإنسانية طريقاً ولا يجدُ للأخلق مسلكاً.



لم يقف النظام عند اعتقال فتياتٍ عدّة، وإنما أصبح أمراً ممنهجاً متبعاً باعتقال جماعيٍّ لعائلاتٍ بأكملها حتى باتت السجون تعج بالنساء الطاهرات وبقصصهنَّ المؤلمة لمجرد انتمائهنَّ لعائلات مناهضةٍ أو لقيامهنَّ بأيِّ عملٍ ثوريٍّ من وجهة نظر النظام المجرم، أو حتى للضغط على أهليهن لدفع الأموال والأتوات.

أخيراً لقد أثبتت المرأةُ السوريةُ أنَّها صاحبةُ رسالَةٍ عظيمَةٍ وأمانَةٍ كريمةٍ كانت أهلاً لحملها وتحمُّل عقباتها مهما عظمَت، كانت رافعةً للجهاد في المجتمع بما فيه من منفَّعاتٍ، فربَّت أبناءها على العبادة والطاعة، وعلى الصبر والثبات والرضا والتسليم بقضاء الله، وزرعت فيهم الأمل ونمت فيهم بذور الإيمان ليبقى كلُّ منهم متمسِّكاً بروح التفاؤل وجميلِ الأحلامِ في بناء مستقبلٍ واعدٍ جميلٍ قائمٍ على المحبَّة والمودَّة والتكافل الاجتماعي، يأخذُ كلُّ دوره في تأدية واجباته تجاه أهله وبلده وأمته.



المبحث السادس

المنظّمات العاملة في الساحة السورية

وأدوارها المتباعدة

تمهيد

من المُسلَّم به أنَّ الدولَ تقومُ على ثلاثةِ أركانٍ، هي: الأرضُ، والشعبُ، والسلطةُ، وبقدر ما تكونُ السلطةُ الحاكمةُ قادرةً على تحقيقِ الأمْنِ والعدْلِ بقدرِ ما يرتفعُ الشعبُ في سُلْطَنِ الحضارةِ والازدهارِ، وقد لا يكونُ ذلكَ مع توفرِ الثرواتِ والإمكانياتِ الماديَّةِ عندِ تغييبِ الشعبِ وإشغالِه فيما لا نفعُ منه مع عدمِ اكتِراثِ الحاكمِ إِلا بما يضمنُ له سلطته ويحققُ له مصالحه الشخصيةِ.

ومن علاماتِ نجاحِ المجتمعاتِ تنظيمُ العملِ المؤسسيِّيِّ في المعاملاتِ وال العلاقاتِ العامةِ القائمةِ على المحبَّةِ والمودَّةِ وأُسسِ التعاونِ والتكافلِ المجتمعيِّ، ويزدادُ هذا النجاحُ تألاًً ويصلُ إلى ذروته عندما يكونُ جماعيًّا منظَّماً ضمنَ أطْرِ مدرسوةٍ ومنضبطةٍ، يعلمُ كُلُّ واحدٍ في المجتمعِ ما عليه من واجباتٍ تجاهِ غيره فيسارعُ إلى تأديتها، وما له من حقوقٍ فيتنازلُ عنها أو يطلبُها بعفافٍ وافٍ، وهذا من قيمنا الرائعةِ التي ربَّانا عليها ديننا الحنيفُ، ويظهرُ ذلكَ واضحاً جلياً في المحنِ والأزماتِ والجائحةِ التي تُلْجِي الناسَ لطلبِ المساعدةِ وتشعرُهم بالضعفِ وال الحاجةِ والعَوزِ.

وقد كان المجتمعُ السوريُّ بشكِّلِ عامٍ والمسلمُ بشكِّلِ خاصٍ، بطبيعته مثالاً للعطاءِ والكرمِ والفاءِ في كلِّ أحواله مع كُلِّ من طلب منه مساعدةً أو استنجدَ به أو دخلَ أرضه محتاجاً أو لاجئاً مستضعفَاً، وذلكَ لما تربى عليه من قيمٍ وتجسَّدَ ذلكَ في سلوكه من أخلاقٍ ومبادئٍ.



وهنا أرى من المفيد التعرُّض لموضوع المنظمات وأنواعها وأسباب نشأتها وما تجّع عنها من سلبياتٍ وإيجابياتٍ وما ينبغي وضعه من حلولٍ لتبقى فكرتها ضمن المجالات الإنسانية بعيدةً عن كلّ ما يحرّفها عن مسارها الصحيح.

المنظمات

تعريف المنظمة: هي مجموعةٌ من الأفراد لهم هدفٌ معينٌ يستخدمون طريقاً أو أكثر للوصول إليه.

فمثلاً هناك منظمات إنسانية، ومنظّمات إغاثية، ومنظّمات طبّية، ومنظّمات تعليميّة، ومنظّمات بيئيّة، ومنظّمات عمالية، و..... و..... وتعتبر المنظمة شخصيّة اعتباريّة لها كيانها المستقل عن الأفراد المكونين لها، وتُدار بواسطة مجلس إدارة منتخب بواسطة الجمعيّة العامّة للأعضاء.

أنواع المنظمات

تنقسم المنظمات باعتبار المكونين لها إلى نوعين:

١- منظمات دوليّة

هي الهيئات والمؤسسات التي يتَّكون منها المجتمع الدولي وتشارك في تفعيل إرادة الجماعة الدوليّة، وهي منظماتٌ لأنّها تقوم على هيكلٍ إداريٍ وتنفيذيٍّ وتقومُ على إرادةٍ مجموّعةٍ من الأشخاص الاعتبارية. وتتشَّكل تلك المنظمات من اتفاق عدّة دولٍ أو انضمام مجموّعةٍ من الدول إلى ميثاقٍ أو اتفاقيةٍ معينةٍ بإنشاء وعمل المنظمة، وهي إما:

١- منظمات عالميّة عامّة

مثل منظمة الأمم المتحدة: وهي منظمة عالميّة تضمُّ في عضويتها جميع دول العالم المستقلّة تقريباً، حيث تأسّست عام ١٩٤٥ م في مدينة سان فرانسيسكو، كاليفورنيا الأمريكية.



توجد لها مكاتبٌ رئيسيةٌ أخرى في جنيف ونيروبي وفيينا، وتشمل أهدافها: الحفاظ على السلام والأمن الدوليين، وحماية حقوق الإنسان، وتقديم المساعدات الإنسانية، وتعزيز التنمية المستدامة، ودعم القانون الدولي.

٢- وإنما منظمات عالمية متخصصة

منظمة اليونسكو:

وهي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، حيث تأسست عام ١٩٤٥ م، ويتكوّن أعضاؤها من ١٩٥ دولة، وتشمل أهدافها إرساء السلام من خلال التعاون الدولي في مجال التربية والعلوم والثقافة، والمساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

اليونيسيف:

منظمة الأمم المتحدة للطفولة، تأسست في ١١/١١/١٩٦٤ م، وتشمل أهدافها: أن تقدم دعماً لرعاية الطفولة، كما كان يعرف آنذاك بتقديم إغاثة قصيرة الأجل للأطفال.

منظمة الصحة العالمية:

هي واحدةٌ من عددٍ وكالاتٍ تابعةٍ للأمم المتحدة متخصصةٍ في مجال الصحة، وقد أُنشئت في ٧/٤/١٩٤٨ م، ومقرها الحالي في جنيف، سويسرا. وهدفها الأساسي هو تعزيز الصحة والحفاظ على سلامة العالم، وخدمة المستضعفين والتركيز على الرعاية الصحية الأولية لتحسين الوصول إلى الخدمات الأساسية عالية الجودة، وكذلك تحسين الوصول إلى الأدوية الأساسية والمنتجات الصحية، مع الاستعداد لحالات الطوارئ وتخفيف وإدارة المخاطر، ومنع حالات الطوارئ ودعم تطوير الأدوات اللازمة أثناء تفشي المرض، ودعم تقديم الخدمات الصحية الأساسية في الأماكن الهشة.



الإنتريل الدولي:

وتدعى بالمنظمة الدولية للشرطة الجنائية، وهي منظمة دولية حكومية تأسست عام ١٩١٤ م، وتضم ٢٩٤ بلداً عضواً، ويقع مقرها الرئيسي في مدينة ليونفرنسا.

ومن أنشطتها مكافحة ومنع الأنشطة الإرهابية عبر الكشف عن هوية أعضاء الشبكات الإرهابية والمتسبين إليها وتقويض العوامل الرئيسية التي تمكّنهم من تنفيذ أنشطتهم: السفر، والتنقل، واستخدام الإنترنـت، والأسلحة والمواد، والتمويل.

منظمة التجارة العالمية:

تأسست عام ١٩٩٥ م، ويقع مقرها في العاصمة السويسرية جنيف، وتقوم بإبرام مفاوضات واتفاقيات تجارية بما يخص البضائع والخدمات والملكية الفكرية، وتسوية المنازعات التي يمكن أن تنشأ بما يخص التجارة بموجب مذكرة تفاهم لتسوية المنازعات لضمان تدفق التجارة بسلامة، وبناء وتنمية القدرة التجارية عن طريق اتفاقيات وفرض التزامات على الدول لتوسيع تجارتها وخصوصاً في الدول النامية.

٣- وإنما منظمات إقليمية عامة

كجامعة الدول العربية، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة الوحدة الإفريقية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومجلس التعاون الخليجي، أو إقليمية متخصصة كمنظمة الأوبك.

٤- منظمات حكومية وطنية

وتقسم إلى قسمين:



منظمات حكومية:

تنشئها الدولة ضمن حدودها، وهي من تدعمها وتقوم بإدارتها وتحت إشرافها، وهي من تضع نظامها وبرنامجهما وخطّة عملها، وهي من تقوم بتوظيف أعضائهما والعاملين فيها.

وإن كانت أعمال المنظمة خارج حدود الدولة تسمى (غير حكومية دولية). ومثالها منظمة «أطباء بلا حدود»، و«هيئة العفو الدولية»، و«منظمة رصد حقوق الإنسان».

ومنظمات غير حكومية:

وتُسمى منظمات المجتمع المدني؛ وهي مجموع المنظمات غير الربحية، وغير الحكومية، المستقلة تماماً عن السلطة السياسية والتي يتم تأسيسها على يد أفراد أو جماعات لديهم رغبة في تكريس أنفسهم للعمل الإنساني دون السعي خلف الأرباح.

وهي مهتمة بالطابع الإنساني، تمارس عملها لتحقيق هدف معين تعاوني أو خدمي (الرعاية، والتنمية)، تقوم على أساس المواطن، والعمل التطوعي، تحصل على تمويلها من التبرعات والاشتراكات والإعانات.

تهتم هذه المنظمات بتحسين حياة الفرد وتطوير سبل الحياة أمامه من خلال الاهتمام بالتعليم والصحة وغيرها وفق برامج مدرورة ومعدّة بدقة.

وهي تشمل في مجملها:

مجموعة المنظمات الخيرية (إغاثية، طبية، تعليمية، تنمية..)، النقابات العمالية، النقابات المهنية، مؤسسات العمل الخيري، المنظمات الخاصة بحقوق الإنسان، وما يندرج تحته مما يقدم الدعم والمساعدة.

وفي هذا البحث سأتكلّم عن منظمات المجتمع المدني التي كان لها النصيب الأكبر في العمل التطوعي والإنساني في الساحة السورية.



أين نحن من منظمات المجتمع المدني؟

لم نسمع بهذا المصطلح قبل الثورة، ذلك لأنّ النظام الأسدية مجرم كان قد غيّبَ أفرادَ المجتمع عن أيِّ أمرٍ خارجَ نطاقِ نظامه، بل كان يعتبر ذلك من الموبقات التي قد تؤدي بصاحبها إلى حبل المشنقة، حتى إذا كانت الثورةُ السوريةُ المباركة وما أصابَ الناس من تبعاتٍ قاسيةٍ أفقدتهم أموالهم والكثير من ممتلكاتهم وأجلائهم للحاجة وطلب العون والمساعدة، فكانت المبادراتُ للعملِ الجماعي والتكاتفِ الأسري ومدّ يدِ العون وجسورِ المحبةِ والتعاون، فنشأ ما يسمى بالتنسيقيات ثمَّ المجالسِ المحليةِ التي لعبت دوراً جيداً في هذا المجال، ويمكن التعرّض لهم بما يلي:

١- التنسيقيات:

وهي عبارةٌ عن تجمّعٍ عددٍ من الأشخاص المبادرين والعاملين في الحراك الثوري والشعبي ضمن خطّة عملٍ لنقل معاناة الشعب وإيصال صوته من خلال الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، وقد كان للتنسيقيات دورٌ فاعلٌ في بداية الحراك الثوري من خلال الإعلاميين ونشاطاتهم، ومن خلال التشبيك بينهم في أغلب المناطق الثائرة ضمن ما يسمى (اتحاد تنسيقيات الثورة السورية) التي فرضت نفسها على الساحة السياسية ودخلت في دهاليزها حتى وصل بعض أشخاصها إلى الائتلاف الوطني وأصبح من أصحاب القرار فيه، كما كان لهم دورٌ كبيرٌ في فضح النظام المجرم عندما كان يكتم المعلومات أو يزور الحقائق، لكن ومع الزمن فقد أصاب بعضهم داءُ الشخصية وحبُّ الذات نظراً لمستواهم الإعلامي المتواضع فضلاً عن الانحراف الذي قد يصل بمن لا يدرك مخاطر العمل بين أنبياء السياسة ومخالب حظوظ النفس والشخصنة.



٢- المجالس المحلية:

مع استمرار القصف الهمجي على المناطق المحررة كان لابد للسكان من تدبير أمورهم بما هو متاح لهم وبين أيديهم حيث بدؤوا بتشكيل المجالس المحلية لتقوم بالدور الخدمي للسكان، وقد نجحت إلى حد ما بدايةً تشكيلها بما قدّمت من دعمٍ وخدماتٍ متواضعة، لكنها مع الزمن والحاجة الملحة والكبيرة بقيت مرتهنةً وأداةً بيد الائتلاف الوطني كونه المتحكم في الدعم الأساسي لها، وهو ما قيد لها عملها نوعاً ما، فضلاً عن دخول المنظمات الدولية تحت عنوان الدعم الإنساني وتواجده، وبدأت بإقامة المؤتمرات وورشات العمل وطرح الأفكار والمشاريع وتقديم الأموال الداعمة فاستدعت الكثير من شباب الداخل السوري إلى دول الجوار (مصر والأردن ولبنان وتركيا ...) حيث حياة الترف في الفنادق بعيداً عما يعيشه إخوانهم وأهلوهم، ووضعتهم تحت الدراسة والاختبار والمراقبة وأوكلت إليهم دراسة الواقع السوري وكتابة تقارير عنه وما يحتاجه من دعم يسد رمق المحتاجين من أهليهم، مع الأخذ بعين الاعتبار عدم التدخل بالأمور السياسية والعسكرية وعدم التعامل بشيءٍ من ذلك.

وبالتأمل البسيط لهذه المعادلة نجد أنَّ المنظمات الدولية نجحت في أمورٍ تريد الوصول إليها ضمن مشاريعها المُلغَّفة التي لم تكن لصالحنا، ولم نكن نحسب لها حساباً، وهي:

١. نجحت في إشغال الكثير من الكفاءات العلمية من شبابنا في غير مجالات عملهم وأبعدتهم عنها تماماً.
٢. نجحت في إخراج الكثير من بلد़هم المنكوب ليصبحوا موظفين في مؤسساتهم ويعملون لصالحهم بغض النظر عما يقدمونه من أمور ومساعدات.



٣. نجحت في إبعاد الكفاءات عن العمل السياسي والعسكري الذي خرج من أجله بدايةً لتحرير أرضه وعرضه، وجعلته شرطاً لنجاح العمل واستمراريته، وبالتالي قليلاً في ذلك نرى أن تلك المنظمات تصل إلى مشروعها (السياسي) الذي تريد تحقيقه على أكتاف شبابنا الذين خوّفthem من السياسة وأبعدتهم عنها.

٤. ولعل من أخطر الأمور التي قد لا ينتبه إليها في أماكن عمل المنظمات الدولية هو التركيز على التوظيف الأنثوي برواتب مغربية وبنسبة أكبر من التوظيف الذكوري (بذرية تمكين المرأة في المجتمع) لصرفها عن أداء دورها في التربية الأسرية وتنشئة الأطفال ومتابعتهم، واهتمامها بعمل آخر يضمن لها مالاً وثراءً، وهم بذلك يهدفون إلى تفريح المرأة من دورها التربوي المهم في المجتمع ومهمتها الأساسية في بناء الأجيال ليضموا بذلك فساد المجتمعات وانحلالها.

ومن هنا فقد لعبت المنظمات الدولية دوراً سلبياً من خلال استقطاب الكفاءات كموظفين يخدمونها وينفذون أجنداتها مضطرين لسياساتها، ومبعدين عن الجانب السياسي والثوري الذي خرجوا لأجله.

في الوقت الذي لا يُذكر فيه فوضى السلاح الذي كان سائداً بدايةً العمل المسلاح حيث كان أحد الدوافع لخروج الكثير من الكفاءات للعمل ضمن تلك المنظمات مع الرواتب المغربية، وهو ما كان سبباً في دخول الشخصيات الفاسدة التي لا تملك المعرفة الكافية والمسؤولية الواجبة لتملأ الساحة وتسدّ الفراغ.



منظمات المجتمع المدني

بنظرة متواضعةٍ إلى تعريفِ منظماتِ المجتمع المدني نجد أنَّ الإسلام قد سبق الجميع في بناء تلك القيم والمبادراتِ للدعوة إليها والتشجيعِ عليها وتبشير من سارع إليها بداعاً من إدارة الحياة التعاونية في شعب أبي طالبٍ في مكة المكرمة، ثم بتشجيعِ الصحابةِ رضي الله عنهم للمبادرة بمساعدةِ أهل الصفة والتکفل بهم، ثم بسباقِ الصحابة الكرام لوقف بعض ممتلكاتهم كما فعل (مخيريق) (١) الذي وقف حوالئه السبعة ووضعها تحت تصرف النبي ﷺ لصالح المسلمين في المدينة المنورة قبل استشهاده في معركة أحد، مروراً بشراء (بئر رومة) من قبل عثمان بن عفان رضي الله عنه في المدينة ووقفه لصالح المسلمين، وكذا فغلُه (عثمان بن عفان) في تجهيز جيش العسرة، وغيرها الكثيرُ مما يندرج في أبهى صور التعاون والتكافل الاجتماعي الذي يختلفُ في صوره وأشكاله من مجتمعٍ لآخر ومن مرحلةٍ لأخرى حتى أصبحَ هذا الأمرُ ركناً رئيسياً ضمن مؤسسةٍ رسميةٍ سميتُ (نظام الوقف)، لها إدارتها الخاصةُ التي تتبع أمرورها وتزيد من أعمالها الخيرية وبصماتها الإنسانية لتبقى إلى يومنا هذا الذي تجلت فيه المبادئ الساميةُ في أماكن الوقف الإسلامي بكلِّ أشكالها وجميع مجالاتها (في تركيا مثلاً)، لترسم الصورةُ الجميلةُ الرائعةُ التي كانت في ظلَّ الخلافة العثمانية.

ثم كادت تنتهي، وتتنمي آثارُها الطيبةُ بعدما أُسقطت الخلافة العثمانيةُ، وتسلط الطغاةُ والمستبدون لتجهز لنا تلك المصطلحاتُ الجديدةُ التي تحمل الإنسانية في عنوانها وتحفي الحقدَ والعلمانيةَ في جوهرها وحقيقةَ ونحن في غفلةِ الفقرِ وال الحاجةِ غارقون، في خطوةٍ خطيرةٍ تقوم بها المنظماتُ الدوليةُ لما رب بعيدةٍ قد لا تبدو للناس بدايةً.

تدخل من خلال الدعم والمال إلى مكامن النفس وطبعَ التفكير لتغييرَ فيها بما زرعته من أفكارٍ وتصورات، وتثبتَه عندهم بما تقدمَه من دعمٍ وبرامجٍ ترفهيةٍ



ودروس تبشيريّة مستمرة وطويلة الأمد، ليخرج بعد ذلك الجيلُ الذي لا يعرف من دينه وعقيدته إلّا الاسم والعنوان.

وهذا ما كان واضحاً من خلال طبيعة بعض المنظمات العاملة في الساحة السوريّة وخططها، لكن لم تكتمل خطّهم والحمد لله، فلقد كان الشعب السوريُّ واعياً متفهّماً لما يدور حوله، وكانت المنظمات الأخرى تسدُّ وتغطي الكثيرَ من حاجات الناس، إلّا أنَّ المأساة السوريّة كانت أكبرَ بكثيرٍ ولا تكفيها منظماتٌ بمفردها، بل تحتاج لدولٍ بأكملها، فضلاً عن بعض التجاوزات التي اعترضتها وحرفت مسارها والتي سألفت النظر إليها حتى يتم استدراكيها وتصويب الخلل فيها.

منظمات المجتمع المدني السوري بعد الثورة

ذكرنا آنفاً أنَّ الأنظمة الاستبداديّة لا تسمح بآيةٍ مبادرةٍ من شأنها العمل الجماعيُّ المبنيُّ على التعاون والتكافل الاجتماعي، كذلك هو حال نظام الأسد المجرم في قمعه واستبداده، بل كان أشدَّ قسوةً وأكثرَ تعقباً لأيِّ حركةٍ تعمل ضمن هذا المجال أو غيره خارج نطاقها، ولذلك كان التصحرُّ الفكريُّ والإداريُّ هو عنوان المرحلة عند شباب الثورة الذين وجدوا أنفسهم في دائرة الحرب الهمجيّة المجنونة وفي مستنقع الحاجة والفقر المدقع الذي يتطلب منهم عملاً ضخماً وإمكانياتٍ عظيمةً لسدّ الفراغ الذي توجّب عليهم ملؤه.



لم يكن الشعب السوري بحاجةٍ لمن يقدم له المساعداتِ المادية والإغاثية بدأياً، لكن في أواخر عام ٢٠١٣م، ومع اشتداد القصف الهمجي والصواريخ المدمرة للأحياء السكنية في الشمال السوري بشكلٍ عام ومدينة حلب بشكلٍ خاص والذي كان سبباً في تهجير مئات الآلاف نحو الحدود التركية ظهرت الاحتياجاتُ وضرورةً مدعى العون والمساعدة للناس الذين باتوا بالعراء تحت أشجار الزيتون، حيث سارعت منظمة الإغاثة الإنسانية (Ihh) التي كانت أولَ المنظماتِ العاملةِ في الساحةِ السوريةِ وأسّست مكتبهَا في ولاية هاتاي التركية ضمن خطٍّ عملٍ مدرسوٍ ومنضبوٍ كونها صاحبةٍ باع طويلاً تعمل في أكثر من مئة وخمس وثلاثين دولةً في العالم، وقد ساعدتها في عملها الإنساني والإغاثي انتشارُ المأساةِ السوريةِ على الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي الذي كان سبباً في التفاعل العالمي مع القضيةِ السوريةِ فانهال الدعمُ الإغاثي بكلِّ أشكاله، وكان لمنظمة الـ Ihh التركية البصماتُ الرائعةُ في ذلك فأسّست مكاتبَ فرعيةً لها في الداخل السوري لتبقى على تماسٍ مباشرٍ وإطلاعٍ تامٍ بالاحتياجاتِ المدنيةِ للمنكوبين في الداخل السوري المحرر، ثمَّ مع استمرارِ المأساةِ السوريةِ وعدمِ الجديةِ الدوليةِ بحلِّ الأزمة دخلت عشراتُ المنظماتِ بحجّةِ الدعمِ والمساعدةِ واستقرت في تركيا بجانب المناطق الحدودية المحاذية لسوريا، وبدأت باستدعاء الكفاءاتِ العلميةِ التي عملت من خلالهم في الساحةِ السوريةِ، كما دخلت عشراتُ المنظماتِ إلى الداخلِ السوري لتبدأ نشاطاتٍ واسعةً تقدم فيها الكثير من الاحتياجاتِ الالزامية لشعبِ المنكوب، ومن تلك الجمعيات على سبيل المثال

جمعية عطاء للإغاثة الإنسانية، وجمعية شفق، والأيدي البيضاء، والبنفسج، وغيرها من الجمعيات السورية الكثيرة.

علماً أنه يمكن تصنيفُ المنظماتِ العاملةِ بجميع مجالاتها الإغاثية والإنسانية والطبية والتعليمية إلى أصنافٍ:

١. منظمات إنسانية: كان معظمها مبادرات لمجموعاتٍ من المغتربين السوريين من أصحاب رؤوس المال ورجال الأعمال وغيرهم ممّن يشعرون بالأمانة والمسؤولية تجاه أهليهم وإخوانهم في الداخل السورية، وقد قدّموا الكثير من الدعم والمساعدات في كل المجالات الإغاثية والإنسانية والصحية والتعليمية وغيرها مما يحتاجه الشعب المنكوب.

٢. منظمات مشبوهة: دخلت تحت اسم الإغاثة والمساعدات، لكنها وبالتدقيق بطريقة أعمالها وطلباتها للمعلومات عن المناطق التي تريد مساعدتها تدرك تماماً أنّها تقوم بدراسةٍ أمنيةٍ مخابراتيةٍ عن أهل المنطقة، ولم تكن تلك المنظمات العاملة بالعدد القليل، حتى أصبحت المناطق المحرّرة وكأنّها تدار ضمن غرفة عمليات المخابرات العالمية.

وهنا أرى من الإنصاف أن نذكر أوجه عمل المنظمات ودّوافعها وما قدّمته للساحة السورية إيجاباً وسلباً.

إيجابيات عمل المنظمات:

١. التخفيفُ عن الناسِ المنكوبةِ في الظروفِ القاهرةِ وعند الجوابِ والأزمات.
٢. إيجادُ فرصِ عملٍ لأصحابِ الحاجةِ وإخراجِهم من دائرةِ الفقرِ وال الحاجةِ من خلال مشاريعٍ صغيرةٍ محدودة.
٣. دفعُ العملية التعليمية نحو الأمام وفتحُ بابِ العلمِ أمامِ ذوي الحاجةِ من الراغبينِ في تلقيِ العلم.
٤. تشجيعُ أصحابِ المبادراتِ والمهاراتِ بفتحِ مشاريعٍ انتاجيةٍ تفتحُ أمامَهم آفاقاً تجاريةً واسعة.
٥. تأمينُ فرصِ عملٍ كبيرةٍ لأصحابِ الشهاداتِ والكفاءاتِ وحصرِ عملِهم في الداخلِ السوريِ منعاً لهجرةِ العقول.



سلبيات عمل المنظمات:

١. الاختراقُ الأمني الذي حَوَّل مسارها الإنساني إلى مخابراتي يجمع المعلومات مقابل فُتاتٍ بسيط.
٢. انتقاءُ العاملين في المنظمات على وَفْقِ معاييرِ تناسب الجهات الداعمة بعيداً عن أهداف المنظمة الحقيقية المعلنة.
٣. تفشيِّ الفسادِ الإداري ضمن المنظمات وعدم وجود الرقابة التي تقضي عليه أو تحدُّ منه.
٤. انتشارُ المحسوبيات في التوظيف والإدارة على أساسٍ مناطقيٍّ أو فكريٍّ بعيداً عن الخبرة والكفاءة.
٥. غيابُ المسؤولية في صرف الأموال التي استُجلبت لصالح الثورة في غير مكانها.
٦. الخلُلُ في توزيع الإغاثات وعدم وصولها إلى مستحقِّها أحياناً، وبروز الابتزاز في كثيرٍ من الأحيان، الذي يتجلّي بوضوحٍ في طريقة التعامل والإذلال الذي يمارس على المحتاجين والمستضعفين.
٧. عدم وجود الخبرة الإدارية لعمل المنظمات فتح الطريق أمام الفاسدين للوصول لرئاسة بعض المنظمات، إضافَةً لأساليب التسلق والتزلف والخداع التي أبدعوا فيها، وهو ما كان سبباً في فساد المنظمة بأكملها وتحويلها لمزرعةٍ تخدمه وعائلته وأقربائه أو من يوالونه ويسبحون بحمده.
٨. تعويُّد اللاجئين والنازحين على التواكل والتکاسل عن العمل وربطه بالسُّلَّة الإغاثية بشكلٍ دوريٍّ بعيداً عن القضية الأساسية التي خرج من أجلها.
٩. الصور التي تؤخذ بحجة التوثيق في كثيرٍ من الأحيان غير لائقَة، وغير مقبولة، وهي مهينةٌ لشعبٍ قدم وبذل وأعطى وضحى بكلّ ما ملك، وقد تُستخدم تلك الصور لاستجرار المال أو للمصالح الشخصية وغير ذلك مما لا يليق بهذه الثورة.



١٠. إيصال اللاجئين والنازحين إلى مستوى يستسهل قتال جاره من أجل السلة الإغاثية، ويقف على أبواب المنظمات الساعات الطوال، حيث حولته المنظمات بذلك إلى متسولٍ فقد الحياة الذي كان يتجمّل به، وتجاهل عزّته وكرامته التي أخرجته في ثورته.
١١. الدور السلبي الذي لعبته المنظمات في ربط مصير الناس بهم بما تقدّمه لهم من فتاتٍ بسيطٍ في الوقت الذي تقدر على تمكينهم من الحياة بشكلٍ يؤمن لهم مصدر رزقهم والحفاظ على كرامتهم على مبدأ: (لا تعطني سمةً ولكن علمي كيف أصطاد).
١٢. أغلب المنظمات مرتهنةٌ لمنظمة الأمم المتحدة وتعمل ضمن خططها أو للدول الداعمة، وهذا السبب الذي يفرّغها من مهمتها الأساسية.

بعد سبر الخلل الذي أصاب عمل المنظمات الإنسانية بالرغم من أهدافها الراقية التي تسمو بها على كل المؤسسات العاملة كان لا بدّ من الإشارة والتركيز على بعض النقاط للتوصيب وتصحيح الخلل وخاصةً أنها (أي المنظمات) حلقة الوصل الرئيسية بين الشعب والقيادة السياسية للدولة والتي يمكن أن يكون لها البصمات الرائعة في المجتمعات، ولذلك لا بدّ من:

١. تنظيم مؤسسات المجتمع المدني التي ترسّخ القيم الفكرية وتحقيق النهضة الاجتماعية من خلال دور النّخب والمرجعيات والقامات العلمية التي تسارع بالمبادرات لتجمّع الشعب ضمن روابط مهنية واجتماعية وفكريّة وعملية تضبط عملها ضمن نظامٍ داخليٍّ ملزم يضمن سلامّة العمل وصحّته ويشعرُ الشعب بالثقة والاطمئنان.
٢. الانتباه لترشيد الإنفاق من خلال إدارته بشكلٍ مدروسيٍّ ومسؤولٍ بكفاءاتٍ صاحبة أمانةٍ وعلمٍ وخبرةٍ وتقوى.



٣. الحرص على إيصال المستحقات إلى أصحابها الحقيقيين بعيداً عن المحسوبيات والشخصنة والنزعات الشيطانية التي تحرف المسار الخيري وتعكس أهدافه، ويكون ذلك من خلال المتابعة والاستقصاء الدائم.
٤. الحرص والتذكير على مقومات النجاح في الأعمال المجتمعية التي تتجلى في:
- الفكر والتخطيط السليم.
 - الإدارة الحقيقة لتنفيذ الخطط.
 - الدعم المادي لإقامة المشاريع.

إن الأولوية اليوم تكمن في إنشاء الأجسام المدنية التي يحتاجها شعبنا، فوجودُ الفكرة الصحيحة والإرادة القوية قد يصنع المال، وإن لم يستطع فإنه يعمل ضمن الجهود التطوعية الممكنة.

أمّا إن وجدَ المال ولم تسبقه فكرة وإرادة، فحينها قد تكون الكارثة، حيث يتصدر اللصوص وغير الأكفاء، وتضيّع الأموال التي يمكن أن يدفعها من حرم نفسه وعائلته ليقدم خيراً لأمته وشعبه.

فالفكرة الصحيحة أولاً، والإرادة ثانياً، وأخيراً المال، وقد علمتنا سنوات الثورة الطويلة أن الفكر السليم والإرادة الصلبة إذا اقتننا يصنعان الحلول ويصنعان المال، ولكن المال مهما كثُر لا يصنع فكرة ولا يولد إرادة.
 «كما علمتنا أن الحلول التي لا نصنعها بأيدينا لا يمكن أن تكون أبداً مصلحتنا».^٢



الفصل السادس

«الثورة السورية منبع العزة والكرامة ومنتبر التضحية والوفاء» حيث إنّ الثورة قامت على المبادئ العادلة والحقوق المشروعة لهذا الشعب الكريم الذي خرج لانتزاع عزّته وكرامته، وقدّم الغالي والنفيس وضحى بكلّ ما يملك غير آبهٍ لخساراتٍ أصابته أو لابتلاءاتٍ ألمت به لأنّه صاحبٌ مبدأً خرج لأجله وسيموت من أجله.

وفي هذا الفصل مبحثان، هما:

المبحث الأول

الثورة السورية توصيات واجبة بين الواقع والمأمول

المبحث الثاني

الثورة السورية صفحاتٌ ناصعةٌ وتاريخٌ مشرق
(عزّةٌ وكراهةٌ، تضحيةٌ وفاءٌ)



المبحث الأول

الثورةُ السوريةُ توصياتٌ واجبةٌ

بين الواقع والمأمول

الحقيقةُ أنَّ ما آلتُ إليه أمورُ الساحة لم يكن من الطموحاتِ الشعبيةِ للسوريين، ولم يكونوا يتوقّعون أنَّ يصل الحال بهم إلى هذا الوضع من الضعف والإنهاك والانكسار متجاهلين الأسباب الكثيرة التي أوصلتهم لذلك والتي كنتُ قد تحدّثتُ عنها في بحثٍ سابقٍ موضحاً أسبابها الداخلية التي هي من صنع أيديهم، والخارجية التي لا طاقةَ لهم بها، ولعلَّ من المفيد إعادةُ تلك الأسباب على سبيلِ العرضِ والتذكيرِ والتي تتجلى: بانحرافِ مسارِ الثورة عن أهدافها الحقيقيةِ التي خرجت من أجلها، والمالي السياسيِ الذي دخل الفصائل المقاتلةَ فزاد من انحرافها وتدميرها، وفي أسلمةِ الثورة وأدلجتها بما استجلب علينا ضياعَ العالمِ واستعداءه، فضلاً عن تصديره لفتاويِ التكفيرِ والردةِ بين أبناءِ البلدِ الواحدِ والبيتِ الواحدِ في بعضِ الأحيان، وكذلك في الأطماءِ الدوليةِ في نهبِ الثرواتِ وسرقةِ خيراتِ البلدِ في الوقتِ الذي فشلت فيه النُّخبُ والرموزُ في تأخذ دورها الحقيقيِ في تصحيحِ البوصلةِ وتحديدِ مسارها الصحيح، كما لم تستطع جمعِ الجماهيرِ الثوريةِ على قيادةٍ واحدةٍ يلتَفِ الجميعُ حولها، بينما تخليَ العالمُ المتحضرُ عن قيمِه ومبادئِ الحضارةِ التي يدعُها في نصرةِ المظلوم وردعِ الظالم.

لكنَّ حالةَ الضعفِ والإنهاكِ التي وصلَ إليها الشعبُ السوري جعلته يرضى بأيِّ حلٍّ من شأنه أنْ يُخرج عائلةَ الأسدِ ونظامَه المجرمَ من السلطة، أيَّ أنه تنازلَ عن سقفِ طموحاته من (المأمول) الذي كان يرجوه إلى (الممكن) الذي يتخلّصُ به من ذاكِ النظامِ المجرم.



وخاصّةً أنّ الثورة لم تستطع تصدير كفاءاتٍ سياسيةٍ فاعلةٍ بالمستوى السياسي المطلوب لإدارة الأزمة، فانبرت بعض الدول ذات المصالح الخاصة لتصدير شخصياتٍ تتبع لها وتعمل لصالحها بعيداً عن المصلحة الثورية السورية، فكان التباين الواضح والاختلاف الكبير والبون الشاسع بين الداخل صاحب القضية وبين الخارج مدّعهما.

وهذا ما جعل الثورة السورية في عنق الزجاجة لا يستطيعون إخراجها حيّةً قويةً، ولا يضمنون بقاءها سليمةً متعافيةً.

لكن ذلك الواقع المريء لن يدفع الشعب السوري للاستسلام أبداً ولن يُنهي عن استدراك الأمور وتصويب المسار من خلال وضع اليد على الجرح النازف في الثورة لإيقافه ووضع الدواء المناسب له لطالما يملك من الوقت ما يندمُ به الجرح ويعود جسدُ الثورة إلى صحته وعافيته من خلال الحل المأمول للثورة وأهلها

والذي يتجلّى في (التوحد والاندماج) بين الفصائل الموجودة في الساحة السورية من خلال تشكيلٍ واحدٍ وقيادةٍ واحدةٍ مع الإعداد والاستعداد والتحضير ورفع الجاهزية على الدوام، لأنّ الأصل في الأعداء سوء الظن في وقت السلم فما بالنا به في وقت الحرب ويكون ذلك من خلال:

١. مجلسٌ عسكريٌّ بقيادةٍ عسكريةٍ فاعلةٍ معروفة، تُعني بالأعمال القتالية ضدّ النظام وحلفائه وأيّ دُوّ صائِلٍ أياً كانت وجهته وعقيدته.
٢. هيئةٌ سياسيةٌ كفوءةٌ من شخصياتٍ وطنيةٍ مقبولة، تُعني بالعلاقات الخارجية وعلاقتها مع دول العالم بالتنسيق مع الداخل لضمان التشاركيّة بالقرار والإحاطة بكل ما يدور حولنا وما يحاك لنا.
٣. مجلسٌ شوريٌّ موسّعٌ من شخصياتٍ تمتازُ بالعلم والحكمة والجرأة والنزاهة، وتكون البوصلة التي توجه السفينة إلى بِرِّ الأمان بقراراتٍ ملزمة، وتعنى بدراسةٍ كلٍّ ما من شأنه تسخير أمور الدولة وتحقيق المصلحة العامة



الداخلية والخارجية، مع اعتماد ميثاق يجمع فصائل الساحة السورية كلّها ويحقق طموحاتها كالمبادئ الثورية الخمسة التي أُعلن عنها المجلس الإسلامي والتي كانت محلًّاً لجماعٍ كبيرٍ لغالبيّة قوى الثورة المتمثّلة بـميثاق العام للائتلاف الوطني السوري، والمبادئ العامة للهيئة العامة للثورة السورية وميثاق الشرف السوري والتي هي:

- إسقاطُ بشار الأسد وكافة أركان نظامه وتقديمهم للمحاكمة العادلة.
- تفكيكُ أجهزة القمع الاستخباراتية والعسكرية وبناءً لأجهزةٍ أمنيةٍ وعسكريةٍ على أسسٍ وطنيّةٍ نزيهةٍ مع المحافظة على مؤسسات الدولة الأخرى.
- خروجُ كافةِ القوى الأجنبيةِ والطائفيةِ الإرهابيَّةِ من سوريا ممثلاً بالحرس الثوريِّ الإيرانيِّ وحزبِ اللهِ وميليشيا أبي الفضل العباس وتنظيم الدولة.
- الحفاظُ على وحدةِ سوريا أرضاً وشعباً واستقلالها وسيادتها وهويتها شعراً.
- رفضُ المحاصصةِ السياسيَّةِ والطائفيةِ.

٤. هيئةٌ مدنيةٌ تحت أيِّ مسمى، لإدارة المؤسسات المدنية والخدمية والقضائية بعيداً عن التجاذبات الفصائلية والهيمنات الحزبية.

من هنا ومن خلال دراسةِ السيرة النبويةِ الشريفةِ نلاحظُ أنَّ النبي ﷺ ركَّزَ على بناءِ الشخصيةِ الإسلاميةِ المتوازنةِ المتكاملةِ ليصنع جيلَ النصرِ والتمكين الذي سيكونُ القاعدةُ الأساسيةُ في الصرحِ الإسلاميِّ العظيم، ولن يكونَ كُلُّ فردٍ من أصحابِه لِبنيَّةِ قويةٍ في هذا البناءِ الشامخِ.

- لا بدَّ من العمل على إنشاءِ جيلٍ مسلمٍ واعٍ مُترَبٍ على منهاجِ الكتابِ والسنةِ، يشعرُ بمسؤوليته تجاهِ نفسهِ وإخوانه وربّه، جيلٌ فريدٌ في أخلاقِه وسلوكِه وعلاقاته ومعاملاته، جيلٌ يبدو كُلُّ فردٍ من أفرادِه شخصيةً متوازنةً سويةً متكاملةً.



متوازنٌ: تعطي للجسم حقه من العناية، وللمظهر ما يستوجبه من الرعاية في الشكل والمضمون.

سويةً: بما أكرمه الله من عقلٍ راجحٍ وتفكيرٍ سديدٍ، وفهمٍ عميقٍ ومنطقٍ سليمٍ ونظرةٍ ثاقبةٍ.

متكاملاً: في تربيته لا يطغى جانبٌ على جانبٍ ما بين جسمه وعقله وروحه، فكلُّ له حقٌ يجب أن يحصلَ عليه.

- جيلٌ يدركُ مسؤوليته تجاه أهلهِ وإخوانه وجيرانه والناس أجمعين. فهو صادقٌ معهم، وفي لهم، متسامحٌ في معاملتهم، متواضعٌ في مجالسهم، يُحِلُّ كبارهم ويحترم صغارهم، حريصٌ على نفعهم، يسعى في مصالحهم ودفعِ الضرر عنهم، يدلُّهم على الخير ويسيِّرُ أمامهم إليه، وقف عند حدود الله، مطیعٌ لأوامره، فيجتنبُ نواهيهُ وزواجره، أساسُ منهجِ الإيمانُ وميزانُ عمله التقوى والعمل الصالح والإحسانُ.

من أعظم أسرار الانتصارات في المعارك العسكرية لطرفٍ على خصمٍ تُمْتَعِنُه بالإخلاص لقضيته، وإيمانه بها والدفاع عنها، وبذل الدماء والأرواح من أجلها، وهذا ما يميِّز جنودَ الحقِ الذين يقدِّمون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله عن جنودِ الباطلِ الذين إن تحمسوا لقضيتهم فلن يقدِّموا إلا جزءاً من أموالهم، ويبعدون أنفسهم عن لظى المعارك وحمى الموت بعد المشرق عن المغرب، لأنَّهم أحقرُ الناس على حيَاةٍ في الوقت الذي كان فيه أهل الحق أحقرُ على الشهادة في سبيل الله فضلاً عن مبادئهم وأهدافهم وعدالة قضيتهم التي خرجوا من أجلها، بينما يُسَيِّرُ أهل الباطل إلى حتفهم لإشباع شهواتِ غيرهم وتحقيقِ نزواتهم كقطعاً تُسَيِّرُها الغرائز.

- هذا هو الجيلُ الذي يجبُ السعيُ لإنشائهِ لأنَّه الدعامةُ الأساسيةُ التي تُبني عليها النهضةُ الاجتماعيةُ للأمةِ الإسلاميةِ فتسموُ بها عن غيرها بين الأممِ كأنَّها الجبالُ الراسياتُ أمامَ العواصفِ العاتيةِ.



- بإنشاء هكذا جيل فاهم لحقيقة رسالته المنوطه به في الحياة، واع لما يدور حوله ويحالف له من مكري وخداع، يمكن أن يعيده للأمة عزتها وكرامتها ويحفظ عليها دينها وعرضها وأرضها، لأنه سيصنع الرجال وينبت القادة والأبطال، فيستلمون زمام المبادرة لقيادة الأمم وريادة الشعب.
- لا بد من التوازي بين القيادة والأفراد، والحرص على التعاون والتكميل والوحدة والاعتصام وتبادل الآراء والأفكار المشورة في الأمور الاجتماعية مع أهل الكفاءة والاختصاص، دون تحييد أو إقصاء للوصول إلى أفضل الحلول وأنسها وأصلاحها للأمة.
- لا بد من الاحترام المتبادل فيما بين أفراد المجتمع وقياداته عند الاختلاف في الآراء و التماس الأعذار لبعضهم لصالح المصلحة العامة والعمل على المشتركات والمتواافقات في تسيير أمور الأمة وعدم الوقوف عند سفاسفها.
- العمل على تنظيف البيت الداخلي للأمة الإسلامية من المنافقين والمرجفين الذين يتربصون بال المسلمين الدوائر من خلال نفاقهم واحتراقهم للصفوف حتى يصلوا إلى مراتب متقدمة في التوجيه والتأثير ، فيعملوا على زعزعة الصنوف وبيث الفرقة بين المجاهدين وكشف الخطط وأسرار العمليات وإيصالها إلى دوائر الكفر والطوغait فيقطعوا على المسلمين أهدافهم ويعرضوهم للبلاء والمصائب والمحن.
- دراسة قوة الأعداء وإمكانياتهم وعدم الاستهانة بها مهما كانت قليلة أو ضعيفة، ويتضمن ذلك أعداد مقاتلتهم وتنوع كفاءاتهم العسكرية الفعالة وكامل طاقاتهم العاملة وجميع تشكيلاتهم القتالية ومعرفة أماكن تمويعهم ونقاط ضعفهم وقوتهم لكيفية التعامل معهم، كذلك ما يملكون من أنواع الأسلحة واستعمالها ومدى قوتها وتأثير ضررها ودميرها لإيجاد طرق التعامل معها والتخفيض منها إن لم تستطع القضاء عليها، وكل ذلك مما سبق لا يكون إلا عن طريق الإعداد والاستعداد بكل أشكاله وأنواعه.



والإِعْدَادُ هو أَمْرٌ رِّبَانِيٌّ وَرَكْنٌ رَّئِيْسِيٌّ مِّن أَرْكَانِ الْمَعَارِكِ لَا يُمْكِنُ التَّقْصِيرُ فِيهِ وَلَا الْاسْتِهَانَةُ بِهِ، وَهُوَ ضَمْنَ الْمَقْدُورِ وَالْمَتَاحِ، وَلَعِلَّ مِنَ الْمَفِيدِ التَّعْرِضُ لِبَحْثِ الإِعْدَادِ الَّذِي يَنْبَغِي تَعْلُمَ أَصْوَلِهِ وَمَبَادِئِهِ وَالَّتِي تَتَجَلَّ بِمَا يَلِي: الإِعْدَادُ الْمُتَوَالِ بِكَافَّةِ أَشْكَالِهِ وَيُقْسَمُ إِلَى قَسْمَيْنِ (مَعْنَوِيٍّ وَمَادِيًّا).

١. الإِعْدَادُ الْمَعْنَوِيُّ: وَهُوَ التَّرْكِيزُ عَلَى النَّوْعِيَّةِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ تَرَبُّوا عَلَى الْعِلْمِ بِأَمْرِ دِينِهِمْ وَالْعَمَلِ لِأَجْلِهِ وَالدُّعَوَةِ إِلَيْهِ وَالصَّابَرَ عَلَيْهِ وَتَحْمِلِ الْمَشَاقِ فِي سَبِيلِهِ، وَهَذَا لَا يَعْنِي تَرْكَ الْبَقِيَّةِ مِمَّنْ لَا يَمْلِكُونَ تَلْكَ الصَّفَاتِ أَوْ بَعْضَهَا، بَلَّ لَا بَدَّ مِنَ السَّعْيِ لِتَرْقِيَّةِ الشَّابِِ الْمُسْلِمِ فِي سُلْطَنِ الْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالسَّيْرِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ لِيَكُونَ هَذَا الْجَيْلُ الدَّاعَامَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِهَذَا الدِّينِ، وَلِيَكُونَ كُلُّ فَرِيدٍ مِّنْ أَفْرَادِ هَذِهِ الْأَمَّةِ لِبِنَةً صَالِحةً فِي صَرْحِ الْأَمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَيَكُونُوا بِذَلِكَ مَنْبِعَ الْخَيْرِيَّةِ بَيْنَ الْأَمْمِ كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿كُنْ خَيْرًا أُمَّةً أَخْرَجَتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

٢. الإِعْدَادُ الْمَادِيُّ: وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ: (مَالِيٌّ وَجَسْمِيٌّ - وَتَدْرِيَّيٌّ - وَإِعْلَامِيٌّ). • الإِعْدَادُ الْمَالِيُّ: وَهُوَ مِنْ أَهْمِّ جُوانِبِ الإِعْدَادِ لِأَنَّهُ أَسَاسُ الْجَهَادِ وَعَصْبُ الدُّعَوَةِ، وَتَأْتِيُّ أَهْمِيَّتُهُ مِنْ عَظِيمِ فَعَالِيَّتِهِ فِي تَأْمِينِ مَا يَحْتَاجُهُ الْمُجَاهِدُونَ مِنْ سَلاحٍ وَمَتَاعٍ، فَلَا تَكَادُ تَخْلُوَ آيَةٌ مِّنْ آيَاتِ الْجَهَادِ إِلَّا وَيُذَكِّرُ فِيهَا الْجَهَادُ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْعَمَلِ عَلَى إِقَامَةِ الْمُؤْسَسَاتِ الْإِنْتَاجِيَّةِ وَالْمَشَارِيعِ التَّنْمَوِيَّةِ وَتَفْعِيلِ الْمُنظَّمَاتِ الْاِقْتَصَادِيَّةِ لِضَمَانِ اسْتِمرَارِ الْعَمَلِ الْجَهَادِيِّ مَعَ بُثٍّ رَّوِيِّ الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَالتَّضْحِيَّةِ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلْمَةِ اللَّهِ.



• **الإعداد الجسدي:** هذا الجسم الذي هو هبة من الله على سبيل الأمانة والذى سيترتب عليه المحاسبة والسؤال عند التقصير في حقه، فكان لا بد من الاعتناء به والمحافظة عليه واستخدامه فيما يرضي الله تعالى فيما أمر، ولعل من أفضل ما أمر الله سبحانه به أن يقدّم هذا الجسم قربة له وفي سبيل دينه وإعلاء كلمته، وهذا يحتاج لأن يكون هذا الجسم على استعدادٍ كاملٍ وأهليةٍ تامة.

لذلك كان لا بد من تغذيته بما ينفعه ويقويه من طعام وشراب وإبعاد ما يضره و يؤثر على صحته وقوامه.

كان لا بد من تعويذه على ما يقويه وينميء من رياضة وسباحة وركوب خيل وغيرها مما فيه تقوية للجسم وتعويذ له على تحمل الشدائيد والمحن. كما لا بد من تعويذه على الصبر وتحمل المصائب والمصاعب وأنواع الشدائيد والمكارى من تغلب النفس على شهواتها والشيطان ووساوسه التي قد تعرّض المجاهد في حياته.

• الإعداد التدريبي:

و هذا الجانب في غاية الأهمية هذه الأيام التي بات الأعداء يمكرون ويتکالبون على هذا الشعب المسكين ويقاتلونه بجميع أنواع الأسلحة.

لذلك كان لا بد من تعلم كل أنواع الأسلحة التي هي ضمن الاستطاعة والإمكانيات دون كليل ولا ملل، إذ لا يفل الحديد إلا الحديد، ولا يجاهبه السلاح إلا بالسلاح، وإذا تقاعست الأمة عن ذلك وتذرعت بأنها أمة محمدٌ ولن تُقهر ولن تنهزم وأن الله سينصرها لأنها مؤمنة، فهي عندئذ واهمة مخدوعة، فإن الله لا ينزع النصر على الكسالى ولا على المتقاعسين، وإنه ينصر الكافر العادل على المؤمن الظالم الذي قصر في حق نفسه وإخوانه ووقع في ظلمهم بدل أن ينصفهم حقّهم ويسعى بخدمتهم.



• الإعدادُ الإعلاميُّ: أو كما يسمُونه بالسلطة الرابعة لِمَا لَهُ من أهميةٍ كبرى لا تقلُ عن السلطاتِ الثلاثِ في قيادةِ الأمم وسِيادةِ الشعوبِ، ولا يخفى على أحدٍ أهميةُ الإعلامِ في نشرِ الإسلامِ وسماحةِ المسلمينَ في أصقاعِ الأرضِ وميادينها، وفضحِ الباطلِ وأهلهِ وكشفِ خبئِهم ومكرِهم. وكذلك نشرُ الأخلاقِ الإسلاميةِ وفتواهِ المسلمينَ وانتصارِهم ورحمتِهم بغيرِ المسلمينَ.

كذلك التعريفُ بالجهادِ والمجاهدينِ بِالمعنى الصحيحِ الذي حاولَ تحريفَه المبطلون والمنافقون وغيرُوا معناه الحقيقيَ ليصرفُوا الناسَ عنه ويشوّهوا صورته.

لابدَ من بثِ الروحِ المعنويةِ في قلوبِ المجاهدينِ وصفوفِ المُوحدينِ ونشرِ البهجةِ والسرورِ في بيوتِ الآمنينِ وتوجيهِهم التوجيهَ الرشيدَ القويمَ. لا بدَ من الصخَّ الإعلاميِ الكبيرِ ونشرِ الحربِ النفسيةِ في نفوسِ الأعداءِ والمنافقينِ وتخذيلِ الكفارةِ والمحتلِينِ بما يُدخلُ الخوفَ والهلعَ إلى قلوبِهم، فيشتتُ قوتَهم ويضعفُ عزيمَتهم ويحطُّ من معنوياتِهم.

وهذا يحتاجُ لعملٍ مستمرٍ وكفاءاتٍ مختصةٍ تعملُ ليلاً نهاراً لتحقيقِ نجاحٍ لا يقلُّ أهميةً عن النجاحِ العسكريِّ، فكم من المعاركِ حُسمت دون إطلاقِ رصاصٍ واحدٍ، وكم من المدنِ سُلِمت دون أيِّ قتالٍ يُذكرُ، وكم من فئةٍ استسلمت دون أيِّ مناوشاتٍ تذكرُ، إذ كانَ السبُبُ الرئيسيُّ في ذلك هو الإعلامُ القويُّ الهدفُ عندَ الخصمِ الذي استطاعَ أن يوجهَهُ بالشكلِ الصحيحِ وفي الوقتِ المناسبِ وفي الخاصرةِ الأضعفِ التي يجسمُ الخصمُ فيه المعركةَ لصالحِهِ بدونِ خسائرٍ تُذكرُ.



الآن وبعد المعادلات السابقة التي عرضناها عن حال الساحة من الواقع المؤلم المريض مع فشلنا تحقيق المأمول الذي نطمح إليه من التربية والتهذيب لأنفسنا والإعداد والاستعداد لأعدائنا كان لا بدّ من العمل والتوصي، بل والتواصل مع حلفائنا الأتراك الذين يقفون بنفس الخندق الذي نحن فيه كدولةٍ فتيةٍ تشقُّ طريقها نحو الريادة والسيادة العالمية، وقد يكون العمل تحت الإشراف والوصاية التركية أفضل الممكن والمتاح بالنسبة لنا في هذه المرحلة.



الدور التركي وفرص النجاة

لم يتغير الدور التركي تجاه الثورة السورية بالرغم من التبعات القاسية التي أصابت تركيا جراء وقوفها مع الثورة والثوار، ولن أعرض هنا ما قدّمه من مساعداتٍ عظيمةٍ وما أظهرته من مواقفٍ رفيعةٍ على المستوى الداخلي والخارجي في الدعم المتواصل.

وقد يكون ذاك الدعم لتأمين أنها وتحقيق مصالحها (وهذا حقها)، كما قد تكون أخفقت في بعض الخطوات التي اتخذتها مع روسيا وإيران اجتياحاً حسب الواقع والمرحلة التي تعيشها الثورة، والحال التي تعانها تركيا على المستوى المحلي والدولي وما كان من نتائجه انتزاع أكثر من خمسة عشر ألف كيلومتر كمناطق آمنة للسكان (منطقة درع الفرات غصن الزيتون نبع السلام)، يمكن للمدنيين الالتجاء إلى تلك المناطق أمناً على أنفسهم وعائلاتهم من القصف الروسي والأسيدي الهمجي، وكذلك ما تبع ذلك من الدخول العسكري التركي إلى مناطق إدلب وضواحيها لفرضه أمراً توقف فيه تقدم الروس واحتياجه لبقاء المناطق المحررة، وقد تؤسس مرحلة جديدة من القتال واسترجاع ما تم خسارته في المرحلة الماضية فضلاً عنأخذ المبادرة بالحل من خلالها وبقيادتها حسراً ضمن ترتيبات دولية تجلّى بتبنّي تركيا لشؤون الجيش الوطني وبقية التشكيلات العسكرية بهيكلية جديدة بالتوافق والعمل مع حكومة مدنية فاعلة من أبناء البلد نفسه تدير الشؤون المدنية والخدمة والقضائية وغيرها، وتقطع الطريق أمام المزاودين والمحرضين على بث الفتنة وشق الصفوف.

وقد يكون هذا الخيار هو الأنسب في الحالة السورية الراهنة، لأنّه وفي الحروب والحالات الاستثنائية التي يمرّ بها أي بلدٍ من البلاد يمكن للفصائل والكتائب المقاتلة ويسمح لهم بإسقاط نظام تلك الدولة، ولكن لا يُسمح لهم بقيادتها أو إدارة شؤونها إلا على أساس معينةٍ تضمن الأمن والسلامة والاستقرار للعباد والبلاد.



وهذا يضع الفصائل أمام تحديٍّ كبيرٍ في مرحلة ما بعد سقوط حكم الأسد، إذ إن الدول الكبرى لا تتعامل إلاً مع حكوماتٍ ذات مشروعٍ سياسيٍ واضح، و برنامِج إداريٍ منظم، ومنظومةٍ مؤسساتٍ خدميةٍ تضمن الأمن والعدل والاستقرار وهذا ما لم يتوفّر للفصائل العسكرية بعدُ،

فكانَت تركيَا بما لها من أوراق القوّة على الطاولة الدوليَّة وبما لها من مصالح قوميَّة تؤهّلها لتكون الراعي الرئيسي للفصائل السوريَّة وتشكيلاً لها العسكريَّة للخروج من أزمتها الراهنة.

وأخيرًاً فيما لو فشل الخيار الأول (المأمول) والخيار الثاني (الممكِن) لا قدَّر الله وعند العجز عن إيجاد كيانٍ بديلٍ لحمل أمانة البلد وتحمُّل مسؤولياته وتبعاته، فلننتظر عندها نماذجَ من الحفافر الليبيَّة والكرافزيات الأفغانية، ولننجهَّز لحقبةٍ قد لا تكون أحسنَ من سابقاتها في حكم الأسد، بل ليس من المستغرب أن تدخل البلاد في نفقٍ مظلمٍ آخر من الإبعاد والإقصاء والاقتتال كما نرى في بقية بلدان الربيع العربي.

فنحن الآن أمام الفرصة الأخيرة التي قد لا تعود.

فرصةٌ سيكتيمها التاريخ في صفحاته عَمَّن فرَّط وتغافل وتخاذل وتقاعس وتجاهل.

فرصةٌ ستذكرها الأجيال وتخلد أسماء خاذلها ومغتصبها لأجل أنا نياتهم الخسيسةِ ولذاتهم الخبيثةِ وزواتهم الشيطانية.

فرصةٌ سترفع أناساً ممَّن ضحّوا وبذلوا وأعطوا وأدّوا ما عليهم دون كلٍّ ولا ملل، فكانوا شامةً ناصعةً في جبين ثورة العزة والكرامة، وستخفي آخرين ضئلاً وبخلوا بما أعطياهم الله وقدّموا مصالحهم الخاصة على مصالح بلدِهم العامة، فاستحوذت عليهم نفوؤُهم وتكالبت عليهم نزوؤُهم فكان مثلهم كمن قال فيهم ربُّنا سبحانه وتعالى:



﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعَنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَيَّ الْأَرْضَ وَاتَّبَعَ هَوَاءً فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تُرْكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ ﴾



المبحث الثاني

الثورةُ السُّورِيَّةُ صفحاتٌ ناصعةٌ وتأريخٌ مشرقٌ (عزٌّ وكرامة، تضحيةٌ وفاء)

كنتُ تكلمتُ في مبحثٍ سابقٍ عن المآلاتِ الماديَّةِ للثورةِ السُّوريَّةِ وما فيها من مصاعبٍ مُتَعْبَةٍ وماسٍ مؤلمٍ رافقها طيلةً مسيرتها وأرخت بثقلها على الشعب السُّوريِّ، قد تدبَّ اليأس والإحباط في نفوس الناس وتبيَّن اليأس والقنوط في قلوبهم لما فيها من بلايا ومصائب ومجازر وإجرامٍ للنظام الأُسديِّ وميليشياته وحلفائه الغزاة المحتلين انصبَّت عليهم وأحاطت بهم من كلِّ جانب، ولما أحريك علية من مؤامراتٍ داخليَّةٍ وخارجيةٍ للقضاء عليها وقتلها في مهدِّها.

كانت مراحلَ صعبَةً وقاسيةً ومؤلمَةً بكلِّ المقاييس وعلى الأصعدةِ وال مجالاتِ كافيةً، لكنَّها بنفسِ الوقت كانت ضروريةً لأسبابٍ كثيرةٍ نحن بحاجةٍ إليها لأخذ الدروس وال عبر وبما ظهر فيها من صفحاتٍ مضيئةٍ مشرقةٍ ومواقفَ مشرفةٍ سيخلدُها التاريخُ في صفحاته وسيذكرها العالمُ في وقوفاته وأحداثه، وستبقى مناراتٍ مضيئةً على مدى الدهور والأزمان.

يمكن أن نُجمل بعضها بما يلي:

- الثبات على المبادئ صفاتُ الصادقين: فكم أظهرت هذه الثورةُ من رجالٍ صادقين ومحليسين، على أهدافهم ومبادئهم ثابتين، وعلى آلامهم صابرين ومحتسبين، لم تشئُهم المحنُ ولم تصدّهم الشدائِ عن مسيرةِ جهادهم، ولم تستهونُهم الشهواتُ والزرواتُ فلم يقعوا في شباكها وشراكها، صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً.



٢. خنساً واتنا تيجان رؤوسنا: فكم أظهرت هذا الثورة من خنساً واتنا ضربن أروع الأمثلة في الصبر والثبات والقوة الروحية والثقة بالله واليقين بنصره سبحانه في وقتٍ زاغت فيه الأبصار وبلغت فيه القلوب الحناجر من الخوف، فقد من فلذات أكبادهن استجابةً لأمر الله تعالى وحباً برسول

الله ﷺ.

٣. أطفالنا بناة أمّتنا: فكم أظهرت هذه الثورة من الأطفال الصغار الذين تربوا وترعرعوا تحت شظايا البراميل المتفجرة والصواريخ المدمرة، وألسنة الموت المحيط بهم من كل جانب، وأيديهم تحمل المصاحف وقد تعليقت قلوبهم بكتاب ربهم حتى حفظوه وأتقنوه ليكونوا رجال المرحلة المقبلة وبناءً للأمة وعماد قوتها ومحور الإصلاح فيها بإذن الله.

٤. الإيثار تاج الأوفياء ومن صفات الأصفباء: وكم أظهرت هذه الثورة من مواقف البذل والوفاء، والتضحية والعطاء، وجميع صفات المرءة والفاء بين أبناء هذا الشعب الكريم الجoward في أوقات الحاجة والفاقة والعوز التي طالت الجميع، فضربوا أروع الأمثلة في التكافل والتعاون، وأعطوا أبهى الصور في الكرم والإيثار ولـيكونوا من أهل قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^١.

٥. تميّز في الإدارة وتألق في الأبداع: وكم أظهرت هذه الثورة من الكفاءات المتنوعة، والقامات المبدعة، والشخصيات الناجحة، والطاقات المتميزة، التي أبدعت في إدارة الأزمات بإيجاد طرق العيش والتكيف مع الواقع بما فيه من مصاعب وما سـ وتحديات لتخفـ منها وتزيل عقباتها لتبقى ضمن المقدور والاستطاعة.



٦. مجاهدونا رجال صامدون، وأحباب رائعون: وكم أظهرت هذه الثورة من شبابٍ خفيقِ الدم (كما يقال)، من أصحاب الطرف الجميلة والنكتُ الظرفية في أقسى الظروف وأصعب الأوقات ليزرعوا البهجة والسرور ويُدخلوا الفرح والحبور إلى قلوب أهلهم وإخوانهم وينسونهم الواقع الأليم الذي أحاط بهم من كل جانب.

بل كم أسمعونا من الأهازيج الثورية الجميلة التي تحاكي الواقع الصعب بأسلوبٍ شيقٍ جذابٍ، ورفعوا لافتاتٍ بعباراتٍ رائعةٍ هادفةٍ، بمظاهراتٍ عبرت عن نفوسٍ تشبّعت بلبان العزة والكرامة وترعرعت في ميادين المروءة والشهامة، فلم تقبل التنازل والرضوخ مهما بلغت المحن وعزمت التحديات، ولم تسأوم على شيءٍ من ثوابتها الراقية ومبادئها السامية، ولم تعرف الرضوخ للنظام المجرم مهما اعترضها من أشكال المحن والآلام وقصوة الحياة.

٧. إعداد لا يعرف الملل، واستعداد لا يقبل الزلل: فكم كنّا بحاجةٍ للترقّي في سلم البلاء والابتلاء والتحمُّل لإعادة بناء أنفسنا وتأهيلها لمرحلةٍ جديدةٍ قد تكون أشدّ قسوةً لا يحتملها إلا الرجال لنكون أبناءً هذه المرحلة نعيده للأمّة عزّتها وكرامتها، بعد أن عشنا وعايشنا تلك الثلّة المؤمنة الصادقة فنحو حذوهم ونسير على دربهم.

بل كم كنّا بحاجةٍ لتقييم أنفسنا في زمن الشدائـد والمـحن، ومدى تفاعـلـنا مع المـنكـوبـينـ منـ المستـضـعـفينـ منـ أـبـنـائـنـاـ وـأـهـلـيـنـاـ، وـمـدـىـ اـسـتـعـداـدـاـنـاـ لـمـاـ قدـ يـكـونـ بـعـدـ تـلـكـ المـرـحـلـةـ لـنـضـعـ الـبـصـمـاتـ الـتـيـ تـرـفـعـ مـنـ شـائـنـاـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ.



٨. أبناءنا المجاهدون عزّنا وفخارنا: تذكّروا معي كيف كان بعض شبابنا قبل الثورة غارقين في مستنقعات الانحراف السلوكي ووديان الانحلال الأخلاقي الذي كانوا يُسَيِّرون إليه، لا يعرفون إلى المساجد طريقاً، ولا إلى مجالس العلم والمعرفة مسلكاً.

وكيف أصبحوا اليوم رجال المعارك وأبطال الميادين، مدافعين عن دينهم وعرضهم وأرضهم، لا تجد للخوف في صدورهم مكاناً، ولا للظالم هيبةً واحتراماً.

يكفي هذه الثورة المباركة انتصاراً لصحوة أبنائها من غفوتهم التي كادت تودي بهم إلى الهلاك المؤكد.

أولئك هم أملُ الأمة في انتشالها من براثن الطغاة، وهم السياج المانع لغطرسة المحتلين والغزاة.

أولئك هم أملُ الأمة في استعادة عزِّ البلاد إلى مجدها الزاهي التليد بعدما أضاعه العملاء المأجورون، وعبث فيه الخبائث والمنافقون، وتغافل عنه أهلُه النائمون والمُغفلون، وسكت عنده دعاةُ العلم المُزيفون، فضاع البلد وتأهَّل أصحابه في غيابه التاريخي، ليأتي الأبناءُ البررةُ فيسطِّروا البطولات، ويعيدوا الملحمَ والكرات، ويكتبوا التاريخ ويصنعوا الأمجاد والأيام الغر المجلات.

أولئك هم أبناءنا؛ عزّنا وفخارنا، نحن منهم وهم منّا، كنّا وما زلنا وسنبقى بإذن الله، وليخسأُوا الخاسئون.



٩. من صبر على المحن ظفر بالعطايا والمنح: وكم كنا بحاجةٍ لنعيش أياماً صعبةً قاسية، كما عاشها قبلنا الحبيب المصطفى ﷺ وصحابته الكرام، فصبروا وصابروا واحتسبوا حتى نالوا الكراهة والفتح والنصر لهم ولامة الإسلام من بعدهم، ونحمد الله سبحانه أن عشنا تلك المواقف الصعبة واستشعرنا قساوتها وألامها والتي كانت تحاكي ما عاشه الحبيب ﷺ لكونه من أحبابه وأتباع هديه وسنته.

وللتاريخ أقول:

ما من مناسبةٍ قاسيةٍ أو مصيبةٍ مؤلمةٍ أو ظروفٍ حياتيةٍ صعبةٍ، إلا وترى التعاون والتعاطف والتكافل قد تصدر مشهدَ الساحة من تسابق الناس إلى تقديم الخير لإخوانهم بما يستطيعون، ومساعدة المحتاجين والوقوف مع المنكوبين.

ومن الأمثلة الرائعة في ذلك: الدعوة لمساعدة القراء ضمن حملة دعا إليها بعض الأخوة الأكارم في فترة التهجير ١٩٢٠م حيث برودة طقسها وقلة مالها وزادها وازدياد الحاجة عند أهلها، فسرعان ما رأينا التاجر يعلن عن تخفيضٍ كبيرٍ بأسعار بضاعته المتنوعة (فواكه حاجيات استهلاكية يومية ألبسة محروقات...).

ويعلنُ الطبيبُ عن تنازله لعلاج المرضى والمصابين وأصحاب الضرر.

ويعلنُ المدرسُ عن تخفيض أجره القليل أصلًا ليخفف عن طلابه.

ويعلنُ المحامي تنازله عن حقه في الدفاع عن المظلومين لتحصيل حقوقهم مبتغيًا أجراه من الله.



وهكذا غدا الشعب السوري كتلةً من التعاون والتآلف والتكافف كالجسد الواحد، ضمن عشرات بل ومئات الحملات الإغاثية والإنسانية مثل حملات: (معاً سنبقى) و(حملة الأشعيّين)، و (حملة وتعاونوا)، و(من يدك إلى يدهم)، وغيرها مئات الحملات الخيريّة التي أعطت الصورة الناصعة للشعب السوري في تعاونه وتكاففه مع بعضه في صورةٍ رائعةٍ لا تعرف حدوداً ولا تمنعها لغةٌ ولا لونٌ ولا اعتقاد.

وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على حقيقة هذا الشعب الطيب وعلى طبيعة شبابه وأخلاقهم الحميدة وتمسّكهم بمبادئ دينهم القويم في أحلال الظروف وأقساحها تمثلاً وامتثالاً لحديث المصطفى ﷺ: (الرَّاجِحُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَااءِ).^٢

والآن:

دعونا نقف مع ثورتنا العظيمة لتقييمها بعد عشر سنواتٍ من القتل والتدمير الهمجي من التجويع والتشريد والتهجير القسري، من المأساة والألام التي ألمت بهذا الشعب الحرّ الأبي.

لأنّها ثورةٌ حريةٌ، لأنّها ثورةٌ كرامة، لأنّها ثورةٌ شعبٌ عزيزٌ كريم، أبي الذل والخضوع والخنوع بكلّ عزةٍ وجرأةٍ وشجاعةٍ وإباءٍ، أذهلت العالم وضربت أروع الأمثلة في البطولة والملاحم والتضحيات.

نعم أقولها بكلّ ثقةٍ ويقينٍ واعتزازٍ وفخار:

يكفي ثورة الشعب السوري أنّها أوقفت التمدد الشيعي بكلّ الوطن العربي وفضحت مشروعه في العالم العربي والإسلامي.



يكفي ثورة الشعب السوري أنها كشفت تأمر الدول التي تدّعي الحرية وحقوق الإنسان، وفضحت عمالة الحكام المأجورين الذين باعوا شرفهم وضميرهم لمحتل مجرم غادر ومستعمرٍ لثيم فاجر.

يكفي ثورة الشعب السوري أنها أظهرت حقيقةً مجلس الأمن في تخاذله وتواطئه، والأمم المتحدة التي تدّعي الحرية وتتفنّى بالديمقراطية وحقوق الإنسان.

يكفي ثورة الشعب السوري أنها كشفت الوجه الحقيقى القبيح للجامعة العربية وانتزعت قناع أعضائها المزيّفين لظهورهم خوناً وعملاءً ومأجورين.

يكفي ثورة الشعب السوري أنها كشفت اللصوص والمجرمين الذين تسلّطوا على أرزاق المساكين والمستضعفين، وفضحت الكثيّر من المرتزقة والمتسلقين الذين دلّسوا ونافقوا حتى استحكموا برقاب الناس الآمنين.

يكفي ثورة الشعب السوري أنها تملك رجالاً يعشّدون الموت من أجل كرامتهم وحريتهم، رجالاً أحرازاً صادقين، شرفاء نذروا أنفسهم لتحرير الأرض والعرض والإنسان والدين.

ومع كلِّ هذا فقد تعثّرت في بعض مراحلها ولكنها لم تتوقف ولن تعلن استسلامها وفشلها بل ازدادت إصراراً وثباتاً واستفادت من الأخطاء وما زالت تستفيد بعد الدراسة والتقييم والتصويب.

فبالرغم من الواقع المريء لبعض مراحل الثورة في مجالاتها كافة وما اعتبرها من تحدياتٍ قاسيةٍ تجعل من فرص نجاحها على الأرض ضئيلةً، إن لم تكن معدومهً بالمقاييس المادية في ظلّ الظروف الحالية، من ترشذم الفصائل والتنافر على السلطة الوهمية وحبِّ السياسة والرياسة، مع تكالب الأعداء من كلِّ حدبٍ وصوبٍ، ومكر المنافقين وتغلغلهم ضمن صفوفهم.



لكن؛ ومع كل ذلك دعونا نحكم على الثورة السورية بواقعها الحالي وما لها المستقبلي من خلال المقارنة والمقاربة بينها وبين الثورات الأخرى، أو على الأقل بينها وبين حركات التحرر التي جرت عبر التاريخ.

ففي هذه الثورة المباركة والتي ما زال العالم يصف شبابها بأنهم عصابات مسلحة، أي أعداد قليلة وعدة محدودة لا تتمكنهم من الوصول لأهدافهم.

ومع ذلك فقد وقفوا أمام الدول الغازية المعادية كلّها وتصدّوا لها وصمدوا أمامها العقد من سنوات عجافٍ استخدم الغزاة فيها كل أنواع الأسلحة الفتاكـة والمحرمة دولياً، وما زالت هذه العصابات المسلحة (حسب زعمهم) موجودةً وجاهزةً للقتال ومستعدةً له، وما زالت تقتل وتتشخن فيهم وبجنودهم، وهذا بحد ذاته نصر للثورة على أعدائها من النظام الأسدـي وحلفائه من الروس والمجوس والأمريكان والإيرانيين ومن دول العمالـة والخيانـة.

وما زال هذا الشعب الحر الأبيًّي متمسـكاً بأهداف ثورته وثوابتها بالرغم من حرمانه من أغلب مقومات الحياة بحدودها الدنيا التي لم تمارس على أيٍّ

شعبٍ في تاريخ البشرية، متحديـاً كل ذلك من أجل نيل عزته وكرامته.

وهذا دليل واضحٌ وبرهانٌ ساطعٌ على أنَّ هذه الأمة الولادة قد تمرضُ وتضعفُ ولكنها لا تموتُ ولا تستكين، فإن تغلـل في صفوفها من ليس منها فإنَّ فيها من المخلصـين والصادقـينَ من وضعـوا بصماتهم الطيبة، وأثبتـوا صدقـهم وإخلاصـهم، فأثـخـنـوا في عدوـهم، وفرضـوا وجودـهم، مـوقـنـين بـوعـدـ رـهـمـ واثـقـينـ بنـصـره طـالـ الأمـرـ أمـ قـصـرـ.

وقد قرأنا عن الحروب بين الدول كما حصل بين جورجيا (الدولة النووية)، وبين روسيا المجرمة وكيف حسمت المعركة بينما بخمسـة أيام فقط لصالـح روسـيا وسمـيت «حـربـ الأـيـامـ الخـمـسـةـ».



وكما عايشنا الحرب الأمريكية على الجمهورية العراقية والتي سميت «حرب الحواسم» وكيف حسمت المعركة بأقل من عشرين يوماً بإسقاط حكم الرئيس العراقي صدام حسين.

والأمثلة كثيرة حول ذلك نظراً لميزان القوة بين الأطراف إلا في الثورة السورية التي اجتمع عليها ضباع الغرب الصليبي بكل دوله وذئاب الشرق العربي بكل خونته وعملائه واستخدمو ترساناتهم العسكرية ودهاءهم السياسي وخبيثهم الإعلامي ولم يستطيعوا كسر إرادة هذه الثورة ورجالها بعد عشر سنوات. أعتقد أن من ينظر لتلك الثورة بعين التجرد والإنصاف يدرك تماماً أنها ثورة منتصرة على الجميع وستنال حريتها وستستعيد كرامتها شاء من شاء وأبى من أبى ولو بعد حين.

أعتقد جازماً أنها ثورة منتصرة بإذن الله لأنها ثورة عزة وكرامة وتضحيات وفاء. أعتقد جازماً أنها أعظم الثورات في تاريخ البشرية من حيث أهدافها، ومن حيث من قام بها، ومن حيث مقومات نجاحها، ومن حيث من قامت عليهم وضدّهم. هي ثورة الكرامة كما سماها ثوارها الأوائل في جمعتهم الأولى (جمعة الكرامة). فعلاً هي ثورة الكرامة والحرية والعزة والإباء التي انتزعت انتزاعاً من العصابة الأسدية المجرمة.

هي ثورة الياسمين؛ ثورة الشام المباركة التي أراد بعض الأوباش وصفها بأنها ثورة جياع. كذبوا والله...

فليست ثورة جياع كما أطلق بها أولئك المتورون، فلو كانت كذلك لرأيهم سارعوا إلى مناطق الاحتلال الأسدية عند أول ضائقه ومصيبة، ولكنهم آثروا الجوع والحرمان والتشريد والتهجير بعد أن وجدوا عزّتهم وكرامتهم وحرريتهم عندما أسقطوا تلك العصابة الأسدية المجرمة من قواميس حياتهم.



تعالوا نقرأ تاريخ ثورتنا المباركة ونقف مع بعض محطاتها لنراها ثورةً أطلقها أطفالٌ أبرياء في عمر الزهور وتتابع فيها شبانٌ أوفياء بكل حماسةٍ وسرور، فتدوّقوا طعم الحرية التي طالما انتظروها منذ أزمان ودهور، بينما افتقدها من استمراً على الذل والهوان تحت البسطار العسكري وفي ميادين الرذيلة والفساد والفحور.

تابع فيها شبابٌ تسري الحماسةُ في عروقهم وتترى الشجاعةُ في قلوبهم حتى امتلأت الشوارعُ والساحاتُ بالمظاهراتِ السلميةِ الراقيةِ المطالبةِ بالإصلاح والكرامة والحربيات، فدخلت كلَّ البيوتِ والميادين والحرارات، لكنَّ نظاماً فاجراً تشبّع بالإجرام وتربيَّ على الحقد والمكر والظلم والرذيلة والفساد، كان لا بدَّ للثوار والأحرار من الاستمرار والإصرار والثبات والصمود أمامه حتى فتح الله لهم البلاد وحبّبهم إلى قلوب العباد.

خرجت المظاهراتُ تهتف: (هي الله هي الله)، فلاقت القبولُ والفتحُ والفلاحَ حتى عمّت أنفاسها الطاهرة المدنَ والبلداتِ وغطّت أشعةُ شمسها أرضَ البلدِ بالأملِ والنورِ والنجاحِ.

لم تكن ثورةُ الشام المباركةِ ثورةً سلاحٍ فقط وإن كان السلاحُ جزءاً منها للدفاع عن النفس والأرض والدين والعرض، وقد اضطرَّ الناسُ له بعد أن أجبرهم النظام الفاجر على حمله واستخدامه.

كان سلاحُ ثورةِ الشام المباركةِ هو صوتُ الحقِّ الذي امتلكته الجماهير ورفعته بكلِّ قوَّةٍ وشجاعةٍ فصنعوا الثورة وحافظوا عليها قويَّةً جبارَة.



كانت ثورة الشام المباركة ضدّ سفاح الشام ونيران دمشق والذي أوشك على السقوط أمام الأحرار الأطهار، ولكن تبيّن أنّها ثورة ضدّ ضباع العالم كله وذئابه المجرمين الذين تجردوا من الأخلاق والإنسانية يقتاتون على الدماء ويرقصون على الجماجم والأشلاء ويتلذذون بقتل الشيوخ والأطفال والنساء. انهزم النظامُ المجرم ومرتزقته، وانهزمت إيران الصفويةُ وميليشياتها الطائفية، ولم تستطع روسيا بكل جبروتها وطغيانها وترسانتها العسكرية وحيلها السياسية أن تكسر شوكة هذا الشعب الحرّ الأبيّ بعد أن أقسمَ المجرم بوتين بأنه سيحسم المعركة خلال ثلاثة أشهرٍ، إلا أنّه خاب وخسر والحمد لله. فما زالت الثورة المباركة مستمرةً بفضل الله سبحانه وتعالى وبعد عشر سنوات رغم استخدام كل الأسلحة الفتاكـة التي لو ألقـيت على جبال الأرض لـأزالتـها، لكنـها لم تُزلـ عـزة الشعب السوري الحرـ، ولم تؤثـر على إرادـتهـ، بل زادـتـهـ حرـصـاً وإصرـارـاً وثباتـاً وعزـيمـةً وتضحـيـةً وفـداءًـ. وهذا ما رأـهـ الجميعـ من مظـاهرـاتـهمـ الجميلـةـ الجياشـةـ في العـقدـ الأولـ من تلكـ الثورةـ المـبارـكةـ.

لنتذكـرـ بدـايـةـ الثـورـةـ وكـلـناـ كانـ يـقـولـ إنـهـ منـ الـمـسـتـحـيـلـاتـ أـنـ تـحدـثـ ثـورـةـ فـيـ وجـهـ آلـ الأـسـدـ وـالـعـصـابـةـ الـحـاكـمـةـ وـقـدـ خـيـمـ الـخـوـفـ فـيـ القـلـوبـ وـسيـطـرـ الـهـلـعـ فـيـ النـفـوسـ وـدـخـلـ الرـعـبـ إـلـىـ كـلـ الـبـيـوتـ بـعـدـمـ اـسـتـفـحـلـ إـجـرـاـمـهـمـ بـمـجاـزـرـ حـمـاـةـ وـجـسـرـ الشـغـورـ وـسـجـنـ تـدـمـرـ وـمـجاـزـرـ الفـروعـ الـعـسـكـرـيـةـ وـالـأـمـنـيـةـ الـيـوـمـيـةـ الـتـيـ صـارـتـ مـفـاـخـرـ لـهـمـ يـفـتـخـرـونـ بـالـقـتـلـ وـالـتـعـذـيبـ وـالـتـدـمـيرـ وـالـتـشـليـخـ وـالـاغـتصـابـ وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ كـلـ نـقـيـصـةـ وـإـجـرـامـ.

لـكـنـهاـ إـرـادـةـ اللهـ سـبـحـانـهـ الـتـيـ دـفـعـتـ بـهـذـاـ الشـعـبـ الـبـطـلـ الـمـقـدـامـ الـجـسـورـ لـيـنـزـلـ إـلـىـ الشـوـارـعـ بـكـلـ فـنـائـهـ مـنـ الشـبـابـ وـالـأـطـفـالـ وـمـنـ الشـيـوخـ وـالـنـسـاءـ وـالـرـجـالـ لـيـسـقطـواـ الـأـسـدـ وـزـمـرـتـهـ وـيـلـعـنـوـهـمـ مـنـ الـجـدـ إـلـىـ الـوـلـدـ وـلـنـ يـحـكـمـوـاـ بـعـدـ الـيـوـمـ هـذـاـ الـبـلـدـ بـإـذـنـ اللهـ الـوـاحـدـ الـأـحـدـ.



إنّها إرادة الله سبحانه أن يحطّم الشعبُ البطلُ الصبور صنمَ المجرم المقبور وأزلامه بعد أن كانت تأثيم الكوابيس بمجرد ذكر اسمه وصيته الخبيث.

لم تكن الثورةُ السوريةُ ثورةً جيلٍ واحد، وإنما رأيناها ثورةً أجيال، ثورةً شعبٍ طلبَ الحريةَ فانتزعها انتزاعاً ليورّثها للأولاد والأحفاد ليرفعوا في البلاد رايات الحرية والكرامة والرشاد.

الثورةُ السوريةُ ثورةٌ حقٌّ في مواجهةِ كفرٍ وباطل، وثورةٌ عدلٌ في مواجهةِ ظلمٍ وفجور، وثورةٌ حريةٌ في مواجهةِ استعبادٍ واستكبار، وثورةٌ كرامةٌ في مواجهةِ استبدادٍ واستهتار.

نعم؛ الحريةُ لها ثمنٌ لا بدّ أن يُبذل، والكرامةُ لها ثمنٌ لا بدّ أن يُدفع، والعزةُ لها ثمنٌ لا بدّ أن يُعطى ويُقدم، والشعبُ السوريُّ البطلُ كان أهلاً لكلّ ذلك والحمد لله.

فقد أسقطَ الأسدَ ومنظومته المجرمة، وفضحَه ومرتزقته الأوباش الأراذل، وهتكَ أستارَ هذا النظام اللعين القاتل.

وقد أسقطَ إيرانَ وميليشياتها الطائفية الخبيثة، كما أسقطَ روسيا وترسانتها العسكرية الضخمة.

وكذلك أسقطَ المنظومةَ الدوليَّةَ المتآمرةَ بعدما كشفَ زيفها وأظهرَ خبيثها ونفاقها ومتاجرتها بحقوق الإنسان.

نعم لقد مرّت الثورةُ السوريةُ بمنعطفاتٍ قاسيةٍ وخطيرةٍ انكشفَ فيها غدرُ المنافقين، وظهرت فيها عوراتُ المفسدين، وانفضحَ فيها نفاقُ المتآمرين من الخونة والعملاء والمتسلين.

كانت الظروفُ قاسيةً على الثورةِ مؤلمة، لكنها كانت مهمّةً وضروريَّةً لتعود أفضلَ مما كانت عليه من قبل.



لا يُنكرُ أنَّ أخطاء الثورة والثوار كثيرة، فليسووا معصومين ولا متنزهين، ولكن ذلك لا يغيِّر من حقيقة الثورة ضدَّ آل الأسد ونظامهم الفاجر بأنَّها أعظمُ الثورات في تاريخ البشرية.

ومهما حصل من أخطاء فإنَّ الصالحة حين نستدرك الخطأ، ونقوم الاعوجاج، ونصوَّب البوصلة، وكلنا يقين بأننا سنتصر بإذن الله.

أريد أن أذكر نفسي وإخواني ببعض الأمور ليكون كلَّ ممَّا على بيْنَةٍ من أمره وهي محطاتٌ وحقائقٌ لا تقبل التبديل ولا التغيير:

١. النصرُ بيد الله، ومن عنده، وإنَّما نحن أسباب، علينا العمل وليس علينا النتائج، وسيأتي النصر والفرج بإذن الله في الوقت الذي يريد وبالشكل الذي يريد.

٢. تأخرُ النصر لا يدعونا لل Yas والقنوط والإحباط، وإنَّما يستدعي ممَّا الرضى بقضاء الله والتسليم له، مع مدارسة الواقع الذي نعيشُه، وتقدير المراحل التي وصلنا إليها، وإعداد الخطط والتجهيز والإعداد بكلِّ أنواعه، فأسباب النصر يجب أن تكتمل وخاصةً العلاقة مع الله، وحسن العلاقة مع عباده، والإعداد الجيد والمناسب لأعداء الله.

٣. الجميعُ أصبحَ يدركُ الآن بعد سنوات الثورة العشر أنَّ الدولَ الكبُرى تجتمع على قصتنا وتترقب في مشارينا بما يحققُ لها مصالحها المتمثلة بدخلها القومي وأمنها القومي، من خلال قتلنا بكلِّ الأسلحة الفتاكَة والمحرمة. ولننُدُّ إلى التاريخ لنجدَ الحقيقة، فالدولَ الكبُرى تعمل على تبديل شعوبنا بشعوبٍ أخرى طائفية (وهو ما يسمى بالتغيير الديمغرافي)، من خلال القتل والسجن والتهجير إضافةً إلى تحقيق دخلها القومي من خلال هب خيرات بلادنا وثرواتنا الطبيعية والباطنية.



وبالتالي يتوجّب علينا أن لا نمل وأن لا نكل في مواجهة أولئك بكلّ ما نستطيع وبما امتلكنا من إرادةٍ وصمود، فلا يصدّنَا تخذيلُ المنافقين ولا إرجافُ المرجفين ولا أكاذيبُ المفسدين ولا إشاعاتُ الطابور الخامس من المتسلّقين والمخذلين.

٤. الثوراتُ قد تستمر لأجيال آتية، وذلك لحكمةٍ ي يريدها الله، والخيرُ فيما كتبه الله وقدره، وسيكون الانتصار الحقيقى الأخير ليس انتصاراً على نظامٍ فاجرٍ ماكِرٍ فحسب، بل على كلّ أنظمةِ القمع والإجرام والاستكبار في العالم.



الثورة السورية بتمام عقدها الأول

بتمام العقدِ نجدد العهدَ، أقول العِقد؛ وهو ما يُتزَّين به في العنق والجيد. وهذه عشر سنواٍ من العزة والحرىٰ والكرامة التي انتزعنها انتزاعاً من مخالب الذئاب وأنياب الكلاب البشرية الأسدية.

بتمام العقدِ نجدد العهدَ، أقول العِقد؛ وهو ما كان من فترة الثورة التي عشناها معاً، عشر سنواٍ بتمامها وكمالها من المأسى والآلام والتدمير والتشريد والتهجير لتزهَّر بعد الصبر والتحمل والثبات عبَّق الحرىٰ والكرامة والإباء. الثورة السورية ثورة شعب حِرٌ كريمٌ معطاءٌ، قدَّم أفضل وأعلى ما عنده من الجريٰ والمعاقين والشهداء.

الثورة السورية ثورة شعب صابرٌ صامدٌ ثابتٌ مغوارٌ، قدَّم التضحياتِ الجسامِ وروى ترابَ أرضه بدماءِ أبطاله العظامِ الأبرارِ.

لتنبتَ هذه الأرضُ الطاهرةُ وروداً تشتمّها الأجيالُ على مرّ التاريخِ والدهورِ في الحاضرِ والمآلِ.

وروداً وأزهاراً من حافظاتِ القرآنِ وحاملاٍ للعلمِ والمعرفةِ ودعاةِ للبرِ والخيرِ والإحسانِ.

لتلدَ خنساواؤه رجالاً أبطالاً صالحين ومصلحين يتبعون مسيرة آباءِهم وأجدادِهم الميامينِ.

ليأتيَ الجيلُ الذي نما وترعرع تحت البراميلِ المتفجرةِ والطائراتِ المدمّرةِ والصواريخِ البالستيةِ والعابرةِ التي تديرها دولٌ فاجرةٌ وعصابةٌ ماكرةٌ وأياديٌ غادرةٌ.

نعم؛ ليدركَ هذا الجيلُ ولا ينسى، ولن ينسى من قتلَ ودمَّرَ ومن شردَ وهَجَرَ، لن ينسى من حرقِ البشرِ والشجرِ.

لن ينسى المجازر التي مارسها هذا النظامُ الخبيثُ الماكرُ، فتاريشه مليءٌ بكلٍّ نقيبةٍ وإجرامٍ.



لن ينسى الشهداء ولن ينسى الأبناء في المعتقلات ولن ينسى العفيفات الطاهرات في سجون أقدر نظام طائفياً مجرم ما كرّ خبيث.

الثورة السورية فكرةً ناضجةً نضجت بالصبر والمصايرة، بالصدق والإخلاص، بالعطاء والتضحية والفاء فأئمرت رجالاً أبطالاً، وشباباً شجاعاناً، ونساءً فضلياتٍ، ولدن فتياناً آمنوا بربهم وزادهم هدى.

الثورة فكرةً، وال فكرةً لن تموت مهما طالت مسيرتها، الفكرة الصادقة لن تموت ولو مات أصحابها فسيخلفهم الأحفاد الذين تربوا على لبان العزة والكرامة والحرية.

الثورة طريقُ الخلاص من الجلادين وبوابةُ القضاء على المفسدين.

الثورة السورية لن تفشل، بل هي أعظم من أن تفشل، وأكبر من أن تمحي، وأصلب من أن تُكسر.

ولذلك أقول لكلّ أخٍ حِرَّ شريفٍ يحبُّ أهله وبلده وأمته ليり نفسه:
أين مكانه في الثورة؟؟؟
وماذا قدم لها؟

قبل أن يسأل عن غيره عمّا قدم، فكلّ منّا مسؤول، وسوف يسأل عمّا قدّم وفعل إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر.

(إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيّع).^٣

وأمّا الإجابة عمّن ضعفت عزيمته وخارت قواه وأعطى أذنيه للمشككين والمنافقين بأنّ الثورة قد انتهت وأنّ الثورة خربت بيوننا ولن تقوم لها قائمةٌ فيبيثُ من سموّه في قلوب الناس ونفوسهم ليزعّمهم ويرهّمهم بها.

.موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: باب ما جاء في الأمراء، (١٥٦٢/١ - ٣٧٦).

٣



فأقول: إن الثورة انتصرت والحمد لله من يومها الأول عندما خرج الناس وقد رفعوا أصواتهم من غير خوفٍ ولا وجعٍ بهتافاتهم الجميلة لِإسقاط نظام الطاغية هيل.

انتصرت الثورة عندما أسقطت النظام الفاجر وكسرت شوكته وفضحت منظومته المعونة وزمرة الخبيثة.

انتصرت الثورة عندما مرّغت أنوفَ الجنود الإيرانيين الروافض بالتراب وأرجعت آلافيهم بالصناديق الصفراء.

انتصرت الثورة بعد ما كسرت روسيا بكل جبروتها وطغيانها فلم تستطع هزيمة الثورة بعد سنتَي سنواتٍ من تدخلها واستخدامها لكل أنواع الأسلحة.

انتصرت هذه الثورة بعدها القليل وعدّتها البسيطة المتواضعة بعد أن صمدت أمام أقوى دول العالم عشر سنواتٍ وما تزال يرفع راياتها الصناديد الثوار الأبطال.

انتصرت الثورة بعدما امتلأت الساحات والباحات والشوارع والميادين والبلدات بالأحرار الشرفاء، وما زالت حناجرهم تلعن الأسد من الجد إلى الولد، وما زالت حناجرهم تغلي وتطرّب الآذان بكلماتٍ جميلةٍ رائعة : (ارفع راسك فوق؛ أنت سوري حر).

الثورة السوريةُ بدأت باسم الله واستمرت بعون الله وستنتصر بإذن الله. الثورة السوريةُ بدأها أطفالُ درعاً الأبطال، وتغذّت من دماء رجال وحرائر سوريا الأبرار، وستزهر حريةً وكرامَةً وعزَّةً وعدالَةً بسُواعدِ شبابها، ودماءِ شهدائهم، وحماسةِ ثوارها، ووفاءِ نسائهم، وبطولاتِ مجاهديها، وعقولِ مفكريها. فهنئناً من كان فيها، ومنها، ومعها، بصدقٍ وإخلاصٍ وثباتٍ وإيمان. والخزي كله لمن وقف ضدها، وتأمر عليها، وتاجر بأبنائها، وغدر بآباءِها.



أخيراً الثورة السورية المباركة عهدٌ يتجددُ ونصرٌ مؤكّدٌ بإذن الله من يومها الأول وما زالت والحمد لله، وستبقى بعون الله تنبض في قلب كلّ حُرٍّ شريفٍ يأبى الذلَّ ويرفض الظلم ويسقط الظالم ورموزه مجرمين إلى مزابل التاريخ.

وبالنهاية:

ليعلم الجميع أنَّ لكلَّ ولادةٍ مخاضاً مؤلماً وعسيراً تكاد المرأة أن تشرف على الهلاك فيه، لكنَّها تنسى كلَّ آلامها عندما ترى مولودها الجديد. وها نحن على أبواب الولادة بإذن الله بعد هذا المخاض الأليم.



خاتمة الكتاب

«منارات إيمانية لثورة الكرامة»

المعركة بين الحق والباطل طويلة ومستمرة، تتجلى بأبهى صورها وكامل حلقاتها في المشهد السوري، فكان لا بد من إضاءاتٍ إيمانيةٍ تبعثُ الأمل وتزرعُ الطمأنينة، وتوضح طبيعة الطريق، وتكشف نهاية بالفوز لأهل الإيمان، والخسنان لأهل الكفر والطغيان.

منارات إيمانية لثورة الكرامة

مجازر آل الأسد

صور من أرشيف الثورة

شكر وتقدير



منارات إيمانية لثورة الكرامة

منارات إيمانية لثورة الكرامة:

إنَّ المتأمِّل لما يحدث في ساحات الدول العربية والإسلامية بشكٍل عام والساحة السورية بشكٍل خاص، يرى ويدرك تماماً أنَّ ملة الكفر تكالبت على أهل السنة للقضاء عليهم واستئصال شأفهم، وأمام هذه التحدّيات الصعبَة من تكالب الأعداء وازدياد الخرابِ وقلةِ الأرزاق وانسداد الأبوابِ كاد اليأسُ أن يتسلل إلى قلوب البعض من أبنائنا الذين لا يدركون فقه السنن الإلهية في الكون، ولا يفقهون الحقائق الربانية في الخلق، بل حسب الكثيرون ممّن في قلبه مرضٌ وزيفٌ أنَّه سيدخلُ الجنةَ ويتنعمُ بنعيمها دون أن يمسَّه شيءٌ من مشقةِ الطريق وصعوبته متجاهلاً قولَ الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^١، وقوله أيضاً: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَمَا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرُلُزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤).

فقد حُفِّتَ الجنةَ بالمكاره وحُفِّتَ النار بالشهوات، ولذلك لا يثبت على هذا الطريق إلا من استحكم الإيمان في قلبه فأخلصَ النيةَ وصدقَ العمل، يملك الإرادةَ والعزمَةَ ويدرك الحقائق الربانية التي لا بدَّ آتيةُ، والمنارات التي تضيءُ له الطريق، وفيما يلي سأعرض بعضاً من تلك الحقائق والمنارات التي يجب أن يضعها المؤمنُ نصب عينيه في طريق الدعوة والجهاد وخاصةً في هذه الأوقات :

١. بالإيمان نستمد القوة ونستجلب النصر: قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).



من هذه الآية الكريمة نستمدُّ قوّتنا ونستهضُّ همّتنا ونستعيّدُ عزيمتنا، ونبحث عن أهدافنا السامية وغاياتنا الرفيعة العالية، ونرسم الخططَ ونضعُ الآليات الموصولة إليها دون كليلٍ ولا ملل، حتى نصلَّ إليها أو نهلكَ دونها.

إنَّ الأُمَّةَ الَّتِي تبحثُ عن النصر لا بدَّ من أن تبئِّل له أسلوبَه ومقوماتِ نجاحه دون أن تستهين بشيءٍ منها، وأن تبذل طاقاتها في البحثِ عن مستلزمات هذا النجاح... وهذا ما انتهزَه المصطفى ﷺ وأصحابُه الكرامُ في معاركِهم وفتواهُم التي أغارَت شعلتها أكثرَ من نصف الكرة الأرضية في يومِ من الأيام، وما علينا إنْ أردنا الاقتداء بهم والسير على نهجهم إلا أن نستلهُم خطواتِهم ونتتبَّع آثارهم ونحدو حذوها، وكما قالَ ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ مِّنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

وقد تختلف دوافعُ الناس في الحياة باختلافِ انتتماءاتهم وطبيعةِ ظروفِهم وتباعين ثقافتهم وتوفِّرِ الأخلاقِ والقيم عندَهم، ونحن كأُمَّةٍ التوحيد فقد أكرمنا ربَّنا سبحانه أن كنَّا من هذه الأُمَّةِ المباركةِ التي كانت خيرَ أُمَّةٍ أُخرجت للناس بما تميَّزت به عن غيرها من الأمم السابقة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعدل والتجدد لله سبحانه وتعالى، فكان أفرادُها أصحابَ رسالةٍ ربانيةٍ عالميةٍ عادلة، يتفاوتون في حمل تلك الرسالة ونشرها والدفاع عنها بين الأمم بما اكتسبوا من ثقافةٍ وعلمٍ، وبما حملوا من إرادةٍ وهمَّةٍ وعزيمة، وبما امتلكوا من إيمانٍ وصدقٍ وإخلاصٍ.

فكان منهم السابقون، وكان منهم المحبُّون والمعجبون، وكان منهم المقتضدون والمقصرون، وكان فيهم المسروفوون والمبغضون.

وميدانُ الحياةِ واسعٌ ومتاحٌ للجميع، فالليوم عملٌ وغداً حسابٌ ولن يُحاسبَ أحدٌ عن غيره، فالكلُّ أمامَ اللهِ مسؤولٌ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ



خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {الزلزلة: ٨-٧}.

وَحْقِيقَةُ الْمُعْرَكَةِ الْيَوْمَ فِي السَّاحَةِ السُّورِيَّةِ هِيَ مُعْرَكَةٌ بَيْنَ حَقِّ وَبَاطِلٍ،
وَلِكُلِّ مِنْهُمْ فَرِيقٌ وَجِيشٌ، فَلَنْ يَمْلَأَ اللَّهُ وَنَشَكُرُهُ أَنْ جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ
وَجِيشِهِ وَلَمْ نَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَلَا مَعَ جِيشِهِ.

كَمَا لَا بَدَّ مِنَ التَّنبِيهِ بِأَنَّ هَذِهِ الْمُعْرَكَةَ طَوِيلَةٌ فَلَنْ تَنْتَهِي بِشَهْرٍ أَوْ شَهْرِيْنَ
وَلَا بِسَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنَ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَسْتَعِدَّ لِذَلِكَ لِنَكُونَ لِبَنَةً صَالِحةً
بِجَيْشِ رَبَّانِيِّ مُحَمَّدِيِّ يَعِيدُ لِلْأَمَّةِ عَزَّهَا وَكَرَامَتِهَا وَيَحْفَظُ عَلَيْهَا دِينَهَا وَأَرْضَهَا
وَعَرْضَهَا.

٢. أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً: لَا بَدَّ لِكُلِّ سِلْعَةٍ مِنْ ثَمَنٍ يُدْفَعُ، وَلَا بَدَّ لِكُلِّ مَطْلُوبٍ
مِنْ جَهَدٍ يُبَذَّلُ، وَهَذَا مِنْ مِبَادَئِ دِيَنِنَا الْحَنِيفِ وَأَصْوَلِ شَرِيعَتِنَا الْغَرَاءِ،
وَيَتَفَاقَوْتُ الثَّمَنُ بِتَفَاقَوْتِ السِّلْعَةِ الْمَطْلُوبَةِ وَمَقْدَارِ قِيمَتِهَا.

وَسِلْعَةُ اللَّهِ غَالِيَةٌ، فَإِنْ أَرْدَتَ الْجَنَّةَ فَوَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى تَحْمِلِ الْآلَامِ وَتَقْبُلُ
الْمَصَابِ وَبَذْلِ الدَّمَاءِ، إِذْ لَا أَمْلَ بَدْنَ أَلَمَ، وَلَا نَجَاحَ بَدْنَ بَذْلٍ وَعَطَاءِ
وَعَمَلٍ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ.

فَهَذَا الْحَبِيبُ الْمُصْطَفِي ﷺ وَقَدْ ضَرَبَ لَنَا أَرْوَعَ الْأَمْثَلَةِ فِي التَّحْمِلِ وَالثَّبَاتِ
وَالصَّبَرِ عَلَى الْبَلَاءِ وَالْأَبْلَاءِ، فَمَا اسْتَكَانَتْ عَزِيزَتِهِ وَلَا ضَعَفَتْ هَمَّتِهِ
وَإِرَادَتِهِ فِي الْمُضِيِّ قُدْمًاً، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ بَدْعًا مِنَ الرَّسُولِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ
فِي طَرِيقِ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ فَكَانُوا مَصْدَاقًا لِقَوْلِهِ ﷺ عَنِّدَمَا سُئِلَ: (أَيُّ النَّاسِ
أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبَتَّلُ الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِيَنِهِ،
فَإِنْ كَانَ دِيَنُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِيَنِهِ رِقَّةٌ أَبْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ
دِيَنِهِ، فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتُرَكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)
كِيفَ لَا؛ وَالثَّمَنُ هُوَ الْجَنَّةُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (أَلَا
إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ).



٣. لا يُغرنك انتفاش الباطل؛ فالعقاب للمتقين: إن المعركة بين الحق والباطل كُرْ وفَرِّ وَإِنَّ الأَيَّامَ دُولَ، يوْمٌ لَنَا وَيوْمٌ عَلَيْنَا، وَيوْمٌ نُسَاءٌ وَيوْمٌ نُسُرُّ، فَلَئِنْ خَسَرْنَا الْيَوْمَ جَهَنَّمَ فَقَدْ رَبَحْنَا بِالْأَمْسِ جَهَنَّمَاتٍ، وَلَئِنْ رَبَحْنَا الْيَوْمَ جَهَنَّمَةً فَقَدْ نَخْسَرْهَا فِي قَابِلِ الْأَيَّامِ، فَلَا يَكُنْ ذَلِكَ دَاعِيًّا لِلْيَأسِ وَالْقُنُوطِ فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ.

فمن يعتقد أن النصر يكمن بالسيطرة على بقعة جغرافية (وإن كان ذلك جزءاً منه) فإن اعتقاده خاطئ وفهمه منقوص، فكم من دولة أنهكت وتفككت من خلال حرب العصابات التي نخرتها وأزالتها عن مكانها بين الدول. فجولات المعارك تدور وتبدأ من العقول وتنتهي في الميادين أحياناً، والبطل الذي يحسّن المعركة في العقول قبل أن تصل إلى الميدان بما امتلك من مهاراتٍ وآلياتٍ يُنْهِي خصميه وينتصر عليه بحروبه ناعمةً لم تترك آثاراً مادياً أو بشرياً سيئة، وحسبنا في جهادنا ما وعدنا به ربُّنا ومدبرُ أمرنا أنه مولانا ولا مولى لهم.

٤. الجهاد طريق المخلصين وتابع الصادقين: إن هذا الطريق طريقَ الجهاد طريقٌ طويٌّ وشاقٌ ممتلىء بالمصاعب والبلايا، يتَرددُ في سلوكه الكثير ويترافقُ عنه الكثير، ويُسقطُ فيه الكثير، ولا يثبتُ فيه إلا الرجالُ من أصحابِ المبادئ والقيم الذين تسلّحوا بالصبر والثبات والإرادة والعزمية وامتلكوا الهمَّ والهمَّة والإيمان، لا يعرفون مللاً ولا استسلاماً، فسخروا كلَّ ما عندهم للوصول إلى الهدف المنشود بفوزٍ ونجاحٍ، أولئك الذين سيمُنُّ الله عليهم بالنصر والتمكين، الذين قال فيهم سبحانه: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨)، وقال أيضاً: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص: ٦-٥).



٥. من كان مع الله؛ فلن يخذله ولن يخيّبه: حقيقةٌ ربانيةٌ تبعثُ الأملَ في القلوبِ مجردَ أن تقرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَغْرِنَكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا وَاهِمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَهَادُ﴾ ويزدادُ الأملُ بوعده الله سبحانه والتفاؤلُ به عندما نقرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

وهذا قول الله سبحانه الذي لا يتبدل ولا يختلف عن وعده لنا ووعيده لهم، فلنكن على ثقةٍ واطمئنانٍ بأن الله لن يخذلنا أبداً.

ولنكن على ثقةٍ أيضاً بإهلاكه سبحانه للظالمين الذين طغوا وبغوا واستكثروا كما كان حال قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾.

٦. من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه: فلن تُثمر شجرةً قبل اكتمال نموها، ولن تؤكل فاكهةً قبل نضجها، فلا تطلب النصرَ قبل أن تقيمه في نفسك، وتحقق مقوماته في مجتمعك وأمتك ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

فما تم بناؤه قبل اكتمال عقده ونضجه فلن يُكتب له النجاحُ والاستمرارُ، ولن يعطي الفائدة المرجوة المطلوبة، ولو كان مدهشاً في مظهره وباهراً في جماله.



٧. **الرجولة**: في مواطن الضعف، والشجاعة عند تمكّن الخوف: الشجاعة أن تستمرّ عندما لا تمتلك القوة، والحياة مواقف متباعدة والناس فيها كالمعدن المختلفة، ولن تظهر حقيقة المعادن إلا من خلال المواقف، فبعضها يصدأ وبعضها يهترأ، والأصيل منها ما يحافظ على ذاته وجمال رونقه مهما امترجت به الشوائب واللؤلؤات.

وكذا الرجال الأشداء في مواقفهم وشجاعتهم في وقت غابت فيه القوّة والغلبة الماديّة، بعكس الذكور الأدعياء الجبناء الذين يهربون من التزاماتهم في وقت ملكوا فيه القوّة بكل أركانها ومعانها.

٨. **الجهاد عزّنا وشرفنا**: كلّنا يعلم ويدرك أنّنا مقبلون على مرحلة كتهاه الله علينا وهي الموت الذي لا مفرّ منه ولا مهرب، فلنعمل على استقباله ومواجهته بأفضل حال أعزّه مرفوعي الرؤوس في الدنيا وفي أعلى الدرجات من الفردوس الأعلى في الآخرة، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الجهاد في سبيل الله، فلنجمد على أنفسنا أن نكون من سالكي هذا الطريق العظيم.

٩. **فإِمَّا حِيَاةٌ تُسَرِّ الصَّدِيقِ، وَإِمَّا مَمَّا يُغَيِّظُ الْعَدِيِّ**: إنَّ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ علينا أنْ أَعْزَنَا بِالْإِسْلَامِ وَمَنْ عَلَيْنَا بِالإِيمَانِ وَأَكْرَمَنَا بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدًا ﷺ، وهذا يعني أنَّ طريق النصر بين أيدينا، والمرشد إليه والموضّح لتفاصيله بين ظهريّينا، وما علينا إلا استحضار الإرادة القوية، واستهانة العزيمة الفتية، واستبعاد الشهوات والملذات الدنيّة، فنشمر عن سواعد الجد في طريق الإيمان، لنصل إلى الغاية المطلوبة والهدف الأسوي في حياتنا وبعد مماتنا.

ولنكن على ثقةٍ تامةٍ أنّا لم نُكَلِّفْ ما لا نُطِيقُ، فلا يكلف الله نفساً إلا ما آتاهـاـ: فلنعمل بقدر طاقتـناـ واستطاعتـناـ وبـماـ أعطـاناـ اللهـ منـ إـمـكـانـياتـ ثمـ لـنـتـوجـهـ إـلـىـ اللهـ بـصـدـقـ وـإـلـاـصـ،ـ وـلـنـحـذرـ مـنـ الـجـزـ وـالـحـزـنـ فـإـنـهـ إـحـدىـ الحـسـنـينـ،ـ النـصـرـ أوـ الشـهـادـةـ.



فإن كان (النصر)؛ فنحن أهله بإذن الله، فلنحمد الله على نعمه التي لا تحصى، وإن كانت الأخرى (الشهادة)؛ فإنها غاية المسلم ومطلبه في الدنيا، فلها نعمل ومن أجلها نسعى ورحم الله شاعرنا الشهيد سيد قطب رحمة الله تعالى:

وأمضى على سنتي في يقين
وإماماً إلى الله في الخالدين
فروضات ربّي أعدّت لنا
فطوبى لنا في ديار الخلود

سأثار لكن لربِّ ودين
فإماماً إلى النصر فوق الأنام
أخي إن نمت نلق أحبابنا
وأطيارها رفرفت حولنا

١٠. إحسان الظُّنْ بِالله بامتثال أوامرِه: إنَّ الحقيقة الواضحة التي أخبرنا بها ربُّنا سبحانه وتعالى في كتابه: {وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} (الروم: ٤٧). {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} (غافر: ٥١). {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} (الصافات: ١٧٢-١٧٣).

وفي هذه الآيات الكريمة وعد صادق من الله سبحانه بنصر المؤمنين ولن يخلف الله وعده.

وهذا يعني أنَّ النصر حليف المؤمنين طال ذلك أم قصر، فهذه حقيقةٌ قرآنية ثابتة أكَّدَها النبي المصطفى ﷺ في الحديث النبوي الشريف عندما قال: (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوْكِيلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزِقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بَطَانًا).

ولكن قد يتساءل البعض: إنَّ النصر لم يتنزَّل على المؤمنين في كثيرٍ من المعارك.

يتساءل وقد نسي المقومات الأساسية التي ينبغي أن تتوفر في أهل الإيمان حتى يتَّسَعَ عليهم النصر من إيمان قوي، وإخلاص نقى، وإعداد ذكي وجهدٍ فتى، وهمةٍ وإرادةٍ وعزيمةٍ وثبات.



فتلك عدّة النصر التي تستوجبه، ولا تستدعي عدداً ولا عدّة كبيرةً كما هو حال الكافرين: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء: ١٨).

تلك الحقيقة الإيمانية التي يقهر الله بها أعداءه الذين يتباھون بقوتهم أمام جنوده الذين افتقدوا لأدنى مقومات القوّة إلا من الإيمان الذي ملأ قلوبهم فأحال ضعفهم قوّةً فينتصر الضعيف على القوي، لأنّهم جنود الله، وما يعلم جنود ربّك إلا هو.

فلا بدّ من الثقة بالله وحده، والتوّكّل عليه وحده، والاستعانة به وحده، والطلب منه وحده، لأنّه المدير والمتصّرف والمتوكّل بعباده.

١١. ومن يتوكّل على الله فهو حسبي: لا بدّ أن نتذكّر بأنّ القويّ هو الله وحده دون سواه، وأنّ قوّة الله فوق كلّ قوّة، فلن تخيفنا قوّة روسيا ولا قوّة أمريكا ولا قوّة إيران، فكلّهم جمیعاً بيد الله.

فليكن اعتمادنا على الله وحده دون سواه، فلن يخيب من اعتمد عليه، ولتكن استعانتنا به وحده دون سواه، فلن يخذل من استعان به، ول يكن توّكّلنا عليه وحده دون سواه، فلن ينسى من فضلاته من توّكّل عليه، واعلموا أنّه لن يخيبنا ولن يخذلنا ما دمنا بحبله متمسّكين، ولشريعته مطّبّقين، وبحكمه عاملين، ولأوامره ممثّلين.

١٢. هنيئاً لأهل الشام: في خيرة الله من أرضه: بعد كلّ هذه الحقائق الربّانية التي تزرع الأمل في القلوب وتغرس الطمأنينة في النفوس، فإنّي سأختتم بحديث النبي ﷺ عن فضل الشام وأهلها، وقد نصّح أصحابه أن يلجموا إليها، فإنّها خيرة الله من أرضه، يجتبى إليها خيرته من عباده، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها على الشام وقت السلم، فكيف بها وقت الحرب. كيف لا؛ وقد تكفل الله بها وبأهلها وبارك فيهم، أما يكفينا هذا فخرّاً أنّ كنّا من أهل الشام ومن جنود الحقّ فيها.



فَعِنْ ابْنِ حَوَالَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدًا، جُنُدًا بِالشَّامِ، وَجُنُدًا بِالْيَمَنِ، وَجُنُدًا بِالْعِرَاقِ، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ، قَالَ: عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهُ خِيرَةُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهِ خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنْ أَبْيَتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ). فَأَبْشِرُوا يَاهْلَ الشَّامِ الْكَرَامَ فَأَنْتُمْ أَهْلُ الصَّابِرِ وَالثَّبَاتِ وَالْإِقْدَامِ، أَهْلُ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَاتِ، أَهْلُ الرِّجْوْلَةِ وَالْكَرَامَاتِ، أَهْلُ الْمَرْوَءَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْبَطْوَلَاتِ، أَهْلُ الْفُوزِ وَالنَّصْرِ وَتَحْقِيقِ الْأَمْنِيَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَسِيَكْتُبُ التَّارِيْخُ لَكُمْ ثُورَتَكُمْ، وَسِيَسْجُلُ لَكُمْ بَطْوَلَتَكُمْ، وَسِيَذْكُرُ لَكُمْ الْمَلَاحِمَ الْمُضِيَّةَ لِتَكُونَ شَهَادَةً لَكُمْ أَمَامَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَأَمَامَ الْأَمْمَ مِنْ بَعْدِكُمْ، وَشَهَادَةً عَلَى أَعْدَائِكُمْ بِالْخَزِيْنِ وَالْهُوَانِ وَالْعَارِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.



ولعلّي أختتم كتابي بصورةٍ مشرقةٍ لأهل الشام المباركين، صورةٍ من مئات الصورِ الرائعةِ التي سطّرها مجاهدونا وكتبوها بدمائهم الزكية لتبقى مناراتٍ وهاجةً تستضيء بها الأجيالُ من بعدهم.

- يخبرني أحد القادة من فمه لاذني يقول:

في ليلةٍ من ليالي الشتاء الباردة من شهر آذار لعام ٢٠١٥ م، وبينما كنت أرابط على حاجز الداخلية، ومعي مجموعةٌ من الشباب الطيبين يستيقظ علاء الدين من نومه بعد منتصف الليل فرعاً مرتعباً، أسرع إليه الشباب يسقونه الماء ويسألونه عن حاله وما الذي حدث له.

لم يُجب علاء الدين على أسئلتهم، بل سارع فاغتسل وصلّى ما شاء الله له أن يصلّى ثم جلس يقرأ القرآن إلى حين نوبته في الرباط من تلك الليلة. ألحَّ عليه الشباب بالسؤال عما حصل معه لكنه لم يُجب ولم يتكلّم بشيءٍ بهذا الخصوص.

لم يكن علاء الدين بالشاب الملزِم التزاماً حقيقياً، كما لم يكن متفلتاً أو مفرطاً، فقد كان متوسط الحال في السلوك والعبادة.

لاحظَ الشبابُ اصلاحَ حاله تماماً وانعزلَه للصلوة والصيام وقراءةِ القرآن وتغيير سلوكه بشكلٍ جذريٍّ نحو الأفضل.

بعد أسبوعين تقريباً كنّا على موعدٍ مع معركةٍ جديدةٍ مع النظام المجرم وكانت تحتاجُ لدراسةٍ واستعدادٍ واستطلاعٍ ضمن سريةٍ تامةٍ بيننا كقادة، تمّت تسميةُ القادة الميدانيين للمعركة وكانت الرابعة فيهم، طلبوا مني الخروج للاستطلاع ولكنّي رفضتُ بدايَةً ظنّاً مّي أن لا ضرورةً لذلك إذ يكفي ثلاثة قادة للاستطلاع وأنا رابعهم سيكون دورِي فيها جزئياً، لكنّي خرجت للاستطلاع معهم بعد الإلحاح منهم علىّ، وفعلاً قمنا بما يتوجّب علينا من الإعداد والاستعداد والاستطلاع بعد أن حدّدنا محور العمل.



تقدّم إلى علاء الدين وقال: إنَّ المعركة التي تحضِّرون لها هي على الفوج (١٣٧)، فتفاجأْتُ وقلت له: لا، ليست على هذا المحور، وفعلاً لم تكن المعركة على هذا المحور، لكنه أصرَّ وقال إنَّ المعركة على الفوج وسيكون الدخول من جانب منزل (العميد الفلاني) في محور يسمّى محور الطيار، لم أُجبه حينذاك فالخطط لا تشير إلى هذه الجهة التي يتكلّم عنها ولم نفكّر فيها بعد.

وفي اليوم الثاني خرجتُ إلى غرفة العمليات وقد اجتمع بعضُ الشباب المجاهدين للنقاش في خطة المعركة، وبعد الحوار اقترح أحدُهم أن نغيّر مسار المعركة إلى الفوج (١٣٧)، ووافقه عددٌ من القادة الحاضرين ليبدأ الاستطلاع من جديدٍ ووضع الخطط على الفوج.

عادت بي الذاكرةُ بكلامِ علاء الدين وتذكّرتُ إصراره على مكانِ محور المعركة التي تمّ اعتمادها الآن فعلاً وذهلتُ من كلامه في الليلة الفائتة.

كيف عرف ولم يكن الأمر مطروحاً بعد؟؟؟

وعند عودتي إلى نقطة الرباط سأله، لكنه لم يجب وقال: إنَّ المعركة ستكون في الصباح في وقت ضباب.

وكنّا نعتاد الهجوم ليلاً، وفعلاً وبعد تخطيّطِ دقيقٍ قررَ القادةُ أن تكون المعركة مع بزوغ الفجر وحدّدوا موعدَ المعركةِ ضمننا كقيادة. كان علاء الدين يترقب.

عند تحديد الخطة طلبتُ ميّ غرفةُ العمليات العسكريّة اختيارَ الجماعةِ التي ستقتحم معي من نفس المحور، قمتُ مباشرةً باختيار عددٍ من الشباب الأبطال وتصدّتُ عدمَ اختيارِ علاء الدين، لكنه كان ينظر إلى صاحكاً وهو يقول: أنا أولكم في المعركة.

وبعد جدالٍ بيني وبينه قلت له: أنا القائد وعليك الطاعة ولن تخجَّ معنا، فقال: وأنا تحت أمرك ولكلّي سأشارك في المعركة بإذن الله.

ثارت الشكوكُ في نفسي، واستحضرت ذاك اليوم الذي قام فزعاً من نومه.



حتى إذا حل موعد المعركة المتفق عليه وجاء وقت الانطلاق إلى المحاور المخصصة أكدت على علاء الدين البقاء لحراسة المقر، وعند الاجتماع في غرفة العمليات العسكرية حصل حادث لأحد المجاهدين وهو (معاون رامي القاذف)، فبدأت البحث عن شاب يكون في هذا الموقف وبهذه المهمة، وسبحان الله لم أجد إلا علاء الدين، أو سوف يحصل خلل في المعركة، فأخذته معي مرغماً وتجمّعنا ليلاً في نقطة الاستعداد للمسير باتجاه أرض المعركة فقال لي علاء الدين:

إني أعرف كيف ستبدأ المعركة؟
وأين سأراك فيها؟
وأين سأقتل؟؟

وهذا ما شاهدته في المنام قبل حوالي شهر تقريباً، وفعلاً وصف لي المكان بالضبط، ولم نكن نعرف المكان الذي وصفه من قبل.

بدأنا المسير ليلاً؛ وبحسب خطة المعركة كان علاء الدين من أوائل الشباب في المسير وأنا في آخر المسير، كان أمامي يمشي شاب قائد عسكري اسمه: (أبو حذيفة)، من خيرة الشباب المجاهدين الذين قابلتهم في حياتي، وكانت تجمعنا صداقه قوية وكنا نلتقي كثيراً، مع أنه كان يعمل مع فصيل آخر، وفي المسير حدثني أبو حذيفة برؤيا كان قد رأها أثناء الاستراحة قبل الانطلاق للمسير؛ رأى ملكاً من الملائكة وله أجنحة كثيرة كلها بيضاء عدا جناح واحد أسود اللون، فسأل أبو حذيفة الملائكة: لماذا هذا الجناح الأسود بين تلك الأجنحة البيضاء؟؟

فأجاب الملائكة: هذا من كثرة ما نرد عنكم القذائف والشظايا.
أقسم على أبي حذيفة ألا أخبر الناس بالرؤيا، فأجبته بأنها رؤيا حق وهي بشري، ولابد من إخبار الناس بها، لكنني لن أذكر اسمك أمامهم.
في الساعة السابعة صباحاً وصلنا إلى موقع المعركة وكان قد نزل الضباب وبدأ



الانتشار للهجوم وكانت مهمتي البقاء في آخر الصنوف وأكون آخر الاقتحاميين الداخلين، وبعد نصف ساعة وقبل أن نبدأ الهجوم بدأ العدو بقصفٍ رهيبٍ من جميع الجهات لم نر مثله قط، وهو ما أدى إلى إصابةٍ قادة المحور الثلاثة وخروجهم من أرض المعركة، وكنت أنا رابع القادة وفق الخطّة، فاضطررت للتقدم إلى الأمام لأبدأ الاقتحام، فرأيت علاء الدين يضحك كعادته في المعارك وكان قد أصيب إصابةً خفيفةً في ذراعه وربطها فقلت له ولبقية الشباب:

أنا داخلُ أمامكم والحقوا بي.

كان علاء الدين بجانبي فأشار إلى بيده إلى زاوية في الطريق لابد من الدخول بجانبها إذ يوجد طريق آخر، وعندما نظرت إلى المكان رأيت النقطة التي وصفها بالضبط فابتسم وقال لي: الملتقى الجنة بإذن الله.

دخلنا إلى ساتر الفوج فأصيب جميع من كان معه في المحور عدا شابٍ واحد، فاضطروا للخروج من أرض المعركة، فمنهم من أصيب مرتين، ومنهم من أصيب ثلاث مرات، لكن ليس لنا من خيارٍ إلا المتابعة حتى لا تتعرض بقيةُ محاور المعركة للخطر بانسحابنا، ولذلك كان لا بد من المتابعة في المعركة.

تابعنا الهجوم على بركة الله وبأننا بكسر دفاع العدو بفضل الله، فكسرنا ثلاثة دشِّم وبرجاً وسيطراً على خندق واحدٍ وتقدمنا باتجاه المستودعات، وفعلاً دخلنا إلى أحدتها ولكن العدو استطاع الالتفاف علينا وكسر الجناح اليساري فأصبحنا في خطرٍ كبير.

اضطررت جميع المحاور إلى الانسحاب عند الساعة الحادية عشرة والنصف تقرباً، في طريق الانسحاب انقلب علينا صخرةٌ عظيمةٌ لتهرس رجلٍ حسن، الذي كان معه وحاولت سحبه لكن دون جدوٍ، وكان العدو يقترب منا وحسن يقول لي:

«إيَّاكَ أَنْ تَرْكِنِي حيَا؛ اقْتُلْنِي وَانْسَحِبْ وَلَا تَدْعُ الْمُجْرِمِينَ يَأْخُذُونِي حيَا»
يا إلهي ما العمل؟!!!!



العدُو اقتربَ كثيراً، وَحَسَن رجلاهُ تحت الصخرة، وليس عندي استطاعةٌ
لإنقاذه، ولا يمكن لي أن أتركه للأعداء.

تتزاحم الأفكارُ في مخيلتي ولكن دون أن أجده مخرجاً وحالاً يرضيني ويريح قلبي
وضميري.

لحظاتٌ ربانية عشتما متضرّعاً إلى الله وقد حضر أبو حذيفة من المحور المجاور
وأحضر معه (كريكو)، الذي تُرفع به السياراتُ بعد أن طلبناه من غرفة
العمليات العسكرية فرفعنا الصخرة عن حَسَن والحمد لله، إِلَّا أَنَّه حَسَن لَن
يستطيع الحراك من شدّة ما أصابه من الصخرة، فحملته على ظهرِي وبدأنا
الركض باتجاه الوادي، وفي طريق العودة وأنا أحمل حَسَناً على كتفِي وأركض
به رأيت علاء الدين مستشهداً في نفس المكان الذي أشار إليه بالضبط وقد
أصيب بشظايا مدفعةٍ في رأسه.

نزلنا إلى الوادي وكانت دباباتُ العدو في أعلى الوادي تحاول إصابةِنا، وكانت
هناك أرضٌ مكسوفةٌ لابدَّ من الركض فيها فقلت لأبي حذيفة: ما رأيك أن
نركض في ذاك الاتجاه حيث يوجد في آخره ساترٌ ترابيٌّ فما أن نصل إليه (أي
الساتر) تكون قد تجاوزنا مرحلة الخطر فقال لي: أترى مساكب الزهور في
الجانب الآخر؟

قلت: نعم .

قال: هناك رائحةُ الجنة.

أنا أركضُ إلى هناك من هذا الطريق وأنت تركضُ ومعك حَسَن باتجاه الساتر
حتى يتشتّت العدو في ضربينا، وفعلاً؛ ما إن قفزتُ إلى قلب الساتر ورفعتُ
رأسِي حتى رأيتُ ما حصل لأبي حذيفة، وقد أصيبَ بطلاقةٍ شيلكا في صدره وقد
استشهدَ في المكان الذي أشار إليه وقال لي: «هناك رائحةُ الجنة».

عند وصولي إلى باب المشفى الميداني نظرتُ إلى حَسَن وكان يضحك ويقول:



جزاكم الله خيراً، وأرجو أن تكون في ميزان أعمالكم، ثم دخل في غيوبه ليخرج من غرفة العمليات الطبيعية شهيداً صاحكاً مستبشراً. مضى الشباب شهداء بعد أن تمنى كلُّ واحدٍ الشهادة ليلاقوا ربهم وهم في أحسن حال.

رحم الله شهداءنا الذين كانوا مناراتٍ مضيئةٌ في طريق العزة والكرامة وحالهم يقول : {مَنْ مُؤْمِنٌ نَّرَأَى رِجَالًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (الأحزاب: ٢٣).

تلك هي ثورة الشام المباركة، وهؤلاء هم شبابها ومجاهدوها. فحرري بنا أن نحمد الله على ذلك وندعوه سبحانه أن يثبّتنا على دينه، إنه ولذلك القادر عليه.



مجازر آل الأسد

مجازر حافظ الأسد

خلال فترة حكمه ١٩٧٠ م / ٢٠٠٠ م.

منذ تخلص الديكتاتور المقبور حافظ الأسد من معارضيه وشركائه في بداية سبعينيات القرن الماضي، عبر الاغتيالات والمحاكمات الصورية بما يسمى المحاكم الاستثنائية، مثل «محكمة أمن الدولة ومحكمة الميدان العسكرية»، والاعتقال القسري، وفيما يأتي عرض لبعض المجازر التي قام بها المقبور:

١. انقلاب ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ م: الذي كان على إثر تدخل القوات البرية في الأردن بأمر من صلاح جديد، والتي تعرضت لهجمات الطيران الأردني والإسرائيلي، مما دفع صلاح جديد الطلب من حافظ الأسد إرسال مساندة جوية للقوات لكن الأخير رفض، ولما دعا صلاح جديد إلى مؤتمر طاري للقيادة القومية لمحاسبة وزير الدفاع حافظ الأسد سارع الأخير وانقلب على كل من معه.
٢. اتفاقية فك الاشتباك مع الأسد: التي تضمنت فيما تضمنتها من بنود سرية تقضي بتعهد الأسد بحماية حدود «إسرائيل» الشمالية، مع تنزله عن ٣٤ قرية وقعت بيد «إسرائيل» خلال الحرب ١٩٧٣ م.
٣. إعدام مجموعة ضباط انقلاب ١٩٧٣ م: وهي مجموعة الرائد وليد السقا التي خططت للانقلاب على حافظ الأسد وتم كشفها من قبل ضابط عميل يدعى زياد ملص.
٤. إعدام الشيخ مروان حديد: الذي اعتقل في عام ١٩٧٥ م بعد أن قضى عدة سنوات في الخفاء هرباً من مكان إلى مكان، وتمت تصفيته في سجن المزة العسكري في الشهر السادس من عام ١٩٧٦ م.



٥. حل النقابات المهنية: أصدر حافظ الأسد مرسوماً تشريعياً في ٧/٣/١٩٨٠ م قضى بتخويم مجلس الوزراء بإصدار قرار بحل النقابات المهنية، وفي العاشر من شهر نيسان ١٩٨٠ م حلت الحكومة جميع النقابات المهنية وعينت شخصيات منتمية لحزب البعث والأجهزة الأمنية.
٦. إصدار القانون ٤٤ لعام ١٩٨٠ م: الذي يقضي بإعدام كل منتسِب لجماعة الإخوان المسلمين، بأثر رجعي، أي سواء من انتسب قبل تاريخ صدور هذا القانون أم بعده، وسواء ثبتت له علاقة مباشرة أم غير مباشرة بالعمل المسلح أم لم تثبت إطلاقاً، وكان هذا القانون باختصار يحكم بالإعدام على الانتساب لتنظيم سياسي ودعوي فحسب وقتل عشرات الآلاف بموجب هذا القانون في محاكم ميدانية.
٧. مجرفة تل الزعتر: في حزيران عام ١٩٧٦ م، نفذت قوات حافظ الأسد وميليشيات بيير الجميل حصاراً مخيم تل الزعتر للاجئين الفلسطينيين، الذي يقطنه حوالي ٣٥ ألف نسمة وقصفوه بأكثر من ٥٥ ألف قذيفة وصاروخ حيث قتل أكثر من ثلاثة آلاف فلسطيني عقب دخول القوات المشتركة، معظمهم ذبحاً بالسكاكين.
٨. مجرفة جسر الشغور: في إطار حربه المعلنة بحجة «الإخوان المسلمين»، نفذت قوات حافظ الأسد سلسلة مجازر في محافظة إدلب، كان أبرزها مجرفة جسر الشغور في آذار ١٩٨٠ م، حين حوصلت المدينة وقصفت بالمدفعية وقدائف الهاون، ثم اجتاحتها القوات وقتل أكثر من ١٠٠ رجل وامرأة وطفل قتلوا عقب دخول قوات الأسد إلى جسر الشغور والتمثيل بجثثهم واعتقال العشرات.
٩. مجرفة سجن تدمر ١٩٨٠ م: في ٢٧ حزيران عام ١٩٨٠ م، نفذت قوات الأسد إنزالاً في سجن تدمر وأعمقت سلسلة إعدامات بحق المعتقلين والسجناء السياسيين فيه، ذهب ضحيتها نحو ١٢٠٠ معتقل.



١٠. مجرزة حصار حلب ١٩٨٠ م: شهدت مدينة حلب عام ١٩٨٠ م مجرزة حي المشارقة، حيث قتل حوالي ١٠٠ من أبنائه بإطلاق النار عليهم ثم دفونوا في مقبرة جماعية. وكذلك مجازر سوق الأحد، وبستان القصر، والكلاسة، التي ذهب ضحيتها حوالي ٢٠٠ من أبناء حلب.
١١. مجرزة حماه الأولى ١٩٨١ م: قامت عصابات الأسد في نيسان ١٩٨١ م بإعدام ٤٠٠ شخص من أبناء المدينة.
١٢. مجرزة حماه الثانية ١٩٨٢ م: بدأت في الثاني من شباط ١٩٨٢ م وحتى ٢٨ شباط من العام ذاته، حيث سيطرت عليها قوات الأسد بالكامل وراح ضحيتها أكثر من ٦٠ ألف قتيل، معظمهم إعدامات جماعية وذبحاً بالسكاكين واعتقال الآلاف من أبنائها.
١٣. إعدام مجموعة ضباط في تموز ١٩٨٠ م: الرائد المهندس بكور محمد سلامة، النقيب المهندس أحمد إسماعيل الإسماعيلي، النقيب العامل جميل محمد القسوم، الملائم أول المهندس مهند بن محمد عيد مراد، الملائم أول المهندس تامر عجاج الخميس، الملائم أول المهندس جميل محمد حاج أحمد، الملائم أول المهندس أحمد محمد قاسم المصري، الملائم أول المهندس جاسم محمد عبد الرحمن، الرقيب الأول المتقطوع أحمد بن حمدان خلوف، العريف المجندي أحمد غيات الدين بن محمد نعسانى.
١٤. إعدام مجموعة العميد شعبان الخطاب: وهي مجموعة ضباط من خاضوا حرب تشرين ونالوا أوسمة وليقيئهم بخيانة حافظ الأسد حاولوا الانقلاب عليه إلا أن العملية فشلت بسبب وشایة المقدم مصطفى حماس أحد عملاء المخابرات العسكرية وتم تصفيته أكثر من ١٠٠ ضابط على أثرها.



١٥. مجررتا صبرا وشاتيلا الأولى والثانية: جرت عملية اجتياح المخيمات صبرا وشاتيلا في أيلول ١٩٨٢ م بعد حصارهما من قبل القوات السورية بالاشتراك مع كتائب الموارنة بمذبحة راح ضحيتها أكثر من ٤ ألف فلسطيني ومن قدم لهم العون من اللبنانيين، وكان معظم القتلى من الأطفال والنساء والشيوخ.

١٦. حصار طرابلس: بعد مجازر صبرا وشاتيلا الثانية حاصرت عصابات الأسد مدينة طرابلس ودكتها بالقذائف المدفعية، بالتعاون والتنسيق مع المليشيات اللبنانية العلوية في جبل محسن في طرابلس، دكت قوات الأسد على مدى شهر كامل طرابلس بأكثر من مليون قذيفة مدفعية دمرت خلالها أكثر من نصف أحياء المدينة، وارتكتبت العديد من المجازر كمجزرة منطقة التبانة ومجازر الضنية وعكار، وكان عدد الضحايا يفوق ١٠٠٠ قتيل.

١٧. دعم النظام الإيراني في حربه مع العراق: في أيلول ١٩٨٠ م اندلعت الحرب العراقية الإيرانية، وبعد مضي أسابيع قليلة من هجوم الجيش العراقي للأراضي الإيرانية، قام حافظ الأسد بإقامة جسر جوي بين دمشق وطهران لنقل كميات كبيرة من الأسلحة السوفيتية الصنع والبطاريات المضادة للطائرات وفتح الأسد مراكز التدريب في سوريا للإيرانيين، وتم سحب الكثير من الأسلحة من مخزونات الطوارئ الحربية للجيش السوري.

١٨. دعم حزب العمال الكردستاني الإرهابي: يعود تاريخ وجود تنظيم (PKK) الإرهابي في سوريا إلى عام ١٩٧٨ ، الذي كان يتزعمه عبد الله أوجلان الذي استقر في دمشق منذ ذلك الوقت تحت حماية الاستخبارات العسكرية برئاسة علي دوبا، أطلقت قوات حزب العمال الكردستاني حرب انفصالية في تركيا، مستمرة حتى اليوم.



وكان النظام السوري في عهد حافظ الأسد أول من قدم الدعم للحزب خارج حدود تركيا، وذلك بتوفير معسكرات التدريب لعناصر الحزب، ووفر الأسد لهم تنسيقاً وتواصلاً كبيراً مع الإيرانيين في سوريا، وأدرج حزب العمال الكردستاني مع مراكز الاحتجاز الخاصة به كقوة رديفة للتحكم بالسكان الأكراد السوريين.

١٩. دعم المنظمات الأرمنية الإرهابية ضد تركيا: في تشرين أول ١٩٨٣ م اجتمع في جنيف رئيس المخابرات العسكرية للنظام السوري على دوبا، بقيادة منظمة ASALA الأرمنية الإرهابية، لاتفاق على تنفيذ العمليات الإرهابية ضد تركيا، لمنعها من إنشاء الحزام الأمني، وقد شهدت المنطقة التركية بالفعل العديد من العمليات الإرهابية بعد ذلك التاريخ، ولعب الأسد دوراً كبيراً بين الأرمن في ASALA والأكراد في PKK، وربطهم معاً بالخبرات السوفيتية والإيرانية.^١



مجازر بشار الأسد

خلال فترة حكمه ٢٠٠٠ م / وحتى يومنا هذا. ١

مجازر بداية حكمه: ٢٠١١ م / ٢٠٠٠ م:

١. قمع انتفاضة الدروز عام ٢٠٠٠ م: قامت قوات نظام بشار الأسد وبعد حوالي خمسة أشهر من استيلاء بشار الأسد على السلطة بقتل أكثر من ٢٥ شاب من الدروز على إثر خلاف بينهم وبين مجموعة من البدو، وكان يهدف من ورائهم إثارة الصراع والفتنة في السويداء.

٢. قمع انتفاضة الأكراد عام ٢٠٠٤ م: في شهر آذار من عام ٢٠٠٤ م اندلعت الانتفاضة الكردية في مدينة القامشلي السورية، بسبب الشعور بالظلم المركب والتهميش المضاعف الذي كان يعيشه الأكراد في عهد حافظ الأسد الأب، واستمر في عهد الأسد الولد، سارع النظام إلى مواجهة الانتفاضة الكردية بالقمع بطرق شتى حاصداً ما زرعه من أحقاد وقام بتشكيل مجموعات من العرب وتسلیحها والرّجّ بها لتكون رأس الحربة في قمع الانتفاضة الكردية فأحرقت المحال التجارية وساندت النظام في قمع الانتفاضة التي أدّت إلى سقوط ثمانية وأربعين شهيداً وأكثر من ثلاثة آلاف معتقل من الأكراد.

٣. مجررة سجن صيدنايا ٢٠٠٨ م الأولى: بتاريخ ٦/٨/٢٠٠٨ م في الساعة الخامسة صباحاً اقتحمت قوات من الشرطة العسكرية مستخدمة الأسلحة وسقط إثرها ٢٠ قتيلاً.

٤. مجررة سجن صيدنايا الثانية: بتاريخ ٦/١٢/٢٠٠٨ م بدأت عصابات الأسد بعمليات قنص المعتقلين في محاولة اقتحام السجن استمرت ٢٠ يوماً انتهت بمقتل ١٢٠ معتقل برصاص عصابات الأسد.

مجازر عام ٢٠١١ م بداية الثورة:



١. مجزرة درعا ٢٠١١ م: بتاريخ ٢٣/٣/٢٠١١ م قتلت عصابات الأسد أكثر من ١٠٠ شخص على الأقل خلال مظاهرات في درعا.
 ٢. مجزرة اقتحام حماه ٢٠١١ م: بتاريخ ١٣/٧/٢٠١١ م مقتل أكثر من ١٠٠ مدني في هجوم واسع لعصابات الأسد على مدينة حماه.
 ٣. مجزرة كفر زيتا الأولى ٢٠١١ م: بتاريخ ٣٠/٩/٢٠١١ م قامت عصابات الأسد بإطلاق النار على المتظاهرين المسلمين مما أدى إلى مقتل ٥ وإصابة أكثر من ١٠٠ شخص.
- مجازر عام ٢٠١٢ م:**
١. مجزرة الغجرية ٢٠١٢ م: بتاريخ ٢٧/١/٢٠١٢ م تم العثور على ٦٨ جثة بين قرية رام العز وقرية الغجرية بالقرب من مدينة حمص أقدمت عصابات الأسد على إعدامهم ميدانياً.
 ٢. مجزرة حمص ٢٠١٢ م: بتاريخ ٤/٢/٢٠١٢ م مقتل أكثر من ٢٣٠ مدنياً بينهم عشرات من النساء والأطفال قتلوا في ليلة واحدة في وسط حمص.
 ٣. مجزرة حي عشيرة حمص ٢٠١٢ م: بتاريخ ٩/٣/٢٠١٢ م أقدمت عصابات الأسد على قتل عشرات المدنيين وكان من بينهم ٢٢ امرأة و١٣ طفل أثناء نزوحهم.
 ٤. مجزرة كرم الزيتون ٢٠١٢ م: بتاريخ ٣/٩/٢٠١٢ م قامت عصابات الأسد بقتل ٤٧ شخصاً بعد اقتحامها لحي كرم الزيتون في حمص.
 ٥. مجزرة اللطامنة الأولى ٢٠١٢ م: بتاريخ ٧/٤/٢٠١٢ م أقدمت عصابات الأسد على إعدام أكثر من ٧٠ مدنياً من أبناء المدينة.
 ٦. مجزرة كفرزيتا الأولى ٢٠١٢ م: بتاريخ ١٠/٤/٢٠١٢ م أقدمت عصابات الأسد على إعدام ٨ شبان من المدنيين ميدانياً وحرقهم.
 ٧. تصفية عائلة في كرم الزيتون ٢٠١٢ م: في نهاية شهر نيسان ٢٠١٢ م أقدمت



شبيحة النظام السوري على قتل ٤ أشخاص من عائلة واحدة بطريقة وحشية.

٨. مجزرة حي دير بعلبة ٢٠١٢م: في شهر نيسان ٢٠١٢م اقتحمت شبيحة يتبعون للطائفة العلوية ترافقهم قوات من الأمن والجيش الحي وقاموا بعمليات ممنهجة لإعدام المئات من أهالي الحي إعداماً ميدانياً بطرق مختلفة وحرق للجثث وسرقة ونهب للممتلكات وعمليات اغتصاب طالت عدداً كبيراً من النساء.

٩. مجزرة تفتناز ٢٠١٢م: بتاريخ ٢٠١٢/٤/٥، قامت عصابات الأسد بعملية إعدام ميداني جماعي، العدد ٦٢ شخصاً في قرية تفتناز بمحافظة إدلب.

١٠. مجزرة الحولة ٢٠١٢م: بتاريخ ٢٠١٢/٥/٢٠ مقتل ما لا يقل عن ١٠٨ من المدنيين جلهم من الأطفال والنساء في بلدة الحولة بمحافظة حمص. إثر قصف عصابات الأسد واجتياحها للبلدة.

١١. مجزرة قلعة الحصن ٢٠١٢م: بتاريخ ٢٠١٢/٥/٣١ م قامت عصابات الأسد بقتل ٧٢ شخصاً بعد اقتحامها لقلعة الحصن في ريف حمص الغربي.

١٢. مجزرة معمل السماد حمص ٢٠١٢م: بتاريخ ٢٠١٢/٥/٣١ م أقدم حاجز مدخل قرية قطينة على تعذيب الموظفين ومن ثم قاموا بإعدامهم رمياً بالرصاص وبلغ عدد القتلى ١٢ موظفاً.

١٣. مجزرة القبير حماه ٢٠١٢م: بتاريخ ٢٠١٢/٦/٦ م قامت شبيحة الأسد باقتحام قرية القيبر وقتل ١٠٠ قتيل بينهم ٢٠ طفلاً و ٢٠ امرأة.

١٤. مجزرة وادي الضيف ٢٠١٢م: بتاريخ ٢٠١٢/١٠/١٣ م ٢٠١٢م قامت عصابات الأسد بإعدام ٦٥ شخصاً بينهم ٥٠ جندياً منشقًا أثناء معركة معرة النعمان.

١٥. مجزرة التريمسه ٢٠١٢م: بتاريخ ٢٠١٢/٧/١٥ م مقتل أكثر من ١٥٠



شخصاً في قصف واقتحام عصابات الأسد لبلدة التريمسه بمحافظة حماة وحرق أكثر من خمسين منزلأً.

١٦. مجرزة داريا ٢٠١٢ م: بتاريخ ٢٢/٨/٢٠١٢ م إلى ٢٦ منه عثرت الأهالي في داريا قرب دمشق على ٣٢٠ جثة على الأقل بعد ستة أيام من هجوم شنته عصابات الأسد وعثر على عشرات الجثث في الأيام التالية مما رفع العدد إلى أكثر من ٥٠٠ عدد المدنيين القتلى.

١٧. مجرزة كفرزيتا ٢٠١٢ م: بتاريخ ١١/٩/٢٠١٢ م مقتل ١٣ شخص إثر القاء عشرات البراميل المتفجرة على المدينة.

١٨. مجرزة عقرب ٢٠١٢ م: مقتل مدني من أبناء البلدة على يد شبيحة الأسد.

١٩. مجرزة فرن حلفايا ٢٠١٢ م: بتاريخ ٢٣/١١/٢٠١٢ م قصفت الطائرات الحربية مخبز مدينة حلفايا مما أدى إلى مقتل ٣٣ مدني وإصابة أكثر من ٣٠٠ منهم.

مجازر عام ٢٠١٣ م:

١. مجرزة جامعة حلب ٢٠١٣ م: مقتل ٨٧ طالباً من طلاب جامعة حلب بتفجيرات قامت بها عصابات الأسد.

٢. مجرزة نهر قويق حلب ٢٠١٣ م: بتاريخ ٢٩/١/٢٠١٣ م العثور في نهر قويق في حي بستان القصر في حلب على جثث قرابية ثمانين شاباً، معظمهم كانت أيديهم مقيدة خلف ظهرهم.

٣. مجرزة حي البرج تلكلخ ٢٠١٣ م: بتاريخ ٣١/٣/٢٠١٤ م قامت عصابات الأسد بإعدام ١٣ شخصاً من أبناء المدينة أثناء اقتحامها.

٤. مجرزة جديدة الفضل ٢٠١٣ م: بتاريخ ١٦/٤/٢٠١٢ م مقتل ٤٨٣ شخصاً



- من بينهم نساء وأطفال في مجذرة «جديدة الفضل» التي ارتكبها قوات الحرس الجمهوري بالاشتراك مع الشبيحة، على مدى أربعة أيام.
٥. مجذرة سجن حلب المركزي ٢٠١٣م: في أواخر شهر أيار من عام ٢٠١٣م أعدمت عصابات الأسد قرابة خمسين من السجناء بسجن حلب المركزي.
 ٦. مجذري بانياس والبيضة ٢٠١٣م: بتاريخ ٢٠١٣/٥/٢م قامت عصابات الأسد بإعدام ١٤٥ مدنياً رميأ بالرصاص في مجذرة وقعت في بانياس و ٤٥ شخصاً في قرية البيضة.
 ٧. مجذرة رسم النفل ٢٠١٣م: بتاريخ ٢٠١٣/٦/٢٢م أقدمت عصابات الأسد على قتل ١٩١ شخصاً في مجذرة في قرية «رسم النفل» بريف حلب.
 ٨. مجذرة حي باب النيرب ٢٠١٣م: بتاريخ ٢٠١٣/٨/٢٦م استهدفت عصابات الأسد حي باب النيرب في الصواريخ مما أسفر عن مقتل ٣٣ مدنياً بينهم ١٩ طفلاً وست نساء.
 ٩. مجذرة كيماوي الغوطة عام ٢٠١٣م: بتاريخ ٢٠١٣/٨/٢١م استهدف عصابات الأسد منطقة الغوطة بالغازات السامة مما أسفر عن مقتل حوالي ١٤٠٠ شخص من بينهم ٤٢٣ طفلاً.
 ١٠. مجذرة الباب: بتاريخ ٢٠١٣/١١/٣٠م ألقت مروحيات النظام برميلاً متفجرأً على منطقة الباب بحلب ما أسفر عن مقتل ٢٠ مدنياً على الأقل.
 ١١. مجذرة النبك ٢٠١٣م: بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٦م أقدمت عصابات الأسد على قتل ما لا يقل عن ٤٠ مدنياً بينهم أطفال في ملجأ تحت الأرض في أحد أحياe مدينة النبك.



١٢. مجرزة بساتين الحصوية حمص ٢٠١٣ م: بتاريخ ٢٠١٣/١٢/١٥ مقتل ١٠٦ أشخاص بينهم نساء وأطفال في هجوم نفذته عصابات الأسد على بساتين حمص، وقد قتل البعض في احتراق منازلهم، وأخرون بالسلاح الأبيض.

١٣. مجرزة كفر زيتا: بتاريخ ٢٠١٤/٢/٧ م مقتل ١١ شخصاً إثر إلقاء حاوية متفجرة كبيرة جداً على مبني سكني.

١٤. مجرزة المزيريب ٢٠١٤ م: ألقى طائرة مروحية برميلاً متفجراً على قرية المزيريب في درعا ما أسفر عن مقتل ١٨ مدنياً على الأقل من بينهم ١٦ لاجئاً فلسطينياً.

مجازر عام ٢٠١٥ م:

١. مجرزة رتیان ٢٠١٥ م: بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢١ م أقدمت عصابات الأسد على إعدام حوالي ٥٠ من المدنيين اعداماً ميدانياً.

٢. مجرزة قصف دوما ٢٠١٥ م: بتاريخ ٢٠١٥/٨/١٦ م قصفت طائرات النظام مدينة دوما بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ٩٦ مدنياً وإصابة أكثر من ٢٠٠ آخرين.

٣. مجرزة بصرى ٢٠١٥ م: بتاريخ ٢٠١٥/٩/١٧ م قصفت طائرات النظام مدينة بصرى بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ١٧ مدنياً وإصابة أكثر من ٣٥ آخرين.

٤. مجرزة سوق دوما ٢٠١٥ م: بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٣ م قصفت طائرات النظام مدينة دوما بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ٦٥ مدنياً وإصابة أكثر من ١٠٠ آخرين.



مجازر عام ٢٠١٦ م:

١. مجرزة مخيم كمونه ٢٠١٦ م: بتاريخ ٢٠١٦/٥/٥ م قصفت طائرات النظام مخيم كمونة للاجئين بالقرب من الحدود التركية مما أدى إلى مقتل ٣٠ شخصاً.
٢. مجرزة بابتو ٢٠١٦ م: بتاريخ ٢٠١٦/١١/٦ م قصفت طائرات النظام بلدة بابتو بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ٢٢ مدنياً، بينهم ٤ طفلاً، و٧ نساء.
٣. مجرزة تجمع مدارس حاس ٢٠١٦ م: بتاريخ ٢٠١٦/١٠/٢٦ م شن طيران النظام السوري عدة غارات على تجمع مدارس «الشهيد كمال قلعي» جنوب قرية حاس مما أدى إلى مقتل ٣٨ مدنياً، بينهم ٦ سيدات و١٨ طفلاً، أغلبهم منهم من الطلاب.
٤. مجرزة سوق الخضار في معرب النعمان ٢٠١٦ م: بتاريخ ٢٠١٦/١٢/٤ م استهدفت طائرات النظام سوق الخضار وسط المدينة.

مجازر عام ٢٠١٧ م:

١. مجرزة خان شيخون ٢٠١٧ م: بتاريخ ٢٠١٧/٤/٧ م ألقى طائرة حربية تابعة لعصابات الأسد حاويات تحوي غازات سامة على خان شيخون مما أدى إلى مقتل ١٠٥ مدنياً وإصابة ٤ آخرين.
٢. مجرزة سلقين ٢٠١٧ م: بتاريخ ٢٠١٧/٩/٢٩ م قصفت طائرات النظام مدينة سلقين بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ٣٥ مدنياً.
٣. مجرزة درعا ٢٠١٧ م: بتاريخ ٢٠١٧/٤/٣٠ م ألقى طائرات النظام براميل متفجرة على أحياط درعا مما أدى إلى مقتل ١١ مدنياً، بينهم أربعة أطفال.
٤. مجرزة زردنا ٢٠١٧ م: بتاريخ ٢٠١٧/٦/٧ م قصفت طائرات النظام بلدة زردنا بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ٥٢ مدنياً، بينهم ١٠ أطفال.



٥. مجرزة أرمناز ٢٠١٧ م: بتاريخ ٢٩/٩/٢٠١٧ م قصفت طائرات النظام مدينة أرمناز بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ٣٥ مدنياً.
٦. مجرزة الآثارب ٢٠١٧ م: بتاريخ ١٣/١١/٢٠١٧ م قصفت طائرات النظام السوق الشعبي في مدينة الآثارب بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ٨٤ مدنياً وإصابة أكثر من ١٠٠ آخرين.

مجازر عام ٢٠١٨ م:

١. مجرزة حموريه ٢٠١٨ م: بتاريخ ٦/١/٢٠١٨ م قصفت طائرات النظام بلدة حموريه مما أدى إلى مقتل ١٧ مدنياً.
٢. مجرزة سوق البطاطا سراقب ٢٠١٨ م: بتاريخ قصفت طائرات النظام سوق الخضرة شمال مدينة سراقب مما أسفر عن مقتل أكثر من ١١ مدنياً.
٣. مجرزة كفرنبودة ٢٠١٨ م: بتاريخ ١/٢/٢٠١٨ م قصفت طائرات النظام مدينة إدلب مما أسفر عن مقتل ٨ مدنيين.
٤. مجرزة إدلب ٢٠١٨ م: بتاريخ ٤/٢/٢٠١٨ م قصفت طائرات النظام مدينة إدلب بالبراميل المتفجرة مما أسفر عن مقتل أكثر من ١٦ مدنياً.
٥. مجرزة حمورية الثانية ٢٠١٨ م: بتاريخ ٨/٢/٢٠١٨ م قصفت طائرات النظام بلدة حموريه مما أدى إلى مقتل ١١ مدنياً.
٦. مجرزة الغوطة ٢٠١٨ م: بتاريخ ٨/٢/٢٠١٨ م قصفت طائرات النظام منطقة الغوطة الشرقية مما أدى إلى مقتل ٢١٣ مدنياً من بينهم ٥٤ طفلاً و٤٤ امرأة.
٧. مجرزة الغوطة الثانية ٢٠١٨ م: بتاريخ ١٨/٢/٢٠١٨ م إلى ٢٢ منه قصفت طائرات النظام منطقة الغوطة مما أسفر عن مقتل أكثر من ٦٧٤ مدنياً، بينهم ٩٦ طفلاً.



٨. مجرزة كيماوي دوما ٢٠١٨ م: بتاريخ ٢٠١٨/٤/٧ م قصفت طائرات النظام مدينة دوما بحاويات تحوي غازات سامة مما أسفر عن مقتل أكثر من ٧٠ مدنياً.
٩. مجرزة الزعفرانة ٢٠١٨ م: بتاريخ ٢٠١٨/٤/٦ م قصفت راجمات صواريخ القرية مما أدى إلى مقتل ٧ مدنيين.
١٠. مجرزة معزيتا ٢٠١٨ م: بتاريخ ٢٠١٨/٥/٩ م قصفت طائرات النظام القرية مما أسفر عن مقتل أكثر من ٨ مدنيين.
١١. مجرزة أورم الكبرى ٢٠١٨ م: بتاريخ ٢٠١٨/٥/١٠ م قصفت طائرات النظام بلدة أورم الكبرى مما أدى إلى مقتل ٣٦ مدنيين بينهم ٢٠ طفلاً.
١٢. مجرزة تفتناز ٢٠١٨ م: بتاريخ ٢٠١٨/٥/١٠ م قصفت طائرات النظام البلدة مما أدى إلى مقتل ١٢ مدنياً.
١٣. مجرزة قرية الرفة ٢٠١٨ م: بتاريخ ٢٠١٨/١٠/٢٦ م استهدف النظام قرية الرفة بالصواريخ مما أسفر عن سترة شهداء.

مجازر عام ٢٠١٩ م:

١. مجرزة كفرنبل ٢٠١٩ م: بتاريخ ٢٠١٩/٤/٤ م قامت عصابات الأسد بقصف المدينة مما أدى إلى مقتل ١٣ مدنياً.
٢. مجرزة مدينة سرacob ٢٠١٩ م: بتاريخ ٢٠١٩/٤/٧ م قامت عصابات الأسد بقصف المدينة مما أدى إلى مقتل ٥ مدنيين.
٣. مجرزة قرية النيرب ٢٠١٩ م: بتاريخ ٢٠١٩/٤/٧ م قامت عصابات الأسد بقصف القرية مما أدى إلى مقتل ٨ مدنيين.
٤. مجرزة مزرعة أم تونية ٢٠١٩ م التابعة لقرية أم جلال بريف ادلب الجنوبي: بتاريخ ٢٠١٩/٤/١٨ م قامت عصابات الأسد بقصف تجمع للنازحين قرب مزرعة أم تونية مما أدى إلى مقتل ٩ مدنيين.



٥. مجرزة مدينة خان شيخون ٢٠١٩ م: بتاريخ ٢٣/٤/٢٠١٩ م قامت عصابات الأسد بقصف المدينة مما أدى إلى مقتل ٧ مدنيين.
٦. مجرزة قلعة المضيق ٢٠١٩ م: بتاريخ ٢٦/٤/٢٠١٩ م قامت عصابات الأسد بقصف المدينة مما أدى إلى مقتل ٥ مدنيين.
٧. مجرزة قرية العميقه ٢٠١٩ م: بتاريخ ٢٦/٤/٢٠١٩ م قامت عصابات الأسد بقصف القرية مما أدى إلى مقتل ٥ مدنيين.
٨. مجرزة قرية تل هواش ٢٠١٩ م: بتاريخ ٢٣/٤/٢٠١٩ م قامت عصابات الأسد بقصف المدينة مما أدى إلى مقتل ٧ مدنيين.
٩. مجرزة معرة النعمان ٢٠١٩ م: بتاريخ ٢٢/٧/٢٠١٩ م استهدف الطيران الحربي المدينة مما أدى إلى ٣٩ قتيلاً، بينهم أربعة أطفال وأربع سيدات ومتطوع في الدفاع المدني، وإصابة ما يزيد عن ٦٠ شخصاً.
١٠. مجرزة مخيم حاس ٢٠١٩ م: بتاريخ ١٨/٨/٢٠١٩ م قصفت طائرات النظام مخيم للنازحين بالقرب من بلدة حاس مما أدى إلى مقتل ٣٢ مدنياً.
١١. مجرزة مخيم قاح ٢٠١٩ م: بتاريخ ١٨/٨/٢٠١٩ م قصفت عصابات الأسد مخيم للنازحين بالقرب من قرية قاح مما أدى إلى مقتل ٤٠ مدنياً.
١٢. مجرزة سراقب ٢٠١٩ م: بتاريخ ٢١/١٢/٢٠١٩ م استهدفت الطائرات الحربية المدينة مما أدى مقتل ثمانية مدنيين بينهم نساء وأطفال.



مجازر عام ٢٠٢٠ م:

١. مجرزة بنش ٢٠٢٠ م: بتاريخ ٢٠٢٠/١١ قصفت طائرات النظام مدينة بنش بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ٩ مدنيين.
٢. مجرزة سوق إدلب ٢٠٢٠ م: بتاريخ ٢٠٢٠/١٥ قصفت طائرات النظام بقصف السوق الشعبي في مدينة إدلب بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ٢٢ مدنياً.
٣. مجرزة كفرلاته ٢٠٢٠ م: بتاريخ ٢٠٢٠/٢٩ قصفت طائرات النظام قرية كفرلاته مما أسفر عن مقتل أكثر من ١٩ مدنياً.
٤. مجرزة شاميكيو ٢٠٢٠ م: بتاريخ ٢٠٢٠/١٣ قصفت طائرات النظام حافلة تُقلُّ نازحين من منطقة شاميكيو بريف محافظة حلب الغربي مما أدى إلى مقتل ١٩ مدنياً.
٥. مجرزة جدرايا ٢٠٢٠ م: بتاريخ ٢٠٢٠/٥ قصفت طائرات النظام قرية جدرايا بالصواريخ مما أسفر عن مقتل ٩ مدنيين من عائلة واحدة.
٦. مجرزة شباط إدلب ٢٠٢٠ م: بتاريخ ٢٠٢٠/١١ قصفت طائرات النظام مدينة إدلب بالصواريخ مما أسفر عن مقتل أكثر من ١٢ مدنياً.
٧. مجرزة الدويلة ٢٠٢٠ م: بتاريخ ٢٠٢٠/١٠ قصفت طائرات الحربية معسكراً لفيلق الشام ومخيمًا للنازحين بالقرب منه مما أدى إلى مقتل ٨٠ شخصاً وإصابة العشرات.



حصيلة عامية لسنوات الثورة:

- أكثر من ١٣ مليون مهجر ولاجئ ونازح سوري ٤ ملايين في تركيا، مليون في لبنان، مليون في الأردن، مليون في أوروبا، ٢٠٠ ألف في مصر وليبيا وغيرها، ٢٠٠ ألف في أمريكا وكندا وأمريكا الشمالية، ٥ ملايين في الشمال السوري. ٢١٥٠٠ مجرزة.
- ٣٣٣٩ ضربة كيماوية.
- ٤٢٧٠٠ طفل سوري تم قتلهم.
- ٥٢٥٠٠ سيدة سورية تم قتلهن.
- ٦١٠٠٠ برميل متفجر تم إلقاءه على السوريين.
- مئات آلاف المعتقلين والمغيبين قسرياً.
- تدمير البنية التحتية لسوريا.
- أكثر من مليون شهيد سوري.
- قصف وتدمير أكثر من ٦٠٠ من المنشآت الطبية وقتل الكوادر الطبية
- قصف وتدمير أكثر من ٩٠٠ من المدارس والمجمعات التربوية والمنشآت التعليمية. ١٢ قتل واعتقال آلاف من النخب السورية والملقفين.



استخدام السلاح الكيماوي:

١. الهجوم على مدينة سلقين بتاريخ: ٢٠١٢/١٠/١٧ م.
٢. الهجوم على حي البياضة حمص بتاريخ: ٢٠١٢/٣/٢٢ م مما أدى إلى ارقاء ٥ أشخاص وإصابة ١٠٠ آخرين.
٣. الهجوم على مدينة داريا بتاريخ: ٢٠١٣/٣/١٣ م.
٤. الهجوم على بلدة العتيبة بتاريخ: ٢٠١٣/٣/١٤ م وفي ٢٠١٣/٣/١٩ م.
٥. الهجوم على مدينة عدرا بتاريخ: ٢٠١٣/٣/٢٤ م.
٦. الهجوم على حي جوبر بتاريخ: من ١١ وحتى ١٤/٤/٢٠١٣ م.
٧. الهجوم على مدينة داريا بتاريخ: ٢٠١٣/٤/٢٥ م.
٨. الهجوم على مدينة سراقب بتاريخ: ٢٠١٣/٤/٢٩ م.
٩. الهجوم على قصر أبو سمره بتاريخ: ٢٠١٣/٥/١٤ م.
١٠. الهجوم على مدينة عدرا بتاريخ: ٢٠١٣/٥/٢٣ م.
١١. الهجوم على مدن وبلدات الغوطة بتاريخ: من ٢١ وحتى ٢٤/٨/٢٠١٣ م.
١٢. الهجوم على بلدة التمانعة بتاريخ: ٢٥ و ٢٩/٥/٢٠١٤ م.
١٣. الهجوم على مدينة اللطامنة بتاريخ: ٢٥ و ٢٩/٥/٢٠١٤ م.
١٤. الهجوم على حي جوبر بتاريخ: ٢٠١٤/٨/٢١ م.
١٥. الهجوم على داريا بتاريخ: ١٥/٤/٢٠١٥ م.
١٦. الهجوم على بلدة حيان بتاريخ: ٢٠١٥/٤/٢١ م.
١٧. الهجوم على المزيريب بتاريخ: ٢٠١٥/٣/٩ م.
١٨. الهجوم على قميناس بتاريخ: من ١٦ وحتى ٢٤/٣/٢٠١٥ م.
١٩. الهجوم على سرمين بتاريخ: ٢٠١٥/٣/١٦ م.
٢٠. الهجوم على بنش بتاريخ: ٢٣ و ٢٤/٣/٢٠١٥ م.
٢١. الهجوم على سراقب بتاريخ: ٢٠١٦/٨/١ م.
٢٢. الهجوم على غوطة دمشق بتاريخ: ٢٠١٦/٦/١٥ م.



- . ٢٣. الهجوم على وادي بردى بتاريخ: ٢٠١٧/٤/٨ م.
- . ٢٤. الهجوم على اللطامنة بتاريخ: ٢٥ و ٣٠ ٢٠١٧/٣/٣٠ م.
- . ٢٥. الهجوم على بلدة الهميط بتاريخ: ٢٠١٧/٤/٣ م.
- . ٢٦. الهجوم على خان شيخون بتاريخ: ٢٠١٧/٤/٤ م.
- . ٢٧. الهجوم على الغوطة بتاريخ: ٢٠١٨/١/٢٢ م.
- . ٢٨. الهجوم على سراقب بتاريخ: ٢٠١٨/٤/٥ م.
- . ٢٩. الهجوم على دوما بتاريخ: ٢٠١٨/٤/٧ م

صور من أرشيف الثورة

١- صور للمظاهرات في بداية الثورة





٢- صور لبداية تشكيل الجيش الحر



٣- صور للجامعات في المحرر





٤- صور للدفاع المدني





شکر و تقدیر

* بعد هذا الجهد المتواضع في كتابة سهيم من تاريخ هذه الثورة المباركة لأبنائنا وللأجيال اللاحقة، ليتعرفوا تاريخ أجدادهم العريق وبطولاتهم المجيدة في محاربة الظلم والظلمة، وليتعرفوا حقيقة وطبيعة الحكام المستبدین ومدى حقدهم الدفين على الشعوب المستضعفـة بما يدفعهم لأخذ الحذر منهم فلا يخدعوا كما خـُدع أسلافهم ممـّن كان قبلهم.

* وهذه المناسبة أتوجّه بالشكر الجزييل لكلّ من ساعدني بهذا الكتاب من حيث إضافة فكرة إليه أو تعديل فكرة منه أو ملاحظة مفيدة له.

* وأخص بالشكر والعرفان الشیخ الفاضل الدكتور عطیة الوھبی أبا حفص، فقد أثقلتُ عليه في تدقیقه، والشیخ الکریم مصطفی دریاک أبا علی، الذي لم یدخل علیّ في مراجعته، والشکر موصول للشیخ الکریم محمد مشعل أبی عبد الله، الذي تکرم علیّ بإضافة أفکارٍ متممٍة ومفیدة للأبحاث، وللشیخ الکریم نایف العمرأی أسیل، الذي أتعبته بالترتيب والتنسيق.

والله أَسْأَلُ أَن يضاعف أَجُورِهِمْ وَيَجْزِلْ مَثُوبَتِهِمْ وَيُرَفِّعْ قَدْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
أَن يَتَقَبَّلْ مِنَّا وَمِنْهُمْ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ الْقَادِرِ عَلَيْهِ.

والحمد لله رب العالمين



الفهرس

| | |
|-----|--|
| ٥ | الإهداء |
| ٦ | فصول الكتاب |
| ٩ | مقدمة الدكتور عطية الوهبي |
| ٢١ | مقدمة المؤلف |
| ٢٥ | الفصل الأول |
| ٢٧ | المبحث الأول: الشام في زمن الكرام |
| ٣١ | المبحث الثاني: جاهليّة عمياء |
| ٣٣ | المبحث الثالث: اعرف عدوك |
| ٣٩ | المبحث الرابع: سوريا المحتلة |
| ٤٩ | المبحث الخامس: سوريا مزرعة الأسد |
| ٥٤ | الفصل الثاني |
| ٥٦ | المبحث الأول: الثورات وتداعياتها |
| ٧٣ | المبحث الثاني: الربيع العربي الدامي |
| ١١٠ | المبحث الثالث: عينٌ على الواقع |
| ١٢٩ | المبحث الرابع: نظرةٌ على الواقع العربي والإسلامي |
| ١٣٣ | المبحث الخامس: على رقعة الشطرنج |
| ١٣٦ | المبحث السادس: لماذا سوريا ؟ |
| ١٤١ | المبحث السابع: الثورة السورية بين التشظيات البينية والأطماع الدوليّة |
| ١٥٥ | المبحث الثامن: انتكاسة حلب |
| ١٦٣ | الفصل الثالث |
| ١٦٥ | المبحث الأول: أعداء الثورة السورية والحقيقة المفضوحة |
| ١٧١ | المبحث الثاني: داعش خوارج العصر والخنجر المسموم |



| | |
|--|------------|
| المبحث الثالث: المواقف الدولية تجاه الثورة السورية | ١٧٥ |
| المبحث الرابع: الثورة السورية والمعادات الدولية | ٢٠٧ |
| المبحث الخامس: مسارات سياسية لحل الأزمة السورية | ٢١٢ |
| الفصل الرابع | ٢٣٧ |
| المبحث الأول: تيه، وضياع، واستبدال | ٢٣٩ |
| المبحث الثاني: الثورة السورية في عنق الزجاجة | ٢٤٢ |
| المبحث الثالث: أزمات، ومصارحاتٌ ونقدٌ وتقدير | ٢٤٩ |
| المبحث الرابع: دور النخب والمرجعيات الشرعية في الثورة السورية | ٢٦٣ |
| المبحث الخامس: الثورة السورية وتداعياتها العامة | ٢٨٣ |
| الفصل الخامس | ٢٩٠ |
| تمهيد: الثورة السورية فضاءً واسعًّا وغيمون متلبدة | ٢٩٢ |
| المبحث الأول: التعليم في المناطق المحررة (آلام وأمال) | ٢٩٤ |
| المبحث الثاني: القضاء في المناطق المحررة | ٣٠٣ |
| المبحث الثالث: الملف الصحي في المناطق المحررة | ٣١٣ |
| المبحث الرابع: الدفاع المدني والتكافل الاجتماعي في الثورة السورية | ٣٢٥ |
| المبحث الخامس: دور المرأة في الثورة السورية | ٣٣٧ |
| المبحث السادس: المنظمات العاملة في الساحة السورية وأدوارها المتباينة | ٣٤٧ |
| الفصل السادس | ٣٦٣ |
| المبحث الأول: الثورة السورية توصيات واجبة بين الواقع والمأمول | ٣٦٤ |
| المبحث الثاني: الثورة السورية صفحات ناصعة وتاريخ مشرق | ٣٧٦ |
| خاتمة الكتاب | ٣٩٤ |
| المبحث الأول : منارات إيمانية لثورة لكرامة | ٣٩٥ |
| المبحث الثاني: مجازر آل الأسد | ٤١٠ |
| المبحث الثالث: صور من أرشيف الثورة | ٤٢٩ |



| | |
|---------------------------|-----|
| المبحث الرابع: شكر وتقدير | ٤٣٣ |
| الفهرس | ٤٣٥ |